



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



سجل البحوث وأوراق العمل
المقدمة لندوة
السلفية منهج شرعي ومطلب وطني

المجلد الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بحوث المحور الرابع

الشافعية



خصائص المنهج السلفي وصلته بتجديد الخطاب الديني تزكية وتربية وسلوكا وآدابا.... الكتاب والسنة

إعداد

أ. د. أحمد محمد هليل

قاضي القضاة / إمام الحضرة الهاشمية

المملكة الأردنية الهاشمية

الشيعة

مقدمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَاَلَاهُ .
أَمَّا بَعْدُ :

فَقَدْ بَدَأَ التَّشْرِيعُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى - ﷺ - وَصَحَابَتِهِ الْكَرَامِ -
وَهُوَ خَيْرُ الْعُصُورِ - ، ثُمَّ جَاءَ عَصْرُ التَّابِعِينَ ثُمَّ تَابِعِي التَّابِعِينَ ، وَهِيَ
الْعُصُورُ الْمَشْهُودُ لِأَهْلِهَا بِالْخَيْرِيَّةِ ؛ كَمَا جَاءَ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ .
فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ -
قَالَ : « لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدُهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ » ^(١) .
وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِ ، عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَتَخَلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ ، وَيَمِينُهُ
شَهَادَتُهُ » ^(٢) .

فَعَلَى مَدَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا مِنْ مَهْدِ الرِّسَالَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ وَمَنْهَجِ
التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ كُلَّمَا بَعْدَ عَهْدِهِ مِنْ عَصْرِ النُّبُوَّةِ كَانَ النَّاسُ إِلَى الشُّبُهَاتِ

(١) حديث صحيح رواه البخاري في كتاب الفتن ، الجعفي ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله
البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى البغا ، دار ابن كثير ، ط ٣ ،
بيروت ، ١٩٨٧ ، ج ٦ ، ص ٢٥٩١ حديث رقم ٦٦٥٧ .

(٢) حديث صحيح رواه البخاري في باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ، الجعفي ،
صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص ٩٣٨ حديث رقم ٢٥٠٩ ، ومسلم في باب فضل الصحابة
ثم الذين يلونهم ، النيسابوري ، صحيح مسلم ، ج ٤ ، ص ١٩٦٣ ، حديث رقم ٢٥٣٣ .

والمحدثات أقرب إلى القبول بها، وأسرع للمناضلة دونها، وهي منوطة بأحوال كل عصر من حيث الصلاح والفساد.

فأهل هذه القرون الثلاثة هم السلف الصالح المزكون، فلا تحقيق للخيرية والصلاح ومعرفة الحق والابتعاد عن محدثات الأمور إلا باتباع منهجهم القويم وفهمهم لكتاب الله والسنة النبوية؛ فقال - تعالى - في محكم التنزيل: **وَالسَّيْقُوتَ الْأُولَى مِنَ الْمُهْجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** [التوبة: ١٠٠]، وحسبهم هذه الشهادة والتزكية من رب العالمين -

ﷺ - .

ثم جاءت العصور التي بعدها، وفيها طرق باب التشريع شيء من أهواء البشر وآرائهم وأفهامهم، إلى أن بلغ مبلغه في هذا الزمان. وفي ظل مقتضيات هذا العصر ومتطلباته ظهر ما يسمى بالخطاب الديني، وقد اختلفت المفاهيم والآراء حوله، ما بين التجديد بمفهومي الشرعي المتمثل بإحياء التشريع الإسلامي من جديد، وذلك بالعودة به إلى منهج السلف الصالح، وتنقيته من الشوائب البدعية والخرافات، وما بين التبديل والإغراض عن سبيل سلف الأمة.

ولأهمية هذا الموضوع فقد نشطت في أن يكون هو مقصدي في هذه الورقات؛ مبيناً فيه أولاً خصائص المنهج السلفي، ثم صلته بتجديد الخطاب الديني.

ولا يسعني في مقدمتي هذه إلا تقديم خالص الشكر إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والهيئات التعليمية فيها - وفي المقدمة معالي مدير

الجامعة الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الله أبا الخيل - على إقامة هذه الندوة، والتي قامت الإدارة الكريمة بدعوتي إلى المشاركة فيها، وأتاحت لي الفرصة في تقديم هذه الدراسة المتواضعة في ضوابط الخطاب الديني، وقد تشرفت بتلقي الدعوة للمشاركة بالقبول والامتنان.

وهو جهد مشكور جاء في وقت اقتضت الحاجة فيه إلى تجلية الحق والبيان في هذا الموضوع، وليس هذا بمستغرب على هيئات الجامعة التعليمية وأساتذتها الأجلاء، وبما عهد عن معالي الأستاذ سليمان أبا الخيل من دعمه للندوات الدينية والأنشطة الثقافية المختلفة، وما يتحلى به من عمق في الفكر ودقة في التصور.

خصائص المنهج السلفي

لَا يَعْزُبُ عَنْ كُلِّ مُتَدَبِّرٍ لِكِتَابِ اللَّهِ - ﷻ - ، وَمُسْتَقَرِّيِ لِّلْسُنَةِ النَّبَوِيَّةِ
 الشَّرِيفَةِ: أَنَّ ثَمَّةَ فَضْلاً اخْتَصَّهُ اللَّهُ - ﷻ - لِلصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللَّهِ
 عَلَيْهِمْ - عَمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ؛ إِذِ اصْطَفَاهُمْ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ - ﷺ - ، وَشَرَفَهُمْ
 بِذَلِكَ.

وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ وُجِّهَ إِلَيْهِمُ الْخِطَابُ الْعَامُّ فِي كُلِّ مَا يَخْصُ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ مِنْ
 ثَنَاءٍ وَاجْتِبَاءٍ وَخَيْرِيَّةٍ وَاتِّبَاعٍ، فَكَانُوا هُمْ أَوَّلَ شُهَدَاءِ الْأُمَّةِ عَلَى النَّاسِ بِقِيَامِ
 حُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ قَالَ - تَعَالَى - مُخَاطِباً إِيَّاهُمْ: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ
 جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ
 سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا
 شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) [الحج: ١٧٨].

وَقَدْ نَكَتَ الْعَلَامَةُ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا جَاءَ فِيهَا مِنْ شَهَادَةِ
 الرَّسُولِ عَلَيْهِمْ وَشَهَادَتِهِمْ عَلَى النَّاسِ بِقَوْلِهِ: «وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا يَهْدِيهِ
 الْمَنْزِلَةُ عِنْدَهُ - تَعَالَى - فَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يَحْرِمَهُمْ كُلُّهُمْ الصَّوَابَ فِي مَسْأَلَةٍ،
 فَيُفْتِي فِيهَا بَعْضُهُمْ بِالْخَطَا، وَلَا يُفْتِي فِيهَا غَيْرُهُ بِالصَّوَابِ، وَيَظْفَرُ فِيهَا بِالْهُدَى
 مَنْ بَعْدَهُمْ»^(١).

وَكَذَلِكَ أَثْنَى اللَّهُ - ﷻ - عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ
 الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ

(١) الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) إعلام
 الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت،
 ١٩٧٣م، ج ٤، ص ١٣٤.

وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

[التوبة : ١٠٠].

وَقَالَ - تَعَالَى - : لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ [الفتح : ١٠].

وَمِمَّا يُشِيرُ - أَيْضًا - إِلَى مَكَاتِبِهِمْ وَعُلُوِّ قَدْرِهِمْ : مَا جَعَلَهُ اللَّهُ - ﷻ - مِنْ تَلَاُزْمٍ بَيْنَ مُشَاقَّةِ الرَّسُولِ - ﷺ - وَبَيْنَ اتِّبَاعِ غَيْرِ سَبِيلِهِمْ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ ؛ حَيْثُ قَالَ - سُبْحَانَهُ - : وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا

[النساء : ١٥].

فَإِنَّ الصَّحَابَةَ هُنَا هُمْ أَوَّلُ الْمَعْنِيِّينَ فِي عُمُومِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَلِهَذَا كَانَ كُلُّ مَنْ دَخَلَ فِيهَا مِنْ أُمَّةٍ الْإِسْلَامَ فَهُوَ مُلْزَمٌ بِعَدَمِ الْخُرُوجِ عَنْ سَبِيلِهِمْ وَنَهْجِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ هُمْ أَوَّلُ مَنْ خُوِطِبَ بِذَلِكَ، وَأَمَّا الَّذِينَ جَاؤُوا بَعْدَهُمْ فَهُمْ تَبَعَ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ - أَيْضًا - : مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ : «الْتُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ التُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبَتْ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لَأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»^(١).

(١) النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت : ٢٦١هـ) صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت) ج٤، ص ١٩٦١، حديث رقم ٢٥٣١.

وَقَدْ عَلَّقَ النَّوَوِيُّ عَلَى قَوْلِهِ - عليه السلام - : «فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»، حَيْثُ قَالَ: «مَعْنَاهُ: مِنْ ظُهُورِ الْبَدَعِ وَالْحَوَادِثِ فِي الدِّينِ وَالْفِتَنِ فِيهِ...»^(١).

وَكَذَلِكَ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَنَهُ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ - عليه السلام - أَنَّهُ قَالَ: «... وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(٢).

وَقَدْ أَدْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ الصَّحَابَةُ أَنْفُسُهُمْ، وَأَدْرَكُوا أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - جَعَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوُزَرَاءِ لِلْمُصْطَفَى - عليه السلام - مِنْ بَعْدِهِ، وَلَا سَبِيلَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَّا بِاتِّبَاعِ نَهْجِهِمْ؛ إِذْ صَحَّ مَوْفُوفًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي «مُسْنَدِ أَحْمَدَ» وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ - عليه السلام - خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وَزَرَءَ نَبِيِّهِ؛ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ»^(٣).

(١) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت ٦٧٦هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت، ١٣٩٢ ج ١٦، ص ٨٣.

(٢) رواه الترمذي وقال عنه: حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن الضحاك، (ت: ٢٧٩هـ) سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٥، ص ٢٦، حديث رقم ٢٦٤١.

(٣) الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مسند أحمد مؤسسة قرطبة، ط ١، القاهرة، ج ١، ص ٣٧٩، حديث رقم ٣٦٠٠.

وَهُنَا دَلَّ السِّيَاقُ عَلَى أَنَّ مُرَادَ ابْنِ مَسْعُودٍ بِالْمُسْلِمِينَ هُنَا: الصَّحَابَةُ وَمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ.

وَمِمَّا ذُكِرَ فِي فَضْلِهِمْ: مَا اسْتَدَلَّ بِهِ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوَازِيَّةَ عَلَى وَجُوبِ اتِّبَاعِ الصَّحَابَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ [يس: ٢١]، حَيْثُ قَالَ: (هَذَا قَصَّهُ اللَّهُ - ﷺ - عَنْ صَاحِبِ يَاسِينَ عَلَى سَبِيلِ الرِّضَاءِ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَالثَّنَاءِ عَلَى قَائِلِهَا، وَالْإِقْرَارِ لَهُ عَلَيْهَا، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ لَمْ يَسْأَلْنَا أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ - تَعَالَى - خِطَابًا لَهُمْ: وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [آل عمران: ١٠٣]، وَ(لَعَلَّ) مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ، وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ❖ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ [محمد: ١٦، ١٧]، وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ❖ سَيَهْدِيهِمْ ه ه [محمد: ٥]، وَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [العنكبوت ٦٩]، وَكُلُّ مِنْهُمْ قَاتِلٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَجَاهِدٌ؛ إِمَّا يَبْدِيهِ أَوْ يَكُونُ اللَّهُ قَدْ هَدَاهُمْ، وَكُلُّ مَنْ هَدَاهُ فَهُوَ مُهْتَدٍ، فَيَجِبُ اتِّبَاعُهُ بِالْآيَةِ^(١).

وقد خاطب الله - ﷻ - الصحابة بقوله: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ [البقرة: ١٣٧]. "فَإِنْ آمَنُوا" أَيِ

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج ٤، ص ١٣٠.

الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى هُنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرْضَ إِيمَانَنَا إِلَّا عَلَى نَحْوِ يَوَافِقِ إِيمَانِ هَؤُلَاءِ الصَّفْوَةِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ شَقَاقٌ لَا خَيْرَ فِيهِ ؛ وَقَدْ زَكَّى اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَأَمَرَ الْعِبَادَ أَنْ يَتْلُقُوهُ بِإِيمَانٍ كإِيمَانِهِمْ ، وَهُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّحِيحَةُ وَإِجْمَاعُهُمْ.

وَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ - تَعَالَى - بِأَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - ؛ إِذْ قَالَ رَبُّ الْعِزَّةِ : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ [آل عمران : ١١٠].

وَهِيَ آيَةٌ عَامَّةٌ تَشْمَلُ أُمَّةَ الْإِسْلَامِ ، إِلَّا أَنَّ الصَّحَابَةَ - أَيْضًا - هُمْ أَوَّلُ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ ، فَمَا وَرِيَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَتَخَلَّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ »^(١).

فَإِنْ كَانَتْ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، فَهَذَا يُفْضِي إِلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ هُمْ خَيْرُ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -^(٢).

وَالْخَيْرِيَّةُ هُنَا مُطْلَقَةٌ ، تَشْمَلُ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْعِلْمَ النَّافِعَ وَالطَّاعَةَ وَالْأَخْلَاقَ وَالسُّلُوكَ وَجَمِيعَ ضُرُوبِ الْعِبَادَةِ ، أَمَّا الْقَوْلُ بِحَصْرِهَا فِي شَيْءٍ

(١) سبق تخريجه صفحة ٣.

(٢) ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت : ٧٢٨هـ) مجموع الفتاوى تحقيق : أنور الباز و عامر الجزار ، دار الجيل ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٧م ، ج ٣ ، ص ٨٥ .

دُونَ غَيْرِهِ فَهَذَا قَوْلٌ لَا يَنْهَضُ لَهُ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ وَلَا تَعَصُّدُهُ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ، بَلِ
التَّقْلُّ وَالْعَقْلُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، وَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَدِلَّةِ شَاهِدٌ عَلَيْهِ؛ إِذْ مِنْ
الْمَحَالِ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّقَ بِهِمُ الثَّنَاءُ وَالِاجْتِبَاءُ وَالْخَيْرِيَّةُ وَالِاتِّبَاعُ أَنْ يُحْصَرَ خَيْرُهُمْ
فِي أَمْرٍ، وَيُمْتَنَعَ فِي آخَرٍ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَى فَضْلِهِمْ كَثِيرَةٌ.
وَيُسْتَدَلُّ مِنَ الْحَدِيثِ - أَيْضًا - أَنَّ الْخَيْرِيَّةَ شَمِلَتْ أَجْيَالًا ثَلَاثَةً يَحَسَبُ
دَرَجَةَ خَيْرِيَّتِهَا، وَهِيَ: عَصْرُ النَّبِيِّ ﷺ - وَصَحَابَتِهِ، ثُمَّ عَصْرُ التَّابِعِينَ،
ثُمَّ تَابِعِي التَّابِعِينَ.

وَكَذَلِكَ اسْتَنْبَطَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ - وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ - أَنَّهُ
كُلَّمَا قَرَّبَ الْعَهْدُ عَصْرَ الرَّسُولِ ﷺ - كَانَ الْحَقُّ أَغْلَبَ، كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ
قَيْمٍ الْجُوزِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ^(١).

وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ هِيَ الْأَصْلُ وَالْجَوْهَرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ الْمَنْهَجُ السَّلَفِيُّ مُنْذُ أَنْ
شَطَّ النَّاسُ عَنْ سَبِيلِ مَنْ قَبْلَهُمْ، فَانْقَلَبَتِ الْقَاعِدَةُ، وَأَضْحَى أَمْرُ الدِّينِ
كَالدُّنْيَا؛ يُحَدَّثُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ كَمَا يُحَدَّثُ فِيهَا؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْمُصْطَفَى -
ﷺ - : «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي
وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهْدِيينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ،
وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ^(٢).

فَخَصَّ الرَّسُولُ ﷺ - سُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ بِقَوْلِهِ: "عَضُوا عَلَيْهَا"،
وَلَمْ يَقُلْ: "عَضُوا عَلَيْهِمَا" حَيْثُ إِنَّ سُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ هِيَ عَيْنُ سُنَّةِ
الرَّسُولِ ﷺ - ^(٣).

(١) ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين، ج ٤، ص ١٤٣.

(٢) حديث صحيح، رواه أبو داود في باب في لزوم السنة، السجستاني، أبو داود سليمان بن
الأشعث بن (ت: ٢٧٥هـ) سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٤، ص

٣٢٩، حديث رقم ٤٦٠٩

(٣) مشهور حسن، السلفية وبراءتها من الأعمال الردية، ص ٢٣.

مفهوم التجديد في الخطاب الديني

مِنَ الْمَفَاهِيمِ الَّتِي عَرَضَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ، وَاخْتَلَفَ فِيهَا: هِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى التَّجْدِيدِ فِي الْخُطَابِ الْإِسْلَامِيِّ.

فَكَمَا هُوَ مَعْهُودٌ لِكُلِّ ذِي بَصِيرَةٍ أَنَّ الدُّنْيَا وَأَحْوَالَهَا لَا زَالَتْ تَخْرُجُ مِنْ طَوْرِ إِلَى آخَرَ، وَهِيَ سُنَّةٌ سَنَّهَا اللَّهُ - تَعَالَى - فِي هَذَا الْوُجُودِ؛ إِذْ جَبَلَ الْبَارِي - ﷻ - الْإِنْسَانَ بِمَا خَلَقَ لَهُ مِنْ عَقْلٍ وَقَلْبٍ وَفِطْرَةٍ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى كُلِّ مَا هُوَ حَسَنٌ فِي مَعَاشِهِ وَيَنَاءٍ مُجْتَمِعَةٍ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا التَّغْيِيرَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا قَدْ يَمَسُّ الطَّابِعَ الدِّينِيَّ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ تَغْيِيرِ أَحْوَالِ النَّاسِ وَأَفْكَارِهِمْ وَآرَائِهِمْ.

وَلِهَذَا نَزَعَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ فِي هَذَا الْعَصْرِ إِلَى طَرَحِ أَدَاءٍ جَدِيدٍ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الدِّينِ؛ مُرَاعَاةً لِلنَّاسِ وَلِمُخَاطَبَتِهِمْ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ؛ اسْتِثْنَاءً قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [النحل: ١٢٥]، حَتَّى بَاتَ يُعْرَفُ هَذَا الْمَطْلَبُ بِتَجْدِيدِ الْخُطَابِ الدِّينِيِّ.

إِلَّا أَنَّ هَذَا الاصْطِلَاحَ قَدْ اخْتَلَفَ فِي تَعْرِيفِهِ وَتَقْيِيدِ حُدُودِهِ؛ حَتَّى أَخْرَجَهُ الْبَعْضُ مِنْ حُدُودِ التَّجْدِيدِ إِلَى عُمُومِ التَّبْدِيلِ.

وَقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى فَسَادِ هَذَا الاصْطِلَاحِ وَبَنَازِهِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ اسْتِغْلَالِ بَعْضِ النَّاسِ لَهُ فِي مُحَاوَلَةِ طَرَحِ أَفْكَارٍ وَنَشْرِ آرَاءٍ تَمَسُّ أَصُولَ الدِّينِ وَتُخْرِجُهُ عَنْ مَنَهِجِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، الَّذِينَ أُمِرْنَا بِاتِّبَاعِهِمْ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ فِي نَبْذِ هَذَا الْمَطْلَبِ بِالْكُلِّيَّةِ صَائِبٌ
إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، لَكِنْ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَقْتَرِنَ بِهِذَا الْفَهْمُ؛ فَالْخُطَابُ
الدِّينِيُّ قَدْ تَغَيَّرَ كَيْفِيَّةُ آدَائِهِ بِتَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ بِحَسَبِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ.

وَلَعَلَّ هَذِهِ الْمَشَاحَّةَ - الَّتِي حُصِرَتْ مَا بَيْنَ الْإِضْرَابِ عَنْ هَذَا الْإِصْطِلَاحِ
بِالْكُلِّيَّةِ، وَبَيْنَ اسْتِغْلَالِهِ وَإِخْرَاجِهِ عَنْ قِيُودِهِ - قَدْ أَفْضَتْ إِلَى التَّهْوِيشِ عَلَى
عَامَّةِ النَّاسِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ قَوَامَ الْخُطَابِ الدِّينِيِّ هُوَ الدَّعْوَةُ عَلَى بَصِيرَةٍ؛
قَالَ - تَعَالَى - : قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [يوسف: ١٠٨].

وَلِهَذَا كَانَ الرَّأْيُ أَنَّ الْأَنْفَعَ وَالْأَصَوَّبَ فِي هَذَا النَّزَاعِ أَنْ نُقَرَّ بِهِذَا الْمَطْلَبِ،
دُونَ أَنْ نُخْرِجَهُ عَنْ قِيُودِهِ.

فَالْتَّجْدِيدُ مُنَوِّطٌ بِالْخُطَابِ لَا بِالْإِسْلَامِ، فَالْخُطَابُ الدِّينِيُّ الدَّعْوَى وَأُسْلُوبُهُ
هُوَ الْجَانِبُ الْمُتَغَيِّرُ، فَيَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ، وَتَتَأَثَّرُ كَيْفِيَّةُ آدَائِهِ بِفَقْهِ الْوَقَاعِ،
وَالْتَّجْدِيدُ - كَمَا فِي مَصَادِرِ اللَّغَةِ - ^(١) : هُوَ صَيَغَةُ تَفْعِيلٍ مِنَ (الْجَدِيدِ)،
وَتَعْنِي: الْحَثُّ عَلَى إِحْدَاثِ الْجَدَّةِ، وَمِنْهُ الْجَدِيدَانِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ؛ لِأَنَّهُمَا
يَتَجَدَّدَانِ، وَالْجَدِيدُ: مَا لَا عَهْدَ لَكَ بِهِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْمَوْتُ بِالْجَدِيدِ.

(١) انظر ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المراسي (ت: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط
الأعظم تحقيق: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ٧،
ص ١٧٨، ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، ط ١، بيروت، ج ٣،
ص ١٠٧، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر مختار الصحاح: تحقيق: محمود
خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة، بيروت، ١٩٩٥، ج ١، ص ١١٩، باب
الجيم

وَجَدَّدَ الشَّيْءَ: صَيَّرَهُ جَدِيداً، وَأَعَادَهُ جَدِيداً، وَمِنْهُ جَدَّدَ وَضُوءَهُ، وَجَدَّدَ عَهْدَهُ؛ يَعْنِي: أَعَادَهُ وَكَرَّرَهُ وَأَكَّدَهُ.

وَالْجَدِيدُ: نَقِيضُ الْخَلْقِ؛ فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا أَتَتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ فَأَصَابَهُ الْبَلَى صَارَ قَدِيماً وَخَلَقاً.

وَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ - وَحَسَنَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي «مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ» - مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - قَالَ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيُخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»^(١).

وَقَدْ دَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ التَّجْدِيدَ هُوَ إِعَادَةُ الشَّيْءِ إِلَى أَصْلِهِ يَوْمَ نَشَأَ عَنْ طَرِيقِ تَنْقِيَّتِهِ مِنَ الْأَذْرَانِ وَالْأَبَاطِيلِ الَّتِي تَعْلُقُ بِهِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ أَهْوَاءِ الْبَشَرِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» وَغَيْرُهُ - بِسَنَدٍ صَحِيحٍ - مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(٢).

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ»: «وَقَالَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّ الْحَدِيثَ يَشْمَلُ كُلَّ فَرْدٍ مِنْ أَحَادِ الْعُلَمَاءِ مِنْ هَذِهِ الْأَعْصَارِ، مِمَّنْ يَقُومُ بِفَرْضِ الْكِفَايَةِ فِي آدَاءِ الْعِلْمِ عَمَّنْ أَدْرَكَ مِنَ السَّلَفِ إِلَى مَنْ يَدْرِكُهُ مِنْ

(١) حديث لم يخرج في الصحيحين ورواته ثقات وإسناده حسن، ورواه الحاكم في باب الإيمان، النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم، المستدرک على الصحيحين تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٠، ج١، ص ٤٥، حديث رقم ٥. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ، ج١، ٢١٢، باب تجديد الإيمان.

(٢) رواة أبو داود في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة السجستاني، سنن أبي داود، ج ٤، ص ١٠٩، حديث رقم ٤٢٩١.

الْخَلْفَ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ طَرُقٍ مُرْسَلَةٍ وَغَيْرِ مُرْسَلَةٍ : «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ ، يَنْفَعُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ» ، وَهَذَا مَوْجُودٌ - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ - إِلَى زَمَانِنَا هَذَا ، وَنَحْنُ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ^(١) .

فَالْتَجْدِيدُ - بِمَفْهُومِهِ الصَّحِيحِ - هُوَ مَطْلَبٌ ، وَهُوَ ضَرُورَةٌ وَسُنَّةٌ كَوْنِيَّةٌ ، فَهُوَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ - ﷻ - لِحِفْظِ الدِّينِ مِنْ أَيِّ شَوَائِبَ تَعْتَرِيهِ ؛ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وَلَوْ لَا ضَمَانُ اللَّهِ بِحِفْظِ دِينِهِ ، وَتَكْفُلِهِ بِأَنْ يُقِيمَ لَهُ مَنْ يُجَدِّدُ أَعْلَامَهُ ، وَيُحْيِي مِنْهُ مَا أَمَاتَهُ الْمُبْطِلُونَ ، وَيُنْعِشُ مَا أَحْمَلَهُ الْجَاهِلُونَ ؛ لَهْدَمَتِ أَرْكَائُهُ ، وَتَدَاعَى بُنْيَانُهُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ»^(٢) .

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - : «وَالْتَجْدِيدُ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الدُّرُوسِ ، وَذَلِكَ هُوَ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ يُفِيدُ الْمُسْلِمَ أَنَّهُ لَا يَغْتَمُّ بِقَلَّةٍ مَنْ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا يَضِيقُ صَدْرُهُ بِذَلِكَ ، وَلَا يَكُونُ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ كَمَا كَانَ الْأَمْرُ حِينَ بَدَأَ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ [يونس : ٩٤] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَى صِحَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا تَغَرَّبَ ، يَحْتَاجُ صَاحِبُهُ مِنَ الْأَدْلَةِ وَالْبَرَاهِينِ إِلَى تَظْهِيرِ مَا احتَاجَ إِلَيْهِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، وَقَدْ قَالَ لَهُ : أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ

(١) القرشي الدمشقي ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) البداية والنهاية ، تحقيق علي

شيري ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، بيروت ، ج ٦ ، ص ٢٨٧ .

(٢) الزرعي ، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) مدارج السالكين تحقيق :

محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٧٣ م ، ج ٣ ، ص ٧٩ .

آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ❖
 وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ❖ وَإِنْ
 تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ
 إِلَّا يَخْرُصُونَ [الأنعام: ١١٤ - ١١٦] وَقَالَ - تَعَالَى - : أَمْ تَحْسَبُ
 أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا
 [الفرقان: ٤٤]، وَقَدْ تَكُونُ الْغُرْبَةُ فِي بَعْضِ شَرَائِعِهِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي
 بَعْضِ الْأَمَكِنَةِ؛ فَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمَكِنَةِ يَخْفَى عَلَيْهِمْ مِنْ شَرَائِعِهِ مَا يَصِيرُ بِهِ
 غَرِيبًا بَيْنَهُمْ، لَا يَعْرِفُهُ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ، وَمَعَ هَذَا فَطُوبَى لِمَنْ
 تَمَسَّكَ بِتِلْكَ الشَّرِيعَةِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(١).

وَيَسَبِّبُ الْفَهْمَ الْخَاطِئَ لِمَعْنَى الْحَدِيثِ السَّابِقِ: شَطَطَ بَعْضُهُمْ، فَظَنَّ أَنَّ
 الدِّينَ سَيَقَعُ فِيهِ التَّغْيِيرُ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّجْدِيدِ هُوَ التَّبْدِيلُ؛ زَعَمًا بِأَنَّ الْأُمَّةَ
 تَحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدِ بَعْضِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَذَلِكَ لِمُلَائِمَةِ الْعَصْرِ الَّذِي نَحْنُ
 فِيهِ، وَأَنَّ ثَمَّةَ أَحْكَامًا لَا تَصْلُحُ لِهَذَا الزَّمَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَصَرَ تَغْيِيرَ بَعْضِ
 الْأَحْكَامِ بِمَا لَهُ عِلَاقَةٌ فِي الدَّعْوَةِ إِذَا كَانَ مِنْهَا نُفُورٌ مِنْ قَبْلِ أَهْلِ الْفِسْقِ
 وَالْكَفْرِ.

وَلِهَذَا ظَهَرَتْ بَعْضُ الدَّعَوَاتِ بِتَجْدِيدِ عُلُومِ الدِّينِ مِنْ عَقِيدَةٍ وَفَقْهِ
 وَأَصُولٍ وَحَدِيثٍ، وَيُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِعَادَةَ النَّظَرِ فِيهَا وَتَغْيِيرَهَا وَتَبْدِيلَهَا؛
 لِتَتَوَافَقَ مَعَ الْعَقْلِ وَالْعَصْرِ، وَلَا يُقْصَدُ بِذَلِكَ: الاجْتِهَادُ - بِضَوَائِطِهِ وَأَصُولِهِ؛

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١٨، ص ١٦٩.

فَإِنَّ الاجْتِهَادَ الْمُتَعَلِّقَ بِفَهْمِ النَّصِّ - بِحَسَبِ الْأُصُولِ الْمُعْتَبَرَةِ - هُوَ مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ، لَا يَتَعَلَّقُ بِزَمَانٍ دُونَ آخَرٍ.

فَإِعَادَةُ الدِّينِ إِلَى أَصْلِهِ لَيْسَ مَعْنَاهُ الْإِبْتِعَادُ عَنْ عَصْرِهِ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ الْحُكْمُ عَلَى الْعَصْرِ الْحَدِيثِ طَبَقًا لِشَرِيعَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - بَعْدَ تَنْقِيَّتِهَا مِنَ الْأَذْرَانِ وَالْأَوْهَامِ وَالْأَبَاطِيلِ الَّتِي يُحَاوِلُ الظَّالِمُونَ الْمُفْتَرُونَ إِلْحَاقَهَا بِالشَّرِيعَةِ الْمُطَهَّرَةِ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ التَّجْدِيدَ يَشْمَلُ أَيْضًا التَّصْدِيقَ لِلْمُسْتَحْدَثَاتِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي كُلِّ عَصْرٍ؛ لِبَيَانِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ الصَّحِيحِ لِهَذِهِ الْمُسْتَحْدَثَاتِ^(١).

كَمَا أَنَّ التَّجْدِيدَ فِي الدِّينِ أَوْ الْخِطَابِ الدِّينِيِّ لَا يَعْنِي التَّمْيِيزَ أَوْ التَّحَوُّلَ عَنْ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يُسَمَّى تَجْدِيدًا؛ بَلْ يُسَمَّى انْجِلَالًا وَتَفَكُّكًا وَذَوْبَانًا وَمَوْتًا^(٢).

فَالدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ إِنْ لَمْ تَتَطَوَّرْ فِي مَادَّتِهَا وَأَسْلُوبِهَا، تُصْبِحُ مُتَخَلِّفَةً عَنْ الْعَصْرِ، ضَعِيفَةً الْفَائِدَةُ وَالْأَثَرُ؛ فَتَجْدِيدُ الْخِطَابِ وَأَسْلُوبِهِ مَعَ التَّمَسُّكِ بِالْأُصُولِ الَّتِي أَرْسَاهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ بِجَمَلَتِهَا ضَرُورَةٌ دَعْوِيَّةٌ حَتْمِيَّةٌ.

وَقَدْ عَرَّفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ - كَمَا فِي «عَوْنِ الْمَعْبُودِ» وَغَيْرِهِ - بِأَنَّهُ: "إِحْيَاءُ مَا انْدَرَسَ مِنَ الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَمْرِ بِمُقْتَضَاهُمَا، وَإِمَاتَةُ مَا ظَهَرَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْمُحْدَثَاتِ"^(٣).

(١) عَبَّاسُ حُسَيْنِي، الْفِقْهُ الْإِسْلَامِيُّ أَفَاقُهُ وَتَطَوُّرُهُ، مَجْلَدٌ «دَعْوَةُ الْحَقِّ»، عَدَد ١٠ سَنَةِ ١٤٠٢هـ، ص ٨٣.

(٢) مُصْطَفَى كَمَالُ النَّازِزِي، الْاجْتِهَادُ وَالتَّجْدِيدُ فِي التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ، ص ٥١.

(٣) أَبُو الطَّيِّبِ، مُحَمَّدُ شَمْسُ الْحَقِّ الْعَظِيمِ أَبَادِي عَوْنِ الْمَعْبُودِ شَرْحُ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ، ط ٢، بَيْرُوتَ، ١٤١٥هـ، ج ١١، ص ٢٦٠.

وَأَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْعَلَّامَةُ مُصْطَفَى الزَّرْقَا - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُهُ: "إِنَّ التَّجْدِيدَ يَنْحَصِرُ فِي أَمْرَيْنِ: إِحْيَاءُ مَا دُرِسَ مِنْ مَعَالِمِ الدِّينِ، وَتَرْمِيمُ مَا تَوَهَّنَ مِنْ لَبَنَاتِهِ بِسُوءِ الاسْتِعْمَالِ، وَإِزَاحَةُ مَا أُقِيمَ فِي طَرِيقِ مَسِيرَتِهِ الْبِنَاءَ لِلْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ الصَّحِيحَةِ الْكَرِيمَةِ الطَّيِّبَةِ مِنْ عَوَائِقَ؛ أَيْ: إِعَادَةُ الدِّينِ إِلَى رَوْقِهِ الْأَصْلِيِّ، وَحَالَتِهِ الثَّقِيَّةِ، فِكْرًا وَعَمَلًا كَمَا كَانَ جَدِيدًا فِي أَوَّلِهِ"^(١).

فَثَمَّةُ فَرْقٍ بَيْنَ تَجْدِيدِ الشَّيْءِ وَتَبْدِيلِهِ؛ فَ(جَدَدَ الشَّيْءَ) - كَمَا ذَكَرْنَا سَابِقًا - : صَيَّرَهُ جَدِيدًا، وَأَعَادَهُ جَدِيدًا، وَأَمَّا التَّبْدِيلُ فَهُوَ تَغْيِيرُكَ لِلشَّيْءِ وَاتِّخَاذُكَ بَدِيلًا مِنْهُ وَعَوَضًا.

فَالْتَّجْدِيدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ اسْتِهْدَامٍ - كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ^(٢)، وَالْاسْتِهْدَامُ - كَمَا قَالَ الْبَعْليُّ فِي «المُطْلَعِ عَلَى أَبْوَابِ الْمُفْنَعِ» - : " (اسْتَهْدَمَ): مُطَاوَعُ (هَدَمَ)؛ تَقُولُ: هَدَمْتُ الْحَائِطَ، فَاسْتَهْدَمْتُ"^(٣).

وإن وسائل المعرفة تأبى التقليد والجمود على قول دون سواه، فالعلم بحث لا يقبل الجمود ولا الهمود^(٤).

(١) الزَّرْقَا، مُصْطَفَى، الْإِسْلَامُ وَتَطَوُّرُ الْمُجْتَمَعَاتِ، مَجْلَدُ كُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ، الْجَامِعَةُ الْأُرْدُنِيَّةُ، عُدَدًا، عَامَ ١٩٧٢م، ص ٥٣.

(٢) ابن تيمية رسالة إلى السلطان الملك الناصر في شأن التار (من جامع المسائل: المجموعة الخامسة)، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد ط ١، مكة، ١٤٢٤هـ، ٥، ص ٢٩٧.

(٣) البعلي، محمد بن أبي الفتح الحنبلي أبو عبد الله (ت ٧٠٩هـ)، المُطْلَعُ عَلَى أَبْوَابِ الْفَنَنِ، تحقيق: محمد بشير الإدلبي المكتب الإسلامي، ط ١، بيروت، ١٩٨١ ج ١، ص ٤٠٢.

(٤) آل سلمان، مشهور حسن، السلفية النقية وبراءتها من الأعمال الرديئة، الدار الثرية، ط ١، ٢٠١١، ص ٢١.

خصائص المنهج السلفي :

• الفهم :

فسّر النبي - ﷺ - القرآن بتطبيقه وخلقه ، فكان هذا أبلغ في البيان ، وأقطع للاحتتمالات وأنفع للناس ، فهذا هو منهج الفهم السلفي ، فيجب فهم الكتاب والسنة على الحال التي طُبِّقَتْ فيه ، وترجمت إلى أفعال عملية^(١) ، من خلال فهم السلف الصالح ، والاستقاء من علومهم ، لذا لا بد من العودة إلى الفهم الأصيل - فهم السلف الصالح - الذي أصبح ضرورة ملحة .

وكما أسلفت ، أَنَّ قَوَامَ الْخُطَابِ الدِّينِيِّ هُوَ الدَّعْوَةُ عَلَى بَصِيرَةٍ ؛ قَالَ - تَعَالَى - : قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [يوسف : ١٠٨] ؛ فَأُمر بالدعاء إلى دين الله - تعالى - ، ولم يفرق بين المرتد وبين غيره ، فظاهره يقتضي دعاء المرتد إلى الإسلام كدعاء سائر الكفار^(٢) .

• وضوح المنهج :

إن المنهج السلفي واضح برجوعه إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وفهمها على النهج الذي كان عليه السلف الصالح ، عملاً بقوله - تعالى - : وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا [النساء : ١١٥] ، وقوله - تعالى - : فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ

(١) مشهور حسن ، السلفية النقية ، ص ٢٠ .

(٢) الجصاص ، أحمد بن علي الرازي أبو بكر ، أحكام القرآن تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ [البقرة: ١٣٧] أي إن آمن اليهود والنصارى بمثل ما آمن المؤمنون بالفرقان، من غير تصحيح ولا تحريف، فقد اهتدوا، وإن أتوا من الإيمان بمثل ما أتيتم به، فهم على ملة الدين الخفيف، وهم مهتدون وإن لم يأتوا بإيمان مثل إيمانهم فليسوا من الملة الخفيفة في شيء، وإنما هم في شقاق وعداوة^(١).

والعمل على تصفية ما علق بحياة المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره، وتحذيرهم من البدع والأفكار الدخيلة الباطلة.

● دقة المصطلحات وضبط معاني ألفاظ العبارات :

لا بد من الالتزام بالألفاظ الشرعية في العقيدة، وتجنب الألفاظ البدعية، والألفاظ المجملة والمحتملة للخطأ والصواب، فعلى الرغم من أن النوازل غير محصورة، والنصوص محصورة؛ إلا أن النصوص: مبانيها ومعانيها، ألفاظها ومقاصدها، كلياتها وقواعدها، تسعف الناس في كل عصر على معرفة أحكام الله - ﷻ - ، ولا يقدر على هذا الاستنباط إلا من كان بيده آلة الاستنباط، وهي الدليل^(٢).

● الدعوة :

إن من خصائص المنهج السلفي: الدعوة والصبر عليها رحمة بالناس، وذلك من خلال تربية المسلمين على دينهم الحق، ودعوتهم إلى العمل بأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه التي تكفل رضوان الله - تعالى - ،

(١) الزرعي، محمد بن أبي بكر بن القيم، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عطا وآخرون مكتبة

نزار مصطفى الباز، ط١، مكة المكرمة، ١٩٩٦، ج٤، ص ١٠١١.

(٢) مشهور حسن، السلفية النقية، ص ٢٥ بتصرف.

وذلك انطلاقاً من أصول الدين الثابتة، التي ليس لأحد أن يحدث منها شيئاً،
فالدعوة في المنهج السلفي دعوة منضبطة في فهمها^(١).

وَبَعْدَ هَذَا التَّوْضِيحِ فِي مَفْهُومِ التَّجْدِيدِ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ الضَّوَابِطِ
وَالرَّكَائِزِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا ؛ تَبَيَّنَا لِمَعَالِمِهِ وَتَقْيِيداً لِمُطْلَقِهِ ؛ فَالِدِينُ كُلُّهُ
تَوَابِتٌ ، وَلَا يَسُوعُ أَنْ يَكُونَ مَحَلَّ اجْتِهَادٍ ؛ إِذْ لَا اجْتِهَادَ فِي مَوْرَدِ النِّصِّ ،
وَالاجْتِهَادَ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْفُرُوعِ ، وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا مِنْ أَهْلِهِ ، وَهَمُّ الْفُقَهَاءِ ،
فَالْأَمْرُ لَيْسَ عِبْثاً ، وَالْمَطَالَبَةُ بِفَتْحِ الْاجْتِهَادِ لَيْسَ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْفَوْضَى^(٢).

إن الشريعة حينما وضعت مبدأ الاجتهاد لما يستجد من أحكام راعت
تبدل أحوال الأمم وعوائدهم، حيث لا تدون على وتيرة واحدة على مر
الأيام وتوالي الأزمنة، سنة الله التي قد خلت في عبادة، وهذه الحقيقة
تستتبع - بلا مرأى - تبدل مظاهر المجتمع، وظهور مسائل وقضايا فقهية
جديدة، تحتاج إلى اجتهاد فقهي، يراعي الأصول الكلية للشريعة، ويتشع
بفقه الواقع وضوابطه، وهو مع ذلك لا يصادر نصاً من النصوص أو إجماعاً
لسلف هذه الأمة الصالح^(٣).

أليس حفظ العقيدة من الوثنية والشرك والخرافة، والتوجه لغير الله -
تعالى - ، والاستغاثة بسواه، واللجوء لغيره، والاعتقاد بمحجر أو شجر أو

(١) مشهور حسن، السلفية النقية، ص ٢٤.

(٢) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق محمد
سعيد البدري، دار الفكر، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ، جزء ١، ص ٤٢٣.

(٣) حسانين، محمد حسانين، تجديد الدين، ط١، ٢٠٠٧، مكة المكرمة، ص ٢٣٠.

شمس أو قمر أو بشر أو بقر بالرفع والضرر، هو باب عظيم من أبواب التجديد بالمفهوم الذي أسلفنا؟.

أليس حفظ حديث رسول الله - ﷺ - من افتراء الكذابين، وتدليس المدلسين، يحتاج إلى حراس للحدود، كما قال الشيخ أبو إسحاق الحويني - حفظه الله - ، وإمام السنة الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - وأبو الحسن الأشعري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، ومن بعدهم ابن باز وابن عثيمين - رحمهم الله تعالى - ، وغيرهم وغيرهم. وكما فعل الشيخ المحدث ناصر الدين الألباني - رحمه الله - ، فيقول الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله تعالى - : "لا أعلم تحت قبة الفلك أعلم من الشيخ ناصر في علم الحديث، فهو من المجددين"^(١). كما أن الاجتهاد له شروط منها:

- أن الفقيه المجتهد يجب أن يكون ملماً بمسائل الإجماع، حتى لا يفتي بخلاف ما وقع الإجماع عليه.
- أن يكون الفقيه عالماً بلسان العرب، بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة من الغريب.
- أن يكون الفقيه عالماً بعلم أصول الفقه؛ لاشتماله على نفس الحاجة إليه، وعليه أن يطول باعه فيه، ويطلع على مختصراته ومطولاته،

(١) حسانين، ، تجديد الدين، ص ٢٣١.

فهذا العلم هو عماد فسطاط الاجتهاد ، وأساسه الذي تقوم عليه
أركان بنائه^(١).

وَمِنَ الثَّوَابِتِ الَّتِي يَجِبُ التَّنَبُّهُ لَهَا حَتَّى لَا تُفْهَمُ خَطَأً: أَنَّ تَجْدِيدَ الْخُطَابِ
الدِّيْنِيِّ لَا يَعْنِي بِحَالِ الْمَسَاسِ بِالْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، أَوْ تَجَاهُلَ حُكْمِ شَرْعِيٍّ ،
أَوْ التَّغَاضِي عَنْ آيَةٍ قُرْآنِيَّةٍ أَوْ حَدِيثٍ صَحِيحٍ^(٢).

وَاجْتِهَادَاتُ الْعُلَمَاءِ فِيْمَا لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ مُتَغَيِّرَةٌ أَيْضاً ، حَيْثُ يَتَغَيَّرُ اجْتِهَادُ
الْمُجْتَهِدِ مِنْ حِينٍ لآخر ، حَسْبَمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنَ الْأَدِلَّةِ إِزَاءَ كُلِّ مُسْتَجِدٍّ ، أَمَّا
رِعَايَةُ الضَّرُورَاتِ وَالْأَعْدَارِ ؛ فَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - مَا شَرَعَ حُكْمًا مِنْ
الْأَحْكَامِ ، وَلَا أَوْجَبَ تَكْلِيفًا مِنَ التَّكَالِيفِ إِلَّا وَشَرَعَ إِلَى جَانِبِهِ سُبُلَ التَّيْسِيرِ
فِيهِ ؛ كَالْتَّخْفِيفِ عَلَى الْمَرِيضِ وَالْمَسَافِرِ وَغَيْرِهَا مِنَ التَّكَالِيفِ الشَّرْعِيَّةِ ..

أَمَّا رِعَايَةُ الشَّرِيعَةِ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ ، فَكَمَا ذَكَرَ الشَّاطِبِيُّ فَإِنَّهَا لَا تَعْدُو ثَلَاثَةَ
أَقْسَامٍ: الضَّرُورِيَّةُ ، وَالْحَاجِيَّةُ ، وَالتَّحْسِينِيَّةُ ، وَهِيَ جَارِيَةٌ فِي الْعِبَادَاتِ ،
وَالْعَادَاتِ ، وَالْمُعَامَلَاتِ ، وَالْجِنَايَاتِ

فَالضَّرُورِيَّةُ هِيَ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْهَا لِقِيَامِ مَصَالِحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا ، وَهِيَ: حِفْظُ
الدِّينِ ، وَالنَّفْسِ ، وَالنَّسْلِ ، وَالْمَالِ ، وَالْعَقْلِ.

وَالْحَاجِيَّةُ هِيَ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي رَفْعِ الضِّيقِ الْمُؤَدِّي فِي الْغَالِبِ إِلَى
الْحَرَجِ وَالْمَشَقَّةِ ؛ كَالرُّخْصِ الْمُخَفَّفَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى لُحُوقِ الْمَشَقَّةِ بِالْمَرَضِ

(١) الشوكاني ، إرشاد الفحول ، جزء ١ ، ص ٢٠٤

(٢) هليل ، أ.د. أحمد محمد ، نحو تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر ، دار الفرقان للنشر

والتوزيع ، ط ١ ، عمان ، ٢٠٠٦ ، ص ١٤.

وَالسَّفَرِ، وَابَاحَةِ الصَّيْدِ وَالتَّمَتُّعِ بِالطَّيِّبَاتِ مِمَّا هُوَ حَالٌ، وَالْمُسَاقَاةِ،
وَالسَّلَمِ، وَالْحُكْمِ بِاللَّوْثِ.

وَالْتَحْسِينَةُ هِيَ الْأَخْذُ بِمَا يَلِيْقُ مِنْ مَحَاسِنِ الْعَادَاتِ، وَتَجَنُّبُ الْأَهْوَاءِ
الَّتِي تَأْنِفُهَا الْعُقُولُ؛ كِازَالَةِ النَّجَاسَةِ، وَسِتْرِ الْعَوْرَةِ، وَآدَابِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ،
وَالْمَنْعِ مِنْ بَيْعِ النَّجَاسَاتِ.

فَلَا يُرَادُ مِنَ الْخُطَابِ الدِّيْنِيِّ: الْإِسْلَامُ عَيْنُهُ، إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ مَدَى تَوَافُقِ عُقُولِ
النَّاسِ مَعَ النَّقْلِ؛ فَإِنَّ الْقُصُورَ فِي الْخُطَابِ الْإِسْلَامِيِّ لَا يَعْنِي قُصُوراً فِي
الْإِسْلَامِ نَفْسِهِ؛ فَالَّذِينَ كَوَّحِي رَبَّانِي وَشَرَعَ إِلَهِي، يَشْمَلُ نِظَامَ حَيَاةٍ .āā

• تنزيل من

حكيم حميد، وسنة نبوية مسددة بوحى الله - تعالى - : ﴿ وَمَا يَطُغُّ عَنْ مُهَوِّىٰ

﴿٢﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٣ - ٤

وقد أمر الله - ﷻ - الأمة الأخذ بها، والافتداء بمبلغها - ﷻ - ، فقال

تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ﴿٧﴾ الحشر: ٧

وقال - تعالى - : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ﴿١١﴾ الأحزاب:

٢١.

وفرق بين الدين المعصوم بهذا المفهوم، وَبَيْنَ إِخْفَاقِ الْمُسْلِمِينَ فِي تَرْجَمَةِ
هَذَا النِّظَامِ إِلَى وَاقِعٍ مَلْمُوسٍ، فَتَجْدِيدُ الْخُطَابِ الدِّيْنِيِّ - بِضَوَابِطِهِ
الصَّحِيحَةِ - لَا يَعْنِي بِحَالِ الْمَسِّ بِالْعَقِيْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، أَوْ بَثَابَةِ مَنْ ثَوَابَتْ
الْإِسْلَامَ، أَوْ تَجَاهُلِ حُكْمٍ شَرْعِيٍّ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ.

وَأَخْتِمُ بِالْقَوْلِ بِأَنَّ كُلَّ الْخَيْرِ فِي اتِّبَاعِ مَنْ سَلَفَ، وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعِ مَنْ
خَلَفَ، وَأَنَّ التَّجْدِيدَ فِي الدِّينِ لَا يُرَادُ بِهِ إِعَادَةُ النَّظَرِ فِيهِ؛ بَلِ الرَّجُوعُ إِلَيْهِ،
وَالِاحْتِكَامُ بِهِ، وَالِاتِّزَامُ بِهَدْيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، عَلَى فَهْمِ سَلَفِ الْأُمَّةِ مِنْ
جَدِيدٍ، وَلَيْسَ انْقِلَاباً عَلَى أَصْلٍ، أَوْ انْقِلَافاً مِنْ عِقَالٍ.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي التَّجْدِيدِ وَالْإِصْلَاحِ : مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْتَّمْهِيدِ» بِسَنَدِهِ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ يَقْعُدُ إِلَيْنَا، وَلَا يَقُومُ أَبَدًا حَتَّى يَقُولَ لَنَا : «اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يُصْلَحُ آخِرُ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلُهُ»، قُلْتُ : يُرِيدُ مَاذَا ؟ قَالَ : يُرِيدُ فِي بَادِيِ الْإِسْلَامِ ، أَوْ قَالَ : يُرِيدُ التَّقْوَى ^(١).

وَمَا أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي التَّجْدِيدِ بِأَنَّهُ ^(٢) "شَبِيهُ نَهْرٍ عَذِبٍ أَصَابَتْهُ شَوَائِبُ كَدَّرَتْ صَفْوَهُ، وَرُبَّمَا أَعَاقَتْ مَسِيرَهُ، وَأَعْطَتْ انْطِبَاعًا لَدَى الرَّائِي أَنْ مَاءَ النَّهْرِ آسِنٌ، لَا يَصْلُحُ لِلشُّرْبِ، لَكِنَّ الَّذِي يَتَّبِعُ مَجْرَى النَّهْرِ مِنْ بَدَايَتِهِ فَإِنَّهُ يُشَاهِدُ الْمَاءَ عَذْبًا، وَيَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الشَّوَائِبَ مَا هِيَ إِلَّا حَالَةٌ طَارِئَةٌ، وَسُرْعَانَا مَا يَعُودُ النَّهْرُ إِلَى عَذُوبَتِهِ إِذَا تَخَلَّصَ مِنْهَا».

ونسأل الله - تعالى - أن يجعلنا ممن نستن بسنته ، ونهتدي بهديه على طريق الصراط المستقيم ، وصلى الله على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم

١) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت : ٤٦٣هـ) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، تحقيق : مصطفى العلوي و محمد البكري ، مؤسسة قرطبة، القاهرة ، ط١ ، ج٢٣ ، ص ١٠.

٢) شريف ، محمد إبراهيم ، أُنْجَاهَاتُ التَّجْدِيدِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مِصْرَ ، دار السلام، ط١ ، ٢٠٠٨ ، مصر ، ص ١٤٨ ، نَقْلًا عَنِ الْخَوْلِيِّ ، «المُجَدِّدُونَ فِي الْإِسْلَامِ ، ج١ ، ص ٣٤.

المصادر والمراجع

١. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت: ٧٢٨هـ) مجموع الفتاوى تحقيق: أنور الباز و عامر الجزار، دار الجيل، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.
٢. ابن تيمية رسالة إلى السلطان الملك الناصر في شأن التتار (من جامع المسائل: المجموعة الخامسة)، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد ط١، مكة، ١٤٢٤هـ.
٣. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسى (ت: ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.
٤. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى العلوي و محمد البكري، مؤسسة قرطبة، ط١، القاهرة.
٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، ط١، بيروت.
٦. أبو الطيب، محمد شمس الحق العظيم آبادي عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٤١٥هـ.
٧. البعلي، محمد بن أبي الفتح الحنبلي أبو عبد الله (ت ٧٠٩هـ)، المطلع على أبواب المنع، تحقيق: محمد بشير الإدليبي المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨١م.
٨. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن الضحاك، (ت: ٢٧٩هـ) سنن الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٩. الجعفي، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى البغا، دار ابن كثير، ط٣، بيروت، ١٩٨٧.
١٠. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر مختار الصحاح: تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة، بيروت، ١٩٩٥م.
١١. الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

١٢. الزرعي، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) مدارج السالكين تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، ط ٢، بيروت، ١٩٧٣م.
١٣. الزرعي، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، بدائع الفوائد، تحقيق: هشام عطا وآخرين مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، مكة المكرمة، ١٩٩٦.
١٤. الزرقا، مصطفى، الإسلام وتطور المجتمعات، مجلة كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عدد ١، عام ١٩٧٢م.
١٥. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن (ت: ٢٧٥هـ) سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٦. الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، مسند أحمد مؤسسة قرطبة، ط ١، القاهرة.
١٧. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، تحقيق محمد سعيد البدري، دار الفكر، ط ١، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٨. القرشي الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت.
١٩. المؤدودي، أبو الأعلى، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٥م.
٢٠. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت ٦٧٦هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، بيروت، ١٣٩٢هـ.
٢١. النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم، المستدرک على الصحيحين تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٩٠م.
٢٢. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت: ٢٦١هـ) صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، ط ١، بيروت.
٢٣. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢هـ.
٢٤. أمانة، عدنان محمد، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، ط ١، مصر، ١٤٢٤هـ.

٢٥. حسانين، محمد حسانين، تجديد الدين، ط ١، ٢٠٠٧، مكة المكرمة.
٢٦. شريف، محمد إبراهيم، اتجاهات التجديد في القرآن الكريم في مصر، دار التراث، ط ١، القاهرة، ١٩٨٢.
٢٧. عباس حسني، الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره، مجلة «دعوة الحق»، عدد ١٠ سنة ١٤٠٢هـ.
٢٨. مشهور حسن آل سلمان، السلفية النقيّة وبراءتها من الأعمال الرديّة، الدار الاثرية، ط ١، عمان، ٢٠١١.
٢٩. مصطفى كمال التارزي، الاجتهاد والتجديد في التشريع الإسلامي.
٣٠. هليل، أ.د. أحمد محمد، نحو تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط ١، عمان، ٢٠٠٦م.



الخطاب الديني المعاصر وواقعه في المملكة العربية السعودية

إعداد

عبد الرحمن بن علي بن محمد العسكر

المستشار في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

الشيعة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ،
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :
فقد اقتضت سنة الله أن تكون الحياة صراعا بين الحق والباطل ، وبين الخير
والشر ، منذ أن بعث الله آدم - عليه السلام - ، وإلى قيام الساعة .
وكما بعث الله أنبياءه ورسله حتى ختمهم بمحمد - ﷺ - ؛ لربط الخلق
بربهم - سبحانه - ، وإحياء الدين الصحيح ؛ فقد جعل الله من أمة
محمد - ﷺ - من يجدد على يديه هذا الدين ، فيصحح به تأويل الجاهلين ،
وانتحال المبطلين ، وتحريف الغالين ، ويعيد الدين إلى وجهه الصحيح نقيا
صافيا كما جاء عن محمد - ﷺ - ، ولا زال أعداء الحق ومنتحلو الباطل
يحاولون إلصاق التهم ، وإثارة الشبه بهذا الدين ، رغبة في الصد عنه ، أو السير
خلف كل من ينادي بالتغيير دون تمعن في ذلك ومراعاته .
وكان من أكبر ما كيلت له التهم جزافا : الخطاب الصادر باسم الدين
الإسلامي ، والمطالبة بتغييره لأن تغييره قد يؤدي إلى تغيير الدين كله .
ولرغبة القائمين على مؤتمر (السلفية منهج شرعي ومطلب وطني) المقام
في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المشاركة في أحد محاور المؤتمر ،
رأيت الكتابة في موضوع الخطاب الديني المعاصر ، وهجمة خصومه عليه ،
رغبة في إيضاح ما ألصق بالخطاب الديني من تهم ، ورغبة في تصحيح الموقف
الشرعي من ذلك .

ومع أن غالب من كتبوا في هذا الموضوع اتصفت كتاباتهم بالإسهاب والإطالة، إلا أنني سلكت في ذلك سبيل الاختصار، وذلك وفق العناصر التالية :

- مفهوم الخطاب الديني المعاصر: تكلمت عن معنى الخطاب والدين في اللغة ثم المفهوم الجامع لمعنى الخطاب الديني.
- نشأة فكرة الخطاب الديني: أوضحت فيه تاريخ هذا المصطلح والظروف الداعية لإطلاقه.
- حقيقة إصلاح الخطاب الديني المعاصر: تطرقت لصور المطالبة بإصلاح الخطاب الديني، التي من أبرزها تجديد الخطاب الديني، فأوضحت معنى التجديد في اللغة، ووفق ما ورد في الكتاب والسنة، ومعنى تجديد الخطاب الديني، وذكرت نماذج من معالم تجديد الخطاب الديني عند النبي - ﷺ - ، ثم ختمت بمعالم تجديد الخطاب الديني المطلوب.
- أبرز دعاوى الخصوم حيال الخطاب الديني والرد عليها: سلكت في ذلك سبيل التعداد لأبرز ما وجه إلى الخطاب الديني، ثم ذكرت الأسباب الداعية لذلك، وفق ما ورد عن النبي - ﷺ - ، التي يستقى منها الرد على جميع ما وجه إلى الخطاب الديني.
- واقع الخطاب الديني في المملكة العربية السعودية: من خلال التمثيل بواقع المملكة من خلال ما نص عليه نظامها الأساسي للحكم، ثم ذكرت أسباب ما يرد على الخطاب الديني فيها من تهم وشبه.
- وقد راعيت في جميع ما كتبت أن يكون الكلام في ذلك عاما دون نسبة قول لفرد أو جماعة ؛ لأن الرد إنما يكون على القول بغض النظر عن قائله،

ولتعدد القائلين بتلك الأقوال ، وتنوع عباراتهم ، وحتى لا يصنف البحث بأنه رد على طائفة بعينها.

واسأل الله - تعالى - أن يرزقني التوفيق في القول والعمل ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مفهوم الخطاب الديني

معنى الخطاب في اللغة :

الخطاب الديني مركب من كلمتين ، فلا بد من معرفة كل كلمة على حدة ؛ ليسهل بعد ذلك معناهما مجتمعتين.

فالخطاب في اللغة : كما قال في لسان العرب : الخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا ، وهما يتخاطبان^(١).
وقال في الجوهرة : والخطاب : مصدر خاطبته مخاطبة وخطابا^(٢).

وقال في تاج العروس : والخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا ، وهما يتخاطبان ، قال الله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾^(٣) ، وفي حديث الحجاج : "أمن أهل المحاشد والمخاطب"^(٤) ، أراد بالمخاطب الخطب جمع على غير قياس كالمشابه والملاحم ، وقيل : هو جمع مخاطبة ، والمخاطبة : مخاطبة : مفاعلة

(١) لسان العرب : خطب.

(٢) جوهرة اللغة ١/ ١٢٣

(٣) سورة هود : ٣٧

(٤) هذا جزء من سؤال سألته الحجاج بن يوسف للنعمان بن ضمرة لما أمسكه به مع ابن الأشعث ، فقد دار بينهما حوار قال فيه الحجاج سائلا النعمان : فمن أهل الرس والبس ، والدهمسة والدمسة ، والشكوى والنجوى ، أم من أهل المحاشد والمشاهد والمخاطب والمواقف ؟ انظر القصة كاملة في مجمع الأمثال ٢/ ١٧٨.

من الخطاب والمشاورة أراد: أأنت من الذين يخطبون الناس ويحثونهم على الخروج والاجتماع للفتن؟^(١).

قال بعض المفسرين في قوله - تعالى - : "وفصل الخطاب" قال : هو الحكم بالبينة أو اليمين ، وقيل : معناه أن يفصل بين الحق والباطل ، ويميز بين الحكم وضده ، أو هو الفقه في القضاء ، أو هو النطق بـ "أما بعد"^(٢).

فيظهر من خلال تفسير علماء اللغة للخطاب أنه يستعمل عموماً للدلالة على توجيه الكلام لمن يعقل ويفهم ، فالخطاب كلام بين مقصود ، يلقي بغرض التواصل والتخاطب ، ويستلزم لتحقيقه طرفين : مخاطب ومخاطب ، والسمة المميزة له : البيان والإفهام ، والبعد عن اللبس والإبهام ، وبهذا يشمل جميع تعاليم الدين الإسلامي^(٣).

الخطاب في القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم مشتقات "خطب" تسع مرات ، وورد لفظ خطاب ثلاث مرات ، وما يناسب المقام منها هو قوله - تعالى - : ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُٗ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾^(٤).

والملاحظ في هذه الآية الكريمة أن الخطاب مقرون بالحكمة ، مما يلفت النظر في ذلك ، والأهمية التي ربط الله بها الخطاب ، بأن يكون حكيماً

(١) تاج العروس ١/٤٦٣.

(٢) انظر تفسير النسفي ٣/١٤٩.

(٣) مظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر د. محمد الفران ١٧/١٨ ، بتصرف.

(٤) سورة ص : ٢٠

رشيدا؛ لأن "فصل الخطاب" لا يتم على الوجه الأفضل، إلا إذا اقترن بالحكمة، وكان القصد منه تبيان وجه الحق على أكمل الوجوه وأتمها^(١).

معنى الدين في اللغة:

قال في القاموس المحيط: والدين، بالكسر: الجزاء، وقد دنته، بالكسر، ديناً، ويكسر، والإسلام، وقد دنت به، بالكسر، والعادة، والعبادة، والمواظب من الأمطار، أو الدين منها، والطاعة، كالدينه، بالهاء فيهما، والذل، والداء، والحساب، والقهر، والغلبة، والاستعلاء، والسلطان، والملك، والحكم، والسيرة، والتدبير، والتوحيد، واسم لجميع ما يتعبد الله - ﷻ - به، والملة، والورع، والمعصية، والإكراه^(٢).

ولعل قوله: (اسم لجميع ما يتعبد الله - ﷻ - به) هو التعريف الجامع لمعنى الدين المقصود هنا.

المفهوم الجامع للخطاب الديني:

يتضح مما سبق في معنى كل من الخطاب والدين أن المقصود بالخطاب الديني هو كل خطاب صادر من شخص أو جهة يدور مضمونه حول الدين، سواء كان بياناً أو إيضاحاً أو تطبيقاً أو تعليماً أو غير ذلك من وسائل التعبير في جميع مناحي الحياة المختلفة.

(١) انظر الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة لعبد العزيز التويجري فصل في مفهوم الخطاب.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣/٣٢٦.

ويمكن رسم تعريف موجز للخطاب الديني بأنه هو: كل بيان باسم الدين يوجه للناس كافة، سواء كان ذلك قولاً أو فعلاً أو كتابةً أو تطبيقاً، صادر من شخص أو جهة في جميع مناحي الحياة المختلفة^(١).

(١) عرف الدكتور محمد الفران في كتابه مظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر ٧١/ - ٧٢ بتعريفات مطولة، رأيت انتخاب التعريف السابق من مجمل ما ذكره.

نشأة فكرة الخطاب الديني

لم أجد أحدا من متقدمي علماء الشريعة خص ما يسمى بالخطاب الديني بحديث محدد، وإنما يفسره كل أهل فن حسب فنه، فالأصوليون تعاريفهم معروفة في معنى الخطاب وتقسيماته، وأهل التفسير لهم تعريفهم للخطاب في القرآن، وأهل الحديث لهم مدلولاتهم في معنى خطاب النبي - ﷺ - ، إلى غير ذلك من العلوم.

لكنني أرى أنه ليس المقصود من إطلاق عبارة (الخطاب الديني) ما يعنيه العلماء المتقدمون حسب كل فن، وليس المقصود به ما تعنيه دلالة الخطابة، فالخطابة تعد شكلا من أشكال الخطاب الكثيرة، بل كما سبق أن ذكرت في تعريفه بأنه بيان باسم الدين يوجه للناس كافة سواء كان ذلك قولاً أو فعلاً أو كتابة أو تطبيقاً صادر من شخص أو جهة في جميع مناحي الحياة المختلفة. لكنني أظن أن نشأة لفظة الخطاب الديني كانت بسبب أحد أمرين^(١):

الأول: وجود خطابات أخرى في المجتمع، ونشوء تنظيمات وأفكار في داخل التيارات الإسلامية، مما أوجد الحاجة إلى إيجاد خطاب ديني مكافئ لها، فهناك الخطاب القومي، والخطاب الليبرالي، والخطاب النفعي المادي، وغير ذلك من الخطابات.

(١) توسع الدكتور سعيد بن سعيد العلوي في مقال نشره بمجلة التاريخ العربي الصادرة في المغرب العدد الرابع عشر ربيع ٢٠٠٠م ص/ ٥٩، بعنوان: التحديث والتجديد في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، في ذلك، وأوضح علاقة نشأة هذه المسميات بنشوء بعض الجماعات الإسلامية، واستشهد بكلام مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا - رحمه الله - ومن جاء بعده، وكثير من التيارات الأخرى.

الثاني : بسبب النظرة اللادينية التي تدعو إلى فصل الدين عن مجريات الحياة ، ولذلك جعلوا توصيف الوضع أو الحالة بأنها خطاب ديني ، ليسهل بعد ذلك إبعاده ورفضه.

ويمكن أن يورد هنا بأن يكون المقصود بالخطاب الديني ما يسمى بالفكر الإسلامي ، فهل يصح الاستعاضة عن لفظة الخطاب بلفظة الفكر؟ يرى بعض الباحثين أن بين الفكر والخطاب تباينا واضحا ، فالفكر يمكن أن يوصف به حال المجتمع ، أما الخطاب فهو عبارة عما يصدر من أفراد المجتمع ومؤسساته^(١).

وإن كان جمع من العلماء لا يوافقون على صحة التسمية بالفكر الإسلامي ، لأن فيها جعلاً للدين كالأفكار ، والأفكار قابلة للأخذ والرد ، وقابلة للنقاش ، وهذا غير صحيح ، ولا يجوز اعتبار الدين كذلك^(٢). غير أن مصطلح الخطاب الديني بتعريفنا الذي ذكرناه ، يمكن التسليم به ، ولا مشاحة في الاصطلاحات.

ورأيت لبعض الباحثين رأيا حول الخطاب الإسلامي^(٣) ، وهو أنه رديف للدعوة الإسلامية ، وأرى أن هذا غير صحيح ؛ لأن الخطاب الدعوي هو أحد

(١) انظر: تجديد الخطاب الإسلامي د. عبد الكريم بكار ١٣/ - ١٧ ، ومظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي المعاصر ٥٦/ - ٥٧.

(٢) انظر: المناهي اللفظية للشيخ محمد بن عثيمين الأسئلة ٤٨ - ٧٢ - ٧٣ ، ومعجم المناهي اللفظية لبكر أبو زيد ٢٢١ ، وكذلك محاضرة صوتية لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ بعنوان العلم والفكر.

أفراد الخطاب الديني أو الخطاب الإسلامي ، على تعدد الإطلاقيين ، وحصص
الخطاب الإسلامي بالخطاب الدعوي فقط هو تحجير له ، وإخراج لبقية ما
يدخل تحت الخطاب الإسلامي مما بيناه سابقا.

(١) انظر: الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة لعبد العزيز التويجري: فصل في دلالة
الخطاب الإسلامي ، رغم أنه أشار في فصل آخر في البحث في فصل: مستقبل الخطاب
الإسلامي ، إلى أن الخطاب الإسلامي يجب ألا يكون مقصورا على الوعظ والإرشاد فقط ،
بل يشمل أكثر من ذلك.

حقيقة إصلاح الخطاب الديني وصلتها بخصوم المنهج السلفي

مما سبق ظهر أن المقصود بالخطاب الديني هو كل ما له علاقة بالدين في جميع شؤون الحياة، والدين ليس محلاً للاجتهد، بل هو مربوط بما ورد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وهذان المصدران باقيان محفوظان إلى يوم القيامة.

صور المطالبة بإصلاح الخطاب الديني:

ومع كل ذلك واستقراره لدى جميع المسلمين، إلا أنه ظهرت المنادة في العصور المتأخرة بإصلاح الخطاب الديني، وهذه المنادة وردت من جهتين: الجهة الأولى: جهة خارجية، من خارج المسلمين، وغالبا ما تكون من الدول الكبرى في العالم التي تريد تحقيق نفوذها على العالم، أو تريد تبرير بعض المواقف والأخطاء، ونسبتها إلى الدين الإسلامي، رغبة في الصد عنه وتشويه صورته.

الجهة الثانية: جهة داخلية، من أبناء المسلمين، وغالبا ما تكون بسبب عدم فهمهم لدين الإسلام وسماحته، أو أنهم تشبعوا ببعض الأفكار، ويريدون إيصالها عن طريق المطالبة بإصلاح الخطاب الديني.

وقد يكون هناك سبب تشترك فيه الجهتان، كرغبتهم في إلحاق الضرر بالدول المتمسكة بالإسلام، كما هو الحال بالنسبة للدعوة لإصلاح الخطاب الديني في المملكة العربية السعودية، وهذا هو الهدف المشترك بين الجهتين الخارجية والداخلية.

ولا يمكن الحديث عن قضية الدعوة بإصلاح الخطاب الديني بإطلاق، ولأن غالب الدعوات تجتمع في مسألة واحدة، وهي المناداة بتجديد الخطاب الديني، فسأكتفي بمناقشة هذا المفهوم، وبيان الوجه الشرعي فيه.

تجديد الخطاب الديني:

من أبرز المطالبات التي برزت في السنوات الأخيرة المطالبة بتجديد الخطاب الديني، حيث إنها لم تظهر على ألسنة أعداء الدين الإسلامي فقط، بل برزت على ألسنة بعض المنتسبين إلى الإسلام، بل نادى بها بعض المنتسبين للعلم الشرعي، دون فهم منهم لمعناها، أو تحديد للمقصود بها.

وقبل الإفاضة في إيضاح ومناقشة هذه الدعوى، لا بد من إيضاح حقيقتين، يسهل بعدهما الحديث عن ذلك، وهما:

الحقيقة الأولى: في معنى التجديد كما ورد في اللغة العربية، وما يدل عليه من الكتاب والسنة.

الحقيقة الثانية: في مجيء الأدلة الشرعية بالدعوة إلى التجديد في الدين الإسلامي.

معنى التجديد في اللغة العربية:

كلمة التجديد في اللغة مأخوذة من جدد يجدد، وتجدد الشيء: صار جديداً، ومصدرها الجدة والجد، قال في الصحاح: وتجدد الشيء: صار جديداً. وأجده، واستجده، وجدده، أي صيره جديداً^(١).

(١) الصحاح في اللغة للجوهري ٨٣/١.

وقال في المخصص : جدده - أعدته جديداً ، والجديد من الأشياء : ما لم يكن بعد فوق حديثا ، يقولون موت جديد^(١) .

ولا يخرج المعنى اللغوي للتجديد عن إحدى ثلاث دلالات :

الأولى : أن الشيء المجدد قد كان في أول عهده مألوفاً ومشاعاً بين الناس .

الثانية : أن هذا الشيء أتى عليه حين من الدهر ، فأصابه البلى والابتذال بالاستعمال .

الثالثة : أن ذلك الشيء المجدد قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها قبل أن يبلى ويخلق^(٢) .

ولعل الدلالة الثالثة هي أقرب الدلالات لمعنى التجديد في الخطاب الديني ؛ لأنها هي المتوافقة مع ما جاء به الكتاب والسنة - كما سيأتي - .

معنى التجديد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة :

بما أن الحديث متعلق بالخطاب الديني ، فإن من المؤكد أن ينظر إلى معنى التجديد في الكتاب والسنة ؛ لأنهما المصدران الوحيدان للتشريع ، وليرتسم بعد ذلك المعنى الشرعي لهذه العبارة .

وردت كلمة الجديد في القرآن الكريم في عدة آيات ، منها قوله -

تعالى - : ﴿الْمُتَرَاتِكُ أَلَلَهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٩﴾^(٣) ، وقوله - سبحانه - : ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ

(١) المخصص لابن سيده ٣٤٢/١ .

(٢) أوسع الحديث في ذلك د. محمد الفران في مظاهر التجديد في الخطاب الديني ٨٣ - ٨٥ .

(٣) سورة إبراهيم : ١٩ .

جَدِيدٌ^(١) ، والغالب في دلالة هذه اللفظة في القرآن في هذين الموضعين وغيرهما معنى الإحياء والبعث^(٢).

أما في السنة النبوية فقد ورد لفظ التجديد في الحديث المشهور، الذي رواه أبو داود وغيره بسند صحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)^(٣)، وجاء حديث آخر هو كالتفسير لهذا الحديث، ذكره غير واحد عن الإمام أحمد قال: يروى في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (أن الله يمن على أهل دينه في رأس كل مائة سنة برجل من أهل بيتي، يبين لهم أمر دينهم)^(٤) وهذا الحديث وإن كان ضعفه ظاهراً عند أهل الحديث^(٥) إلا أن ذكره هنا من باب الاستشهاد.

(١) سورة ق: ١٥.

(٢) انظر مظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي، وقد نسب ذلك لأبي حامد الغزالي في إحياء علوم الدين / ٨٥.

(٣) رواه أبو داود في سننه ٣٧٤٠، والبيهقي في السنن والآثار ١/ ١٢١، والحاكم في المستدرک ٨٧٣٨ وغيرهم، وصحح إسناده غير واحد، منهم الإمام أحمد بن حنبل، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني ١٥٥/٢.

(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية ٩/ ٩٧ - ٩٨، والهروي في ذم الكلام ٢٤٦/، وابن حجر في توالي التأسيس في ترجمة محمد بن إدريس / ٤٨، وانظر عون المعبود ٩/ ٣٢٦.

(٥) انظر طبقات الشافعية للسبكي ١/ ١٩٩ والانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر / ١٢٦.

وبناء على ذلك ، فإن التجديد بالمعنى السابق قد ورد في السنة النبوية ما يؤيده ، ولكن اختلفت تفسيرات المحدثين لمعنى التجديد الوارد في الحديث ، وهي تتوافق في ثلاثة معانٍ^(١) :

المعنى الأول : أنه هو إحياء ما اندرس من السنة ، أو إحياء الدين ، وهذا هو تفسير الزهري وابن حجر^(٢) ، وقال العلقمي في شرحه^(٣) : معنى التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة ، والأمر بمقتضاهما .

ويرى ابن الأثير في جامع الأصول : أن المقصود بالتجديد هو حفظ المذاهب الفقهية التي عليها مدار المسلمين^(٤) .

ومن هذا الباب سُمي بعض العلماء بالمجددين ، كالإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - الذين أحيوا ما اندرس من السنة وتعاليم الشريعة .

المعنى الثاني : أن المراد بالتجديد هو محاربة البدع ، والدعوة إلى التشبث بالسنن ، وهذا رأي الإمام أحمد بن حنبل ، حيث استشهد بالحديث السابق ، على اعتبار أن الإمام الشافعي - رحمهما الله جميعاً - أحد من ينطبق عليهم الحديث ، لسعيه الدؤوب للعمل بالسنة ، ومحاربة البدعة ، وهو تفسير

(١) انظر كتاب: التجديد في الفكر الإسلامي د. عدنان محمد أمانة / ١٦ - ٢٠ ، ومظاهر التجديد في الخطاب الديني الإسلامي / ٨٦ - ٩٠ .

(٢) انظر رأي ابن حجر في توالي التأسيس في ترجمة محمد بن إدريس / ٤٨ ، وفتح الباري ٣٧٠ / ٢٠ ، وأشار إلى رأي الزهري .

(٣) انظر عون المعبود ٣٢٦ / ٩ .

(٤) جامع الأصول ٣٢١ / ١١ .

المنافى وصاحب عون المعبود حيث قال : يجدد أي يبين السنة من البدعة ، ويكثر العلم ، وينصر أهله ، ويكسر أهل البدعة ويذلهم^(١).

المعنى الثالث : أن المراد بالتجديد الاجتهادات الفقهية الجزئية المرتبطة

بالفروع لمستجدات الحياة ، ولعل من أبرز من يرى هذا المعنى السيوطي - رحمه الله - الذي ألف رسالة في ذلك ، عدد فيها المجتهدين مع كل مائة سنة ، وجميعهم من فقهاء الشافعية ، فكأنه جعل معنى التجديد : الاجتهاد في المسائل الفقهية.

وغالب من فسره من العلماء المتقدمين لا يخرج تفسيره عن هذه الثلاثة معان.

ويتضح هنا أن النبي - ﷺ - أخبر بأن الله سيهيئ لهذا الدين من يجدده ويعيده إلى ما كان عليه زمن الرسالة ، وهذا يدل على أمرين :

الأول : أن التجديد يكون لأمر كان موجودا ، ثم نسي أو تقادم العهد به ، أو تعرض للتغيير والتبديل ، وليس تغييرا لشيء مقر في الشريعة ، أو تركه من باب التجديد ، كما يفهمه بعض المنادين والداعين للتجديد اليوم.

الثاني : أن الحياة ، ومنها الإنسان بطبعه يستهلك الأشياء والنظم والأفكار والأساليب ، ويتطلع دائما إلى أن يرى ويسمع أشياء لم يخبرها من قبل ، ولذلك جاء في الحديث الذي رواه الحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - : (إن الإيمان

(١) عون المعبود ٣٢٦/٩ وفيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ، وقد أفاض في ذلك طويلا ١٤/١ - وما بعدها.

ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق ، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم^(١) ، فالمسلم مطالب باستمرار بتجديد إيمانه بالرجوع إلى الله - سبحانه - ؛ ليعود إيمانه إلى عهده السابق من القوة.

معنى تجديد الخطاب الديني :

إذا اتضح ما سبق من أن معنى التجديد في الدين مضبوط بكلام الله وكلام رسوله - ﷺ - ، فما هو معنى تجديد الخطاب الديني ؟ ، هذا الموضوع الذي لاكه كثير من الناس على مختلف طبقاتهم ، بل حتى على مستوى المجامع والحكومات.

لا بد من العلم بأن الخطاب الديني يشتمل على أمرين :

الأول : على علم و عقيدة و مضمون وتعاليم شرعية.

الثاني : على أسلوب وطريقة يدعى الناس بها إلى هذا العلم و العقيدة والمضمون والتعاليم الشرعية ، ويوضح لهم فيها ما استجد من أحكام وأفعال ، وفق شعائر الدين الحنيف^(٢).

أما الأول فهذا ليس لأحد أن يغير فيه ، ولا أن يُبدل ، إنما يرشد الناس إلى فهم ذلك الدين بلا تغيير فيه ؛ لأن الشريعة كاملة ، والأدلة متوافرة على منع الزيادة في دين الإسلام أو النقص منه ، يقول الله - تعالى - : ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(٣)

(١) رواه الحاكم في المستدرک ٨/١ وقال : رواه ثقات ، ووافقه الذهبي .

(٢) تسجيلة صوتية لمعالي الشيخ / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ .

(٣) سورة المائدة : ٣ .

ويقول الرسول - ﷺ - في حديث عائشة : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(١).

والأدلة في ذلك كثيرة، ليس هذا موضع تفصيلها.

أما الثاني وهو أسلوب تبليغ هذا الدين من حيث الأولويات وأنواع الفقه التي تراعى، وأسلوب مخاطبة الناس؛ مراعاة لمختلف أفهامهم، فهذا لا شك أنه يختلف باختلاف الزمان والمكان، والعوائد والأحوال، ومن أوضح الأدلة على ذلك الأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه -، دعوتهم واحدة، هي الدعوة إلى توحيد الله - جل و علا -، وطاعة الرسل وملازمة التقوى والاستغفار، وأنواع العبادات، لكن أسلوبهم في تبليغ ذلك مختلف؛ لاختلاف الأزمان والأماكن والحالات، يقول الله - تعالى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٢)، ويقول - سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾^(٣)، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم

(١) رواه البخاري (٢٤٩٩) ومسلم (٣٢٤٢).

(٢) سورة إبراهيم : ٤.

(٣) سورة النحل : ٣٦.

واحد^(١)، ولذلك فإن عيسى ابن مريم ينزل في آخر الزمان، ويجدد دين محمد - ﷺ - .

فهذا الأمر وهو التجديد في أسلوب إبلاغ الدين الصحيح جاء الشرع به، بل ورد الزجر لمن لم يراع في تبينه لهذا الدين أفهام الناس ومراتبهم، يقول عبد الله بن مسعود - ﷺ - : ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة^(٢)، وقال علي - ﷺ - : حدثوا الناس بما يعرفون، أتعجبون أن يكذب الله ورسوله؟^(٣).

ومما سبق يتضح بصورة أخرى أن الذي يقع عليه التجديد هو علاقة الأمة بالدين، وتعاملها مع نصوصه، وليس الدين نفسه، فهناك دين وتدين، فالدين هو المنهج الذي بعث الله به رسوله محمدا - ﷺ - ، وأنزل به كتابه، من عقيدة وأخلاق وعبادة وشرائع، وكلها أمر ثابت ليس للإنسان تغييره ولا تبديله كما سبق.

وأما التدين فهو الحالة التي يكون عليها الناس في علاقتهم بدينهم، ولذلك يقال: فلان ضعيف الدين أو قويه، وهو ما دل عليه الحديث السابق: (فاسألوا الله أن يمدد الإيمان في قلوبكم)، ولذلك قال - ﷺ - في الحديث الآخر: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)^(٤)، فجعل التجديد لدين الأمة، وليس لأصل الدين، لأن الدين

(١) رواه البخاري في صحيحه ٢٠٣/٤ (٣٤٤٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٢١/١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٢١٧/١.

(٤) سبق تخريجهما.

ثابت ، لا يتغير ، ولا يحتاج إلى من يعدله ، وإنما علاقة الأمة بدينها ومدى تمسكها به هو الذي يحتاج إلى تجديد^(١).

صور من معالم تجديد الخطاب الديني عند النبي - ﷺ - :

يمكن أن أذكر هنا صورا لمعالم تجديد الخطاب الديني في سيرة النبي -

ﷺ - :

مراعاة أحوال المدعوين ، وما لديهم من دين أو علم سابق :

من الصور الظاهرة في تجديده - ﷺ - لأسلوبه في الخطاب الموجه للمدعوين : عدم بقاءه على منهج وأسلوب واحد في مخاطبته لمن يريد دعوتهم ، بل يدعو كل شخص مراعيًا ما لديه من علم سابق أو دين سابق ، ومن أوضح الأمثلة النبوية على ذلك : قصة بعثه لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - إلى اليمن ، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن معاذًا قال : بعثني رسول الله - ﷺ - ، فقال : (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ، فترد في فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)^(٢).

(١) انظر التجديد في الفكر الإسلامي د. عدنان محمد أمامة / ٦٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في عدة مواضع : (١٣٠٨) ومسلم ١ / ١١١ ، وهذا لفظه.

فقد أرشده النبي - ﷺ - إلى أنه سيأتي قوما أهل كتاب ، يعني أهل دين سابق ، فينبغي مراعاة أحوالهم ، وأن تكون دعوتهم وفق آلية معينة ، كل ذلك مراعاة منه - ﷺ - لأحوال الناس .

مراعاة المخاطبين في القيام ببعض الشعائر :

إضافة إلى ما سبق فإن النبي - ﷺ - كان يتنازل عن بعض الشعائر مراعاة لأحوال المدعويين ، خاصة إذا كان القيام بها قد يصدهم عن مقصده - ﷺ - من دعوتهم ، ومن أظهر الأمثلة على ذلك : قصة بناء الكعبة ، فقد روى البخاري وغيره عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال لي رسول الله - ﷺ - : (لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ، ثم لبنيته على أساس إبراهيم - عليه السلام - ، فإن قريشا استقصرت بناءه ، وجعلت له خلفاً)^(١) .

فالنبي - ﷺ - راعى أحوال الناس ؛ لاحتمال عدم استيعابهم لهدم الكعبة وتغيير هيئتها التي تعودوا عليها ، وتركها على ما كانت عليه .

مخاطبة الناس وإيصال تعاليم الدين إليهم بلغاتهم :

ومن بديع تجديده في خطابه الدعوي - ﷺ - : أنه كان يحدث كل قوم بلغتهم التي يفهمونها ، فلم يجمد على لغة أو لفظ واحد ، وذلك ليقرب مفهوم الحديث ومعناه الذي يريد توصيله إليهم ، ومن الأمثلة على ذلك ما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده من حديث عاصم الأشعري قال :

(١) رواه البخاري في صحيحه ١٤٨٢ .

سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : (ليس من أمير أمصيام في أمسفر)^(١) ، وهذا الكلام في لغة الأشعريين ، حيث يقلبون اللام من "أل" التعريف ميماً ، والمراد بذلك أصل الرواية ، وهي قول النبي - ﷺ - : (ليس من البر الصيام في السفر)^(٢) .

استخدام الوسائل التعليمية في توضيح بعض الأمور للناس :

كان النبي - ﷺ - يحرص على بيان أمور هذا الإسلام الحنيف وتوضيحها للناس بشتى الطرق ؛ لذا استخدم الرسول - عليه الصلاة والسلام - وسائل تعليمية إيضاحية ، كضرب الأمثلة واستخدام يده أو عصاه ليخطّ بهما خطوطاً على الأرض ؛ لتوضيح معنى أو مفهوم معين ، مثل ما روى البخاري وغيره من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : خطّ النبي - ﷺ - خطاً مربعاً ، وخطّ خطأً في الوسط خارجاً منه ، وخطّ خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه ، وقال : (هذا الإنسان ، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به - ، وهذا الذي هو خارج أمله ، وهذه الخطوط الصغار الأعراض ؛ فإن أخطأه هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا)^(٣) ، ووردت أحاديث أخرى استخدم النبي - ﷺ - فيها العصا وغير ذلك .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٥٦٧) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ١٨١٠ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٥٩٣٨ .

أهمية تجديد الخطاب الديني:

وبغض النظر عن مطالبة هاتين الجهتين - اللتين سبق ذكرهما - ، ومدى مصداقية ما يطالبان به ، إلا أنه ينبغي الإقرار بأن الخطاب الديني يمثل صورة لحال العالم الإسلامي ؛ فبقدر ما تتطور المجتمعات الإسلامية ، وتتغير نحو الأحسن والأفضل والأرقى ، بالتغلب على الجهل بالشرعية والتقاتل والتحزب غير الشرعي ، وبقضائها على مظاهر البعد عن الله ، والوصول إلى الاعتدال في الأمور ، وفق ما جاءت به الشريعة ، يتجدد الخطاب الديني ويتغير ، ويرتقي إلى المستوى الذي يجعله مساهراً للمتغيرات ، مستجيباً للطموحات ، ومنسجماً مع هوية الأمة ، ومعبراً عن خصوصياتها ومدافعاً عن مصالحها.

ولذلك ينبغي أن يكون الإنسان ساعياً إلى تجديد خطابه الديني بالمفهوم الصحيح الوارد في الكتاب والسنة ، والذي جاء تأكيد السلف وعملهم عليه.

معالم تجديد الخطاب الديني المطلوب:

من خلال ما سبق من تحديد مفهوم الخطاب الديني ومعنى التجديد فيه وأهمية ذلك ، يمكن رسم مجالات للخطاب الديني يتم التجديد من خلالها:

١. أن يعود كسابق عهده على مستوى التمسك بالأصول ، والالتزام بالضوابط المنهجية المتفق عليها ، والحفاظ على نصوص الدين الأصلية صحيحة نقية.

٢. تأسيسه على أساس العقيدة الصحيحة الصافية التي كان عليها ، والإخلاص لله - تعالى - في جميع الأمور ، ونبذ ما يخالف ذلك ، وتصحيح

الانحرافات التي أحدثها الناس في تطبيقهم للدين الصحيح ، سواء في جانب الشبهات أو جانب الشهوات ، وحماية الدين والدفاع عنه .

٣ . تجديد الأفكار والمفاهيم وأوجه البرهنة والاستدلال التي نستخدمها في إيصال تعاليم الدين للناس ، على مختلف طبقاتهم وفئاتهم ومستوياتهم ، وملازمة حاجات الناس ، والعمل على تبصيرهم بأمور دينهم وديناهم في ظل تطورات الزمن وتغيراته .

٤ . الاجتهاد في الأمور المستجدة ، وإيجاد الحلول الشرعية لها ، للدلالة على شمول الإسلام لجميع حاجات الناس .

٥ . استخدام الأساليب الممكنة والملائمة لذائقة الناس المتجددة يوماً بعد يوم ، ومواكبتها بما يستجد من وسائل^(١) .

أبرز دعاوى الخصوم حيال الخطاب الديني والرد عليها

من الصعب جدا الإمام بجميع ما وجه إلى الخطاب الديني من تهم أو انتقادات أو غير ذلك ، لكن يكفينا هنا أن نشير إلى بعض الشبه موجزة ، ثم الحديث عن أسباب ورود مثل هذه التهم ؛ لأن معرفة السبب الذي أدى لتلك التهم يسهل علاجها والرد عليها .

ويمكن تقسيم ما ألحق بالخطاب الديني من تهم أو انتقادات على حسب نوعها إلى ثلاثة أنواع^(١) :

(١) انظر: تجديد الخطاب الإسلامي الشكل والسمات: عبد الكريم بكار ١٧/ - ١٨ ، والتجديد في الفكر الإسلامي ٣٧/ - ٤١ ، وكذلك الدكتور عبد العزيز التويجري في رسالته الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة . مقومات الخطاب الإسلامي وخصائصه .

النوع الأول: في ميدان العقيدة:

١. الدعوة إلى تقديس العقل، وتقديمه على النقل.
٢. الدعوة إلى إنكار الغيبات أو تأويلها.
٣. تزويب الحاجز بين الإيمان والكفر، والحق والباطل، عبر عدة طرق، منها: الدعوة إلى وحدة الأديان، أو صحة الأديان الأخرى غير دين الإسلام، أو عدم التفريق بين الناس بسبب أديانهم.
٤. التساهل مع الفرق المنحرفة عن العقيدة الصحيحة، والسعي للتوحد معها.

النوع الثاني: في ميدان السنة:

١. الطعن في المحدثين والفقهاء، واتهامهم بالوضع والكذب والاهتمام بالسند دون المتن.
٢. معارضة كثير من أدلة السنة بالعقل، وعدم قبولها لمعارضتها عقولهم.
٣. رفض بعض الأحاديث النبوية؛ لعدم ملاءمتها الزمن، أو لتقسيمهم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية.

النوع الثالث: في ميدان الفقه وأصوله:

١. تقديم المصلحة على النص من الكتاب والسنة، بحجة أن النص لا يمكن تطبيقه على جميع الناس، وتضخيم دور المصالح والعلل والحكم التي

(١) انظر هذه التهم منسوبة بإسهاب إلى قائلها في عدد من الكتب، منها: التجديد في الفكر الإسلامي د. عدنان محمد أمانة، السلفية وقضايا العصر د. عبد الرحمن بن زيد الزبيدي، وإسلامية لا وهابية د. ناصر بن عبد الكريم العقل، وغيرهم.

- انطوت عليها أحكام الشريعة ؛ ليصل في النهاية إلى أن الأحكام تتبدل وتتغير بتغير هذه المصالح ، فتعطل بعد ذلك النصوص الشرعية المحكمة.
٢. اتهام الفقه والفقهاء بالجمود ، وبعدهم عن حياة الناس ومعايشته حاجاتهم.
٣. التساهل في بعض الأحكام الفقهية ؛ مراعاة لحياة الناس ، وعدم الإنكار عليهم فيها.
٤. إسقاط بعض التعاليم الشرعية التي يصفونها بالقسوة ، مثل الدعوة لإسقاط الحدود الشرعية ، واستبدالها بعقوبة الحبس ، بحجة ما في إقامة الحدود من القسوة ومخالفة حقوق الإنسان.
٥. اتهامهم نظام الحكم في الإسلام بالقصور ، وتضخيمهم مبدأ الديمقراطية ، وأنها أصلح منه ، فنتج عن ذلك : تجويزهم الخروج على الحكم ولو لم يظهر منهم كفر ، وتسويتهم بين المسلم وغيره في الحقوق والواجبات ، وإبطالهم كثيرا من أحكام الجهاد ، كالجزية وقتل المرتد ونحو ذلك.
٦. دعوتهم إلى عدم مناسبة بعض الشعائر الإسلامية للوقت الحاضر ، كالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ لكونها كبتا للحريات ، أو ادعاء ظلم الإسلام للمرأة ، والدعوة إلى مماثلتها للرجل في جميع الأمور.
- هذا مجمل لما نسب إلى الخطاب الديني في السابق واليوم ، فالدعوى واحدة ، وإن اختلفت العبارات أو الهدف منها.

الأسباب الداعية لذلك:

ولأنه لا يمكن الحديث عن كل واحدة من التهم الموجهة إلى الخطاب الديني ؛ لأن ذلك يطول ، ولن ينتهي ؛ لأن التهم كثيرة ، غير أن معرفة السبب الذي أوجد مثل تلك التهم يسهّل الرد عليها.

وقد استوقفني عند البحث عن الأحاديث التي جاءت بالدعوة إلى التجديد حديث عن النبي - ﷺ - ، أرى أنه يجمع غالب الأسباب التي أدت إلى هذا الانحراف ، مع أن الحديث يتحدث عن التجديد في الدين ، وكيف يكون.

عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال : قال رسول الله - ﷺ - :
 (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ، وتحريف الغالين)^(١).

فهذا الحديث مع أنه يتحدث عن منة الله على هذا الدين بأن هناك من سيحمله ، فيدافع عنه ويزيل ما يلحق به ، ولذلك عد بعض أهل العلم هذا الحديث من الأحاديث الدالة على التجديد في الدين - التي مر ذكر بعضها - ، إلا أن فيه معنى آخر: وهو أنه - ﷺ - حدد فيه أوجه الانحراف

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٩/١٠) ، ورواه غيره ، وتكلم بعض أهل العلم على إسناده ، وصححه محتجا به جمع ، منهم : ابن عبد البر في التمهيد (٥٨/١) وابن القيم في مفتاح دار السعادة (١٦٣/١) ، وابن الوزير في العواصم من القواصم ٣٠٨/١ ، وكذلك ابن مفلح في الآداب الشرعية ، ونقل كلام الإمام أحمد عنه (١٢٥/٢) ، وتوقف الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح ٢٤٨/١ في تضعيفه ، وقد ألف الزبيدي رسالة في تصحيحه ، وألف من المتأخرين سليم الهلالي رسالة مسهبة في تصحيحه.

الواردة على الدين الصحيح في ثلاثة أسباب ، أرى أن كل ما ذكر من تهم موجهة إلى الخطاب الديني مما سبق ذكره وغيره ، لا تخرج عن أحد هذه الثلاثة الأسباب المذكورة في الحديث.

وإن كان بعض أهل العلم قد أعلوا هذا الحديث بكون حمل الدين ليس مقصورا على العدول ، فقد يكونون فساقا ، كما وقع ، لكن جاءت إحدى روايات الحديث بلفظ الأمر : (ليحمل هذا العلم) ، فتزيل تلك العلة ، وتؤكد الاستدلال بهذا الحديث على المعنى الذي قصدناه هنا ، وأن تجديد هذا الدين والدفاع عنه من أحد ثلاثة أسباب :

السبب الأول : تأويل الجاهلين :

وهو أن غالب ما أتى إلى الدين الإسلامي الصحيح هو بسبب الجهل بهذا الدين وعظمته ، والجهل بالشريعة يشمل ثلاثة أمور :

١. الجهل بمصادر الشريعة : فالجهل بالقرآن الكريم ، وأنه كلام الله - تعالى - محفوظ ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والجهل بسنة النبي - ﷺ - الصحيحة ، يقود إلى الدعوة إلى تقديم العقل على النص ، أو إلغاء بعض ما ورد في الشريعة من أحكام ، أو الاعتماد على أحاديث ضعيفة في الزيادة في الدين ، وهكذا الأدلة الأخرى التي اعتبرها العلماء ، كالإجماع والقياس.

٢. الجهل بقدره هذه الشريعة وكمالها وشمولها وإحاطتها بجميع النوازل : قاد إلى اعتقاد حاجة الدين الإسلامي إلى مواكبة المستجدات ، أو أنه

لا يناسب هذه العصور المتأخرة، وغاب عنهم مثل قول الله - تعالى - :
﴿ مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(١)، وغيره من الآيات والأحاديث.

٣. الجهل بوسيلة فهم النصوص الشرعية، وكيفية استنباط الأحكام منها: أدى ذلك إلى تحريف الكلم عن مواضعه، أو إلى أن تضرب الأدلة بعضها ببعض، أو تفهم على غير مرادها.

٤. الجهل في عدم التفريق بين فعل المنتسبين إلى الإسلام وبين أن يكون ذلك الفعل هو الإسلام: وإن كان هذا النوع من الجهل داخلا في الأنواع السابقة، إلا أنه مهم، وذلك أن غالب من اتهم الإسلام بتهمة التشدد والغلو والقسوة أو الإرهاب إنما حكم على فعل بعض أفراد المسلمين، في حين أن الإسلام بريء من تلك الأفعال، فأفعال المسلمين ليست دليلا كافيا في الحكم على تعاليم الدين أو مناقشتها.

إذا تبين هذا، فإن الجهل بعلاجه العلم، فلا بد من إظهار الدين الصحيح الذي جاء به محمد - ﷺ - ؛ ليتعلم الجاهل، ولتزل الغشاوة عن كثير من الشبه والتهمة الموجهة إلى الدين الإسلامي، ويظهر وجه الحق في ذلك. والمتأمل في التاريخ وما مر به المسلمون من فترات ضعف وقوة، يجد أن تلك الشبه وما مثلها تأتي في وقت انشغال المسلمين عن تصحيح دينهم، وتعلقهم بأمور الحياة الدنيا التي تزيد من بعدهم عن ربهم - ﷻ - ، وبقدر قوة تمسكهم بهذا الدين، وتعلمهم وتعليمهم له تجد ضعفا لتلك الشبه وضعفا في قبولها.

(١) سورة الأنعام: ٣٨.

السبب الثاني : انتحال المبطلين :

المبطل من أبطل : إذا جاء بالباطل ، والانتحال : هو الادعاء^(١) ، ومعنى ذلك أن مما يكون سببا داعيا للتجديد هو ما يدعيه المبطلون ، وهم أهل الضلال في هذا الدين.

ولذلك فإن غالب ما يورد على الدين مصدره يكون من أعداء دين الإسلام ، ممن يريدون الإضرار به ، ويقلدهم في ذلك بعض من لم يتنور بنور هذا الدين ، أو رغب في تقليد غير المسلمين في جميع الأمور ، وقد يكون معرفة هذا السبب موضحاً في رد كثير من الشبه التي تثار حول الخطاب الديني ، وأن مقصد من يثيرها الرغبة في الإضرار بهذا الدين ، أو تقليد سبل أهل الديانات الأخرى.

إذا تبين هذا ، فإن الباطل لا بد أن يدحض بالحق ، ويظهر زيفه ، ويؤكد للناس عامة ما يحمله المبطل من أغراض فاسدة وقول كاذب ، وأستذكر هنا قوله أبي جهل عن النبي - ﷺ - حين سأله الأخنس بن شريق الثقفي ، وكان قد استمع شيئاً من القرآن : ما رأيك يا أبا الحكم ! فيما سمعت من محمد؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان ؛ قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه.. والله لا

(١) انظر المخصص لابن سيده ، ومادة "نحل" في لسان العرب ١١/٦٤٩.

نؤمن به أبداً، ولا نصدقه!، واستمر على عناده، يثير الناس على محمد رسول - ﷺ - وأصحابه، لا يفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم^(١). ولا زال من هم على نفس قصد أبي جهل من العناد وابتغاء الأذية للإسلام والمسلمين إلى يوم القيامة.

السبب الثالث: تحريف الغالين:

الغلو هو مجاوزة الحد، وهو أنواع، فمنه: غلو في الفعل وغلو في الترك، ومنه: غلو في الأعمال وتارة في الأشخاص، وتارة في الآراء. فغلو بعض المسلمين في الدين كمثل تنزيلهم أحكام الجهاد على من شاءوا، قاد إلى اتهام الدين بالعنف والدعوة إلى إغلاق باب الجهاد، وغلو بعض المسلمين في تساهلهم بأحكام الدين وانحلال أخلاقهم، قاد إلى ظهور الدين الإسلامي بأنه دين انحلال وتفسخ، وأوجد من أبناء المسلمين من يحارب الدين الذي ينتسب إليه. ويعالج الغلو بإعادة الناس إلى جادة الاعتدال، والمنهج الذي كان عليه النبي - ﷺ - في أموره كلها، والسير على منهاج السلف الأول من الأمة، في معالجتهم للأمور، والرجوع إلى أهل العلم المتبصرين فيه، وتنشئة الجيل المسلم على ذلك، كي لا يكونوا صورة مشوهة للإسلام، فيكونوا حرباً على دينهم، بدل أن يكونوا دعاة إليه.

(١) انظر القصة كاملة في سيرة ابن هشام ٣١٥/١، والسيرة النبوية لابن كثير ٥٠٦/١.

هذه في نظري هي الأسباب التي قادت إلى اتهام الخطاب الديني ؛ بل الدين كله بما نسب إليه من تهم أو نقص ، أرشد إليها هذا الحديث الموجز عن النبي - ﷺ - .

ومعرفة هذه الأسباب يسهل على الراغب في الدفاع عن الدين طريقة الدفاع عنه ؛ لأنه معرفة السبب كاف في معرفة الرد على القول وقائله.

واقع الخطاب الديني في المملكة العربية السعودية

المملكة العربية السعودية تمثل منبرا من منابر الإسلام في الوقت الحاضر، والعالم كله مرتبط بها؛ لانطلاق الإسلام منها، ولاحتضانها مكة المكرمة والمدينة المنورة، ورعايتها الحرمين الشريفين، ولذلك لم تسلم من النقد لخطابها الديني، بل لعل كثيرا من التهم إنما وجهت لها تحديدا بسبب مكانتها في العالم الإسلامي، وتأثيرها فيه؛ لأن تغيير نمط خطابها الديني سيؤثر على بقية الدول.

وعند رغبة المنصف في النظر في نوعية الخطاب الديني في أي بلد فإن أول ما ينصرف إليه نظره هو دستورها، ونظامها الذي تسير عليه. ولا يكون الخطاب متحدثا باسم الأمة، إلا إذا كان لسان حال الأمة الإسلامية، مدافعا عن مصالحها، ملتزما بقضايها، مبشرا بفكرها، فليست أفعال الأفراد واجتهاداتهم، ولا أخطاؤهم هي المقياس في تقييم الخطاب الديني في أي بلد.

ويمكن تقسيم الخطاب الديني في أي بلد إلى نوعين:

النوع الأول: خطاب الدولة بمؤسساتها الرسمية.

النوع الثاني: خطاب الأفراد.

أما النوع الأول فلأن المملكة العربية السعودية قد حددت نوع خطابها الصادر عنها عبر النظام الأساسي للحكم، فمن نافلة القول الاكتفاء بما نصت عليه بعض مواده مما له علاقة بالخطاب الديني، وسأستعرض هنا بعض المواد التي تكلمت عن ذلك:

المادة الأولى: المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ، ذات سيادة تامة ، دينها الإسلام ، ودستورها كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - ﷺ - ، ولغتها هي اللغة العربية ، وعاصمتها مدينة الرياض .

المادة السادسة: يبايع المواطنون الملك على كتاب الله وسنة رسوله ، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره .

المادة السابعة: يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله وسنة رسوله ، وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة .

المادة الثامنة: يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل والشورى والمساواة ، وفق الشريعة الإسلامية .

المادة العاشرة: تحرص الدولة على توثيق أواصر الأسرة والحفاظ على قيمها العربية والإسلامية ، ورعاية جميع أفرادها ، وتوفير الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم وقدراتهم .

المادة الحادية عشرة: يقوم المجتمع السعودي على أساس من اعتصام أفراده بحبل الله ، وتعاونهم على البر والتقوى ، والتكافل فيما بينهم ، وعدم تفرقهم .

المادة الثانية عشرة: تعزيز الوحدة الوطنية واجب ، وتمنع الدولة كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام .

المادة الثالثة والعشرون: تحمى الدولة عقيدة الإسلام...، وتطبق شريعته ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.. وتقوم بواجب الدعوة إلى الله .

المادة الرابعة والعشرون: تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما..، وتوفير الأمن والرعاية لقاصديهما، بما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة.

المادة الخامسة والعشرون: تحرص الدولة على تحقيق آمال الأمة العربية والإسلامية في التضامن وتوحيد الكلمة..، وعلى تقوية علاقاتها بالدول الصديقة.

المادة السادسة والعشرون: تحمى الدولة حقوق الإنسان.. وفق الشريعة الإسلامية.

المادة التاسعة والعشرون: ترعى الدولة العلوم والآداب والثقافة..، وتعنى بتشجيع البحث العلمي، وتصون التراث الإسلامي والعربي، وتسهم في الحضارة العربية والإسلامية والإنسانية.

المادة الخامسة والأربعون: مصدر الإفتاء في المملكة العربية السعودية كتاب الله - تعالى - ..، وسنة رسوله - ﷺ - ..، وبين النظام ترتيب هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء واختصاصاتها.

المادة الثامنة والأربعون: تطبق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية وفقاً لما دل عليه الكتاب والسنة، وما يصدره ولي الأمر من أنظمة لا تتعارض مع الكتاب والسنة.

المادة الخامسة والخمسون: يقوم الملك بسياسة الأمة سياسة شرعية، طبقاً لأحكام الإسلام، ويشرف على تطبيق الشريعة الإسلامية والأنظمة والسياسة العامة للدولة وحماية البلاد والدفاع عنها.

المادة السابعة والستون: تختص السلطة التنظيمية بوضع الأنظمة واللوائح فيما يحقق المصلحة، أو يرفع المفسدة في شئون الدولة، وفقاً لقواعد الشريعة الإسلامية..، وتمارس اختصاصاتها وفقاً لهذا النظام ونظامي مجلس الوزراء ومجلس الشورى.

فهذه المواد تمثل في حقيقتها تبياناً لنوع الخطاب الديني في المملكة العربية السعودية، الذي تسير عليه منذ إنشائها على يد الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود - رحمه الله - ، وإلى اليوم. ولا زالت جميع هيئات الدولة وجهاتها تسير على وفق ذلك، ويبحث عليها الملوك والمسؤولون.

لماذا نقد الخطاب الديني في المملكة العربية السعودية:

ومع كل ذلك الوضوح في نظام المملكة الأساسي، وجميع ما يصدر عنها من توجيهات، إلا أن هناك نقداً بين فترة وأخرى للخطاب الديني فيها، ولا تختلف التهم الموجهة للخطاب الديني فيها عن التهم الموجهة إلى الخطاب الديني بعامه، غير أنني أرى أن ثمة أسباباً^(١) غير التي سبق ذكرها، أظن أن لها دوراً في صدور مثل تلك التهم، تتمثل في التالي:

السبب الأول: الحسد والخوف على المصالح:

من يتأمل كثيراً مما يطلق من تهم تجاه الخطاب الديني في المملكة يجد أن وراءه حسداً من بعض المناوئين لهذه الدولة، سواء كان ذلك بطريقة ظاهرة

(١) انظر إسهاباً حول هذه الأسباب وغيرها في كتاب إسلامية لا وهابية للدكتور ناصر العقل

من بعض الدول والحكومات ، أو من أشخاص وهيئات مدعومة من تلك الدول.

وهذا الأمر عايشته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في بداية نشأتها ، ولا تزال هذه الدولة تعيشه من بعض الحاسدين على ما من الله به عليها من علو في الدين والدنيا.

ويزيد من ذلك أن بعض الناس يتضررون كثيرا من بقاء الخطاب الديني في المملكة على حاله التي رسمت له في النظام الأساسي للحكم ؛ لتعطل كثير من مصالحهم وأغراضهم ، التي قد تكون غير متوافقة مع شريعة الإسلام ، أو يرغبون من خلالها إلى صرف الناس عن المنهج الحق.

السبب الثاني: اختلاف الأهواء والمناهج:

الناظر بعين الإنصاف في ناقد الخطاب الديني في المملكة العربية السعودية يلحظ وجود اختلاف بين المنهج الذي تسير عليه المملكة في نظامها وتشريعها ، وبين ما يسير عليه الناقد ، سواء في المعتقد أو التصور.

فإذا ظهر ذلك فلا شك أنه سيسعى الناقد إلى نقد الخطاب الديني في المملكة ، لا لأنه خطاب ناقص ، بل لأجل أن يتوافق مع معتقده أو تصوره ، وهنا يكون النقد غير منطقي وغير مقبول.

ولذلك تجد أن كثيرا من المنصفين إذا تبين لهم منهج المملكة العربية السعودية ، وما هي عليه في نظامها وتعاملها ، ووقف على براهين ذلك رجع عما سبق أن ذكره من نقد ، ولعل الشهادات الكثيرة التي حظيت بها المملكة العربية السعودية من عدد من المنصفين من المسلمين ومن غيرهم أكبر شاهد على ذلك.

السبب الثالث: كشف عوار المخالفين:

لعل من أكبر ما يحمّد لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - أنها كشفت عوار وخلل الدعوات الأخرى، وما هي عليه من خلل في الاعتقاد والتصور.

ولذلك فإن الخطاب الديني في المملكة بما اكتسبه من قدرة على كشف عوار المخالفين من الدعوات المنتسبة إلى الإسلام، جعل بعض المنتسبين لتلك الدعوات يشكك في مصداقية الخطاب الديني في المملكة أو يثير الشبه حوله. وقد استعرضت بعض ما كتب في بعض وسائل الإعلام حول الخطاب الديني في المملكة، فلحظت أن غالب من تكلموا فيه قد كانت لهم سوابق مع الخطاب الديني في المملكة، فتظهر لغة الانتقام في كلامهم عنه ويجنحون فيه، فيخرج كلامهم عن العدل والإنصاف^(١).

النوع الثاني: خطاب أفراد الناس في المملكة العربية السعودية:

أما النوع الثاني من الخطاب وهو خطاب الأفراد، فإنه مع كون الخطاب الديني للمملكة وفق ما ذكرته آنفاً، إلا أنه قد يقع تجاوز من أفراد المجتمع في خطابهم، فقد يتجاوز الناس بشتى طبقاتهم في بعض الأمور، بسبب من الأسباب الذي ذكرناها في أسباب اتهام الخطاب الديني بتلك التهم، ثم يستغل ذلك في نسبة هذا الفعل من الأفراد إلى الخطاب العام للدولة أو مؤسساتها.

(١) انظر على سبيل المثال: ما نشرته صحيفة إيلاف الالكترونية على موقعها بعنوان: الخطاب الديني السائد في السعودية يهشم الحضاري، ويعتني بالروحي.

فخرج من أبناء البلد من يدعو إلى جهاد غير شرعي ، وخرج منهم من خرج على أهل بلده بالقتل والترويع ، وخرج منهم - أيضا - من دعا إلى الانحلال في الدين ، أو تبني بعض التهم التي ذكرنا جزءا منها. وكان من أثر ذلك اتهام المملكة بأنها مصدر للإرهاب ، أو اتهام للدين الإسلامي الذي ينتمي إليه من سبق ذكر تجاوزاتهم. والحق أن نسبة هذه التجاوزات إلى الدين أو إلى البلد الذي ينتسبون إليه خطأ في التصور ، وخطأ في الحكم.

وقد ذكرنا فيما سبق أن ثمة فرقا بين أن يكون النقد موجهًا للخطاب الديني ، وبين أن يكون موجهًا لبعض الأفراد وما يصدر منهم ، ولهذا فإنه من الطبيعي جدا أن تحدث أخطاء من بعض المنتسبين للدعوة ، لأنهم بشر عرضة للخطأ والزلل ، لكن الخطأ أن ينسب خطوهم للخطاب الديني كله.

التعامل مع الخطأ في خطاب الأفراد:

ويمكن القول بأنه إذا وقع أحد من الأفراد في خطأ في خطابه الديني ، فإن التعامل معه يكون بأمرين :

الأول : أن يعلم أن ذلك الخطأ ليس منسوبًا إلى الدين ، بل يبقى خطأ فرديا وقع فيه صاحبه ، إما عن عمد أو جهل ، أو حتى عن تقليد. الثاني : أنه لا بد من علاج هذا الخطأ وبيانته للمخطئ ، ومنعه من التماذي فيه.

ولعل أفضل ما يمثل به على هذين الأمرين هو ما حصل في عهد النبي - ﷺ - من بعض الصحابة ، من بعض التجاوزات التي صححها لهم رسول الله - ﷺ - ، ولم ينسب ذلك إلى النبي - ﷺ - ؛ لأنه فعل أحد أصحابه ،

وسأضرب هنا بمثالين من هديه - ﷺ - ، توضح الموقف الذي وقفه - ﷺ - من قصور في تطبيق الخطاب الديني في عهده - عليه الصلاة والسلام - ، مع أن الأمثلة كثيرة.

المثال الأول: قصة أسامة بن زيد - ﷺ - التي رواها البخاري وغيره ، أن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: بعثنا رسول الله - ﷺ - إلى الحرقه من جهينة ، قال: فصبحنا القوم ، فهزمناهم ، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم ، قال: فلما غشينا قال: لا إله إلا الله ، قال: فكف عنه الأنصاري ، فطعنته برمحى حتى قتلتها ، قال: فلما قدمنا ، بلغ ذلك النبي - ﷺ - ، قال: فقال لي: يا أسامة! أقتلتها بعد ما قال لا إله إلا الله؟ ، قال: قلت يا رسول الله! إنما كان متعوذا ، قال: أقتلتها بعد ما قال لا إله إلا الله؟ ، قال: فما زال يكررها عليّ ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم^(١).

فأسامة - ﷺ - تجاوز الهدي الشرعي في عمله ، ولم يرتض ذلك النبي - ﷺ - ، بل تبرأ من عمله وعنفه ، فلا يمكن أن ينسب ذلك العمل الذي قام به أسامة إلى الإسلام بعامة ، بل هو خطأ وقع فيه أحد المسلمين ، بين له خطؤه فتبينه .

وكذلك الحال بالنسبة لمن يقع اليوم من أفراد المسلمين في مخالفات شرعية ، لا يجوز بحال نسبة ذلك الفعل إلى الخطاب الديني في المملكة أو في غيرها من

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦٣٦٤) ومسلم (١٤١).

البلدان، فمهما وقع فيه أفراد من المسلمين من مخالفة للطريق السوي فلا يجوز بحال أن ينسب ذلك إلى الخطاب الديني.

المثال الثاني: قصة قائد السرية التي أمر أتباعه بالدخول في النار، فقد روى البخاري ومسلم عن علي - عليه السلام - قال: بعث النبي - صلى الله عليه وآله - سرية، فاستعمل رجلا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي - صلى الله عليه وآله - أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً؟ فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهملوا، وجعل بعضهم يمسك بعضاً، ويقولون: فررنا إلى النبي - صلى الله عليه وآله - من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي - صلى الله عليه وآله - ، فقال: (لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف)^(١).

فهذا القائد الذي بعثه النبي - صلى الله عليه وآله - وقع في فهمين: الأول: فهمه الأمر بالطاعة للحاكم، وأنها مطلقة في الخير والشر، والثاني: أمره لهم أن يلقوا بأنفسهم في النار، ولا يعذب بالنار إلا رب النار، فهو - رضي الله عنه - طبق الأمر النبوي حسب فهمه، وأراد أن يقذف كل من معه في النار، ولا يمكن بحال وصف الخطاب الديني بأنه كذلك، بل هذا اجتهاد أو فتوى حسب فهم هذا الصحابي، بين النبي - صلى الله عليه وآله - خطأها.

فكذلك الحال حين يصدر من بعض المنتسبين إلى الإسلام والعلم الشرعي فهم مخالف للفهم الصحيح، فلا ينبغي أن ينقل ذلك إلى الخطاب الديني، بل

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٩٩٥) ومسلم (٣٤٢٥)

يبقى اجتهادا مخالفا للصواب ، بل قد يكون خطأ صريحا وقع من أحد الأفراد ،
والخطاب الديني بريء منه ، والأمثلة من الواقع على مثل ذلك كثيرة.
وبهذا القدر أكون قد أنهيت ما وعدت بالكتابة عنه حول الخطاب الديني
المعاصر ، وأسأل الله - تعالى - أن أكون وفقت فيه للصواب ، والحمد لله
رب العالمين.

المراجع:

١. الآداب الشرعية لابن مفلح مؤسسة الرسالة
٢. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية د.عبدالرحيم المغذوي دار الحضارة
٣. إسلامية لا وهابية د.ناصر العقل كنوز أشبيليا
٤. الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء لابن عبد البر
٥. تاج العروس للزبيدي دار صادر
٦. تجديد الخطاب الإسلامي د.عبد الكريم بكار دار المسلم
٧. التجديد في الفكر الإسلامي د.عدنان بن محمد أمانة دار ابن الجوزي
٨. التمهيد لابن عبد البر، وزارة الأوقاف المغربية
٩. توالي التأسيس في ترجمة محمد بن إدريس لابن حجر العسقلاني
١٠. جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير المكتب الإسلامي
١١. حلية الأولياء لأبي نعيم دار الكتب العربية
١٢. الخطاب الإسلامي بين التجديد والمعاصرة د.عبد العزيز التويجري منظمة اليونسكو
١٣. الدروس العلمية العامة في العلم والدعوة والتربية / صالح آل الشيخ مكتبة الطبري
١٤. الدولة والدعوة د. عبد الله التركي بحوث مؤتمر المئوية
١٥. ذم الكلام للهروي المكتب الإسلامي
١٦. السلسلة الصحيحة للألباني مكتبة المعارف
١٧. السلفية بين أهل السنة والإمامية / محمد الكثيري، الغدير بلبنان
١٨. السلفية وقضايا العصر د.عبد الرحمن الزبيدي دار أشبيليا
١٩. سنن أبي داود دار ابن حزم
٢٠. السنن الكبرى للبيهقي المكتب الإسلامي
٢١. السنن والآثار للبيهقي دار الكتب العلمية
٢٢. سيرة ابن هشام مطبعة البابي الحلبي
٢٣. السيرة النبوية لابن كثير ضمن البداية والنهاية دار هجر

٢٤. الصحاح في اللغة للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار
٢٥. صحيح الإمام مسلم، مطبعة البابي الحلبي
٢٦. صحيح البخاري المطبعة السلفية
٢٧. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي دار هجر
٢٨. العواصم من القواصم لابن الوزير مؤسسة الرسالة
٢٩. عون المعبود للعظيم أبيادي دار الكتب العلمية
٣٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية
٣١. فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي دار الكتب العلمية
٣٢. القاموس المحيط للفيروزبادي مطبعة البابي الحلبي
٣٣. لسان العرب لابن منظور دار صادر
٣٤. مجلة التاريخ العربي إصدار جمعية المؤرخين المغاربة
٣٥. المخصص لابن سيده دار صادر
٣٦. المدخل إلى علم الدعوة محمد البيانوني مؤسسة الرسالة
٣٧. المستدرك للحاكم دار الكتب العلمية
٣٨. المسند للإمام أحمد بن حنبل المكتب الإسلامي
٣٩. مشكاة المصابيح بتعليق الألباني، المكتب الإسلامي
٤٠. مظاهر التجديد في الخطاب الديني المعاصر د. محمد الفران، وزارة الأوقاف المغربية
٤١. معجم المناهي اللفظية بكر بن عبد الله أبو زيد دار ابن الجوزي
٤٢. مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية دار ابن عفان
٤٣. المملكة العربية السعودية والدعوة الإسلامية رؤية مستقبلية / صالح الحصين بحوث مؤتمر
المئوية
٤٤. المناهي اللفظية محمد بن عثيمين ضمن مجموع فتاواه



أوراق عمل المحور الرابع

التشريع



المنهج السلفي

وصلته بالخطاب الديني المعاصر

إعداد

بدر الحسن القاسمي

نائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي بالهند

وعضو المجلس التنفيذي للملتقى العالمي للعلماء

والمفكرين المسلمين برابطة العالم الإسلامي

الشيعة

المنهج السلفي وصلته بالخطاب الديني المعاصر

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد ومن والاه، وبعد:

فإن مصطلح "الخطاب الديني" قد ظهر في بيئة غير إسلامية على لسان أحد الفلاسفة الفرنسيين، وازداد الضغط على المسلمين بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ لتغيير المناهج الدراسية، وتطوير الخطاب الديني، وكما يقال: لا مشاحة في الاصطلاح، فإن للمسلمين فهمهم الخاص للخطاب الديني المعاصر، فالعقائد والأحكام الشرعية الثابتة لا أحد يملك استبدالها أو تغييرها؛ لأنها تشريع إلهي، وتنزيل من حكيم حميد، فهي ليست في حاجة إلى تطويرها، وإن تطوير الخطاب الديني المعاصر مفهومه الصحيح عند المسلمين: تطوير طريقة عرض الإسلام عقيدة وشرعية أمام العالم، وأن أسلوب العرض يتجدد ويتحدد بالمخاطبين، فلا مانع من تطوير لغة الخطاب، وجعلها أكثر تشويقاً، وأكثر تأثيراً وإشراقاً.

وجزى الله القائمين على هذه الندوة المباركة خيراً، وعلى رأسهم معالي الأستاذ الدكتور / سليمان أبا الخيل مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على اختيار (السلفية منهج شرعي ومطلب وطني) عنواناً لهذه الندوة، واختيار الخطاب الديني المعاصر محوراً من محاوره.

أسأل الله العليّ القدير أن تتكلل هذه الندوة بالنجاح، وتحقق أهدافها في تجلية الحقائق، ووضع ضوابط المنهج أمام العالم في وقت تشهد فيه المملكة نهضة شاملة وتطوراً وافتتاحاً تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله -، ويشهد العالم تطورات خطيرة وسريعة في كافة المجالات، وعلى كافة

المستويات وإن ثورة المعلومات ووفرة وسائل الاتصالات جعل العالم كله كقرية صغيرة في تبادل المعلومات وتناقل الأفكار والأيديولوجيات.

لقد وقف الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمحاربة البدع، ومكافحة أنواع الشرك المستشري في بعض المجتمعات، وإن تلاميذه وأتباعه اهتموا أكثر ما اهتموا بتوضيح العقيدة وترسيخ مفهوم توحيد الإلهية والربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأنهم لاحظوا الخلل في هذا الجانب، وشعروا بأن الناس في حاجة إليه.

كما أنه ركز على العودة إلى الكتاب والسنة، مع عدم قطع الانتماء إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل في معظم الأحكام الفقهية، وكان هذا الجزء من الدعوة يهدف إلى القضاء على العصبية لدى بعض أتباع المذاهب الفقهية من المتأخرين، لا بهدف القضاء على ما تركه الأئمة من ثروة فقهية هائلة وإيجاد مذهب فقهى جديد.

ولكن لا يعني ذلك أن "المنهج السلفي" يقتصر على هذين الجانبين فقط، ولا اهتمام له بالواقع المعاصر، أو القضايا الأخرى في السياسة والاجتماع والاقتصاد، بل إن "المنهج السلفي" له اهتمام بكل هذه الجوانب، وإن التعاون القائم بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأسرة الكريمة الحاكمة في المملكة العربية السعودية منذ نشأة المملكة قد حدد مسار "المنهج السلفي"، حيث إن الدعوة لم تبق معزولة عن القضايا العالمية الكبرى، وكان من طبيعة الحال أن يتوسع الفكر، وألا يبقى عمل الدعوة محصوراً على مجتمع نشأت فيه الدعوة، وإن الأسرة الحاكمة قد التزمت بأنها تحكم بما أنزل الله، وأن تكون الشريعة الإسلامية هي دستورها القائم، ومن المعلوم أن الحكومات لا يمكن

أن تعيش بعيدة عما يجري في العالم من تطورات وأحداث ، وما يوجد فيه من أفكار وأيديولوجيات ، وما يواجهه الناس من تحديات وأزمات ، فكانت القضايا العالمية موضع اهتمام المسؤولين منذ أول يوم.

وقد شاء الله - سبحانه - أن تكون المرجعية لبلاد الحرمين الشريفين ، وأن تقوم بين المملكة وبين كافة دول العالم علاقة التفاهم والتعايش ، وقد نمت المملكة وازدهرت ، وشهدت تطورا اقتصاديا وعمرانيا شاملا ، وإن الحضارات دائما تأتي بمسائل لم تكن معهودة من قبل.

فالمنهج السلفي المتبع في المملكة العربية ظل مواكبا للتطور ، واستيعاب كافة قضايا العصر ، كما أن هذا المنهج قابل لأن يستوعب ما سيحصل مستقبلا ؛ لأن كليات المنهج مستمدة من الكتاب والسنة ، ولهما البقاء إلى يوم القيامة ، وإن ربط القضايا المستجدة بالنصوص واستنباط أحكامها منها هي مسئولية فقهاء كل عصر.

فالمنهج السلفي يبقى مواكبا للتطورات الفكرية والحضارية في كافة العصور في ظل الشريعة الإسلامية والفهم السليم لنصوص الكتاب والسنة. كما أن المملكة لما كانت بمنزلة الراعي للمسلمين جميعا ، باعتبارها بلاد الحرمين الشريفين ، فهي تقف على مسافة واحدة مع كافة المسلمين : عربهم وعجمهم ، على اختلاف وجهات نظرهم ، وانتماءاتهم المذهبية ، ولا شأن لها بأنهم شوافع أو أحناف أو مالكية أو حنابلة ، أو أنهم ينتمون إلى حزب ديني أو سياسي معين أو آخر ، كما أنه لا شأن لها بترك إحدى المجموعات تقليد الأئمة الأربعة وأخراها بالانتماء إليهم واتباعهم في المسائل الفقهية والقضايا الجزئية في العبادات أو المعاملات ، وإنما دورها هو النصح من أجل

توحيد الصف ، حتى لا تذهب ريجهم ، ولا يستهدفهم أعداء الإسلام ، وألا تقضي عليهم التيارات الفكرية العاصفة.

هذه كانت وجهة نظر مؤسس المملكة وظلت هذه السياسة لمن ورثه من أبنائه الملوك في التعامل مع المسلمين عموماً على حد سواء ، من غير ترجيح كفة مجموعة على أخرى ، أو انحياز إلى فئة دون غيرها ، وما زال هذا المنهج قائماً يتجلى في جهود خادم الحرمين الشريفين من الوساطة بين الفئات والأحزاب المتحاربة ، والدول المسلمة المتخالفة ، فكم مرة دعا الفرقاء المتخاصمين إلى مائدته ؛ لتوحيد الصف ، وتقريب وجهات النظر ، سواء كان الأمر يتعلق بفلسطين أو أفغانستان أو سوريا أو لبنان.

إن الخطاب الديني المعاصر وفق المنهج السلفي جزء من المشروع الحضاري للمملكة العربية السعودية تحت قيادة خادم الحرمين الوريث لكياسة وسياسة موحد الجزيرة الملك عبد العزيز آل سعود.

ويتكون هذه الخطاب من العناصر التالية :

- الالتزام الكامل بالكتاب والسنة وتطبيق تعاليم الدين الحنيف عقيدة وشرعية.
- التأكيد على توحيد صف المسلمين وإيجاد روح الإخاء والتعاون بينهم على اختلافهم في الانتماء المذهبي واختيار المنهج الفقهي.
- نشر العلم وتوفير كافة وسائل المعرفة ، وجعل المملكة ساحة للتطور التقني ، وواحة للأنشطة العلمية والتقنية المتنوعة ، وجعل التعليم في متناول كافة أبناء المملكة.

- الانفتاح على العالم كله ، وفتح باب الحوار مع كافة أهل الديانات والملل ؛ لإيجاد مناخ التعايش السلمي بين كافة الأمم والشعوب ، ونزع فتيل الاشتباكات والحروب.
- الحرص على التنمية الشاملة للمجتمع في ضوء الخطة الإستراتيجية ، وتوفير فرص العمل لكافة فئات المجتمع من خلال منهجية مدروسة في تنمية الموارد البشرية ، وتنفيذ برامج التطوير والتدريب.
- إن تاريخ الملل والديانات مليء بمثيري الشغب الذين كانوا يكفرون ، ويضللون ، ويكيلون التهم إلى الناس جزافا.
- ومع الأسف الشديد ما زالت في الأمة مجموعات شاذة من هذا النوع ، توجه سهام التكفير والتضليل عشوائيا ، من غير أن تتأكد من صحة ما تنسبه جماعة إلى غيرها ؛ لأسباب ودوافع مادية بحتة ، فتورط بعض المشهورين من العلماء من غير أن يعرفوا حقيقة الأمر ، وذلك بنقل غير أمين ، وترجمة غير دقيقة لمن تريد تشويه سمعته من أفراد أو جماعات ، والله المستعان.
- ولقد أحسنت جامعته الإمام محمد بن سعود الإسلامية صنعا بجمع ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب من مؤلفات ، وتحقيق نسبتها إليه وتوثيقها ، ثم نشرها في طبعه خاصة باسم الجامعة ، وذلك بهدف تجلية حقيقة دعوة الشيخ ، وتيسير الإطلاع عليها ومراجعتها ؛ لإتاحة الفرصة للدارسين المنصفين ، والباحثين عن الحقيقة في ذاتها أن يصلوا إليها بأوثق طريق ، بعيدا عن كل تزيف أو تشويه أو ادعاء باطل يحاول صاحبه أن يلبسه ثوب الحق ، فأصبحت تلك المجموعة في متناول الجميع في طبعة فاخرة ، وحلة قشبية بفضل من الله وتوفيقه.

القسم الخامس من هذه المجموعة يشتمل على الرسائل الشخصية للشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب ، وهذه الرسائل تكفي لمعرفة مدى تأثير الدعايات المكثفة التي كانت ضد الشيخ ودعوته ، وتقدير أنه كم كانت صورته مشوهة داخل ربوع الجزيرة العربية ، فضلا عن البلاد الأخرى كالهند وغيرها ، وقد حاول الشيخ من خلال تلك الرسائل إيضاح واقع الأمر ، وبيان صحة وسلامة موقفه في كثير من القضايا الحساسة ، والدفاع عن التهم التي كانت توجه إليه من أوساط مختلفة ، بسبب قلة إطلاع الناس على طبيعة مهمته الإصلاحية.

هذه الرسائل - على عكس ما يحاول بعض الناس من إعطاء صورة الشيخ بأنه كان على حرب دائمة وعداوة مع أتباع المذاهب الأربعة - تعطي الشيخ صورة عالم يقدر ما للأئمة الأربعة من مكانة ، وما لهم من دور في الاجتهاد والاستنباط ، فيقول في الرسالة الموجهة إلى السويدي العالم العراقي : "وأخبرك أنني -ولله الحمد- متبع ولست بمبتدع ، عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة"^(١).

ويقول في الرسالة الخامسة الموجهة إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام : "فنحن - ولله الحمد - متبعون غير مبتدعين ، على مذهب الإمام أحمد ابن حنبل ، وحتى من البهتان الذي أشاع الأعداء أنني أدعي الاجتهاد ، ولا أتبع الأئمة".

ويقول موضحاً خلاصة دعوته: "وأنا - أشهد الله وملائكته وأشهدكم - على دين الله ورسوله، أني متبع لأهل العلم، وما غاب عني من الحق وأخطأت فيه فبينوا لي، وأنا أشهد الله أني أقبل على الرأس والعين، والرجوع إلى الحق خير من التماسي في الباطل"^(١).

ويقول في الرسالة السابعة الموجهة إلى عبد الله بن سحيم: "المسائل التي شنع بها، منها ما هو البهتان الظاهر، وهي قوله: إني مبطل كذب المذاهب وقوله: إني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وقوله: إني أدعي الاجتهاد، وقوله عن التقليد، وقوله: إني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة، وقوله: إني أكفر من توسل بالصالحين، وقوله: إني أكفر البوصيري؛ لقوله: يا أكرم الخلق....، وقوله: إني أقول: لو أقدر على هدم حجرة الرسول - ﷺ - لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب، وقوله: إني أنكر زيارة قبر النبي - ﷺ -، وقوله: إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، وإني أكفر من يحلف بغير الله؛ لهذه اثنتي عشرة مسألة"، جوابي فيها أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم"^(٢).

لم يترك هذا الكلام الواضح المبين مجالاً لأي مجادل أن يتهم الشيخ بشق عصا الوحدة، أو ينسب إليه أنه كان على تطرف أو غلو في تضليل المسلمين وتكفيرهم وتفسيرهم، ويثبت بوضوح وجلاء أن "المنهج السلفي" الذي اختاره لم يحد فيه عما كان عليه السلف الأقدمون ومن تبعهم بإحسان.

(١) الرسائل الشخصية / ٤١ - ٤٢ .

(٢) الرسائل الشخصية / ٦٤ .

إن روح الخطاب الديني "للمنهج السلفي" لا تختلف باختلاف العصور والأزمان، ولا اختلاف الأمكنة والأمصاير؛ لأن أسس الدين من الحقائق الثابتة وجوهر نصوص الشريعة من الأمور الدائمة التي لا تقبل أي تعديل أو تغيير، إنما يكون التغيير في الصياغة والتعبير.

وإن "المنهج السلفي" ليس كل ما تدعيه فرق وجماعات هنا وهناك في مختلف أنحاء العالم بأنها سلفية علمية أو تراثية أو جهادية لأهداف وغايات مختلفة، بل إن "المنهج السلفي" هو القائم على الفهم الصحيح للتنزيل، والتطبيق الوسطي للأحكام الشرعية، والالتزام الكامل بالسنة الصحيحة الثابتة.

نعم هناك حاجة لتحديد مفهوم "السلفية"، وتحديد المراد من "السلف"، حتى لا يبقى المصطلح فضفاضاً، يحتمي به كل من هب ودب، ويدخل فيه كل من يزعم أنه سلفي، مع كون البون شاسعاً بينه وبين المنهج السلفي الحقيقي، وتحديد مفهوم "السلفية" وبيان ما هو المراد من "السلف" لتحديد المعالم، وتتعين الحدود والضوابط، فلا تبقى ثغرة يدخل منها من يزعم أنه من "لسلفية الجهادية"، أو السلفية الجارحة التي تفرق وتخاصم، وتجعل بينها وبين جماهير الأمة وعلمائها حواجز مصطنعة، ولا التي تكفر جزافاً، وتضل وتبدع من خالفها، أو انتقد جمودها على ظواهر بعض النصوص.

يقول الإمام الخطابي - رحمه الله - عن السلف: "وكان أرفعهم في العلم درجة، وأعلاهم قدراً ورتبة: أئمة القرون الثلاثة الذين نالهم الخيرية، ولحقهم الدعوة في قوله - ﷺ - : "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، ومع الصدر الأول والنمط الأفضل ورثة علم السنة،

والحافظون لها على من بعدهم من الأمة ، ثم لم يزل أول منهم يلحقه إلى آخره ، يتلقاه خالف عن السنة سالف ؛ ليكون دين الله بعلم محروسا عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين^(١).

إن السلفية الحقيقية التي تدعو إلى العودة إلى الكتاب والسنة ، والابتعاد عن البدع والأضاليل ، نابعة عن الغيرة على عقيدة التوحيد التي هي أصل الدين و أساسه ، وينبغي أن تكون منهج كل مسلم عاقل ، إنما الإشكالية في كثرة المندسين إلى السلفية من أهل الأهواء الذين جعلوا السلفية شعارا لهم لتنفيذ مخططاتهم ، وانضموا تحت ستارها لتحقيق أطماعهم وربما كانت الأغراض المادية والدوافع المالية هي وراء إعلان بعض الجماعات أنها ذات ميول سلفية ، ولا يستبعد أن تكون جهات مشبوهة سرية تريد تشويه سمعة السلفية الحقيقية ؛ لتفقد أثرها ، وتصبح نكرة في المجتمع بين عامة الناس.

فهناك مجموعات قتالية تدعي أنها حركة السلفية الجهادية ، ولا يدري من أين تتلقى تلك الحركات دعما ماديا ومعنويا لإحداث مشاكل وقلقل في عدد من دول العالم ، وتحصد أرواح الأبرياء من غير ذنب اقترفوه.

فمن يقتل نفسا بغير نفس ، ويفسد في الأرض ، ويستهدف الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال بالتفجير والتدمير لا يمكن أن يكون سلفيا حقيقيا.

كما أن هناك مجموعات ليس لها علاقة مباشرة مع حركة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب جعلت السلفية شعاراً لها للطعن في المذاهب الفقهية المعتمدة ، والإساءة إلى الأئمة الأعلام الذين حث شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه

١ غريب الحديث : ٤٦/١.

الله - على رفع الملام عنهم، وتقدير ما تركوه من ثروة فقهية هائلة، مع أن شيخ الإسلام ابن تيمية هو رائد السلفية الحقيقية، ويجب أن يكون هو القدوة في هذا الموضوع.

إن السلف الصالح لم يتخذ الطعن والتجريح منهجا، ولا التكفير والتضليل ديدنا لهم، بل كان الإنصاف والاعتدال هو منهجهم في تناول الأمور، وتقدير الأشياء، وتقييم الرجال.

هناك انتقادات كثيرة وجهت إلى التيار السلفي، وأورد هنا ما كتبه بعض المعاصرين وهما الشيخ محمد الغزالي والدكتور يوسف القرضاوي.

يقول الشيخ محمد الغزالي: "الانتساب إلى السلف شرف غالي الثمن؛ لأنه انتساب إلى خير القرون في تاريخنا، ورفض للشبهات والخرافات التي حفت بديننا في عصور الضعف والهزيمة، بيد أن التفكير السلفي المعاصر أعجز من أن يحقق أهدافه المنشودة.

لقد اتسع نطاق البحث في علوم النفس والاجتماع والاقتصاد والقانون والأخلاق والسياسة، وفي هذه الدراسات الإنسانية جوانب كشاف لأغوار النفس، وطبائع الجماعات البشرية، لا معنى لتجاهلها، وفيها جوانب تتفق مع وجهات النظر الإسلامية، ليست مما يرتضيه السلفيون اليوم، وهذه لا معنى للضراوة في محاربتها، وفيها جوانب محايدة لا ضد الدين ولا معه، فما قيمة مخاصمتها؟".

ويقول في مكان آخر في كتابه: "نصل إلى الحركة السلفية التي قادها في القرن الماضي محمد بن عبد الوهاب، إن كل غيرة على التوحيد مشكورة، وكل جهد لتنقية العقائد من الشوائب والأقذار مقدورة، ونحن نأبى الإغضاء

عن مسلك أقوام يرهبون الأموات غير الأحياء أكثر مما يرغبون الله، ويطلبون منهم ما لا يطلب إلا من الله - سبحانه - .

ومن أبرز تعاليم السلفية - بعد صون العقائد من الدخل - رفض التقليد المذهبي، والعودة بالأمة إلى الكتاب والسنة، وهذا حسن، بيد أن تطبيقه يحتاج إلى تأمل، فإن السلفيين لم يتركوا تقليد أحمد بن حنبل، وإشار مدرسته، ومن حق غيرهم أن يفعل ذلك مع سائر الأئمة الباقين.

ثم إن الاجتهاد الفقهي ليس كلاً مباحاً، فقد دخل في هذا الميدان من لا يؤمن على قراءة ورقة، وصدرت عنه فتاوى وأحكام تؤذي الإسلام، وتنفر الخاصة والعامة منه.

إذاً ليست الإشكالية لدى الناقد في أصل المنهج، إنما الاعتراض على سوء التطبيق من قبل بعض من ينتمي إلى المنهج السلفي، ثم إن واقع الجامعات السعودية وما تحتوي عليه من أقسام وكليات علمية وتقنية خير دليل على أن المنهج السلفي السليم لا يمانع الانفتاح على الحضارات، والاستفادة مما لديها من علوم وحكم.

ويمكن أن يقال على وجه البصيرة بأن هيئة كبار العلماء في المملكة لم تتردد يوماً في الاستفادة من كافة المصادر الفقهية على اختلاف مذاهبها، كذلك كليات الشريعة في جامعات المملكة لا تقتصر في مناهجها على تدريس مذهب واحد، بل إن الفقه المقارن جزء من موادها المعتمدة، كما أن رابطة العالم الإسلامي قد عقدت مؤتمراً عالمياً لوضع ضوابط الإفتاء، وإن خادم الحرمين الشريفين أصدر مرسوماً ملكياً حول حصر الفتاوى في ذوي الكفاءات وتحت إشراف سماحة المفتي العام.

فالمنهج السلفي الذي كان عليه سلف الأمة من الصحابة - ﷺ -
والتابعين وأتباعهم ، وهم خير القرون ، لا شك أنه منهج شرعي ، كما أنه
مطلب وطني أيضا.

هو منهج شرعي لأنه منهج خير القرون ، وهو مبني على فهم نصوص
الكتاب والسنة فهما صحيحا غير مشوب بتأثيرات خارجية وأفكار غير
مستوردة من اليونان والرومان.

وهو مطلب وطني لأنه عليه قامت المملكة العربية السعودية ، وفيه سر
بقائها وازدهارها ، وإليه دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - .
لذا ينبغي أن يستمر هذا المنهج ، وأن يبقى سائدا مع التغيير في اللغة
وأسلوب الطرح أمام العالم ، وفق معطيات العصر ؛ لأن كل عصر له قضايا
ومعطياته ، وكل جيل له بيئته وثقافته.

وأما الدكتور يوسف القرضاوي فيقول : " وإذا كان الشيخ محمد بن عبد
الوهاب قد وقف ضد الشريكات والمبتدعات في مجال العقيدة والعبادة ، فإنه لم
يظهر له جانب تجديدي في مجال الفقه وشئون الحياة ، ولعل ذلك لأنه ظهر في
بيئة بدوية ، لم تدخل عليها الحضارة بتياراتها ومشكلاتها بعد ، فلم تكن في
حاجة ظاهرة أو ماسة إلى أعمال العقل للاجتهاد والتجديد ، وغلب على
جماعته اتباع النصوص والوقوف عندها .

بل ربما أورثت هذه النشأة الحديثة للسلفية الجديدة نزعتها للحرفية في فهم
النصوص الشرعية وإهمال النظر إلى المقاصد والمعاني والعلل التي تبني عليها
الأحكام ، على خلاف ما كان عليه إماما المدرسة من قبل : ابن تيمية وابن القيم .

ويقول: "والمطلوب من الجماعات السلفية على اختلافها: أن تتحرر من الجمود على موروثاتها، والنظر إلى تفاصيلها نظرة ناقدة ومتطورة. وذلك بأن تتحرر من الانشغال بالفروع والجزئيات على حساب الأصول والكليات، ومن النظر إلى المختلف فيه على حساب المتفق عليه... إلخ". وأقول: إن هذه الملاحظات كلها يردها ويحجب عنها واقع المملكة ووضعها العلمي والاجتماعي والثقافي ووجهها الحضاري المشرق، حيث إن المنهج السلفي لم يكن عائقا في طريق ازدهارها وتطورها وتخريج جامعاتها فقهاء يجمعون بين الأصالة والمعاصرة.

ويقول الدكتور القرضاوي: "وقد ظلمت السلفية من أنصارها ومن خصومها على السواء، أما من أنصارها—أو من يعده الناس أو يعدون أنفسهم أنصارها أو أكثر منهم—فقد حصروها أو كادوا في شكليات وجدليات حول مسائل علم الكلام أو مسائل في علم الفقه أو أخرى في التصوف وعاشوا نهارهم، وباتوا ليلهم ينصبون المجانيق ويقذفون بالمقاليع لمن يخالفهم في أي مسألة من هذه المسائل أو جزئية من هذه الجزئيات، حتى ظن بعض الناس أن منهج السلف هو منهج المراء والجدل، لا منهج البناء والعمل، وإن السلفية تعني الاهتمام بالجزئيات على حساب الكليات، وبالمختلف فيه على المتفق عليه، وبالشكل والصورة على حساب الجوهر والروح"^(١).

(١) أولويات العمل الإسلامي / ١٠٤ .

لكن هذه الانتقادات وغيرها موجهة إلى تصرفات بعض من يدعي الانتماء إلى السلفية، وليس إلى المنهج السلفي نفسه؛ لأن المنهج السلفي منهج شرعي لا يختلف فيه اثنان.

وهاهي أبرز سمات المنهج السلفي في خطابه الديني المعاصر:

- دعوة الناس إلى دين الله الخالص، والتركيز على الكليات الأساسية، ورفض كافة أنواع البدع والأضاليل.

■ الإيمان بالله الواحد الأحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

■ الإيمان بالرسالة الخاتمة وكافة الرسالات التي سبقتها.

■ والإيمان باليوم الآخر، وما يتبع ذلك من حشر ونشر وجنة ونار.

■ والالتزام بالإيمان المجمل والمفصل المشروح في حديث جبريل -

عليه السلام - وغيره.

- جعل الشريعة أساساً للحكم، فتطبيق أحكام الشريعة أمر لازم، وجزء أساسي للمنهج السلفي.

- دعوة المسلمين إلى توحيد الصف، وترك الاختلاف والتشتت، والتعاون على البر والتقوى.

- نشر علوم الكتاب والسنة بين الناس، والتأكيد على منهج سلف الأمة في فهم النصوص والتوفيق بين الأدلة المتعارضة.

- احترام أئمة الإسلام الأعلام، وعدم الإساءة إلى أحد من أئمة الفقه أو الحديث، واعتبار الاختلاف في الفهم والتوفيق بين النصوص أمراً طبيعياً لا يفسد للود قضية.

- فتح باب الحوار مع كافة الأمم والشعوب ، ومع جميع أهل الديانات والملة ، بهدف تعريفهم بتعاليم الإسلام ، وإيجاد مناخ آمن للتعايش ، بدل اللجوء إلى الحروب والمنازعات.

- التعامل مع غير المسلمين على أسس شرعية واضحة في التعامل مع أهل الكتاب وغيرهم من أهل الذمة في حفظ الأموال والأعراض والأرواح ، شريطة التزامهم بالعهد وعدم خروجهم على النظام القائم.

- عدم إخضاع الناس للفهم الضيق للدين ، وعدم إشغالهم بالقضايا الخلافية الجزئية في مسائل الفقه أو العقيدة ، والاكتفاء بالإيضاح لما هو الراجح والصواب.

- فتح باب الاجتهاد لأهله وإغلاقه على غير أهله في حل القضايا المستجدة وفق الأصول المعروفة والضوابط المحددة لدى أهل العلم ، واللجوء إلى الاجتهاد الجماعي في القضايا المستجدة والشائكة.

- ضرورة التأهيل الشرعي للراغبين في القضايا والإفتاء وضبط وحصر الفتاوى على أهل الكفاءة.

لقد كان خادم الحرمين الشريفين قائدا عظيما ورائدا حقيقيا -و الرائد لا يكذب أهله- في التعبير عن المنهج السلفي المواكب للعصر من خلال مبادراته الموفقة.

فمشروع الحوار الوطني يساهم في تحقيق الوحدة الوطنية ، ويقوى الانسجام الاجتماعي ، ويعطي الفرصة لكل مواطن في بناء الأمة ، والنهوض

بالرسالة ، وتنمية البلد بروح الإخاء والشراكة ، ولو على اختلاف في الفكر ، أو تباعد في الفقه.

أما مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار مع كافة أهل الملل والديانات فقد كان له صدى واسع على مستوى العالم ؛ لأنها مبادرة لها تأثير مباشر في تغيير سلوك الناس ، وإيجاد مناخ آمن للتعايش بين الشعوب والأمم.

إن إنقاذ الأمة من مسلسل الفتن والكوارث لا يمكن إلا بالقضاء على ظاهرة الاشتباكات والحروب ، والتعامل مع كافة الشعوب بروح التعاون على البر والتقوى ، ومكافحة الإثم والعدوان.

إن مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار وجدت أذانا صاغية في أوروبا وفي أمريكا وفي كافة أنحاء المعمورة ، حتى أصبحت ثقافة الحوار بديلة عن ثقافة إنكار الآخر والهجوم والتخاصم.

لقد قام المسلمون في الماضي ببناء الحضارة الإسلامية ، وهي كانت حضارة إنسانية في واقع الأمر ؛ لأن الإسلام دين الإنسانية جمعاء.

فقد برز بين المسلمين علماء الطب ورواد علوم الفلك والكيمياء والعلوم التجريبية الأخرى ، ونبع الكثير من العلماء في شتى المجالات ، وهم كانوا طليعة الاكتشافات العلمية الحديثة بعد الانقلاب الذي حدث في أذهان الناس منذ نزول القرآن الكريم ومجيء النبي - ﷺ - فاتحا لأبواب العلم والمعرفة ، ومنقذا للإنسانية من الأوهام حول الشمس والقمر والنجوم والمجرات السماوية ، ومرشدا وموجها إلى أن السماوات والأرض والنجوم كلها مسخرة لخدمة الإنسان وهي مجرد آيات لله - سبحانه - ، وخاضعة لأوامره ، لا تملك ضرا ولا نفعا.

إن الحضارة التي أقامها المسلمون في الأندلس ، وقبلها في مكة والمدينة المنورة ودمشق والقاهرة وبغداد يعرفها أهل الغرب جيدا ، ولم تقم الحضارة الغربية المعاصرة إلا على أساس حضارة المسلمين في الأندلس ، وما كانت أوروبا إلا عالة على موائد المسلمين العلمية في الجامعات العربية الإسلامية الرائدة في قرطبة وغرناطة وطليطلة وغيرها.

فكل من كتاب "حضارة العرب" للمستشرق الفرنسي غوستاف لوبون ، وكتاب "شمس العرب تسطع على الغرب" للمستشركة الألمانية زغريد هونكه ، يلقيان الضوء على ما لعلماء العرب من فضل فيما حققه الغرب من تطور في ميادين العلم وفي بناء الحضارة ، وتشيد العمران واختراع الأجهزة والآلات.

وإن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حينما أقدم على إنشاء جامعة الملك عبد الله العالمية ، لم يرد إلا استعادة مجد المسلمين الغابر ، وإحياء الدور الريادي للمسلمين في مجال العلم والمعرفة كما كان في زمن السلف وفي عصر ازدهار العلم والثقافة في فجر الإسلام وضحاها.

وإن هذه الخطوة ليست إلا محاولة لاستعادة مجد المسلمين الغابر في مجال البحث العلمي والاكتشافات العلمية والتقنية الحديثة ، ولتحقيق ما كان عليه السلف الأقدمون من الانفتاح على الثقافات الأخرى ، مع المحافظة على العقيدة الصحيحة ، ورفض المعتقدات الدخيلة التي نتجت عن ترجمة الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية من غير اختيار وانتقاء ، وتسببت في انتعاش الدعوات المنحرفة ، مثل الجهمية والقدرية والمعتزلة وغيرها ، وأدخلت مجموعة كبيرة من المسلمين في دوامة المراء والجدل وبأسلوب سفسطي عقيم.

إن الدعوة إلى تغيير الخطاب الديني بمعنى إحداث تغيير في تعاليم الإسلام؛ لتكون مقبولة لدى الغرب، دعوة مرفوضة؛ لأن تعاليم الدين الحنيف سواء كانت تتعلق بالعقيدة أو العبادة أو الأخلاق والمعاملات هي منصوص عليها في الكتاب والسنة، ولا أحد يملك سلطة التغيير فيها أو تبديل مفاهيمها، فهي غير قابلة للتغيير أو التبديل (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)^(١)، نعم! هناك مجال للتغيير والتطوير بشكل دائم ومتواصل، ألا وهو مجال عرض تعاليم الدين الإسلامي الحنيف بأسلوب مؤثر وشيق، وبلغة العصر وبالأدلة المفهومة لدى المخاطبين، وبكافة الوسائل المتاحة في كل عصر ومصر.

يقول الله - ﷻ - : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن)^(٢).

وهذه الآية ترسم الإطار العام للخطاب الديني المعاصر بأنه ينبغي أن يكون مواكبا للعصر، وأن يتم إعداده بأسلوب حكيم، وبلغة مؤثرة، ويكون فيه إيضاح للشبهات التي يثيرها أهل الأهواء، وأن تكون لغة العرض جاذبة لا طاردة، وجالبة لا منفرة، قائمة على الأدلة المقنعة، ومصحوبة بالرفق واللين.

يقول المصطفى - ﷺ - : "إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين"، ويقول: "بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا"، ويقول علي - ﷺ - :

(١) فصلت : ٤٢ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

"حدثوا الناس بما يعرفون، و دعوا ما لا يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله".

فلا مجال للمساس بثوابت الدين، ولا حظر على استخدام الأساليب الجديدة، والوسائل المستحدثة في عرض تعاليم الدين الإسلامي الحنيف أمام الإنسانية جمعاء لتفهمها، وتهتدي إليها، فإننا مطالبون دوماً بمسايرة العصر في اتخاذ الأسباب والوسائل.

إن دعوة "عصرنة" الإسلام أو "عقلنة" الدين بهدف إسقاط بعض ما علم من الدين بالضرورة، أو التخلص من بعض التكاليف الشرعية لا يمكن أن تكون مقبولة لدى من يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد - ﷺ - رسولا؛ لأنها دعوة باطلة.

لكن دعوة تطوير الخطاب الديني وفق مقتضيات العصر مقبولة، بل مطلوبة إذا لم تمس جوهر الدين ونصوص شرع الله المبين، وذلك بهدف الإيضاح لما قد تكفه الغموض لدى بعض العقول، حيث إن مراعاة الظروف والأوضاع من صميم تعاليم الإسلام، ومن القواعد المعروفة لدى الفقهاء أن الفتوى تتغير باختلاف الأمكنة والأزمنة والأشخاص والأحوال.

فالمنهج السلفي هو المنهج القائم على الكتاب والسنة مع الفهم الصحيح للدين الحنيف، والسلفية الحقيقية منهج شرعي ومطلب وطني، نشأت عليها المملكة وترعرعت، وحققت ازدهارا في كافة مجالات الحياة، وإن الخطاب الديني المعاصر ليس يكون خارجا عن السلفية الصحيحة، بل هو نابع من مبادئها، مستنير بتعاليم الكتاب والسنة، ومحقق لآمال الأمة.

إن مبادرات خادَم الحرمين الشريفين - حفظه الله - منذ توليه مقاليد الحكم قد ربطت السلفية بتطورات العصر الحديث ، وإن خطواته جمعت بين الأصالة والمعاصرة ، ورسمت معالم الخطاب الديني المعاصر ؛ ليكون المنطلق لمبادئ السلفية الحقيقية ، ويكون الخطاب خطابا معاصرا ، فهو منهج شرعي ومطلب وطني ، وفيه عرض للدين بأسلوب مؤثر ، وحماية للشعب وإنقاذ للأمة .

والله من وراء القصد ، وبِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ ، ، ،

المراجع

١. الاتجاه السلفي بين الأصالة و المعاصرة راجح الكردي
٢. الإسلام بين الشرق و الغرب على عزت بيغوفتش
٣. حسام الحرمين أحمد رضا خان
٤. الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي.
٥. صيانة الإنسان من وساوس الشيخ زيني دحلان الشيخ بشير السهسواني
٦. قواعد السلفية د. مصطفى حلمي.
٧. الملل و النحل عبد الكريم الشهرستاني
٨. مجموعة الفتاوى الإمام ابن تيمية
٩. نزهة الخواطر الشيخ عبدالحى الحسني



بحوث المحور الخامس

السلفية



الدولة السعودية، والمنهج السلفي نشأة وتطبيقا

إعداد

أ.د. محمد بن سعد الشويعر

الشيعة

العناصر:

الأول : نشأة الدولة السعودية.

الثاني : صلة الدولة السعودية بالمنهج السلفي.

الثالث : تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي.

الرابع : حقيقة دعوة الشيخ : محمد بن عبد الوهاب ، و صلتها بالدولة
السعودية

الخامس : أثر المنهج السلفي في الانتماء الوطني.

التمهيد:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، و بعد:

فإن الجزيرة العربية يسميها بعضهم أرض الديانات، و أرض القداسات، ذلك أن مما ورد في القرآن الكريم، و ما روي عن الديانات التي جاء بها المشهورون من أنبياء الله، بأنهم كانوا في الجزيرة العربية، كنبى الله (هود)، و قومه بأرض مدين، منطقة البدع قرب تبوك، و خاتم الأنبياء محمد عليه و على أنبياء الله و رسله أفضل الصلاة و التسليم: بمكة المكرمة و هاجر إلى المدينة المنورة، و غيرهم ممن قال الله فيهم لنبيينا الكريم: (و لقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم قصصنا عليك و منهم من لم نقصص عليك) (١).

و يدخل في أرض الجزيرة العربية: بلاد الشام و فلسطين و ما فيها من أنبياء، و جميع أنبياء الله رسالاتهم، و ما جاءوا به من عند الله من تشريعات هو قاعدة السلفية: بإخلاص العبادة لله جل و علا، ولا يقبل سبحانه من الجن و الإنس دينا غيره، كما قال جل و علا: (و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون و ما أريد منهم من رزق و ما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (١).

و قد تفضل سبحانه على هذه البقعة من الأرض، بأن جعل فيها بيته المحرم، الذي هو أول بيت عظمه الله و أمر بتعظيمه، و حماه سبحانه ممن يريد

(١) سورة الذاريات، الآيات ٥٦ - ٥٨ .

به شرا: (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه
آيات بينات مقام إبراهيم و من دخله كان آمنا) (١).

فكان بعضهم يسميها أرض القدا سات ، من حيث فيها المساجد الثلاثة ،
التي لا تشد الرحال إلا إليها : المسجد الحرام بمكة المكرمة ، و مسجد رسول
الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة المنورة ، و المسجد الأقصى ببيت المقدس .
و لفضل مسجد قباء الذي بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أول ما
وصل المدينة المنورة ، بدلالة هذه الآية الكريمة : (مسجد أسس على التقوى
من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا و الله يحب
المطهرين) (٢).

و هذا المسجد الذي هو مسجد قباء لما نزلت هذه الآية ، قال ابن عباس
رضي الله عنهما : لما نزلت هذه الآية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
إلى عويم بن ساعدة ، قال : (ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم ؟ فقالوا :
يا رسول الله ما خرج منا رجل و لا امرأة من الغائط ، إلا غسل فرجه ، أو
قال : مقعدته ، فقال صلى الله عليه وسلم : " هو هذا " . أخرجه الطبراني ، و
أبو الشيخ و الحاكم ، و ابن مردويه ، و يرى كثير من المحققين ، أن مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بني قبله حيث يرى السيوطي : أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، سئل عن ذلك فأفاد بأن المسجد الذي بني على
التقوى هو مسجده (٣).

١ (سورة آل عمران ، الآية ٩٦ ، ٩٧ .

٢ (سورة التوبة ، الآية ١٠٨ .

٣ (ينظر تفسير الدرر المنثور للسيوطي ، ج ٤ : ٢٨٩ ، و فيه روايات أخرى .

و لما جاء وفد بني عبد القيس في السنة الرابعة من الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم مسلمين ، كان كبيرهم الجارود ، و ديارهم هي الأحساء حاليا و كان اسمها هجر ، أو البحرين.

و أمرهم صلى الله عليه و سلم ، بأربع و نهاهم عن أربع ، و قد قال :
لأشبح بني عبد القيس : إن فيك خصلتين يجبهما الله : الحلم و الأناة.
و لما كان من الخصال الأربع التي أمرهم الرسول صلى الله عليه و سلم بها : الصلاة... فإنهم لما عادوا لبلادهم بنوا في بلدة (جواثا) مسجدا و اعتبره المؤرخون ثالث مسجد في الجزيرة بعد مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و مسجد قباء (١).

و ما من نبي إلا زار مكة المكرمة ليحج و يصلي في بيت الله الحرام و يؤدي فريضة الله في أقدس مكان على وجه الأرض ، حيث تضاعف الحسنات ، و جاء في الحديث الشريف ، الصحيح ، هذا القول الكريم : (إن الدين ليأزر إلى الحجاز ، كما تأزر الحية إلى جحرها) (٢).

و المدينة المنورة ، و مكة المكرمة التي أوجب الله على كل مسلم و مسلمة ، حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، ترنو الأفئدة إليهما ، و تتشوق النفوس ، إلى شد الرحال لهذه الديار ، التي يرتبط ذكرها و أسمها بعقيدة

(١) ينظر تاريخ ابن كثير ، في خبر وفادة بني عبد القيس و إسلامهم ، و عند ابن هشام في السيرة النبوية ، و غيرهما ، أعني البناء في الإسلام لهذه المساجد .

(٢) من حديث رواه الترمذي ، في الايمان رقم (٢٤٣٢) عن عمرو بن عوف رضي الله عنه و قال :
حديث حسن :

المسلم، و ما يجد كل مسلم في كتاب الله جل و علا، و سنة رسوله الكريم صلى الله عليه و سلم من دافع ديني يجعل قلبه يشرب إليهما.

و في آخر حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم، كان يقول: (لقد أيس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب) بمعنى لا يتخذ إلهها من دون الله، أو لا تعاد الأصنام كما كانت في الجاهلية، أو غير ذلك مما يتعلق بإشراك الله في العبادة، و تحقيق التوحيد.

جئت بهذا المدخل، لأن هذه البيئة تربة خصبة للدعوة السلفية، إذ منها خرج صحابة رسول الله، و عنهم تلقى الناس سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأمانة و صدق، فكانوا رضوان الله عليهم، مشعل هداية للتعليم و التبليغ.

أولاً: نشأت الدولة:

- فالدولة السعودية: والتي قامت مصاحبة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ هـ - ١٢٠٦ هـ) الموافق لعام (١٧٠٣ م - ١٧٩١ م) عندما تصافحت يدا الإمامين: محمد بن عبد الوهاب و محمد بن سعود (١٧٠٠ - ١١٧٩ هـ) الموافق لعام (١٧٠٠ - ١٧٦٥ م) رحمهما الله، في الدرعية عام (١١٥٧ هـ - ١٧٤٤ م) كانا يهدفان التعاون في حركة دينية تصحيحية لإنقاذ الأمة مما وقعت فيه، من التساهل في شعائر دين الله الحق، سواء كان هذا في العقيدة، أو العبادات، و رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) (١)، فاختص الله سبحانه بهذا الفضل، الشيخين الإمامين في زمانهما: محمد ابن سعود، و محمد بن عبد الوهاب، مع غيرهما من المخلصين المجددين في كل مكان.

و التجديد المعني في الحديث خصصه العلماء: بأن تكون قاعدته دعوة سلفية مبنية على القرآن و السنة الصحيحة.

و يحدد المؤرخ عثمان بن بشر بداية نشأة الدولة، و عن حال الدرعية وقت قدوم الشيخ فقال: فلما وصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إلى بلد الدرعية قادما من العيينة نزل عند عبد الله بن عبد الرحمن بن سويلم، و ابن عمه حمد بن سويلم، فضاقت دار ابن سويلم عليه، خوفا على نفسه من

(١) رواه أبو داود عن أبي هريرة، ينظر جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، ج ١١ : ٣١٩ - ٣٢٥، وفيه شرح وافي

محمد بن سعود، فوعظه الشيخ و سكن جأشه و قال : سيجعل الله لنا و لكم فرجا و مخرجا ، فعلم به خصائص من أهل الدرعية ، فزاروه خفية فقرر لهم التوحيد ، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود و يشيروا عليه بنزوله عنده و نصرته فهابوه ، و أتوا إلى زوجته موضي بنت أبو وطبان ، و أخيه ثنيان الضير ، و كانت هذه المرأة ذات عقل و دين و معرفة ، فأخبروهما بمكان الشيخ و صفة ما يدعو إليه و ينهى عنه ، فوقر في قلبهما التوحيد ، و قذف الله في قلوبهم محبة الشيخ.

فلما دخل محمد بن سعود على زوجته أخبرته بمكان الشيخ ، و قالت له : إن هذه الرجل ساقه إليك ، و هو غنيمة ، فاغتنم ما خصك الله به ، فقبل قولها.

ثم دخل عليه أخوه ثنيان ، و أخوه مشاري ، و أشاروا عليه بمساعدته و نصرته ، فقذف الله في قلب محمد محبة الشيخ ، و محبة ما دعا إليه ، فأراد أن يرسل إليه ، فقالوا : لو تسير إليه برجلك ، و تظهر تعظيمه و توقيره ، ليسلم من أذى الناس ، و يعلمون أنه عندك مكرم ، فسار إليه محمد بن سعود ، و دخل عليه في بيت ابن سويلم فرحب به ، و قال : أبشر ببلاد خير من بلادك ، و بالعز و المنعة.

فقال الشيخ له : و أنا أبشرك بالعز و التمكين ، و النصر المبين ، و هذه كلمة (التوحيد) التي دعت إليهما الرسل كلهم ، فمن تمسك بها ، و عمل بها و نصرها ، ملك بها البلاد و العباد.

و أنت ترى نجدا كلها و أقطارها أطبقت على الشرك ، و الجهل و الفرقة ،
و الاختلاف و القتال لبعضهم بعضا ، فأرجو أن تكون إماما ، يجتمع عليه
المسلمون و ذريتك من بعدك .

و جعل يشرح له الإسلام و شرائعه ، و ما يحل و ما يحرم ، و ما عليه النبي
صلى الله عليه و سلم ، و أصحابه من الدعوة إلى (التوحيد) و هو أفراد الله
سبحانه بالعبادة ، و القيام في نصرته التوحيد و القتال عليه .

فلما شرح الله صدر محمد بن سعود لذلك ، و تقرر عنده طلب من الشيخ
المبايعة على ذلك ، فبايع الشيخ على ذلك ، و أن الدم بالدم ، و الهدم بالهدم
— مثلما بايع رسول الله صلى الله عليه و سلم ، الأنصار لما استجابوا له و
نصرته ، أخذها أسوة حسنة ، و على أن الشيخ لا يرغب عنه إن أظهره الله .

إلا أن محمد بن سعود : شرط على الشيخ في مبايعته ، أن لا يتعرض فيه فيما
يأخذه من أهل الدرعية ، مثل الذي كان يأخذه رؤساء البلدان على رعاياهم ،
فأجابه الشيخ على ذلك : رجاء أن يخلف الله عليه من الغنيمة ، أكثر من ذلك
فيتركه رغبة فيما عند الله سبحانه .

فكان الأمر كذلك ، و وسع الله عليهم في أسرع ما يكون ، و كان في السنة
السابعة و الخمسين بعد المائة و الألف هجرية و هاجر إلى الشيخ أصحابه ،
الذين بايعوه في العيينة ، منهم من هو من رؤساء المعامرة ، المعاكسين لعثمان
بن معمر ، فتزايد المهاجرون إليه من كل بلد لما علموا استقراره ، و أنه في دار
منعه .

فلما علم عثمان بن معمر أمير العيينة ، أن محمد بن سعود أوى الشيخ و
نصره و بايعه على دين الإسلام و نصرته و الذب عنه ، و أن الدرعية صارت

دار هجرة، لمن شرح الله صدره لذلك، و بعضهم قد أؤذي في بلده، و أن الشيخ في زيادة من أصحابه.

ندم عثمان على ما فعل من إخراجهم، فركب في عدة رجال من كبراء أهل بلده فقدم على الشيخ في الدرعية، و طلب منه الرجوع معه، و ينصره و يؤويه، فقال الشيخ: ليس هذا إلى اليوم، و إنما هو إلى محمد بن سعود. فأتى عثمان، محمد بن سعود فأبى عليه، و قال: ليس إلى ما أردت من سبيل (١).

و رغم أن الدكتور منير العجلاني شكك في رواية ابن بشر، في وصفه الدقيق (٢)، إلا أن دقة ابن بشر (١٢١٠ هـ - ١٢٩٠ هـ / ١٧٩٥ م - ١٨٧٢ م) في نقله الحدث كما هو و باختصار تنفي تشكيك الدكتور العجلاني في وقائع الرواية، إذ أن ابن بشر في سنوات عمره، قريب من الأحداث و ينقل عن معاصرين لها بأمانة، و لو لم يورد ابن بشر روايته لما عرف بالتفصيل عن لقاءه، ب محمد بن سعود، و وقائع الأحداث و ما مر بالشيخ و غيره من المصلحين، إذ لا تخضع هذه الحالة للمقاييس الخاصة، لأن في الواقع ما لا يخطر بالبال، لإنسان بعيد عن الحدث و زمان يختلف عن زمانه. و لذلك نرى الدكتور العجلاني، يتردد عند تسمية دعوة الشيخ بـ (الوهابية) و حاول أن يجد لها تعليلاً غير مقنع.

-
- (١) عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر، ط٤، عام ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، منشورات دار الملك عبدالعزيز رقم (٢٧) ج١: ٤١ - ٤٣.
- (٢) تاريخ البلاد العربية السعودية للعجلاني، الجزء الأول الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، ص ٨٧ - ٩٤.

و لو رجع لفتاوى الأندلس ، أيام عز الإسلام و دولته ككتاب : المعيار
المغرب في فتاوى أهل المغرب ، لأحمد الونشريسي ، المتوفى بفارس عام ٩١٤
هـ و غيره لوجدنا هناك : فرقة خارجية أباضية اسمها (الوهابية) نسبة إلى
صاحبها و مؤسسها ، و صاحب معتقداتها : عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن
رستم ، أحد زعماء الأباضية في المغرب المتوفى عام (٢١١ هـ - ٨٢٦ م) أي
قبل وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذي مات عام ١٢٠٦ هـ ، بما يقرب
من ألف عام بينهما.

و ابن رستم هذا قد كفره علماء الأندلس ، و علماء الشمال الأفريقي ،
لأنه عطل الشرائع الإسلامية ، و من ذلك الحج .

أما الشيخ : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، فهو سلفي على منهج أهل
السنة و الجماعة في العقيدة ، و في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ،
أحد المذاهب الأربعة ، المعتبرة عند أهل السنة و الجماعة (السلفيون) الذين
يسيرون في أعمالهم و عباداتهم وفق كتاب الله عز و جل ، و سنة رسول الله
صلى الله عليه و سلم ، كما هي وصيته صلى الله عليه و سلم ، عندما خطب
في أصحابه في آخر أيامه ، فقالوا : يا رسول الله كأنها خطبة مودع ، فأوصنا ؟
قال : (تركت فيكم أمرين لن تظلموا ما تمسكتم بهما : كتاب الله و سنتي)
متفق عليه^١.

١ - أخرجه مالك في الموطأ كتاب القدر رقم (٣) و الحاكم في المستدرک بسند قوي : ٩٣/١

و لو رجع الدكتور العجلاني لكتب المغاربة و تاريخهم لوجد الإفادة الصحيحة عن الوهابية (١).

و التعليل الحقيقي لتسمية هذه الدعوة بـ (الوهابية) أن المبتكر لها : هم رجال الغرب ، السياسيون في ديار المسلمين ، الحريصون على التفريق بين المسلمين ، حتى تثبت مطامعهم الاستعمارية ، فأخذها عنهم أهل الأهواء و الغايات ، لخدمة غاياتهم ، و نشروا هذا النعت ، و ألبسوه أكاذيب كثيرة ، نفاها الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن نفسه بقوله : سبحانك هذا بهتان عظيم ، كما جاء في فتاواه و رسائله التي جمعتها جامعة الإمام ، و خرجت في عدة مجلدات.

و في هذا فإن أمكن تعليل قرأته جاء عند الشيخ عبد الله البسام ، في كتابه : علماء نجد خلال ثمانية قرون ، في ترجمة الشيخ : أحمد بن عيسى حيث قال : و حدثني الشيخ الوجيه الأفندي : محمد حسين نصيف - رحمه الله - قال لي : كان الشيخ أحمد يشتري الأقمشة من الشيخ : عبد القادر بن مصطفى التلمساني ، أحد تجار جدة ، بمبلغ ألف جنيه ذهباً ، فيدفع له (٤٠٠) و يقسط عليه الباقي ، و آخر قسط يحل يستلمه الشيخ التلمساني ، إذا جاء إلى مكة للحج من كل عام ، لأن الشيخ أحمد صاحب دكان لبيع الأقمشة في مكة . ثم يتدثون من أول العام بعقد جديد ، و دام التعامل بينهما زمناً طويلاً ، و كان الشيخ أحمد بن عيسى ، يأتي بالأقساط في مواعدها المحدد لا يختلف ، و

(١) ينظر في هذا كتابنا تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية المترجم إلى (١٥) لغة ، و قد طبع عدة طبعات في المغرب ، و مصر و المملكة و الكويت و الإمارات .

لا يماطل في أداء الحق ، فقال له الشيخ عبد القادر : إني عاملت الناس أكثر من أربعين عاما ، فما وجدت أحسن من التعامل معك - يا وهابي - فيظهر أن ما يشاع عنكم يا أهل نجد ، مبالغ فيه من خصومكم السياسيين.

فسأله الشيخ أحمد أن يبين له هذه الشائعات ، فقال : إنهم يقولون : إنكم لا تصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ، و لا تحبونه فأجابه الشيخ أحمد بقوله : سبحانه هذا بهتان عظيم إن عقيدتنا و مذهبنا أن من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ، في التشهد الأخير ، فصلاته باطلة ، و من لا يحبه فهو كافر ، و إنما الذي ننكره نحن - أهل نجد - هو الغلو الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، كما ننكر الاستعانة و الاستغاثة بالأموات ، و نصرف ذلك لله وحده.

و الشيخ عبد القادر التلمساني ، متخرج من كلية أصول الدين بالأزهر ، و قد استمر النقاش بين الشيخ أحمد بن عيسى و الشيخ التلمساني ، في توحيد العبادة ثلاثة أيام ، كما قال التلمساني ، حتى شرح الله صدري للعقيدة السلفية ، و أما توحيد الأسماء و الصفات الذي قرأته في الجامع الأزهر ، فهو عقيدة الأشاعرة ، و كتب الكلام مثل : السنوسية ، و أم البراهين ، و شرح الجوهرة و غيرها.

فلهذا دام النقاش فيه بيني و بين الشيخ أحمد بن عيسى خمسة عشر يوما ، بعدها اعتنقت مذهب السلف ، و صرت أخذ التوحيد من منابعه الأصلية : الكتاب و السنة ، و أتباعها من كتب السلف ، فعلمت أن مذهب السلف ، أسلم و أعلم و أحكم ، بفضل الله تعالى ، ثم بحكمة و علم الشيخ

أحمد بن عيسى ، فصار التلمساني يطبع كتب السلف ، و أصبح من دعاة العقيدة السلفية (١).

ثم بدأ ابن بشر في الحديث عن حالة أهل الدرعية بعدما تكاثر عددهم ، مع شدة المثونة ، فكانوا يحترفون في الليل و يأخذون الأجرة ، لمعاشهم ، و في النهار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث و المذاكرة ، إلى أن أتاه الله بالرزق الواسع بعد الشدة و الامتحان.

و استمر في ذكر أحوال الشيخ محمد مع تلاميذه و أسلوبه في التعليم ، و كفاءة التلاميذ ، و اتساع الدولة بعد ذلك ، و وصفه لحالتي البيع و الشراء ، و موارد الدولة ، و فهمه حقيقة السلفية ، التي علمها لتلاميذه^٢.

و كان حكام الدولة السعودية ، في عصرها الأول من عام (١١٥٧ هـ -

١٢٣٣ هـ) الذين اعتلوا سدة الحكم ، أربعة و هم :

١ - الإمام محمد بن سعود ، الذي قامت الدولة سلفية العقيدة ، و أقامها

بعد تعاوده مع الإمام محمد بن عبد الوهاب في عام (١١٥٧ هـ -

١٧٤٤ م) ، على الدعوة السلفية ، و تصحيح العقيدة من كل ما

يناقض حقيقة التوحيد ، و قد توفي في عام (١١٧٩ هـ - ١٧٦٥ م)

و قام بالأمر بعده ، ولي عهده كما ذكر ابن بشر و مدة حكمه بعد

العهد فيما بينه و بين الإمام محمد بن عبد الوهاب ، في التقائهما عام

(١) ينظر علماء نجد خلال ثمانية قرون لعبدا لله البسام ، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ ، دار العاصمة

الرياض ج ٤ : ٤٣٨ - ٤٤٠ .

(٢) يراجع عنوان المجد لابن بشر ، ج ١ : ٤٤ - ١٦٨ ، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز

بالرياض رقم (٢٧) الطبعة الرابعة ، ج ١ ، عام (١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م) .

(١١٥٧ هـ) بنشر الدعوة الصحيحة لدين الله ، و تنقيته من الشوائب و البدع ، التي قامت عليها الدولة السعودية ، فكانت مدة ولايته (٢٢) اثنان و عشرون عاما.

٢- الإمام عبد العزيز بن محمد تولى بعد وفاة والده ، و قد قتل في صلاة العصر ، و هو ساجد عام (١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م) و كانت ولادته عام (١١٣٣ هـ - ١٧٢٠ م) و عمره حين قتل ٨٥ عاما ، ليصبح حكمه (٣٩) عاما ، انتشر في عهده الأمن و اتسعت الدولة ، و ازدهر فيها العلم و المال ، و قد أثنى المؤرخ ابن بشر ، على الإمام عبد العزيز بن محمد و علمه و عدله ، و محبته للأعمال الخيرية ، و مواعظه التي يرسلها للأفاق ، و حثه على الكتاب و السنة.

٣- الإمام سعود بن عبد العزيز تولى بعد مقتل والده في عام (١٢١٨ هـ - ١٨٠٣ م) و كانت ولادته بالدرعية عام (١١٦٥ هـ - ١٧٥١ م) و قد توفي عام (١٢٢٩ هـ - ١٨١٣ م) قال عنه ابن بشر في تاريخه إن أول ما قام به ، بعث نصيحة لرعاياه ، يأمرهم بالتمسك بالكتاب و السنة ، و كان عالما بليغا ينصح الأمة بالاجتماع ، و بالأخذ بمذهب السلف الصالح : بمكارم الأخلاق ، و التحذير من الفواحش ، و التعريف بالتوحيد ، و مدة حكمه (١١) أحد عشر عاما ، و كانت مجالسه عامرة بالذكر ، و دروسه في التفسير و الحديث.

٤- الإمام عبد الله بن سعود ، بويع بعد وفاة والده ، إذ في ٢٩ من شهر رجب عام (١٢٢٩ هـ - ١٨١٣ م) كسفت الشمس ، وقت

الضحى كسوفاً لم يعهد، و انطمست بالكلية و أظلمت الأرض، و طلعت النجوم كما قال ابن بشر، لكن عساكر محمد علي بدأت تتوافد، بعدها جاء إبراهيم باشا، الذي أنهى الدور الأول من الدولة السعودية، بحملة الإمام عبد الله، و مجموعة آل سعود، و رجال دولته في عام (١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م) إلى القاهرة ثم لعاصمة الدولة العثمانية في تركيا و قتلوهم، كما قال المؤرخ المصري: عبد الرحمن الجبرتي في كتابه عجائب الآثار (١)، حيث اعتبره الباحثون نهاية الدور الأول.

لكن الدولة استعادت قوتها و نشاطها في الدور الثاني من عام ١٢٣٨ هـ، بظهور الإمام تركي بن عبد الله (.... - ١٢٤٩ هـ / - ١٨٣٣ م) و تلاه ابنه الإمام: فيصل (.... - ١٢٨٢ هـ / - ١٨٦٥ م) ثم حصلت فتنة تنازع السلطة بين ابنه: عبد الله و سعود، و انتهى الدور الثاني من أدوار الدولة السعودية، بتنازل الإمام عبد الرحمن بن فيصل (١٢٦٨ هـ - ١٣٤٦ هـ / ١٨٥٢ م - ١٩٢٨ م) و هو والد الملك عبد العزيز رحمهما الله، في عام ١٣١٠ هـ، و خروجه من الرياض.

أما الدور الثالث فقد استعاد به الملك عبد العزيز من يوم الخميس ٥ شوال عام (١٣١٩ هـ - الموافق يناير ١٩٠٢ م) الرياض، حيث وفقه الله و بعد

(١) ينظر كتاب عجائب الآثار للجبرتي آخر الجزء الرابع حوادث عام ١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م، ص ٣٢٣، المطبعة العامرة الشرفية بمصر و كان يسميه عبدالله بن مسعود و قال: وصلت الأخبار عن عبدالله بن مسعود أنه لما وصل إلى إسلامبول طافوا به البلدة و قتلوه عند باب همايون و قتلوا أتباعه أيضا في نواحي متفرقة فذهبوا شهداء.

مشوار طويل بذل فيه هو و رجاله ، فترة من العمر ، مع الجهد و الصبر ، حتى اكتملت الدولة : بناء و تأسيسا بأطرافها المترامية ، و تنظيمها و بحدودها : غربا البحر الأحمر ، و شرقا الخليج العربي و العراق و الكويت و قطر ، و دولة الإمارات المتحدة ، و جنوبا صحراء الربع الخالي و عمان و اليمن ، و شمالا : الأردن و العراق ، و لا يزال أبنائه يتوارثون العرش ، على منهج المؤسس الباني ، و على كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم ، في التشريع و العقيدة ، و على طريقة السلف في العقيدة .

و في عام ١٤١٩ هـ ، صار الاحتفاء بنعمة ، على الاستقرار و ثبات الدولة على شرع الله : كتاب الله و سنة رسوله ، و السلفية المستقاه منهما ، و ذلك بمرور مائة عام على مسيرة الملك عبد العزيز ، في لم الشمل ، و توحيد الأجزاء في وحدة دينية و وطنية ، حيث تتابع أبناء عبد العزيز : سيدا بعد سيد ، على النهج الذي تأسست عليه الدولة من أول عهدها عام ١١٥٧ هـ .

و عندما قامت : هيئة الأمم المتحدة ، كان للدولة السعودية دور في المشاركة فأرسل الملك عبد العزيز ، مندوبا يحمل دستور الدولة ضمن دساتير الأمم و هو نسخة من كتاب الله الكريم القرآن ، موضحا أن هذا هو دستورنا الذي نستمد منه التشريع و يعتبر هو الوحيد الذي قدم القرآن الكريم دستورا لبلاده بين دساتير الأمم ، معتدا بسلفيته ، احتراما لكتاب الله و سنة رسوله ، و اعتدادا بإتباعها في الشئون كلها ، لأن من اتبعهما بصدق و إخلاص ، و طبقهما في شئونه و أحكامه ، صار سلفيا .

ثانيا : صلة الدولة السعودية بالمنهج السلفي :

جاء في الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة ، الذي أصدرته :
الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، في عام (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) ومقرها
الرياض ، تعريف السلفية بما يلي :

الدعوة السلفية : رائدة الحركات الإصلاحية ، التي ظهرت إبان عهود
التخلف ، و الجمود الفكري في العالم الإسلامي ، تدعو إلى العودة ، بالعبقة
الإسلامية إلى أصولها الصافية .

و تلح على تنقية مفهوم التوحيد ، مما علق به من أنواع الشرك ، و يطلق
عليها بعضهم اسم (الوهابية) نسبة لمؤسسها محمد بن عبد الوهاب (١) .
و عندي : أن مؤسسها محمد بن عبد الوهاب ، و أنها سميت باسمه
اعتراض من أمور :

أولا : أن السلفية لم تكن حزبا ، و إنما هي منهجية علمية ، مستمدة من
الكتاب العزيز و السنة النبوية .

ثانيا : نسبة الاسم و التأسيس للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، خطأ شنيع
أريد به تشويه هذه الحركة التصحيحية ، خوفا على المصالح الاستعمارية و قبل
كل شيء ، لأنهم منذ يعود الإسلام على قاعدته الأساسية في نشر الإسلام ،
و العودة إلى الجهاد الذي شرعه الله وإحياء هذه الفريضة على يد الإمامين
محمد بن سعود و محمد بن عبد الوهاب ، و هذا فيه إشكال كبير لأصحاب
الديانات الأخرى ، و أهل البدع التي أحدثت في دين الله ، كما قال صلى الله

(١) الموسوعة الميسرة ص ٣٧٣ .

عليه و سلم: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد) ^١، حيث خاف الجميع على مصالحهم، و أن المسلمين سيلتئم شملهم و تقوى مكانتهم.

ثالثا: أن التسمية و نسبة التأسيس لمذهب الوهابية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، نسبة خاطئة، لأن عبد الوهاب، اسم والده فتصير التسمية منسوبة إلى غير أصلها، لأن اسمه محمد، و لم يقم بهذه والده.

رابعا: الوهابية موجودة في الشمال الأفريقي، من القرن الثاني الهجري، ورد عليها كثير من علماء الأندلس، قبل نكبة الأندلس و علماء المغرب، ردودا أيضا، و متيسرة الردود، و التكفير على هذه الفرقة من ذلك الزمان، و قبل ولادة الشيخ بما يقارب الألف عام، و هذا لم يحصل في التاريخ أبدا، ولا يعلم الغيب إلا الله، كما جاء في كتب المغاربة و فتاواهم السابقة لولادة الشيخ محمد رحمه الله.

خامسا: أن الوهابية الأصلية منسوبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، الخارجي الإباضي، الذي عطل شرائع الإسلام و منها الحج، و هو من أصل فارسي، كما جاء في كتب المغاربة عنه، يقول الفردبيل في كتابه الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي: إن أباضية المغرب الوهابية في تاهرت، هم الذين كانت دولتهم الرستميه في شمال أفريقيا، و كانوا أشد الفرق تعصبا، و إتباع عبد الوهاب بن رستم المتوفى عام ٢١١ هـ في نفوسه، و

سميت فرقة بالوهابية نسبة إليه ، لما أحدثه في المذهب من تغييرات و معتقدات^(١).

سادسا: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعتبر مجددا للإسلام ، على المنهج الذي جاء به محمد صلى الله عليه و سلم من عند ربه ، و كل المجدين في الإسلام الذين يأتون على رأس كل قرن ، ليجددوا لأمم الإسلام في أي مكان ، شرائع دينهم الإسلامي ، وفق حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و كان ابن رستم هذا يكره أهل السنة.

سابعا: أن الأوائل من المفكرين الغربيين ، المتهمين بهذا الانبعاث التجديدي ، لإصلاح عقائد المسلمين لم يسموها (وهابية) و هم كثيرون ، فكان بعضهم يسميها المحمدية ، أو الدين الجديد ، لكن بان للمستشرقين (المنصرين) الذين يخططون لبني جلدتهم أن هذه التسمية لا تخدم غرضهم ، ووجدوا بديلا ينطلي على بعض الناس ، و أن إلصاق (الوهابية) الرسمية الخارجية على هذه الدعوة الجديدة ، يحقق غرض الاستعمار ليجد من يعينه و يتكئ عليه من أصحاب الطرق و البدع و المصالح و المنافع الدنيوية ، فألبسوا هذا الثوب مع التمهيد بالدعاية و التشويه لهذه الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتحقيق مصالح: سياسية و مطامع مالية ، و أرضية و اسعة لأصحاب الأهداف و الغايات.

(١) يراجع كتاب الفردبيل ترجمة عبدالله بدوي ، الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ص ١٥٠ ، و قد توسع في حديثه عن هذه الفرقة الوهابية في ١٢ صفحة ، و أخبر أنهم يكرهون أهل السنة .

ثامنا : أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما أرسل مكاتيبه قدوة برسول الله صلى الله عليه وسلم للتعريف بدعوته و شرحها كان منها رسالة إلى الملك و سلطان المغرب الأقصى : سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، الذي قال كما جاء في تاريخ أفريقيا الشمالية الذي ترجمه محمد مزالي ، و البشير بن سلامة لما بلغته : أنا وهابي العقيدة ، مالكي المذهب (١) ، و هو لا يريد الوهابية الرستمية ، و إنما يريد إتباع منهج الشيخ محمد في الدعوة التي سموها بالوهابية ، و قد قال بمثل مقالته هذه كل من عمران بن رضون من علماء لنجه ، ببلاد فارس ، و الشيخ محمد تقي الدين الهلالي ، من المغرب الأقصى و غيرهم.

إن كان تابع أحمد متوهبا فأنا المقر بأنني وهابي

تاسعا : في عام (١٢٢٦ هـ - ١٨١١ م) قال مؤرخ المغرب الأقصى : أحمد الناصري : في هذا العام حج جماعة من المغاربة ، صحبة المولى إبراهيم بن السلطان سليمان سلطان المغرب ، الذي خلف والده السلطان : سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، فقال ابنه المولى إبراهيم و من معه : بعد مناظرتهم في مكة مع الإمام : سعود بن عبد العزيز ابن محمد : ما رأينا من ابن سعود ما يخالف ما عرفناه ، من صلاة و طهارة و صيام و نهى عن المنكر و تنقية الحرمين من الأثام.

(١) ينظر تاريخ أفريقيا الشمالية ، تأليف المؤرخ الفرنسي : شارلي جوليان ، ترجمة محمد مزالي و البشير بن سلامة ، ج ٢ : ٣١١ .

قال المؤلف الناصري : ثم قلت لهم : هل من شهد له و اتباعه المولى إبراهيم بن السلطان سليمان ، و من معه من العلماء و المفتي على الطريقة المتبعة في الركب النبوي ، الذي جرت العادة بخروجه من فاس ، على هيئة بديعة من الاحتفال ، و كانت الملوك تعتني به و تختار له أصناف الناس من العلماء و الأعيان و التجار و القاضي و شيخ الركب و غيره مما يضاهاى ركب مصر و الشام ، ثم قال الناصري : و أقول إن السلطان قد حدد خطبة تحث على التوحيد و محاربة البدع ^(١).

عاشرا : هذا الركب بعلمائه و وجهائه ، بعد مناقشتهم مع الإمام سعود بن عبد العزيز عام ١٢٢٦ هـ في الحج ، و علماء المغرب و قناعتهم ، و قولهم جميعا بعد جلسة النقاش الصريح : إن السلطان المولى سليمان كان يرى مثلما قال سعود ، و لأجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها عن حال متفجرة الوقت — يعني بهم رهبنة الصوفية — و حذر فيها من غلو العوام في ذلك ، و أغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين ، و حذر من الخروج عن السنة و التغالي في البدعة و بين آداب زيارة الأولياء ^(٢).

كما أن المولى سليمان قد حدد خطبة تحث على التوحيد ، و محاربة البدع ، و أمر بتوزيعها على مساجد الجمعة ، كما أمر بإغلاق زوايا الصوفية ^(٣).

(١) ينظر كتاب الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى ، للناصرى ، ٨ : ١٢٠ - ١٢٢ ، مع كلامه الطويل عن المناظرة و الانطباع عنها .

(٢) ينظر كتاب الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى للناصرى ، ٨ : ١٢١ - ١٢٣ .

(٣) المصدر السابق ، ٨ : ١٢٠ .

أحد عشر: كما يزيد الأمر تأكيد ما ذكر عبد الله البسام رحمه الله، في كتابه علماء نجد خلال ثمانية قرون بترجمة الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى و ما أخبره به الشيخ الوجيه محمد نصيف عالم الحجاز، الساكن جدة، قال حدثني الشيخ الوجيه محمد حسين نصيف رحمه الله، قال لي: كان الشيخ: أحمد بن عيسى يشتري الأقمشة من الشيخ: عبد القادر بن مصطفى التلمساني، أحد تجار جدة بمبلغ ألف جنيه ذهباً، لبيعها الشيخ أحمد في مكة، فيدفع له منها (٤٠٠) جنيه و يقسط الباقي، و آخر قسط يحل يستلمه الشيخ التلمساني إذا جاء إلى مكة للحج من كل عام.

ثم يتدثون من أول العام بعقد جديد، و دام التعامل بينهما زمناً طويلاً، و كان الشيخ أحمد يأتي بالأقساط في موعدها المحدد، لا يختلف عنه و لا يماطل في اداء الحق، فقال له الشيخ عبد القادر: إنني عاملت الناس أكثر من أربعين عاماً فما وجدت أحسن من التعامل معك - يا وهابي - فيظهر أن ما يشاع عنكم مبالغ فيه من خصومكم السياسيين، فسأله الشيخ أن يبين له هذه الشائعات، فقال: إنهم يقولون إنكم لا تصلون على النبي صلى الله عليه و سلم، و لا تحبونه، فأجابه الشيخ بقوله: سبحانك هذا بهتان عظيم، إن عقيدتنا و مذهبنا: أن من لم يصل على النبي صلى الله عليه و سلم، في الشهد الأخير فصلاته باطلة، و من لا يحبه فهو كافر، و إنما الذي ننكره نحن - أهل نجد - هو الغلو الذي نهى النبي صلى الله عليه و سلم عنه، كما ننكر الاستعانة و الاستغاثة بالأموات و نصرف ذلك لله وحده.

يقول الشيخ محمد نصيف عن الشيخ عبد القادر التلمساني: فاستمر النقاش بيني و بينه في توحيد العبادة ثلاثة أيام، حتى شرح الله صدري

للعقيدة السلفية، و أما توحيد الأسماء و الصفات الذي قرأته في الجامع الأزهر فهو عقيدة الأشاعة و كتب الكلام مثل: السنوسية، و أم البراهين، و شرح الجوهرة و غيرها، فلهذا دام النقاش بيني و بين الشيخ أحمد، خمسة عشر يوما، بعدها اعتنقت مذهب السلف و صرت أخذ التوحيد من منابعه الأصيلة: الكتاب و السنة، و اتباعهما من كتب السلف، فعلمت أن مذهب السلف أسلم و أحكم بفضل الله تعالى ثم بحكمة و علم الشيخ أحمد بن عيسى، ثم إن التلمساني أخذ يطبع كتب السلف في مصر و يوزعها حيث صار من دعاة السلفية و تأثر به كثيرون من أهل جدة و مكة قبل قدوم الملك عبد العزيز عن قناعة.

قال الشيخ محمد نصيف رحمه الله: فهداني الله إلى عقيدة السلف بواسطة الشيخ عبد القادر التلمساني فالحمد لله على توفيقه (١).

كما تأثر بالشيخ أحمد في مكة، أبو بكر خوقير، الذي أودى و سجن و كان يطبع الرسائل في العقيدة في الهند ثم يوزعها في مكتبته بمكة لأنه كتبني.

الملك عبد العزيز يبين الحقيقة:

منذ دخل الملك عبد العزيز - رحمه الله - مكة المكرمة عام ١٣٤٣ هـ، و هو مهتم بلقاء كبار الشخصيات و العلماء من العالم الإسلامي القادمين للحج، و له كلمات يلقيها في الجموع القادمة، لأداء شعيرة الحج، و فيها يبين ما علق بأذهان بعض المسلمين، من إشاعات مغرضة يقصد منها الإنقاص من

(١) تراجع ترجمة الشيخ ابن عيسى في كتاب علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبد الله البسام،

الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ، دار العاصمة الرياض، ٤ : ٤٣٦ .

دولة الملك عبد العزيز والعلماء معه فكان يرى نفى تلك الشائعات ، و تصحيح المفاهيم ، و أن مذهبهم سلفي يستمد تعاليمه من القرآن الكريم : كتاب الله و من سنة رسوله صلى الله عليه و سلم ، و ما فهمه الصحابة من سنة رسول الله التي نقلوها عنه لمن بعدهم.

فعن تسمية الدعوة التي قامت عليها الدولة سموها (وهايية) ، و أن دولته تعتق مذهباً وهايباً ، و أنه مذهب خاص ليعين الخطأ الذي وراءه أصحاب الأغراض والأعداء.

و كعادته رحمه الله في مواجهة الحقائق و تصحيح الأخطاء نراه في خطابه لكبار الحجاج ، يلقي الكلمات و الأحاديث في كل عام لتوضيح حقيقة مذهبه و نفى ما علق ببعض الأذهان عن عقيدته و مصدرها ، و أنه على مذهب أهل السنة و الجماعة سلفي العقيدة حنبلي في الفقه ، و ليس ما يقال افتراء ، بأن مذهبه مذهب خاص ، فهو يتحدث في كلمته في القصر الملكي بمكة يوم غرة ذو الحجة (١٣٤٧ هـ - مايو ١٩٢٩ م) و يقول : يسموننا بـ (الوهايين) و يسمون مذهبنا (الوهاي) باعتبار أنه مذهب خاص ، و هذا خطأ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان ييثرها اهل الأغراض و الإشاعات.

فنحن لسنا لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة و لم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد ، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله و سنة رسوله و ما كان عليه السلف الصالح.

و نحن نحترم الأئمة الأربعة و لا فرق عندنا بين : مالك و الشافعي ، و أحمد ، و أبي حنيفة ، و كلهم محترمون في نظرنا ، هذه هي العقيدة ، التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها ، و هذه هي عقيدتنا ، و هي

عقيدة مبنية على توحيد الله عز و جل ، خالصة من كل شائعة ، منزهة من كل بدعة ، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعوا إليها وهي التي تنجيننا مما نحن فيه من محن و اوصاب.

أما (التجديد) الذي يحاول البعض إغراء الناس به ، بدعوى انه ينجيننا من ألامنا فهو لا يوصل إلى غاية و لا يدنينا من السعادة الأخروية.

إن المسلمين في خير ما داموا على كتاب الله و سنة رسوله و ما هم ببالغين سعادة الدارين إلا بكلمة التوحيد الخالصة إننا لا نبغي (التجديد) الذي يفقدنا ديننا و عقيدتنا ، إننا نبغي مرضاة الله عز و جل ، و من عمل ابتغاء مرضاة الله فهو حسبه و هو ناصره ، فالمسلمون لا يعوزهم التجديد ، و إنما تعوزهم العودة على ما كان عليه السلف الصالح ، و لقد ابتعدوا عن العمل بما جاء في كتاب الله و سنة رسوله ، فانغمسوا في حماة الشرور و الأثام فخذلهم الله سبحانه ، و وصلوا إلى ما هم عليه ، من ذل و هوان ، و لو كانوا متمسكين بكتاب الله و سنة رسوله ، لما اصابهم ما أصابهم من محن و أثام و لما أضاعوا عزهم و فخارهم.

لقد كنت لا شيء ، و أصبحت اليوم و قد استوليت على بلاد شاسعة ، يحدها شمالا الشام ، و جنوبا اليمن ، و غربا البحر الأحمر ، و شرقا الخليج . لقد فتحت هذه البلاد و لم يكن عندي من الأعتاد ، سوى قوة الإيمان ، و قوة التوحيد ، و من (التجديد) غير التمسك بكتاب الله ، و سنة رسوله ، فنصرني الله نصرًا عزيزًا.

لقد خرجت و أنا لا أملك شيئاً من حطام الدنيا، و من القوة البشرية،
وقد تألب الأعداء علي، و لكن بفضل الله و قوته تغلبت على أعدائي و
فتحت كل هذه البلاد.

إن المسلمين متفرون اليوم طرائق بسبب إهمالهم العمل بكتاب الله و سنة
رسوله، و من خطر الرأي الذهاب إلى أن الأجانب هم سبب هذه التفرقة و
هذه المصائب.

إن سبب بلايانا من أنفسنا لا من الأجانب، يأتي أجنبي إلى بلد ما، فيه
مئات الألوف بل الملايين من المسلمين فيعمل عمله بمفرده، فهل يعقل أن فردا
في مقدوره أن يؤثر على ملايين من الناس، إذا لم يكن له من هذه الملايين
أعوان يساعدونه و يمدونه بأرائهم و أعمالهم ؟

كلا ثم كلا.. فهؤلاء الأعوان هم بليتنا و مصيبتنا.. أجل إن هؤلاء الأعوان
هم أعداء الله، أعداء أنفسهم إذا فاللوم واقع على المسلمين وحدهم لا على
الأجانب.. إن البناء المتين لا يؤثر فيه شيء مهما حاول الهدامون هدمه، إذا لم
تحدث فيه ثغرة تدخل فيها المعاول، و كذلك المسلمون لو كانوا متحدين
متفقين لما كان في مقدور أحد خرق صفوفهم و تمزيق كلمتهم.

إن المسلمين هم مصدر الباء الذي أصابهم و أكثر ذلك يأتي عن طريق
أولئك الذين ينظرون إلى مصالحهم الخاصة و منافعهم الذاتية فيدوسون في
سبيلها كل شيء يعترضهم في الطريق إن هؤلاء الذين يكتزون الذهب و
الفضة و ينامون على الوثير من الفراش لا يفكرون إلا في أنفسهم و لم يحسبوا
لله حسابا.

إن المسلمين بخير إذا اتفقوا و عملوا بكتاب الله و سنة رسوله ليتقدم المسلمون للعمل بذلك ، فيتفقون فيما بينهم على العمل بكتاب الله و سنة نبيه و بما جاء فيهما و الدعوة على التوحيد الخالص ، فإنني - حينئذ - أتقدم إليهم فأسير و إياهم جنبا إلى جنب في كل عمل يعملونه و في كل حركة يقومون بها.

و الله إنني لا أحب الملك و أبهته ، و لا أبغي إلا مرضاة الله ، و الدعوة إلى التوحيد ، ليتعاهد المسلمون فيما بينهم ، على التمسك بذلك و ليتفقوا ، فإنني أسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك أو زعيم ، أو أمير بل بصفة خادم.. أسير معهم أنا و أسرتي و جيشي و بنو قومي ، و الله على ما أقول شهيد و هو خير الشاهدين (١).

لقد بين في كلمته هذه ، أن حل مشكلات المسلمين يكمن بفهم الدين ، و حقيقة ذلك أن يكونوا متفقين على المذهب السلفي ، و هو ما سار عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و انتهجه المسلمون إبان طهارة الإسلام و خلوه مما ادخل فيه من أمور تقدح في نقاوته ، و ذلك خلال القرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم : (خير الناس

١) كتاب المصحف و السيف ، مجموعة من كلمات و احاديث الملك عبدالعزيز جمع و إعداد : محي الدين القابسي ، الطبعة الرابعة ، ٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، ص ٥٥ ، و في هذا الكتاب لجلالته كلمات من هذا النوع .

قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (١)، فهم الذين يقتدي بهم لفهمهم حقيقة الإسلام طاهرا نقيًا.

و للملك عبدالعزيز رحمه الله في السنوات الاولى بعد دخوله الحجاز، عادة يستقبل كبار الحجاج: من حكام و علماء و أصحاب فكر، ليحدثهم بكل بساطة، و يجيب على استفساراتهم، و هذا يعتبر إعلاما قبل انتشار الإعلام و يرتاحون له في كلماته الموضحة لمنهجهم في مسيرته لتوحيد البلاد و ما وفقه الله إليه، و لإزالة ما علق بالأذهان من أراجيف و دعايات مضللة بلبلت الأفكار.

كما يدعوههم إلى سبب عزهم و توفيقهم، ببيان الخلل في الصفوف، و أنه منهم لا من الأعداء و يضع الحلول التي تسعدهم و ترفع من مكانتهم و تدعو إلى مضمون مثل كلماته حسب هذه العناوين: نريد أن نسير إلى الأمام، نصرنا الله بقوة التوحيد، فخرنا و عزنا بالإسلام، أساس أحكامنا هو الشرع الإسلامي، إلى مثل هذا التضامن أدعو المسلمين، نحب المسلمين جميعا، على كل مسلم أن يأمر بالتأخي و التآزر، إلى غير هذا من الكلمات التي في تطبيقها قوة للمسلمين، أمام أمم الأرض (٢).

(١) رواه البخاري في الشهادات ١٩٠/٥ وفي فضائل الصحابة و مسلم في فضائل الصحابة رقم (٢٥٣٥) و أبو داود و النسائي، عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

(٢) يراجع في مثل هذه الكلمات و غيرها كتاب المصحف و السيف، و هو مجموعة من خطابات و كلمات و مذكرات و أحاديث جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود، الطبعة الرابعة (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) جمع و إعداد: محي الدين القابسي، دار الصحوة السعودية للنشر و التوزيع و هو كتاب في ٣٤٠ صفحة .

و من حكمة الملك عبد العزيز، و بعد نظرة و هو لا يزال محاصرا لجدّه،
أن بعث رسائل يطمئن المسلمين بأن طرق الحج أمنة و أن مينائي الليث و
القنفذة مهيئان بكل ما يحتاجه ضيوف الرحمن، من سنابك و خيام، مع
الأمن الوارف، الذي تشهده طرق الحج من ميئات السنين، و أن كل ما يهم
الحاج الوافد لبيت الله : رجلا أو امرأة مهيا.
نموذج ذلك هاتان الرسالتان اللتان بعثهما للمسئولين في بعض البلاد
الإسلامية :

١ - الرسالة الأولى و هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية و ملحقاتها الرياض ١٦ شوال ١٣٤٣ هـ

عدد ١٤٨

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، إلى حضرة صاحب الفخامة و الاحترام، حاكم عدن لحكومة صاحب الجلالة البريطانية العظمى... دامت معاليه.

بعد أن أهدي حضرتكم مزيد التحية و الاحترام، أخبر حضرتكم بأنه قد سبق و أظهرنا لسعادتكم، رغبتنا الأكيدة لقبول من يفد على هذه البلاد من حجاج بيت الله الحرام، في المواني التي تحت إدارتنا، و رجوناكم أنئذ أن تتفضلوا بإبلاغ من يهمه الأمر، و أن تتوسطوا بإيصال الخبر لحكومة الهند، هذا و في الوقت نفسه نخبر سعادتكم أنه قد تم الاستحضر اللازم في مينائي: الليث و القنفذة، من إحضار الزوارق و السناييك، و ما يضمن راحة النازلين إلى البر من أسباب السكنى و وسائل النقل إلى مكة المكرمة، هذا علاوة على ما تتمتع به هذه البلاد من الأمن التام و السكينة، و الطمأنينة اللاتي يخيم فوق ربوع هذه الديار، الشرط الأول الذي يهم الوافدين إلى هذه الديار، وفق هذا كله قد أخذنا على أنفسنا أن نمد الوافدين إلى هذه البلاد بجميع الوسائل المتمكنة بكل ما يكفل راحتهم، و يسهل مبتغاهم في الحل و الارتحال، أرجو سعادتكم أن تتفضلوا و توصلوا الخبر لحكومة الهند كي تبلغه لمن يهمه الأمر من المسلمين أكون مسرورا أن تقبلوا صميم احترامي.

الختم

٢ - الرسالة الثانية و هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطنة النجدية و ملحقاتها

١٦ شوال ١٣٤٣ هـ

عدد ١٤٩

من عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل فيصل السعود إلى حضرة المكرم الأخ في الله : شوكت علي رئيس جمعية الخلافة الموفقة في بومبي المحترم السلام عليكم و رحمة الله و بركاته ، أرجو لكم تمام الصحة والعافية ، بعده لقد وصل إلينا أخيرا خطاب من وكيلنا في عدن ، الحاج عبد الله آل فضل يذكر فيه أن جمعيتكم المحترمة ، سألت منه عما إذا كانت المواني الحجازية : القنفذة و الليث ، و رابغ ، هن على استعداد من حيث وجود السنايك ، و الاستحضارات الضرورية لقبول حجاج الهند في هذه السنة ، و قد أفادكم بما يقتضي ، و عليه أزيدكم بأن المواني الأنف ذكرها و خصوصا مينائي القنفذة و الليث ، في الوقت الحاضر ، هن على أتم الاستعداد لقبول ما ينزل فيهن من الحجاج ، و قد توفرت في هذين المينائين جميع ما يحتاج إليه الحاج ، من الوسائط الضرورية ، كوفرة الزوارق ، و السنايك في الميناء ، و ما يمكن حصوله من وسائط النقل ، من هاتين المينائين إلى مكة المكرمة ، من الجمال و الدواب و غيرهما ، زد عليه ، ما تتمتع به هذه البقعة من الأمن التام ، والسكينة و الطمأنينة ، بالشكل الذي لم تعهده هذه الديار من أمد بعيد ، هذا و نحن على أتم الاستعداد ، لإتمام راحة من يفد على هذه البلاد ، من حجاج بيت الله الحرام بجميع الوسائل ، هذا ما لزم و أرجوكم أن تقبلوا شكري و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته (١).

(١) هاتان الوثيقتان مصدرهما كتاب : أصدق البنود في تاريخ الملك عبدالعزيز آل سعود ، لعبدالله الزامل ، الطبعة الأولى (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) و من كتاب عبدالعزيز آل

فالملك عبد العزيز - رحمه الله - الذي اهتم به رجال الغرب : ساسة و مفكرون ، و أعجبوا به بل و ألفوا عنه كتباً ، مع غيرهم من العرب ، ما كان ليحوز هذا القبول و يحظى بتلك المكانة إلا بديانته و شيمه ، فهو سلفي العقيدة ، بإخلاص يأسر من يتعرف عليه إلى الإعجاب به ، و من يستمع لأحاديثه إلى القناعة بما يتحدث عنه .

و ذلك لما منحه الله من صفات جعلت خصومه يحبونه ، كرجال الهاشميين الذين أساءوا إليه فعفا عنهم ، ممن أثبت أقوالهم فيه فهد و المارك ، في كتابه من شيم الملك عبد العزيز.. تلك الصفات التي عرف مثلها في رجال السلف الصالح .

و قد ذكر عن واحد عرفه عن كتب ، بعضاً عن صفات الملك عبد العزيز^(١) ، التي أعطته مكانة في النبل و الوفاء و محبة الآخرين ، حيث قال : إنه رجل تقي عابد يقوم نصف الليل متهجداً ، متعبداً ربه ، و هو في الوقت ذاته شجاع مقدام ، عندما يجد ألا سبيل للوصول إلى غايته إلا الشجاعة ، و سخي لا يرى للمال أية قيمة ، في سبيل مجده و عزه ، و سمح لين الطباع ، يعامل بالعفو ، ما دام العفو يحول دون الانتقام ، و حازم صارم في بطشه ، عندما لا يفيد المعتدي إلا العقاب ، و البطش ، و متحدث مقنع ، باستطاعته أن يستولي على أفئدة المستمعين ببيانه الفصيح .

سعود ، و عبقريه الشخصية الإسلامية ، للدكتور : عبدالعزيز شرف ، و محمد إبراهيم شعبان ، الطبعة الأولى عام (١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ص ٢٧٠ ، ٢٦٩ ، و لعلهما استفادا من الزامل في ذلك ، و صور الوثيقتين بأخر البحث .

(١) لمن يرغب الفائدة ، الاطلاع على هذا الكتاب ، و خاصة الجزء الأول .

كان هذا الوصف من رجل أُمي ، لا يقرأ و لا يكتب - كما قال فهد المعارك المؤلف - إلا أنه صادق العهد ، وفي الوعد ، و هو شهم و تقي في أن واحد ، و مقياس الرجال عنده من خلال القيم ، التي يتمتع بها هو ، و هذا الشخص هو : فهيد مولى عبد العزيز المتعب الرشيد.

ثم قال فهد المعارك المؤلف : بأن فهيد هذا وصل حديثه عن فراسته ، قائلاً : إن تلك الأخلاق السامية ، التي توفرت لعبد العزيز بن سعود ، سوف تمكنه من التغلب على من يعترض طريقه ، في توحيد أطراف المملكة (١).

و إذا أردنا الرجوع على ما جاء من الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة ، و تعريف هذه الموسوعة ، الذي أبنا من قبل القصور فيه.. لأن الوهابية ليست مذهباً و إنما ألصقت في العصر الحاضر ، بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للتنفير ، فالسلفية وجودها سابق للشيخ محمد بن عبد الوهاب و إنما هو مجدد لما أندرس من أثر السلفية في نجد ، و وضعوا هذا الاسم (الوهابية) بعد ما رأوا انتشار هذه الدعوة الواسع و محبة المسلمين لها ، و لأن هذه الحركة الدعوية حركت المسلمين في المستعمرات فوجدوا هذا الاسم (الوهابية) ثوباً جاهزاً و مهياً ضد هذه الدعوة ، فألبسوه دعوة الشيخ محمد لأجل خدمة أصحاب الأهداف و الغايات ، لأن رجال الكنيسة و الضالين في الفكر استأوا من تبني المملكة : في حرص أئمة آل سعود ثم الملك عبدالعزيز ،

(١) ينظر هذا الكلام في كتاب : من شيم الملك عبدالعزيز ، تأليف : فهد المعارك ، ج ١ : ٩٨ ، ٩٩ ، الطبعة الأولى عام (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) ، وكل هذا الجزء خصصه المؤلف عن وفاء عبدالعزيز بن سعود ، و إخلاصه و ما جعله الله له من قبول و محبة لديانته و عبادته و صدقه مع الله .

ثم الملك فيصل ، في حماستهم للدعوة بتضامن المسلمين و وحدتهم ، و
 تبنا: فكرا و عملا ، التنفير من هذه الدعوة التصحيحية التي قام بها أولا
 الإمام محمد بن عبد الوهاب و الأئمة من آل سعود و قامت عليها دولتهم.
 فتبنا بحماسة مقولة القس سيمون : إن الوحدة الإسلامية تجمع أمال
 الشعوب الإسلامية و تساعد على التملص من السيطرة الأوربية و التبشير
 عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة ، من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير
 (التنصير) ، اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية لأنهم يريدون ما يخدم
 مصالحهم.

و السلفية بمفهومها المختصر: هي تنطلق من دلالة آية في كتاب الله و هي :
 (و السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان
 رضى الله عنهم و رضوا عنه و أعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين
 فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) (١).

و من سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم بقوله الكريم : (خير الناس
 قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (٢) ، و من وصيته عليه الصلاة و
 السلام عندما خطب في الناس يوم عرفة في حجة الوداع فقالوا يا رسول الله :
 كأنها خطبة مودع فأوصنا ؟..

١ (سورة التوبة ، الآية ١٠٠ .

٢ (ينظر ما سبق في هذا البحث حول الوهابية ، و سبق تخريجه .

قال : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله و سنتي^(١).

ثم مقولة علي بن أب طالب رضي الله عنه في القرآن : فيه نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم و هو جبل الله المتين و صراطه المستقيم ، من تمسك به نجا ، و من ضيعه خسر ، إلى آخر ما قال فيه.

هذه الدلالة تعطينا اختصارا لمفهوم السلفية : بأنها (ما وافق كتاب الله ، و سنة رسوله و جاء عن الصحابة و الثقات من التابعين في القرون الثلاثة المفضلة).

و ليست خاصة ببلد دون بلد و لا فئة دون أخرى و إنما بمن إلتزم و ثبت ، و هذا ما حرص عليه العلماء و الولاة من آل سعود منذ بدأ العهد الأول للدولة السعودية منذ عهد الإمامين : محمد بن سعود و محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله ، و تمسكهما بهذه الدلالة قولاً و عملاً.

(١) أخرجه الخمسة البخاري و مسلم و أبو داود و الترمذي و النسائي ، عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، و جاء برواية أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه ، (خير أمتي القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يخلف قوم يحبون السمانة يشهدون قبل أن يستشهدوا) أخرجه مسلم . ينظر في الوايتين جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير ج ٨ : ٥٥٠ .

الثالث : تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي علما و عملا :

لقد بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب و الأئمة من آل سعود في الدور الأول من أدوار الدولة السعودية على تبليغ هذه الدعوة التي حرص الشيخ على تجديدها ببعث الرسائل إلى العلماء و الرؤساء و طلبة العلم في الجزيرة العربية ، ابتداء بمن حولهم في منطقة الدرعية و الرياض ثم اتسعت الدائرة بعد وسط الجزيرة إلى ما حولها ثم امتدت إلى الدول الإسلامية ، و ترسل مع الحجاج.. التي توضح المنهج السلفي الذي تنهجه هذه الحركة الإصلاحية لتطهير العقيدة و محاربة البدع التي تؤثر على سلامة التوحيد ، و هذه المكاتبات تأتي باسم الشيخ مفردة ، و تأتي أحيانا باسم الشيخ و الإمام من آل سعود ، و قد تأتي مع بعض النصائح و التذكير باسم الإمام آل سعود.. لذلك نذكرها باسم الشيخ في الأعم الأغلب.

إذ كتب لسلطان المغرب سيدي محمد بن عبد الله العلوي الذي تجاوب مع الشيخ و تأثر بدعوته ، و قال كلمته المشهورة : أنا وهابي العقيدة ، مالكي المذهب كما أثبت ذلك المؤرخ الفرنسي شارلي جوليان في كتابه : تاريخ أفريقيا الشمالية الذي ترجمه إلى اللغة العربية : محمد مزالي ، و البشير بن سلامه ، و هذا هو نصه كما جاء في الجزء الثاني : و كان سيدي محمد بن عبد الله العلوي و هو التقي الورع علم بواسطة الحجيج بانتشار حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - التي سميت بالوهابية - في الجزيرة ، و تأييد آل سعود لها ، و قد أعجب بعباراتها و كان يؤثر عنه قوله : (أنا مالكي المذهب ، وهابي العقيدة) ، و هو يريد ما قام به محمد بن عبد الوهاب و لا يريد الوهابية المنتشرة عندهم في المغرب و قد أعجب بصرامتها.

ذلك أنه بعدما عرف عن هذه الدعوة و سلامتها ذهب به حماسته الدينية، إلى الأذن بإتلاف الكتب المتساهلة في الدين، و المحللة لمذهب الأشعرية، و تهديم بعض الزوايا مثل زاوية بو جاد (١).

كما وجدت في دورية ألمانية رسالة بعثها الإمام سعود بن عبدالعزيز (١١٦٣ هـ - ١٢٢٩ هـ / ١٧٥٠ م - ١٨١٤ م) إلى (باي) وهو ملك تونس، يشرح له فيها حقيقة دعوته في العقيدة و يدعو إلى فهم التوحيد مستدلا بأيات كريمات من كتاب الله و أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و بين رسالته هذه ما يجب على المسلم بادئا بالآية الكريمة: (قل هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني و سبحانه الله و ما أنا من المشركين) (٢).

و قد جاء في بعض فقراتها هذه العبارة (إن الذي قام به شيخ الإسلام، لا يقال له مذهب، و إنما يقال له دين و ملة) (٣).

كما كانا يبعثان - وأعني الشيخ محمد و الإمام عبدالعزيز بن محمد، أو الشيخ محمد و الإمام سعود بن عبدالعزيز - كما جاء في الجزء الخامس: القسم الخاص بالرسائل الشخصية، من مؤلفات الشيخ الإمام التي جمعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية و يلاحظ فيما اطلعنا عليه:

(١) ينظر تاريخ أفريقيا الشمالية المنوه عنه، ج ٢: ٣١١، و هذا الكتاب منقح عن الطبعة

الثانية، باسم الدار التونسية للنشر تونس ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٣) مجلة إسلامية دورية ألمانية العدد الأول المجلد السابع (Islamica) ص ٧٦.

أن الرسائل تبعث خارج حدود نجد للعلماء أو الشخصيات البارزة أو القيادية في تلك البلدان، مثل: فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام، و السويدي عالم من العراق، و إلى علماء الأعلام في بلد الله الحرام، و إلى عالم من أهل المدينة المنورة، و إلى والي مكة المكرمة، و رسالة إلى البكلي صاحب اليمن، و رسالة إلى أهل المغرب، و أخرى إلى عبدالله بن عبدالله الصنعاني، و تبادل رسائل بينه و بين إسماعيل الجراعي صاحب اليمن، و غيرهم كثير، حيث تبلغ أكثر من خمسين رسالة.. و يستعمل أسلوبيين: اللهجة العامية الدارجة مع العامة، و اللغة العربية الفصحى مع العلماء والحكام.

فقد كتب إليه إسماعيل الجراعي صاحب اليمن يقول: من إسماعيل الجراعي إلى من وفقه الله محمد بن عبد الوهاب: سلام عليكم ورحمة الله و بركاته، أما بعد: بلغني على ألسن الناس عنك ممن أصدق علمه، و ما لا أصدق و الناس اقتسموا فيكم بين قادح و مادح، فالذي سرنى عنك الإقامة على الشريعة في آخر هذا الزمان و في غربة الإسلام، أنك تدعوه به، و تقوم أركانه، فو الله الذي لا إله غيره، مع ما نحن فيه عند قومنا، ما نقدر على ما تقدر عليه من بيان الحق، و الإعلان بالدعوة.

و أما قول من لا أصدق أنك تكفر بالعموم، و لا تبغي الصالحين، و لا تعمل بكتب المتأخرين، فأنت أخبرني و أصدقني بما أنت عليه، و ما تدعو الناس إليه، ليستقر عندنا خبرك و محبتك.

فأجابه الشيخ بقوله: من محمد بن عبد الوهاب، إلى إسماعيل الجراعي، سلام عليكم ورحمة الله و بركاته.. و بعد:

فما تسأل عنه ، فحمد الله الذي لا إله غيره ولا رب لنا سواه ، فلنا أسوة وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، وأما ما جرى لهم من قومهم وما جرى لقومهم فهم قدوة وأسوة لمن تبعهم ، فما تسأل عنه من الاستقامة على الإسلام ، فالفضل لله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ).

وأما القول إنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين ، ونقول : سبحانه هذا بهتان عظيم.

وأما الصالحون فهم على صلاحهم رضي الله عنهم ، ولكن نقول : ليس لهم شيء من الدعوة إلى الله ، قال الله تعالى : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) (١).

وأما المتأخرون رحمهم الله فكتبهم عندنا فنعمل بما وافق النص منها وما لا يوافق النص لا نعمل به.

فاعلم رحمك الله أن الذي ندين به وندعو الناس إليه ، إفراد الله بالدعوة ، وهي دين الرسل ، قال تعالى : (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله) (٢) ، فانظر رحمك الله ما أحدث الناس من عبادة غير الله فتجده في الكتب جعلني الله وإياك ممن يدعوا (إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني و سبحانه الله وما أنا من المشركين) (٣) ، و صلى الله على محمد (٤).

(١) سورة الجن ، الآية ١٨ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٨٣ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ١٠٨ .

(٤) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، الجزء الخامس الرسائل الشخصية ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

و إذا كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في خطبه حريص على تطبيق المنهج السلفي ، دعوة و عملا كما سار على هذا أسلافه في الدورين الأول و الثاني من الحكم السعودي ، حيث يقول و هو أمام الحجاج في مكة : أنا داعية لعقيدة السلف الصالح ، و عقيدة السلف الصالح هي : التمسك بكتاب الله و سنة رسوله و ما جاء عن الخلفاء الراشدين .

و أما ما كان غير موجود فيها ، فأرجع بشأنها لأقوال الأئمة الأربعة فأخذ منها ما فيه صلاح المسلمين (١) .

فإن أولاده من بعده ، ساروا في نفس الطريق لأن الهدف السعي في صالح الإسلام من باب الاهتمام بأمور المسلمين و تلمس ما فيه مصلحتهم .

فهذا الملك سعود رحمه الله يقول : إننا نحن المسلمين لا نههدف بالدعوة إلى وحدتنا و جمع كلمتنا و توحيد صفوفنا شرا ولا عدوانا بأحد لأن الشر و العدوان ليسا من الإسلام في شيء إنما نههدف و نقصد بذلك ان يكون العالم الإسلامي في وضع قوي محترم ليساهم في رفع المستوى الروحي و الثقافي بين الأمم وفق الرسالة الإنسانية التي عرف بها الإسلام و قامت تعليماته على تحقيقها (٢) .

و كل منهم يركز على أهمية إتباع سنة من كان قبلنا من السلف الصالح في الأخذ بما جاء في كتاب الله و في سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم و تقديمهما على كل مبدأ و قول .

(١) من خطبة له في الحج بعنوان هذه عقيدتنا .

(٢) قالها في أحد المؤتمرات العربية .

و الملك فيصل رحمه الله مليئة كلماته في دول العالم الإسلامي و في
المواسم و المؤتمرات بالملكة و غيرها بالروح الإسلامية السلفية، كقوله لن
يكون للإسلام و المسلمين مكانة تهفو إليها أمم الأرض إلا بتطبيق شرع الله في
كل بلد إسلامي، و التحاكم إلى الشرع في حل الأمور لأنه لا أحكم و لا
أعدل من حكم الله.

و الملك خالد رحمه الله يضع أملا كبيرا و رجاء بأن يتعاون المسلمون مع
المملكة في العمل الجاد و الجهد المضني على تخطي الصعوبات المعترضة لتطبيق
الشريعة الإسلامية التي لا فلاح للمسلمين إلا في التمسك بها لتنعم بها
البشرية جمعاء، مع نبذ الخلافات بين المسلمين^(١).

و الملك عبدالله جاءت له كلمة في أحد المؤتمرات الإسلامية عندما كان وليا
للعهد فيها قوله: إذا كان من حق كل دولة أن تطلب من مواطنيها الولاء فمن
حق الأقليات المسلمة أن تعيش في سلام دون أن تفتن في دينها أو يحال بينها و
بين ممارسة شعائرها، أو تسلب هويتها المتميزة، و لقد كان للمملكة شرف
الدعوة في أول مؤتمر عالمي ينعقد في مكة المكرمة ليناقد أوضاع الأقلية
المسلمة و يتلمس لها الحلول المناسبة، و لا شك أن اهتمام مؤتمرهم بهذه
المشكلة على المستوى الجماعي و اهتمام كل دولة بها على المستوى الفردي
كفيل بأن يوفر لهؤلاء الأخوة في الإيمان حقوقهم كاملة غير منقوصة بإذن الله^(٢).

(١) عن مجلة رابطة العالم الإسلامي، و مجلة التضامن الإسلامي جمادى الأولى عام ١٤١٠ هـ،
و جريدة الرياض ١١ ربيع الأول عام ١٤١٠ هـ العدد (١١٣١٢).

(٢) من كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله عندما كان وليا للعهد في مؤتمر القمة
السادس الإسلامي المنعقد في دكار بالسنغال عام ١٤١٢ هـ، مجلة التضامن.

و عمل ولاية الأمر السعوديون بجهودهم و كلماتهم و حماستهم لخدمة المسلمين ، و تلمس احتياجاتهم لشعورهم بالأخوة الإسلامية ، و تفقد أحوالهم و العمل على ما فيه فائدة لهم على القاعدة الشرعية (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم) ، كثيرة: قوليا في المؤتمرات و المناسبات ، و فعليا بمد اليد و تيسير التعليم لأبنائهم سواء في بلاده أو داخل المملكة كثيرة جدا ، ولا ينسون مد اليد بسخاء في الكوارث و المناسبات.

و المنهج السلفي علميا الذي طبقته الدولة السعودية واسع مجاله و متعدد ميدانه ، و جهود علماء المملكة بالفتوى و الكلمات و المساهمات واسعة و لها قبول عند أبناء المسلمين ، و قد بدأها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمجالس العلم في الدرعية بمسجد (الطريف) ثم تتابعت المساجد و مجالس العلم في المدن التي تعين فيها قضاة ، فقد رتبت المجالس أولا بجلسات متعددة: بعد صلاة الصبح ، و في الضحى ، و بعد صلاة العصر ، لأن الطلبة الوافدين لما تكاثر عددهم زاد العبء على المشايخ في الدرعية فاختر الشيخ مجموعة من كبار الطلبة النابهين للجلوس للتدريس.

كما كلف ولاية الأمر باقتراح من الشيخ: أن يحدد لكل قاضي جلسة عامة في أسواق البيع و الشراء ، في ضحى يومي الإثنين و الخميس ، يحضره أهل الأسواق التجارية و محلات البيع و الشراء ، للقاضي في مكان ثابت و معروف ليلتئم الناس حوله: سماعا و سؤالا ، ثم بعد الدرس خصص وقت لإجابة السائلين فيما يسألون عنه فصارت هذه المجالس يحضرها بعض البوادي و أهل القرى المرتبطة بالقاضي و القادمون للاستبضاع.

و ذلك للإجابة على السؤال المطروح : في العبادات و الموارد و الأوقاف و غير ذلك من الموضوعات التي تعن لكل فرد ، كما أن كل مسجد يكلف إمامه بالذكر و القراءة في أحد كتب الحديث ، على جماعته في أوقات : بين الأذان و الإقامة ، و بعد صلاة العصر ، إلى جانب تخول جماعته بالحديث لإفادتهم بين وقت و آخر.

كل هذه الطريقة بما فيها من بساطة هي طريقة السلفين من أهل السنة و الجماعة بالتدريس و التوعية.

و لما كان كثير من طلاب العلم غرباء ، و لا موارد لهم ، فقد حضهم مشايخهم باديء الأمر بالعمل في المزارع و غيرها ليلا ، و ما يتحصلون عليه يعينهم على طلب العلم نهارا ، فشعر المجتمع و بحث من العلماء أن المجتمع في حاجة للترباط و التعاون ، للطلبة لتسهيل الأمور المريحة ، فبعدما بدأت الموارد المالية على ولاة الأمر تترى و تتزايد ، فقد خصصوا لكل طالب نفقة تعينه على التفرغ لطلب العلم ، لأهميته في بناء المجتمعات و في فهم الأمور الشرعية.

و بالتعاون مع الأهالي توفر السكن بغرف في بيوت بنيت لهم أوقافا.. سميت : بيوت الإخوان.

و المزارعون يجددون ببعض محاصيلهم ، و خاصة محاصيل القمح و التمر تبرعا منهم على طلاب العلم الوافدين إلى حلقات العلم في الدرعية ، ثم في أمهات المدن حبا في العلم و تشجيعا للتفرغ للعلم ، كما سعى القادرون على استيراد الكتب و وقفها.

و بعد تدمير الدرعية انتقلت الحركة إلى الرياض ، حيث تجمع فيها بعض العلماء ، فوفد عليها الطلاب لينهلوا من مجالس العلم و من كبار العلماء .

و قد انتقل من سمت به نفسه إلى الهند لدراسة علوم القرآن و التفسير ، و الحديث لدى السلفيين من مشايخ و علماء أهل الحديث في الهند لأن أهل الحديث : من أهل السنة و الجماعة ، فيسروا أمورهم و أعانواهم للرابطة العلمية ، و قد تعرفت في إحدى زياراتي للهند ، على المساجد التي تعلموا فيها و على الغرف التي أوقفها تجار من الهند بالتعاون مع تجار من أهل نجد و عرب ، على هؤلاء الطلبة .

و قد وجدت في مكتبة (بتنة) خاصة و غيرها من المكتبات في المدن الهندية عامة ، الكبيرة مثل دلهي و بومباي و بنارس كتباً نسخها علماء من نجد أيام دراستهم في الهند ، و مثل هذا في الشام بدمشق و القدس ، لدراسة و نسخ كتب الفقه الحنبلي .

و كانت أوائل الكتب التي طبعتها (حجری - كما يسمونها) تأتي من الهند حيث يحضرها الطلبة بعد عودتهم ، و أولئك الطلبة هم كبار العلماء في نجد الذي حرصوا على تثبيت السلفية بمؤلفات علمائها ، أمثال الشيخ إسحاق آل الشيخ ، و الشيخ حمد بن عتيق و غيرهم .

و قد كانت بين الملك عبدالعزيز رحمه الله و علماء أهل الحديث رابطة قوية و كان من تعاونهم : أن أول ترميم في المسجد الحرام عهد فيه إلى شخصين من أسرة الدهلوي ، و بهذا التعاون كان أول تبليط للمسعى عرف في التاريخ ، أنفق عليه الملك عبدالعزيز ، و عهد الإشراف و التنفيذ لعبدالستار الدهلوي .

وقد بينت هذا التعاون و الرابطة في كتابي : رابطة ظفر علي خان و مسلمي الهند بالملك عبدالعزيز.

ولما كان أكبر تجمع إسلامي في الهند ، حيث يوجد أهل الحديث وهم علماء سلفيون ، فإن من المناسب إعطاء نبذة عن علاقتهم بالملك عبدالعزيز ، و أهل الحديث يمثلون نسبة عالية من بينهم ، وليس كل المسلمين هناك من أهل الحديث ، بل يوجد سلفيون من غير أهل الحديث ، و تعود علاقة علماء الهند السلفيين و خاصة السلفيين من أهل الحديث بالملك عبدالعزيز إلى مسارين :

الأول : خلفيتهم عن آل سعود : بداية بالإمام محمد بن سعود ، و الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، منذ ظهرت الدعوة السلفية و ما قاموا به و أحدثوه في الحجاز من إصلاحات و أمن أيام الدولة السعودية الأولى حيث عرفها المسلمون في كل مكان عن طريق النجاح و تأثروا بمنهجها و بدور قادتها الإصلاحية : إجتماعيا و إداريا و عقديا و دينيا ، و مراقبتهم لتعاون الأعداء ضد هذه الدعوة في محاولة لإجهاضها قبل التوسع حيث تعاونوا و تضافرت الجهود حتى سقطت الدرعية في عام (١٢٣٣ هـ - ١٨١٧ م) ، و لكن الله أعادها ثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله (..... - ١٢٤٩ هـ / - ١٨٣٣ م) ثم نهضت ثالثة على يد البطل المغوار الملك عبدالعزيز في عام (١٣١٩ هـ - ١٩٠٢ م) لأنها قامت على نصره دين الله الحق و على منهج أهل السنة و الجماعة ، و الله جل و علا تكفل لمن نصر دينه أن ينصره و يمكن

له في الأرض : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (١) ، و بحسن التوكل على الله و الصدق التفت الجماهير عليه للوحدة الدينية و الوطنية حتى أسس دولة كبيرة ذات مكانة.

الثاني : ابتهاجهم بدخول الملك عبدالعزيز مع رجاله مكة المكرمة ، محرما عام (١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م) يسبقه الرعب الذي ملأ بعض القلوب ، و السرور من قلوب أخرى تريد الخير لهذا الدين و أهله حتى أن أولادهم في الهند خرجوا للشوارع يهتفون : ملكنا عبدالعزيز ، تلا ذلك استسلام حامية المدينة المنورة بيسر و سهولة ، و خروج الشريف من جدة عام (١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م) كما ذكر هذا الأمير سعود بن هذلول في كتابه (تاريخ ملوك آل سعود) ، و حدد ذلك الحدث بيوم السبت ١٥ جمادى الأولى عام (١٣٤٤ هـ - ١٨ يونيو ١٩٢٥ م) و دخل الأمير محمد ، صباح الأحد المدينة فسار من فوره لمسجد رسول الله (ﷺ).

أما الزركلي فيراه في ١٧ ربيع الأول ١٣٤٣ هـ (٣) ، ذلك أن الملك عبدالعزيز سلفي من أهل السنة و الجماعة ، و أهل الحديث في الهند كذلك ، فأعجبتهم دعوته السلفية و محاربته البدع و الخرافات.

(١) سورة محمد ، الآية ٧ .

(٢) تاريخ ملوك آل سعود ، للأمير سعود بن هذلول ، ج ١ : ١٤٤ ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

(٣) شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ، ١ : ٣٣٣ الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ، بيروت دار العلم للملايين .

و أهل الحديث في سبه القارة الهندية يخالفون غيرهم من بعض المسلمين في العالم ، و في متابعتهم لأخباره ، بان لهم أنه حامل لواء السلفية دعوة و تطبيقا ، فرابطة عقيدة التوحيد تجمعهم تلك الرابطة التي يجمعها كتاب الله عز و جل ، و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم الصحيحة ، و حرص الجميع على محاربة كل دخیل على طهارة الإسلام حيث أزال البدع و حارب المنكرات و الخرافات و أمر بالمعروف و نهى عن المنكر و أمن الطرق و حرص على راحة الحجيج الوافدين على الديار المقدسة.

و كان بين الملك عبدالعزيز و علماء الهند رابطة متينة ، إذ كان من حديثي مع نخبة من المشايخ في جمعية أهل الحديث لعموم الهند ، المركز الرئيسي في دلهي ، عرفت بأن لديهم مكاتبات مع الملك عبدالعزيز أيضا ، و حبل المودة الذي يربط بين علماء الهند من أهل الحديث و السلفيين موصول ، و هو الذي يربط الجميع بدين الله الحق و صفاء عقيدة التوحيد و العلم الموصل لذلك ، و هذا يستمد من كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم ، فكانت رابطة عقيدة التوحيد أقوى رابطة لأنها محبة لله و لدينه النقي ، و هو ما جعل الوشيجة قوية بين الملك عبدالعزيز و المسلمين في العالم منذ وصل مكة ، و لما كان أهل الحديث قد أدركوا منه هذا الاتجاه الصادق مع صدق الحديث ، فقد كان أهل الحديث ذلك الوقت منقسمين كل بلد فيها أهل حديث ، مثلا : أهل الحديث في دلهي ، أهل الحديث في بومباي ، أهل الحديث في حيدر أباد ، و هكذا.

فقد كتب لهم يطلب اجتماعهم باسم أهل الحديث لعموم الحديث ، و ترك الفرقة حتي ترسخ مكانتهم ، و يكون لهم ثقل فدعوا بعضهم لاجتماع

كبير في مدينة (أمرتسر) و في مركزها، فخرج عن اجتماعهم : التسمية السائدة اليوم التي تنبئ عن وحدتهم : (أهل الحديث لعموم الهند) و كبارهم يعتزون بهذا الاجتماع الذي هو ثمرة من نصائح الملك عبدالعزيز.

كما أن المهتمين من علماء الهند بدراسة حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم : شرحا و تأليفا، عرفوا عن الملك عبدالعزيز محبته للعلم و نشره، و خاصة ما يتعلق : بعلوم القرآن الكريم و علوم السنة المطهرة التي حرص على نشرها : طباعة و توزيعا و بذلا و مساعدة، و إكرام العلماء، و تقديرهم عندما يفدون إلى مكة المكرمة و الديار المقدسة.

فصاروا يهدونه بعض إنتاجهم، نموذج ذلك الشيخ : محمد عبدالرحمن المباركفوري (١٢٨٣ هـ - ١٣٥٣ هـ) شارع صحيح الترمزي، الذي سماه تحفة الأحوذى شرح جامع الترمزي، فقد بعث في شهر ذي القعدة عام (١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م) نسخة من الجزء الثالث من هذا الكتاب للملك عبدالعزيز، كما بعث نسخا لبعض العلماء : الشيخ محمد نصيف، الشيخ سليمان الصنيع، الشيخ محمد بن عبدالرحمن آل الشيخ، الذي كان يقرأه في درسه على المصلين و التلاميذ، كما كان قد سبق أن بعث للملك عبدالعزيز المجلدين الأول و الثاني من هذا الكتاب مشروحا بتاريخ ٢٠ رمضان عام (١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م) فأجابه الملك عبدالعزيز برسالة رقمها ٩٣٥ بتاريخ ٢٠ رمضان (١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م) فكانت الصلة العلمية بينهما متواصلة، حيث عرض عليه الملك عبدالعزيز أن يكون مدرسا للحديث بالحرم المكي، إلا أنه اعتذر لزهده و قناعته و كبر سنه، فأحب البقاء إلى أن توفي في بلده.

و كان تلاميذه الذين بعثهم الملك عبدالعزيز للهند الشيخ عبدالله بن يابس ، و الشيخ محمد تقي الدين الهاللي .

و لا بد أن تتوفي في مكتبة الملك عبدالعزيز ، بعدما أضيفت للدارة كتبه هذه و غيرها من المؤلفات الهندية المتنوعة .

و كان علماء المملكة يحبون الاجتماع بعلماء الهند من أهل الحديث و يتناقشون معهم كما كان من ثقة الملك عبدالعزيز رحمه الله بهم أن كانت طباعة الكتب الدينية التي على نفقته و خاصة منها : كتب الفقه و الحديث و التاريخ و التفسير و غيرها تتم في الهند و بإشرافهم و في مطابعهم .

يقول عبدالعزيز الرفاعي في بحثه المقدم للمؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م) : بل إن الملك عبدالعزيز أخذ فعلا في مباشرة طبع الكتب قبل دخول الحجاز ، ثم استطاع أن يتوسع في مهمته بعد ذلك .

بل إننا نعجب حين نعلم أن جهود الملك عبدالعزيز كانت تمتد إلى أبعد من اتصالات السيد محمد رشيد رضا (١) ، و أبعد من القاهرة و أن المحاولات الأولى كانت في الهند أو في بومباي على وجه التحديد ، و صلة نجد بالهند أقوى من صلتها ذلك الوقت بغيرها من البلاد التي توجد فيها مطابع و لذلك كانت أول مطبوعاته في الهند .

و قال الرفاعي نقلا عن الشيخ حمد الجاسر : لعل من أقدمها : تاريخ ابن غنام ، روضة الأفكار لمرتاد حال الإمام ، و قد طبع أول مرة في بومباي سنة

(١) كان محمد رشيد رضا ، يطبع للملك كتبا في مصر ، عند أنصار السنة المحمدية و غيرهم .

(١٣٣٢ هـ)، و ديوان ابن عثيمين ١٣٣٤ هـ، و قد طبعا على نفقة الإمام عبدالعزيز، و لكن لم يذكر فيها اسمه صراحة و إنما ذكرت فيه عبارة: (طبع على نفقة من مقصده الثواب من رب الأرباب)، بمعرفة الساعي في طبع هذا الكتاب عبدالمحسن بن مرشد.. و هذا الرجل من أسرة معروفة في الرياض، و كان يتردد على الهند و قد أورد من الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز ٩٨ كتابا في الهند^(١).

و مدرسة دار الحديث: كانت من مشورة العلماء بالمملكة و الهند، بإيجاد مدرسة باسم دار الحديث مهمتها رعاية العقيدة الصحيحة و الابتعاد عن البدع و الدخائل على دين الإسلام مما هو بعيد عنه و داخل في مضمون الحديث الشريف: (من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)^٢.

و لكي تكون هذه الدار مركز إشعاع لتصحيح العقائد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر حتى تكون معينة لإعادة صفاء الإسلام و تنقيته من الأمور المحدثه التي نهى عنها رسول الله.

فقد كان من حرص الملك عبدالعزيز، على مثل هذه الدار أن يتعلم فيها أبناء المسلمين الوافدين إلى مكة المكرمة و المدينة المنورة ليحيي بها حلقات المسجد الحرام التي كادت تندثر ليجدد العقيدة السلفية في منبعها: فهما و إدراكا و من المصدرين: كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم

١ (يراجع بحث الرفاعي المذكور ص ٨، ٩ .

٢ - رواه البخاري و مسلم و أبو داود عن عائشة رضي الله عنها

الصحيحة ، اللذين هما المنبع لعقيدة التوحيد السلفية ، و مصدر التشريع في دين الإسلام.

و لتتاح الدراسة فيها لأبناء المسلمين لكي ينفعوا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (١).

و من اهتمام الملك عبدالعزيز و العلماء معه في دراسة فكرة مدرسة لدار الحديث ثم الإنشاء قبل أن تفتتح المدارس في التعليم الابتدائي و حرصا بإعطاء مجالس العلم حقها و لإتاحة فرصة لأبناء المسلمين في كل مكان لينهلوا من نبع علوم السلف و ليقوموا بهذا الدور ، في بلادهم متى عادوا و هذا جزء من رسالة الدعوة التي حرص عليها الملك عبد العزيز و حسنة من حسناته نحو أبناء المسلمين في كل مكان و أبناء شعبه ، أيضا ليسر أمامهم فرص النهل ، من ينبوع الشريعة الإسلامية و حقيقة التوحيد.

و قد جعلها مبرة خيرية حيث و ضع في الاعتبار في هذه الدار أن يكون المدرسون

من خيار العلماء المسلمين ، السلفيين في كل مكان ، و الدراسة لأبناء المسلمين فيها ميسرة ، إذ في عام ١٤٣٠ هـ ، بها ما يزيد عن (١٥٠٠) طالب من ٤٢ جنسية و برامجها لجميع مراحل التعليم و هي مبرة خيرية ، له رحمة الله ، و يساعد فيها المشروعات الخيرية و قد نفع الله بها إذ تلاميذها فتحوا في

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٢ .

بلادهم باسمها ، و وفق مناهجها و بعضهم كانوا دعاة و في مراكز هامة
ببلادهم.

و دار الحديث بمكة هذه كان افتتاحها عام (١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م) و
فكرتها من الملك عبدالعزيز ، فقد أمر باجتماع المشايخ برئاسة الشيخ عبدالله
بن حسن آل الشيخ (١٢٨٦ هـ - ١٣٧٨ هـ) مع إمام الحرم الشيخ :
عبدالظاهر أبو السمح (١٨٨٧ م - ١٩٥٠ م) الموافق (١٣٠٥ هـ - ١٣٧١ هـ)
(هـ) ولادته و وفاته بمصر و اجتمع معهم الشيخ : عبدالستار الدهلي من علماء
الهند (١٢٨٦ هـ - ١٣٥٥ هـ) و الشيخ : محمد عبدالرزاق حمزة ،
المتخصص في الحديث ، و استقدمه الملك من مصر ، و أصبح فيما بعد مديرا
لدار الحديث الخيرية في مكة من عام ١٣٧٣ هـ إلى أن مرض حتى عام ١٣٨٨ هـ
هـ فتركها بعد اشتداد مرضه و كان استقدام المشايخ : محمد بن عبدالرزاق
حمزة و عبدالظاهر أبو السمح ، و عبدالمهيمن أبو السمح رحمهم الله بمشورة
من الشيخ : محمد رشيد رضا صاحب المنار (١٢٨٢ هـ - ١٣٥٤ هـ).

فتشاور الجميع حول الصيغة المناسبة لهذا الدار : فكرة و منهجا و هدفا و
قدمت النتيجة للملك عبدالعزيز ، حيث وافق عليها ، و جعلها خيرية حيث تم
إنشائها عام ١٣٥٢ هـ.

و الشيخ عمر بن محمد فلاته في ترجمته للشيخ : أحمد بن محمد
الدهلوي ، مدير دار الحديث بالمدينة المنورة سابقا ، قال : أن الشيخ : أحمد قد
اشتغل بنشر السنة و العقيدة السلفية في الهند ثم هاجر إلى المدينة المنورة قادما
من الهند و درس بالمسجد النبوي بإذن الملك عبدالعزيز و سعى في تأسيس دار
الحديث بمكة المكرمة و حث عبدالظاهر أبو السمح و من معه من علماء أهل

الحديث بمكة المكرمة على الاهتمام بها و قد ساعده على ذلك الحافظ : حميد الله الدهلوي و أخوة محمد رفيع : السلفيان و هما من كبار أثرياء الهند. و أما دار الحديث بالمدينة المنورة التي كان تأسيسها عام ١٣٥٠ هـ بعد هجرة الشيخ أحمد بن محمد الدهلوي و بإذن من الملك عبدالعزيز رحمه الله. و شيخه في الهند نذير (١٣٢٠ هـ - ١٢٢٠ م) هو صاحب مدرسة : الحديث بالهند التي سعى خصوم السلفية بالهند لإغلاقها عام ١٣٣٨ هـ، و قد ازدهرت حركة السلفية و أهل الحديث في إحياء السنة بالهند، ازدهارا عجيبا بفضل الله ثم بجهود هذا الشيخ الذين انتشر طلابه في الهند و غيرها. و للشيخ أحمد الدهلوي جهود طيبة في مدرسة دار الحديث بالمدينة المنورة التي أرادها أن تكون على منوال مدرسة الحديث بالهند التي تعلم فيها و أسسها شيخه : حسين الدهلوي.

و هذه الدار ثمرة طيبة من ثمار تعاون أهل الحديث في الهند مع الملك عبد العزيز و علماء المملكة لأن المعلمين يسيرون على منهج أهل السنة و الجماعة في العقيدة و يحرصون على تطبيق ذلك عملا و يتأثرون مع إخوانهم المسلمين ، السائرين على هذا الطريق بذلك ، رغبة غي إحياء السنة على وجهها الصحيح.

و هذا ما يجده المتابع لكلمات الملك ثم خطب و كلمات ابنائه من بعده ، كل من موقعه و في مناسبته من تركيز على منهج أهل السنة و الجماعة في القرون الثلاثة المفضلة ، المستمد من كتاب الله جل و علا و سنة رسوله محمد صلى الله عليه و سلم الصحيحة التي تلقاها صحابته الكرام بأمانة و صدق و

نقلها عن الصحابة الكرام خيار العلماء من التابعين و أتباعهم الذين اتبعوهم
ياحسان و هؤلاء هم الذين يقال عنهم : السلف الصالح.

و من تطبيق الدولة السعودية للمنهج السلفي : اهتمام الملوك من آل سعود
بقضايا المسلمين و زاد هذا في الوقت المتأخر بتعليم أبناء و بنات المسلمين في
المدارس و الكليات الشرعية و على المنح الدراسية رأفة بأحوال الفقراء و
الغعانة في مدارسهم ببلادهم : كتباً دراسية ، و مرتبات بعض المدرسين و كتباً
دينية و إعانات عينية و مالية.

كما أن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله يستقدم أعداداً كبيرة
للحج ، ضيوفاً على الدولة و عمل هذا قبله خادم الحرمين الشريفين الملك
فهد و إخوانه من قبله فكانت المملكة بتوجيهات قيادة أمرها في عيون
المسلمين : حصناً و ملاذاً.

فالساسة يترددون عليها في أمور دنياهم تشاوراً في بعض القضايا التي تطرأ
و بحثاً في الأمور التي تحدد المصير لتقوية الصلة و الإفادة في وجهات النظر و
للإعانة في الحلول لبعض الأمور من منطلق التضامن السياسي.

و في كل ما يتعلق بالحرمين الشريفين يتكشف لكل مسلم تظاً أرض
المملكة قدمه ، يرى الجهود الجبارة في الحرمين الشريفين التي يتوالى على
تحسينها كل واحد بعد من سبقه ، خدمة ظاهرة للحرمين الشريفين و راحة
للحجاج الذين يتضاعف عددهم : عاماً بعد عام بالأمن و الخدمات و
التحسينات و الرعاية أخذاً من قول الشاعر :

يا ضيفنا لو جئنا لوجدتنا نحن الضيوف و أنت رب المنزل

و رعاية العاملين في المملكة و أغلبهم من المسلمين ليعيشوا كأنهم أفرادا من رعايا المملكة و من توفيق الله لمن جاء و هو على غير ملة الإسلام أن تعرف على دين الله الحق و بساطة و سماحة الإسلام بحسن التعامل و مع مكاتب الجاليات في كل بلد من بلدان المملكة فانفتحت نفوسهم و اتسعت صدورهم لمعرفة الإسلام الذي دخلوه عن محبة و قناعة و شعروا بالمودة التي فقدوها في بلادهم ، تحوطهم العناية فكسبوا مع العمل الذي يرفع مستوى أسرهم المعيشي دفء الإسلام و بساطة السلفية و مودة أبناء المملكة و الأخوة الإسلامية التي تعتبر أغلا مكسب تحصلوا عليه في الغربة العملية بما بين تعاليم الإسلام و المنزلة الرفيعة لمن استقام على هذا الدين الذي يؤلف الله به بين معتنقيه كما قال سبحانه : (و ألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم و لكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) (١).

(١) سورة الأنفال ، الآية ٦٣ .

الرابع: حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وصلتها بالدولة السعودية.

لقد أوضح الملك عبدالعزيز في استقبالاته العلماء والاعيان ، ايام الحج في كل عام ، عن حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وعاضدها ال سعود في ادوار الدولة السعودية الثلاثية.

وانها ليست حزبا ، ولا مذهباً خاصاً او خامساً ، وانما هي دعوة صحيحة ، لعقائد المسلمين وتنقية عباداتهم حتى تكون مقبولة عند الله ودعوة الى فهم الدين الحق باتجاه القلب في العقيدة الى الله وحده واخلاص العبادة له لان الله سبحانه طيب لا يقبل من الاعمال الا ما كان طيباً وقد مر بنا واحدة من من احاديثه للحجاج بمكة بعنوان هذه عقيدتنا ^(١) ، وفي عام (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م) بعدما الغيت الخلافة الاسلامية قصد جلالته وفود كثيرة اسلامية ، وابدى بعضهم امله في مبايعة الملك عبدالعزيز خليفة للمسلمين لانه الوحيد بين سائر الملوك وامراء وحكام المسلمين المؤهل لذلك لتوفير الصفات الشرعية فاعتذر عن ذلك لان خليفة المسلمين يجب ان ينفذ كلمته في سائر الاقطار الاسلامية كما هو الشأن من قبل ولان معظم الاقطار الاسلامية تحت الاستعمار الاجنبي ولا امور اخرى فانه يكتفي بما حققه الله له ^(٢).

١) كتاب المصحف والسيف ، لمحي الدين القابسي ، الطبعة الرابعة ، عام (١٤١٨هـ -

١٩٩٧م) ص ٤٨ - ٥١ ، الناشر دار الصحراء السعودية

٢) نفس المصدر السابق ، ص ٤٨ - ٥١

وقد تحدث الشيخ محمد عن عقيدته وتكلم عنها تلاميذه وهذه رسالة منه الى اهل القصيم لما سالوه عن عقيدته فاجابهم قائلا :

اشهد الله ومن حضرني من الملائكة واشهدكم اني اعتقد ما اعتقدته الفرقه الناجيه : اهل السنه والجماعه من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله ، الايمان بما وصف به نفسه في كتابه ، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، بل اعتقد ان الله سبحانه وتعالى ، ليس كمثله شئ ، وهو السميع البصير فلا انفي عنه ما وصف به نفسه ولا احرف الكلم عن مواضعه ولا الحد في اسمائه وصفاته واياته ، ولا اكيف ولا امثل صفاته تعالى بصفات خلقه لانه تعالى لا سمي له ولا كفؤ له ولا ند له ولا يقاس بخلقه فانه تعالى اعلم بنفسه وبغيره واصدق قيلا واحسن حديثا فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من اهل التكييف والتمثيل : وعما نفاه عنه النافون من اهل التحريف والتعطيل فقال : (سبحان ربك رب العوة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)^(١).

والفقرة الناجية وسط في باب افعاله تعالى بين القدرية والجبرية وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيديه وهم وسط في باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئه والجهمية وهم وسط في باب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض والخوارج.

(١) سورة الصافات ، الآيات ١٨٠ - ١٨٢ .

واعتقد ان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدا واليه يعود وانه تكلم به حقيقة وانزله على عبده ورسوله وامينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واومن بان الله فعال لما يريد ولا يكون شئ الا بارادته ولا يخرج شئ عن مشيئته وليس شئ في العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر الا عن تدبيره ولا محيد لاحد عن القدر المحدود ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور.

واعتقد الايمان بكل ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فاومن بفتنة القبر ونعيمه وباعاده الارواح الى الاجساد فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غرلا تدنو منهم الشمس وتنصب الموازين وتوازن بها اعمال العباد فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم خالدون وتنشر الدواوين فاخذ كتابه يمينه واخذ كتابه شماله.

واومن بحوض محمد صلى الله عليه وسلم بعرضه القيامه ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل انيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربه لم يظما بعدها ابدا واومن بان الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر اعمالهم واومن بشفاعه النبي صلى الله عليه وسلم وانه اول شافع واول مشفع ولا ينكر شفاعه النبي صلى الله عليه وسلم الا اهل البدع والضلال ولكنها لا تكون الا من بعد الاذن والرضا كما قال سبحانه: (ولا يشفعون الا لمن ارتضى)^(١) وقال تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه)^(٢)

١ (سورة الانبياء ، الايه ٢٨ .

٢ (سورة البقرة ، الايه ٢٥٥ .

وقال تعالى: (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى) ^(١) وهو لا يرضى الا التوحيد ولا ياذن الا لاهله واما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب كما قال سبحانه (فما تنفعهم شفاعاة الشافعين) ^(٢).

واومن بان الجنة والنار مخلوقتان وانهما اليوم موجودتان وانهما لا يفنيان وان المؤمنين يرون ربهم بابصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته.

واومن بان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح ايمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته وان افضل امته: ابو بكر الصديق ثم الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى ثم بقية العشرة ثم اهل بدر ثم اهل الشجرة اهل بيعة الرضوان ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم واتولى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واذكر محاسنهم واترضى عنهم واستغفر لهم واكف عن مساوئهم واسكت عما شجر بينهم واعتقد فضلهم عملاً بقوله تعالى: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين امنوا ربنا انك غفور رحيم) ^(٣).

واترضى عن امهات المؤمنين المطهرات من كل سوء واقرب بكرامات الاولياء وما لهم من المكاشفات الا انهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً

١ (سورة النجم ، الاية ٢٦ .

٢ (سورة الدثر ، الاية ١٤٨ .

٣ (سورة الحشر ، الاية ١٠ .

ولا يطلب منهم مالا يقدر عليهم الا الله ولا اشهد لاحد من المسلمين بجنة ولا نار الا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني ارجو للمحسن واخاف على المسئ ولا اكفر احدا من المسلمين بذنب ولا اخرجه عن دائرة الاسلام وارى الجهاد ماض مع كل امام برا كان او فاجرا وصلاة الجماعة خلفهم جائزه والجهاد ماض منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يقاتل اخر هذه الامة الدجال لا يبطلع جور جائر ولا عدل عادل وارى وجوب السمع والطاعة برهم وفاجرهم ما لم يامر بمعصية الله ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه وارى هجر اهل البدع ومباينتهم حتى بتوبوا واحكم عليهم بالظاهر واكلوا سرائرهم الى الله واعتقد ان كل محدثة في الدين بدعه.

واعتقد ان الايمان: قول باللسان وعمل بالاركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو بضع وسبعين شعبة اعلاها شهادة الا اله الا الله وادناها امانة الاذى عن الطريق وارى وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة الحمديه الطاهرة.

فهذه عقيدة وجيزه حررتها وانا منشغل البال لتطلعوا على ما عندي والله على ما نقول وكيل^(١).

١ (لقد انتقل في رسالته هذه بعد ذلك الى بعض الاشخاص الذين افتروا عليه من هنا والاشياء التي افتروها عليه وبين بعضها .

ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم والله يعلم أن الرجل افترى علي أمور لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي.

فمنها قوله: "إني مبطل كتب المذاهب الأربعة وإنني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء وإنني أدعي الاجتهاد وإنني خارج على التقليد وإنني أقول أن اختلاف العلماء نقمة وإنني أكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق، وإنني أكفر من توسل بالصالحين وإنني لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها وإنني لو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب وإنني أحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وإنني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما وإنني أكفر من حلف بغير الله وإنني أكفر ابن الفارض وابن العربي وإنني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين".

جوابي عن هذه الأسئلة أن أقول: "سبحانك يارب هذا بهتان عظيم وقبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور قال تعالى: (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون)^(١)".

بهتوه صلى الله عليه وسلم بأنه يقول : إن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار فأنزل الله سبحانه في ذلك (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهو في ما اشتتت أنفسهم خالدون)^(١).

وأما المسائل الأخرى وهي أنني أقول لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله وإني أعرف من يأتني بمعناها وإني أكفر الناذر وإذا أراد بنذره التقرب لغير الله وأخذ النذر لأجل ذلك وأن الذبح لغير الله كفر والذبيحة حرام.

فهذه المسائل حق وأنا قائل بها ولي عليها من كلام الله وكلام رسوله ومن أقوال العلماء كالأئمة الأربعة وإذا سهل الله تعالى بسطت الجواب عليها في رسالة مستقلة إن شاء الله تعالى.

ثم اعلموا وتدبروا قول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)^(٢).

وهذه الأكاذيب كما ذكر الشيخ محمد في هذه الرسالة من سليمان بن سحيم فهو الذي قال عن هذه الأشياء علما بأن في هذا الجزء سبعة عشر رسالة (١٧) كلها يدافع فيها الشيخ عن عقيدته وبيان حقيقة دعوته ورد ما ألصق به من التهم وما خالف كتاب الله وسنة نبيه^(٣).

(١) سورة الأنبياء الآيتين : ١٠١ - ١٠٢.

(٢) سورة الحجرات الآية : ٦.

(٣) مجموع مؤلفات الشيخ ، الرسائل الشخصية القسم الخامس جمع واصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : ص : ٨ - ١٣.

والذي ينقل هذه التهم ويشيعها بالمراسلات من داخل نجد والأحساء وكثيرون ذكرهم في تلك الرسالة وغيرها من رسائلهم: ابن فيروز وابن مطلق والمويس وابن عبيد وابن سلوم وغيرهم فصدقهم البعيدون لأنهم لا يعرفون الحقيقة وهذا من تحاسد العلماء والافتراءات لقصد الإساءة إلى الشيخ ودعوته ورسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشار إلى أن: (الشیطان قد أیس أن یعبدوه المصلون ولكن فی التحریش بینهم)^(١).

فإنه يدخل في التحريش الغيبة والنميمة والافتراء والكذب والحسد وقد تمثل أحد الشعراء لمثل هذه بهذا البيت بالنسبة لأذية الكذب: لي حيلة في من ينم وليس لي في الكذاب حيلة

وقد كذب هؤلاء على الشيخ أمورا كثيرة ويكتبون بهذا كله للأفاق والبعيدون يصدقونهم لأنهم من البلاد القريبة من الشيخ كما يلاحظ في كل زمان ومكان على تأثير الأعلام في كثير من الأمور إلى أن الله سبحانه وتعالى أيد دعوته بنصره وانتشر في أندونيسيا والهند والمغرب العربي وبعض الدول الأفريقية وغيرها وكان أكثر انتشارها مع الحجاج الذين نظروا وسمعوا عن قرب ومع نشر الكتب والمنح الدراسية لأبناء المسلمين وبناء المساجد في كل مكان تجلت لهم حقيقة هذه الدعوة وصدقوها وتأثروا بها ونقلوها لبلادهم. ثم بحمد الله بعدما وحد الملك عبد العزيز رحمه الله البلاد واستقرت الدولة كان لجهوده وكلماته وجهود أبنائه في اللقاءات والندوات والمؤتمرات

(١) أخرجه الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، جامع الأصول في أحاديث الرسول ج: ٢/ ٧٥٤ جمع وتخريج الأرنؤوط.

والاهتمام بشؤون المسلمين دور كبير في إدراك وقائع هذه الدعوة وأثرها في تصحيح كثير من المفاهيم.

والعقيدة في توحيد الله بالعبادة ويعتبر المغرب الأقصى أول من تفاهم هذه الدعوة حيث تناظر الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد في عام ١٢٢٦هـ في مكة المكرمة مع علماء المغرب ومفتيها كما ذكر الشيخ أبو العباس : أحمد بن خالد الناصري في تاريخه كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الذي حققه وعلق عليه ولداه جعفر الناصري ومحمد الناصري^(١).

هذا الكتاب الذي ذكر فيه المناظرة بين الركب المغربي وفيه العلماء والمفتي مع الإمام سعود في مكة وما تركته من انطباع حسن على هذه الدعوة ونفي ماقاله المغرضون عنها وقناعة سلطان المغرب وأثر ذلك حيث نفى الإمام سعود الأكاذيب التي نسبت للدعوة والقائمين عليها كما يلي :

فقد جاء بالجزء الثامن قوله : وصول كتاب لصاحب الحاجز عبدالله بن سعود (الوهابي) إلى فاس النابغ بجزيرة العرب المتغلب على الحرمين الشريفين المظهر لمذهبه بهما.

وبدأ الحديث برؤيا نسبت إلى جده سليمان ففسرها له أحد المعبرين بأن : أحد أولاده يحدد دولة قوية فتحققت الرؤية في ابن ابنه : الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان فلما كبر محمد احترمه أهل بلاده وألف لهم قواعد وعقائد وهي عبادة الله واحد قديم قادر حق الرحمن يثيب المطيع ويعاقب العاصي

(١) كان والدهما سلفي العقيدة شديد الإنكار على أهل البدع منددا بالطوائف الصوفية وكانت وفاته عام ١٣١٥هـ كما بأن من ترجمته في الاستقصاء : ١ : ٩ - ٥٤.

وأن القرآن قديم يجب إتباعه وأن محمدا رسول الله وحبيه وأن الله تعالى حيث لم يرض بالإشراك سخره لهدي الناس إلى سواء الطريق ثم قال : ولما استولى ابن مسعود على الحرمين الشريفين بعث كتبه إلى الآفاق كالعراق والشام ومصر والمغرب يدعو الناس إلى اتباع مذهبه والتمسك بدعوته ولما وصل كتابه إلى تونس بعث مفتيها نسخة منه إلى علماء فاس فتصدى للجواب الشيخ العلامة الأديب أبو الغيظ عنه بأمر السلطان وعلى لسانه.

قال صاحب الجيش : وذهب بجوابه ولده المولى إبراهيم بن سليمان حين سافر للحج قلت : والكلام للناصري : وهذا يقتضي أن كتاب ابن مسعود ورد السلطان المولى سليمان بالقصد الأول لا أن نسخة منه وردت بواسطة علماء تونس والله أعلم.

وفي هذه السنة أعني سنة ست وعشرين ومائتين وألف ١٢٢٦ هـ وجه السلطان المولى سليمان رحمه الله ولده الأفضل المولى أبا اسحاق إبراهيم بن سليمان إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مع الركب النبوي الذي جرت العادة بخروجه من فاس على هيئة بديعة وكانت الملوك تعتنى بذلك وتختار له أصناف الناس من العلماء والأعيان والتجار والقاضي وشيخ الركب وغير ذلك مما يضاهي ركب مصر والشام وغيرهما.

فوجه السلطان ولده المذكور في جماعة من علماء المغرب وأعيانه مثل الفقيه العلامة القاضي أبي الفضل العباس بن كيران والفقيه الشريف البركة المولى الأمين بن جعفر الحسني الرتبي والفقيه العلامة الشهير أبي عبد الله محمد العربي الساحلي وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه فوصلوا إلى الحجاز وقضوا المناسك وزاروا الروضة المشرفة.

حكى لي صاحب الجيش : ان المولى ابراهيم ذهب الى الحج واستحصب معه جواب السلطان فكان سببا لتسهيل الامر عليهم وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغربا حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الامن والامان والبر والاحسان.

قال : حدثنا جماعه وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم في تلك السنة انهم ما راوا من ذلك السلطان يعني ابن مسعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة وانما شاهدوا منه ومن اتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الاسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهى عن المنكر الحرام وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والاثام التي كانت تفعل بهما جهازا من غير نكير وذكروا ان حاله كحال احاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا ركوب ولا لباس وانه لما اجتمع بالشریف المولى ابراهيم اظهر له التعظيم الواجب لاهل البيت الكريم وجلس معه كجلوس احد اصحابه وحاشيته وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي : ابو اسحاق ابراهيم الزداغي فكان من جملة ما قال ابن سعود لهم : ان الناس يزعمون اننا مخالفون للسنه المحمدية فاي شئ رايتمونا خالفنا من السن هو اي شئ سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا.

فقال له القاضي : بلغنا انكم تقولون الاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوى فقال لهم : معاذ الله انما نقول : كما قال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعه فهل في هذا من مخالفة قالوا : لا وبمثل هذا نقول نحن ايضا ثم قال له القاضي : وبلغنا انكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر الاموات مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن انكارها

فقال : معاذ الله ان ننكر ما ثبت في شرعنا وهل منعناكم انتم لما عرفنا انكم تعرفون كيفيتها وادابها.

وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية ويطلبون من الاموات ان تقضي لهم اغراضهم التي لا تقضيها الا الربوبية وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكر مصير الزائر الى ما صار اليه المזור ثم يدعو له بالمغفرة ويستشفع الى الله تعالى ويسال الله تعالى المتفرد بالاعطاء والمنع بجاء ذلك الميت ان كان ممن يليق ان يستشفع به.

هذه قول امامنا احمد بن حنبل رضي الله عنه ولما كان العوام في غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة فاي مخالفة للسنه في هذا لقدر.

ثم قال صاحب الجيش : هذا ما حدث به اولئك المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ثم سالناهم افرادا فتفق خبرهم على ذلك.

واقول : والقائل الناصري : ان السلطان المولى سليمان رحمه الله كان يرى شيئا من ذلك ولاجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها على متفكرة الوقت وحذر فيها رضي الله عنه من الخروج عن السنه والتغالي في البدعه وبين فيها مبالغة في النصح للمسلمين جزاء الله خيرا ومن كلامه فيها ما نصه : من الغلو البعيد ابتهال اهل مراکش بهذه الكلمه (سبعة رجال) فهل كان لسبعة رجال شيعه يطوفون عليهم الى ان قال فعلينا ان نقتدي بسبعة رجال ولا نتخذهم الهة لثلا يؤول الحال فيهم الى ما ال اليه في يغوث ويعوق ونسرا وصدق رحمه الله فكم من ضلالة وكفر اصلها الغلو في التعظيم [كتاب الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ٨ : ١١٩ - ١٢٤] .

ومن صلتها بالدولة السعودية فان ال سعود بدء بالامام محمد بن سعود الذي تعاهد مع الشيخ على مناصرة الدعوة لان الدعوة لاي اتجاه في دين الله الحق لا بد من مناصرتها بقيادة تتحمس لها وتدافع عنها بالقوة حتى تنتشر.

فما بالك بمثل هذه الدعوة التي مهمتها اظهار الدين الحق وفق كتاب الله وسنة رسوله وما سار عليه السلف الصالح من امة الاسلام في القرون الثلاثة المفضلة فانه لا بد من ولاية ترعاها ليجتمع مع قوة العقيدة في القلب التي يسندها ويقويها مصدرها الشرعي انها قامت لاطهار دين الله ونصر شريعته واقامة حدوده حسبما امر سبحانه وما جاء في كتابه وعلى لسان رسوله.

ان هذا التعاون بين قيادة حاكمه مخلصه وبين دعوة شرعية مستندتها نصر دين الله ، لا بد ان تكون مع الصدق والنية والاخلاص ذات قبول وبروز وان اصدمت بمنائين ومعارضين لان هذه سنهالله يمتحن بها عباده: (ليميز الله الخبيث من الطيب)^(١) ، وقد تعهد جل وعلا بنصر من قام لاجل نصر دينه سبحانه ، واقامة شرعه فقال: (انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد)^(٢) ، وقال: (وكان حقا علينا نصر المؤمنين)^(٣) ، وايات نصر الله لمن نصر دينه كثيرة في كتاب الله العزيز.

يقول ابن خلدون في مقدمته: ان الملك يقوم على ثلاث ركائز: عصبية قبلية وعصبية قومية وعصبية الدين فتذهب كلها ولا تعود ما عدا العصبية

١ (سورة الانفال ، الاية ٣٧ .

٢ (سورة غافر ، الاية ٥١ .

٣ (سورة الروم ، الاية ٤٧ .

الدينية التي تقوم لنصرة دين الله واظهاره فانها تنتصر وتدوم وكلما ضعفت
هيا الله لها من ينهض بها وهذا مشاهد ومستقر في السير التاريخية.
ويقول في موطن اخر: فصل في ان العرب لا يحص لهم الملك الا بصبغة
دينيه من نبوة او لاوية او اثر عظيم من الدين على الجملة ووضح شيئا من
ذلك بقوله: ان الدولة في اول امرها يصعب على النفوس الانقياد لها الا بقوة
قوية من الغلب لانهم لم يالفوا ملكها ومع العصية الدينية فيرسخ في العقائد
الدين والانقياد لهم^(١).

والمراد بالعصية الدينية: من قام لتكون كلمة الله هي العليا فان الله اذا
علم من القائم صدق النية وايد الصدق هذا بالنية المخلصة والصبر فقد تعهد
الله لمن يصدق بالنصر اما غير صاحب النية الصادقة ان يبد له غيره فقال ☹
وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم^(٢).

والخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول: يزع الله بالسلطان
ما لا يزع بالقران فالسلطان اذا علم الله منه الصدق في العمل واقامة شرع الله
اذا مكنه الله يوفقه ويجعل في عمله بركة.

وهذا ما يؤيد ما يحصل بين الامامين محمد بن سعود ، ومحمد بن
عبد الوهاب بعدما تعاهدا على اقامة دين الله فقد جعل الله لها القبول
وانشئت دعوتهما في الافاق.

(١) مقدمة ابن خلدون لديوان العبر ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاج عبد
السلام بن محمد بن شقرون بمصر الحمزاوي شارع بيبرس .

(٢) سورة محمد ، الاية ٣٨ .

وان كبت كما يكبوا الحصان فنها قد انبعثت من جديد على يد الملك عبد العزيز رحمه الله الذي يمد يديه الى ربه بالدعاء في جوف الليل طالبا منه النصر والتأييد فايده الله وقامت دولة في بلاده الواسعه التي جمع الله شملها على حقيقة التوحيد وهو اخلاص الله بالعباده ثم بحرصه هو وابنائها من بعده واحدا بعد الاخر في خدمة بيت الله الحرام وحراسة الاماكن المقدسه وخدمة ضيوف الرحمن ومساعدة المسلمين في كل مكان بالمساجد والدعاة والدعوة الى دين الله سبحانه والبذل لهم في الكوارث وغيرها وهذا من شكر الله على ما انعم به على هذه البلاد من خيرات حيث انتقلت من الفقر والنسيان الى مكانة تستحق الشكر: (واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم)^(١) ، فكانت صلة الحاكم بالمحكوم فيها وفق شرع الله واقامة حدوده والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى والحرص على اداء الامانة في تتبع لاثار رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للامام محمد بن سعود بعدما اتفقا على مناصرة هذه الدعوة التي لا تعطى ثمارا الا بقوة السلطان والصدق في العهد من الطرفين لانه ميثاق مع الله وعلى سنه رسول الله.

وهذا الميثاق بينهما ماهو: الا من اجل امر دين الله وما صدق احد في هذا الاتجاه الا جعل سبحانه له قبولا لانه هو مسبب الاسباب فكان من دعاء الشيخ للامام: بان يمكن الله الامر لذريته من بعده وهذا ما هو مشاهد الان لان الصلة منذ بداية الدعوة بين القوة السلطانية والقوة العلمية كانت صلة

(١) سورة ابراهيم ، الاية ٧ .

سداها ولحمتها نصره دين الله ولم تقم لا اغراض دنيوية او مارب شخصية
فتحصل بعد ذلك النفع للقريب والبعيد.

يقول احمد عبد الغفور عطار: لا سكان عصر ابن عبدالوهاب كان
بالنسبة للمسلمين عصر التاخر والجمود والخمول وشيوع البدع والخرافات
والوثنيات التي سيطرت على العقول عصر سيادة الغرب عصر ضعف
المسلمين وتفرق كلمتهم.

وكل اقطار الاسلام كانت تغط في الجهل والبدع ولم يسلم الحجاز وارض
الحرمين من الخمول والبدع وانا ادركت اثار الخرافات والبدع ولم يسلم
الحجاز وارض الحرمين من الخمول والبدع وانا ادركت اثار الخرافات والبدع
الشائعه في مكة حرسها الله وقضى عليها صحو العقل الذي يعود الفضل فيه
للدعوة (الوهابيه).

وراي ابن عبدالوهاب ما حل بالمسلمين وراى ما بنجد من الشرك والوثنية
ولم تكن نجد خالية من العلماء بل كان فيها منهم عدد غير قليل في مدنها
وقراها ولكنهم كانوا ضعفاء ومنهم من لم يفضلوا العامة في معتقداتهم
الخرافية ومنهم من كانوا على بصيرة من امرهم ولكنهم لم يكونوا شجعانا
ودعاة بل كانوا وعاظا محدودي الاثر.

ولكن ابن عبدالوهاب لم يكن مثلهم فقد كان عالما حقا وكان سلفيا
صادقا في عقيدته ومنهجه وكان شجاعا وداعية وليس العلماء ورثة الانبياء في
العلم وحده ولكن ميراث النبيين يتحلى في القيام باعباء الدعوة والتبشير
برسالاتهم واستقبال الاذى بعناد واصرار (وصبر) فيسبيل هداية البشر.

وهكذا لقي محمد بن عبد الوهاب الاذى والنفي والترشيد وصابر وصبر حتى مكن الله له بقيام دولة في نجد تطبق شريعة الاسلام حق التطبيق وتعيد للاسلام عزته والى المسلمين كرامتهم التي ضيعها الجهل وكان محمد داعية حقا فارسل الكتب الى الحكام والعلماء يعرض عليهم دعوته ويطلب اليهم الاصلاح العام والقيام بتغيير المنكر ومحو البدع والاعتصام بالكتاب والسنة.

وقام هو نفسه بزيارة بعض الاقطار والمدن: كالأحساء والعراق ومكة والمدينة وارسل رسله الى بعض البلدان: يعرضون دعوته ويبينون حقيقتها وصحا العلماء على دعوة ابن عبد الوهاب كما صحا الحكام والشعوب فمنهم ابدا ومنهم من قاوم وحارب والصحو الذي انبعث في الشعوب افادها فانصار الدعوة افادوا من حيث اقرار الحق وخصومها افادوا ان الدعوة دفعتهم الى الدراسة والتحصيل وتوسعه نطاق اطلاعهم وثقافتهم ليقابلوا دعوة الشيخ بردودهم عليها وعلى صاحبها واتباعه.

ولم يقتصر اثر الدعوة في الجزيرة العربية بل امتد الاثر الى العالم الاسلامي كله فالحرمان كانا في حماية الحكام من ال سعود وكان الحجاج الذين يفدون من مختلف ديار الاسلام يرون في ارض الحرمين مكانا للحياة الاجتماعية الاسلامية جديدا لم يعهدوه في بلداتهم ولا في علمائهم ولا في حكامهم.

فالحياء الاجتماعية تسودها العدالة والاخلاق الكريمة والصفاء والعلماء سلفيون متمسكون بدينهم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والمبادرة الى الصلاة في الجماعه واغلاق المتاجر قبيل اوقات الصلاة والتنزه عن الغش

والتدليس في العقود لا يخافون غير الله والحكام صالحون وهم والعلماء يد واحدة في الخير ولسان واحد في الدعوة الى الله وقلب واحد في الخشية منه. وكان بين الحجاج علماء وحكام ورجال فكر وثقافة وعلوم عصرية واعجبهم الرجوع الى الاسلام الحق فراوا دولة الاسلام الحق واخلاق القران واداب السنه فاعجبوا بها كل الاعجاب ونقلوا ما راوا الى شعوبهم وبلدانهم وتزود العلماء منهم البعد عن التدليس والغش في العقود والبيوع وصون اللسان عن السباب والفحش.

فتزود العلماء منهم بالدعوة ولما عادوا الى بلدانهم نهضوا باعبائها لكنهم صدموا وقاومهم علماء امثالهم وقاومهم الحكام لان الحركة الاسلامية الجديدة تنذر الظلم: ظلم العلماء والحكام وظلم التجار والموظفين الظلم بكل ضروبه.

واذا كان الدعاة قد اصطدموا مع الجور والفساد في السلطة والمعتقد فقد وجدوا اتباعا ايضا وايقظ الاصطدام النائمين فصحوا وصحت عقلياتهم. وكل الدعاة وحركات الاصلاح الذين اعقبوا ابن عبد الوهاب تاثروا به ونهوضهم يدي لهذا المصطلح الاكبر الذي جدد شباب الاسلام في وقت بلغت شيخوخته حد الخرف والهذيان^(١)

وقد نقل كثير من الباحثين والمؤرخين منهم: عبدالله الرويشد في كتابه: محمد بن عبد الوهاب في التاريخ كثيرا من اراء العلماء والباحثين من عرب

(١) ينظر صقر الجزيرة تاليف احمد عبدالغفور عطار ، الطبعة الرابعة (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ج١: ١٢٥ - ١٢٨ ، وفيه ايضا نماذج عن انتشار الدعوة في ديار المسلمين ودولها لراغب الفائده والتوسع .

وغربيين الشئ الكثير ومن ذلك قوله : جاء في دائرة المعارف البريطانية :
الوهابية اسم لحركة التطهير في الاسلام واتباعها : يتبعون تعاليم الرسول
وحده ويهملون كل سواها واعداء هذه الدعوة هم اعداء الاسلام
الصحيح^(١).

ومن اثنى على الشيخ واثره ودعوته التصحيحية ولا يحصون.. وهذا
البحث يقتضي الاشارة والاختصار.

١) ينظر كتابه هذا الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة (١٣٩٢هـ -
١٩٧٢م) ج ٣: ٢ ، كله اراء العلماء ورجال الفكر في الشيخ واغلبهم غربيون .

الخامس: اثر المنهج السلفي في الانتماء الوطني:

المنهج السلفي ليس حزبا سياسيا ولا تجمعما قبليا ، ولا تالفا طائفيا بنعراته الممقوته التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال : (دعوها فانها منتنة هذه الكلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم سببها كما جاء عند البخاري ومسلم بسندين الى جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الانصار فقال الانصاري : يا للانصار وقال المهاجري ياللمهاجرين فقال رسول الله : (ما بال دعوى الجاهلية) فاخبر وقال كلمته هذه)^(١).

فليس في الاسلام حمية الا لدين الله ولا حماسة الا للدفاع عن حرمة الله ولا غضبه الا عندما تنتهك حدود الله ، وهذه الامور ترتبط باحاسيس القلب وتتحرك معه مشاعر الانسان حيث تهتم بهذا المنهج كل مسلم حريص على كمال ايمانه وحسن اتباع شرع الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيعرض الامر على شرع الله من مصدريه التي هي سمة منهج السلف الصالح. فتتقيد جانب العقيدة وتطهير الاعمال من الاساءة لجناب التوحيد والاخلاص في العمل بان يكون المراد بعوجه الله تعالى ولا يصرف منها لغير الله اشياء مهما صغرت واحتقرها الانسان كما في حديث صاحب الذبابة لانه ارتاح قلبه بتقديم ذبابه لصاحب قبر فدخل النار بذلك.

١) اوردته البخاري في تفسير القرآن الكريم برقم (٤٩٠٥) ومسلم في البر والصلة برقم (٢٥٨٤)

متفق عليه .

فاهل السنه والجماعه وهم (السلفيون) منهجهم المستمد من كتاب الله وسنه رسول الله ترتبط جميع اعماله بالنيه الصادقه التي محلها القلب كما هو التعريف بالايمان: بانه قول باللسان وتصديق بالجنان (وهو القلب) وعمل بالاركان التي هي جوارح الانسان فلا يخالف أي عمل ما وقر في القلب ويحرصون على تمكين هذا بتطبيق حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى) الحديث^(١).

ومفهوم السلفيين كما هو منهجهم في التعامل مع الله ومع البشر الوضوح والصدق في النية ويعتقدون ان كل عمل مع اخوانهم يراد به وجه الله لانه سبحانه يعلم السر والنجوى ويعلم ما تكن الصدور ويراقبونه سبحانه في التعامل مع غيره صدقا في الحديث وامانة في التعامل واجتنابا لما يخالف شرع الله سبحانه سرا او جهرا حتى في تعاملهم مع من يخالفهم في الدين والجنس ويتقربون الى الله باي عمل مع الناس او عباده مع الله بما يحبه ويقربهم اليه بالصدق والصبر والله يحب الصابرين ويحب الصادقين وبالاحسن الى الناس وغيرهم حت الحيوانات والله يحب المحسنين فكل ما يحبه الله يحرصون عليه ويحبونه ويشكرون الله على ذلك لذا يشكرهم الآخرون على هذا التعامل الذي ينعكس اثره على الانتماء الوطني وعلى التالف بين ابناء الوطن وبينهم وبين ولاة امرهم.

(١) رواه البخار ومسلم .

والمنهج السلفي بما فيه من حسنات اختاره اهل السنه والجماعه لانه يحدد العلاقة مع الله باتباع دينه الحق بالاعمال والوجدان فالوجدان بالعقيدة الصافية من كل ما يחדش جناب التوحيد في القلب لانه المخاطب واللب والعقل هما موطن الاحساس المقصود بالمخاطبه في كتاب الله للبشرية التي كلفت على السنه الانبياء من الله سبحانه لكي يعقلوا ما جائهم من تشريع وليستعملوا حواسهم في التمعن لما القى اليهم من تشريع فيتبعونه امثالا ويطبقونه عملا كما يحب الله حيث جاء في الحديث القدسي : (انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه) ^(١).

وما خالف النصوص فهو عمل مردود على صاحبه عندهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم محذر من البدع : (من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد) ^(٢). يعني : مردود على صاحبه لان الله سبحانه طيب لا يقبل من العمل الا ما كان طيبا والاعمال بالنيات كما في حديث عمر بن الخطاب الذي مر انفا وهو وارد في الصحيحين مطولا.

فالسلفيون يحرصون في منهجهم الايماني على حسن الماخذ في العمل والتوقي مع السؤال في العقيدة لانها تعامل مع الله سبحانه في تتبعهم للاثار وتنقيتهم للاعمال ويتواصون بذلك في اخوة دينيه وتعاون على البر والتقوى

(١) اورده مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقاق وفي نسخة باب تحريم الرياء برقم (٢٩٨٥) ويسميه المحدثون حديثا قدسيا .

(٢) رواه البخاري ومسلم وابو داود عن عائشه رضي الله عنها ينظر جامع الاصول في احاديث الرسول لابن الاثير تحقيق ونشر عبدالقادر الارناؤوط ج ١ : ٢٨٩ عام ١٣٨٩ هـ -

وتنصح وتشاور فيما بينهم وفق شرع الله في امر بالمعروف وحسن الحديث ونهيهم عن المنكر وفق الادله الصحيحه وفق ارشاد يلامس اوتار القلوب خصال تربطهم باخوانهم ليتصافوا ويتحابوا في تمسك بهذا الانتماء واهتمام بالاخوة الايمانيه لان من لم يهتم بامور المسلمين فليس منهم وارادت وجه الله في كل عمل سواء مع ولاية الامور ونصح للآخرين او فيما يعود على الوطن انتماء ومحبة له.

كما قيل في ان حب الوطن من الايمان وجاء في كشف الخفاء عن العجلوني بانه يجري على السنه بعض الناس بانه لم يصح وقال الصاغاني موضوع وجاء في المقاصد لم اقف عليه ومعناه صحيح ورد القارى قوله بان معناه صحيح بانه عجيب قال اذ لا تلازم بين حب الوطن وبين الايمان. ولكن انتصر له بعضهم بانه ليس في كلامه انه لا يحب الوطن الا مؤمن وانما في ان حب الوطن لا ينافي الايمان.

كذا نقله القاري ثم عقب عليه بانه لا يخفى ان معنى الحديث حب الوطن من علانة الايمان وهي لا تكون الا اذا كان الحب مختصا بالمؤمن فاذا وجد فيه وفي غيره لا يصح ان يكون علامة الا ان قال والظاهر في معنى الحديث ان صح مبناه ان يحمل على المراد بالوطن : الجنه فانها المسكن الاول لادم عليه السلام على خلاف فيه انه خلق فيها او ادخل فيها بعدما اتم او المراد مكه لانها ام القرى وقبلة العالم.

او المراد به الوطن المتعارف عليه ولكن بشرط ان يكون سبب الحب صلة ارحامه فيه او احسان الى بلده من فقرائه وايتمه ثم التحقق انه لا يلزم من كون الشئ علامة له اختصاصه به مطلقا بل يكفي غالبا.

الا ترى الى حديث حسن العهد من الايمان وحب العرب من الايمان مع
انهما يوجدان في اهل الكفر ثم قال ويدل على ان المراد به مكه ما روى ابن
ابي حاتم عن الضحاك قال : لما خرج النبي صلى الله علي وسلم وبلغ الجحفة
اشتاق على مكه فانزل الله (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد)^(١)
يعني الى مكه.

وكل هذا من المحبة الوطنية التي تستلزم الانتماء الوطني.
ثم اورد حديث اصيل لما قدم من مكه الى المدينة وسالته عائشه رضي الله
عنها عن مكه وكيف تركها فمدحها وفيه فقال له رسول الله : (حسبك يا
اصيل لاتخزن وفي رواية تدع القلوب تقر) وكل هذا من المحبة الوطنية المقرونة
بالمنظور الشرعي تطبيقا وسلوكا لان مكه وقر حبتها في قلبه مع وجدان عائشه
وكل من هاجر^(٢) .

وما ذلك الا ان المنهج السلفي الذي كان هو ادب الصفوة من امة محمد
صلى الله عليه وسلم حيث مدحهم رسول الله بالخيرية لانهم من القرون
الثلاثة المفضلة قد تاصل هذا المنهج بما توارثوه علما وتوثيقا وورعا وخشية لله
مخافة الوقوع في الحرج يزين ذلك ما ثبت في سير رجال الحديث والعلوم
الشرعية منهم عبادة وخصال حميده تمثل العدالة فكانوا ياخذون علمهم
خيارا من خيار مما اهلهم ليكونوا ثقاتا مؤتمنين يقتدى بهم.

(١) سورة القصص الاية ٨٥

(٢) كشف الخفاء للعجلوني ج ١ : ٣٤٥ ، ٣٤٦ الطبعة الثالثة سنة ١٣٥١ هـ دار احياء التراث
العربي .

ولذا يحرص كل من جاء بعدهم وانتمى الى منهجهم ان يترسم خطاهم وان ياخذ عنهم بنفس الطريقة التي اخذوا بها عمن قبلهم تشبها وقدوة كما قال ابن الصلاح :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام فلاح وهم يهتمون بخصال حميده بينها الله في كتابه من حيث الاخوة التي امر الله بها : (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) ^(١).

ويتخلقون باداب مستمدة من فهمهم لدلالة ما جاء في كتاب الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ادبه ربه فاحسن تاديبه وكان خلقه القرآن فيشعرون انهم المخاطبون بقول الله تعالى : (ياايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابذوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ، ياايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا يجب احذكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم) ^(٢).

فالمنهج السلفي يزكي الانتماء الوطني لانه ادب واخوه وعمل فالادب والاخزه ماخوذه من هذه الايات الكريمات وغيرها مما يدعوا الى مكارم الاخلاق والله يحب مكارم الاخلاق.

١ (سورة الحجرات الاية ١٠ .

٢ (سورة الحجرات الايتان ١١ ، ١٢ ،

فكلما قر في اذانهم شئ فيه توجيه كريم في كتاب الله او سنه رسوله او اعمال الصحابه هم السابقون الاولون وفهمه من جاء بعدهم من التابعين قالوا سمعنا واطعنا واهتموا بالتطبيق وتعليم من لا دراية له بالرفق وحسن الادب في العرض لاي فرد انجذب للاخوة الدينية من أي جنس وبأي لغة : (انما المؤمنون اخوة) ، لان المؤمن يحب لاخته ما يحب لنفسه خاصة لان شعائر الدين تجمعهم والسلام والدعاء اول وشيجه يربطهم ويؤاخي بينهم.

اما الاخوة العقدية بتوحيد الله في القلب والعمل فهي جاذب وجداني جعله الله مؤلفا بين القلوب بدون مطمع مادي او بحث عن منافع ذاتيه لان اخوة العقيدة اقوى من اخوة النسب فاذا اتفقت العقيدة مع الانتماء الوطني تحققت المصلحه المرجوه.

واما العمل فانما بينه الله في القرآن الكريم وما جاء في سنه رسول الله من تشريع وعبادات وما يدعى للعمل به وما لا يصح العمل به وما يباح وما يحرم وغير هذا مما بينته شريعة الله في الكتاب الكريم او ما بلغ رسول الله ثلى الله علي وسلم الامة به فان الالتزام فيه بين بقول الله : (وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)^(١).

فالمنهج السلفي متلازم مع الانتماء الوطني في كل امر شرعي امرا يتبع ونهي يجتنب يقول صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا

ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا ادلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم^(١).

ولا شك ان كل سلفي او من ينتمي الى وطنه يرنو الى الجنه ، فمن كثير من النصوص الشرعية يبرز المنهج السلفي بادراك ان لديه قانونا ربانيا فوق القوانين الارضية التي وضعها البشر ومحبة جمعت بين القلوب لانها ومن اجل نصر عقيدة التوحيد وانما ياتي في تشريع الاسلام من اوامر فهي ملزمة بالعمل وما يخفى دليله يجب سؤال اهل العلم لقوله تعالى : (فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)^(٢).

وهذا ما يدركه السلفيون في منهجهم التربوي والمواطنون في انتمائهم الوطني لما في ذلك من حفظ للمجتمعات من الضياع بمراقبة ذاتية من كل فرد مسلم سلفي ومواطن غيور حتى لا يفتح باب يدخل معه المغرطون فقد جعل الله السلفيين صمام امان لفهم الامور للتطبيق في النفس لانهم ميزان عدل بين التفريط والافراط ويشعر الفرد منهم بالانتماء للوطن فيحافظ عليه ولا يتعدى على غيره شاعرا بقوة الوازع الايماني من حيث الانتماء للوطن والتعاون ضد من يريد الاخلال بامنه او زحزحه محبته من القلوب والالتزام مع ولادة الامور التزاما بحفظ العهد ودفاعا عن الوطن ومكتسباته لان النيل منه نيل من الجانب الديني حيث انه لا قدر الله لو اتيح لعدو قريب او بعيد ان ينال من كرامة الوطن وامنه فانه ينشلم جانب من الاستقرار الذي يفتح للاعداء مجال يسئ الى

١ (اخرجه مسلم في كتاب الايمان برقم (٥٤)

٢ (سورة النحل الاية ٤٣

الدين ولا يتخلخل الانتماء الوطني الا مع الثورة الشجرة التي اتيح لها ان تعين اعداء الامة على النفاذ منها وقد حكى الله عن ملئ من بني اسرائيل بطلبهم من نبهم ان يبعث لهم ملكا يدافع عن ديارهم وابنائهم وهذا انتماء وطني^(١). وقد جاء في تفسير الطبري على سورة التكاثر ما يدل على اهمية الانتماء الوطني فقد قال على الاية الاخيرة: (ثم لتسئلون يومئذ عن النعيم)^(٢)، اختلف اهل التاويل في ذلك النعيم ما هو؟ فقال بعضهم هو الأمن والصحة، وأورد بالسند عن عباد بن يعقوب المتسلسل إلى ابن مسعود رضي الله عنه قال: (الأمن والصحة) وبهذا قال كثير من العلماء، ذكر الطبري منهم: الشعبي ومجاهد، وسفيان، وابن عباس^(٣).

ولأن الانتماء الوطني منهجه يقتضي: السمع والطاعة لولاة الأمر، وعدم منازعتهم الأمور، فإن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء يجب التأدب معهم، والرجوع إليهم في كل أمر هام بنفس راضية مطمئنة، لأن الحق لا يخضع للأهواء ولا للمزايدات.

والعلماء السلفيون هم أشد الناس حرصاً على التثبيت، وهم صمام الأمان عند مراقبة الله في الأداء، لحرصهم على الأمانة العلمية، وأدائها على وجهها خوفاً من عقاب كتمان العلم، ولحرصهم على حفظ الأمانة، ورعاية الضرورات الخمس: الدين والنفس والنسل والمال والعقل^(٤)، التي بمراعاتها

١ (تقرا الايات (٢٤٣، ٢٤٦) وما بعدها من سورة البقرة .

٢ (سورة التكاثر الاية ٤

٣ (تفسير الطبري، ج ٢٤ : ٦٠٣.

٤ (يراجع في هذا الموافقات للشاطبي ج ٥ : ٢.

والتعاون بين أصحاب المنهج السلفي ، والمهتمين بالانتماء الوطني ، يتحقق للأمة الشيء الكثير: تعاوناً ومحبة وأمناً ورخاء.. وغير ذلك من المكتسبات التي تتطلب إليها النفوس ، كما حصل في عصور الإسلام المزدهرة: دينياً واجتماعياً ، وتقارباً في الأمور كلّها ، وصفاء في النفوس ، بمثل ما وصّى به الرسول الله الجار لجاره ، حتى ظن الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سيورثه ، وهذا كله من الآثار الطيبة ، بين المنهجين ، وجاء في صحيح مسلم ما يثبت التلازم الوطني ، بالسمع والطاعة لولي الأمر ، وعدم منازعته ، وعند المحدثين أيضاً ، في باب الفتن منها : (من مات وليس في عنقه بيعة لولي الأمر ، مات ميتة جاهلية) وآخر (من جاء بفرق جماعتكم ، وأمركم بينكم فاضربوا عنقه) ، وأحاديث الفتن التي روى أكثرها ، حذيفة بن اليمان رضي الله عنه مبسوطه عند المحدثين ، رسم فيها رسول الله ما يجب على الأمة عمله عندما تبرز الفتن.

ومن اهتمامات ملوك آل سعود ، لأنهم سلفيون : خدمة الإسلام والمسلمين المستمرة كمرعاة الحج وخدمة ضيوف الرحمن ، وتوسعة الحرمين الشريفين ، وتطوير الخدمات للأماكن المقدسة ، والعناية بها ، وتنظيم العمرة ، الاهتمام بنشر الإسلام ، وبناء المساجد في العالم والمراكز الاسلامية ودعم التعليم في الدول والمجتمعات الاسلامية وتوفير المنح الدراسية لآبناء المسلمين والمساعدات الاغاثية وتوزيع لحوم

الهدى والاضاحي على فقراء المسلمين في ديارهم ودعم القضايا الاسلامية بما فيها الاقتصاد^(١) ،

لانهم يشعرون بالاخوة الاسلامية فتراهم يسعون لمصالحهم لان الله استرعاهم شؤون الحرمين الشريفين واخذوا على انفسهم اراحة ضيوف الرحمن وخدمتهم.

ولما بان للمسؤولين من المملكة علماء وحكام ما يعترى بعض طبقات المصحف الشريف من اخطاء وعدم الرعاية الكامله راوا ان تتبنى المملكة وفي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم الاهتمام بطباعة المصحف الشريف وترجمة معانيه فوجدوا هيئة كاملة لهذا الغرض بكامل الاستعدادات المطلوبه والعناية الفائقة وهذا الموضوع يحتاج توضيح اشمل ولكن يكفي الاشارة الى ان انتاج المجمع زاد عن ٢٤٣ مليون نسخه من القرآن الكريم حتى جماد الاول عام ١٤٣٠ هـ مع الترجمة الى خمسين لغة موزعه كما يلي: (٢٤) لغة اسبويه. ١٤ لغة افريقية ، ١٢ لغة افريقيه ، مع ترجمته الى لغات الاشارات وتوزع جميع اصدارات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف على المسلمين في الحج وفي ديارهم بواسطة السفارات السعوديه مجانا^(٢) ، والله الموفق والهادي الى سواء السبيل.

-
- (١) يراجع في مثل هذا منشورات كثيرة منها كتاب الملك فهد بن عبدالعزيز في خدمة الاسلام والمسلمين خلال عشرين عاما الاصدار الرابع عام ١٤٢٠ هـ الناشر رابطة العالم الاسلامي.
- (٢) يراجع تقرير المجمع بمناسبة انعقاد ندوة القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة شوال عام ١٤٣٠ هـ وكتاب الاصدار الخاص عن ترجمات معاني القرآن الكريم الصادر عن الامانه عام ١٤٢٨ هـ اكتوبر ٢٠٠٩ م .

مصادر البحث:

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الحديث النبوي الشريف
- ٣- تفسير الدرر المشور للسيوطي الناشر دار الفكر العربي للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٩٩٣ م - ١٤١٤ هـ
- ٤- تفسير القرآن الكريم لابن كثير
- ٥- تفسير الطبري تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الناشر دار هجر للطباعة والنشر
- ٦- انجازات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد في خدمة الاسلام والمسلمين من عام ١٤٠٢ هـ - ١٤٢٢ هـ من اصدارات رابطة العالم الاسلامي عام ١٤٢٢ هـ مطابع الرابطة بمكة المكرمة
- ٧- المصحف والسيف جمع واعداد محيي الدين القابسي الطبعة الرابعة عام ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م نشر دار الصحوة السعودية للنشر
- ٨- اصدق البنود في تاريخ الملك عبدالعزيز ال سعود لعبدالله الزامل الطبعة الاولى عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
- ٩- بحث الاستاذ عبدالعزيز الرفاعي للمؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز المتعقد في جامعه الامام محمد بن سعود الاسلامية عام ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م
- ١٠- جامع الاصول من احاديث الرسول لابن الاثير تحقيق عبدالقادر الارناؤوط الناشر ثلاث دور ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
- ١١- ترجمات معاني القرآن الكريم والكتب العلمية الاخرى بالمدينه المنوره حتى نهاية عام ١٤٢٨ هـ تقرير في كتاب بمناسبة فوز المجمع بجائزة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمية للترجمة
- ١٢- تاريخ البلاد العربيه السعوديه للدكتور منير العجلاني الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

- ١٣ - تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية تأليف د/ محمد بن سعد الشويعر الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
- ١٤ - تاريخ افريقيا الشمالية تأليف المؤرخ الفرنسي شارلي جوليان ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة الناشر الدارالتونسية للنشر تونس عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
- ١٥ - تاريخ ملوك ال سعود تأليف الامير سعود بن هذلول الطبعة الثانية بيروت دار العلم للملايين ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- ١٦ - الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة اصدار الندوة العالمية للشباب الاسلامي بالرياض الطبعة الاولى عام ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ هـ
- ١٧ - الاستقصاء لآخبار المغرب الاقصى تأليف احمد الناصري مطبعة دار الكتاب المغربي الدار البيضاء ١٩٥٤ م
- ١٨ - دائرة المعارف البريطانية
- ١٩ - جريدة الرياض ١١ ربيع الاول عام ١٤١٠ هـ العدد ١١٣١٢
- ٢٠ - رابطة ظفر على خان ومسلمي الهند بالملك عبدالعزيز تأليف الدكتور محمد بن سعد الشويعر الطبعة الاولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م الرياض
- ٢١ - عبقرية شخصيه الاسلاميه للدكتور عبدالعزيز شرف ومحمد ابراهيم شعبان الطبعة الاولى عام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- ٢٢ - من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب الجزء الخامس الرسائل الشخصيه اصدار جامعه الامام محمد بن سعود الاسلاميه الرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- ٢٣ - علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبدالله البسام الطبعة الثانيه عام ١٤١٩ هـ نشر دار العاصمة الرياض
- ٢٤ - عجائب الاثار لعبدالرحمن الجبرتي المطبعة العامره الشرفيه بمصر الطبعة الاولى بدون تاريخ
- ٢٥ - صقر الجزيرة تأليف احمد عبدالغفور عطار الطبعة الرابعه ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- ٢٦ - الفرق الاسلاميه في الشمال الافريقي تأليف الفردل ترجمة عبدالله بدوي
- ٢٧ - من شيم الملك عبدالعزيز تأليف فهد المارك الطبعة الاولى عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م
- ٢٨ - مجلة رابطة العالم الاسلامي جمادى الاول عام ١٤١٠ هـ

- ٢٩- مجلة دورية المانية (islamica) العدد الاول المجلد السابع ١٩٣٥ م
- ٣٠- مجلة التضامن الاسلامي جماد الاول عام ١٤١٠ هـ - وعام ١٤١٢ هـ
- ٣١- مجلة المنار لصاحبها محمد رشيد رضا تصدر بالقاهرة
- ٣٢- مقدمة ابن خلدون ديوان العبر مطبوعات مكتبه ومطبعه الحاج عبدالسلام بن محمد شقرون بمصر الحمزاوي ببيرس بدون تاريخ
- ٣٣- محمد بن عبدالوهاب في التاريخ تأليف عبدالله بن رويشد الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
- ٣٤- كتاب كشف الخفاء والالباس عما يجري على السنة الناس للعجلالوني الطبعة الثالثة ١٣٥١ هـ نشر دار احياء التراث العربي بيروت
- ٣٥- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنوره صرح اسلامي شامخ كتاب بمناسبة انعقاد ندوة القرآن الكريم والتقنيات المعاصرة تقنيه المعلومات شوال عام ١٤٣٠ هـ اكتوبر ٢٠٠٩ م.



مصادر القضاء السلفي (والقضاء في المملكة أنموذجاً)

أعداد

د. عبدالرحمن بن سلامة المزيني
الأستاذ المشارك بقسم الفقه المقارن
بالمعهد العالي للقضاء

السلفية

الحمد لله رب العالمين ، أمر بالعدل والإحسان والحكم بما أنزل في القرآن ،
والصلاة والسلام على أشرف خلقه ، المبعوث رحمة للعالمين محمد صلى الله
عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد :

فإن منصب القضاء من أجلّ المناصب قدراً ، وأعزها مكاناً ، وأشرفها
ذكراً ، به الدماء تعصم وتسفح ، والأبضاع تحرم وتنكح ، والأموال يثبت
ملكها ويسلب ، والمعاملات يعلم ما يجوز منها ويحرم^(١).

تولاه النبي - ﷺ - ، وخلفاؤه وأصحابه من بعده ، فنشروا به العدل ،
وبددوا به الظلم ، معتمدين في هذا القضاء على مصادر التشريع الإسلامي ،
ولما كانت جامعتنا العريقة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرائدة في
ميادين العلم والمعرفة ، والسبابة إلى نشرها تفعيلاً للحراك العلمي الذي
تشهده المملكة العربية السعودية ، في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين ،
والممثل في عقد الندوات والمؤتمرات.

بادرت الجامعة بادرة حكيمة إلى عقد ندوة السلفية ، فرغبت أن أشارك
فيها ببحث "مصادر القضاء السلفي والقضاء في المملكة العربية السعودية
أ نموذجاً للقضاء السلفي".

(١) انظر : تبصرة الحكام ١ / ٢ .

وقد قسمت البحث إلى تمهيد ومبحثين :

التمهيد وفيه مطلبان :

المطلب الأول.

١. تعريف القضاء لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني.

٢. مفهوم السلف.

المبحث الأول : مصادر القضاء السلفي.

المبحث الثاني : قضاء المملكة العربية السعودية أنموذجاً للقضاء السلفي.

وأسأل الله التوفيق والسداد ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين.

التمهيد:

المطلب الأول.

تعريف القضاء:

القضاء لغة يطلق على عدة معانٍ، منها: الحكم، والإلزام، والتقدير، والأمر^(١).
القضاء اصطلاحاً: فصل الخصومة بين خصمين فأكثر بحكم الله^(٢).

المطلب الثاني.

مفهوم السلفية:

السلف في اللغة يطلق على ما مضي وانقضى، وتقدم^(٣).
أما السلفية فهو مصطلح يطلق على ما كان على طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين^(٤).
والسلفيون هم الذين يعتقدون معتقد السلف الصالح، وينتهجون منهجهم في فهم الكتاب والسنة^(٥).

مصادر القضاء السلفي:

تعتبر السلفية امتداداً لمدرسة أهل الحديث^(٦) الذين اعتدوا بالنصوص، وكانوا أشد تمسكاً بالرواية، والوقوف عند الأثر، فكانت مصادر الأحكام

(١) انظر: لسان العرب ١٥/ ١٨٦ - ١٨٨، والمصباح المنير / ٥٠٧.

(٢) انظر: مغني المحتاج ٤/ ٣٧٢، وأنيس الفقهاء / ٢٢٨.

(٣) انظر: لسان العرب ٩/ ١٥٨، والمصباح المنير ٢٨٥.

انظر: القوانين الفقهية ١/ ١٧.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٥٩.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٥٩.

(٦) انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٠٣.

عندهم مستمدة من نصوص الكتاب والسنة ، فإذا وردت أقضية لا نص فيها من كتاب ولا سنة ، فإن كان فيها قضاء أو إجماع سابق قضي به ، وإلا اجتهد فيها ، هذا هو المنهج الذي سار عليه السلف في قضائهم ، وأرشدهم إليه النبي - ﷺ - وخلفاؤه من بعده ، قال النبي - ﷺ - لمعاذ حين بعثه إلى اليمن :

كيف تقضي إن عرض لك قضاء ؟

قال : أقضي بكتاب الله .

قال : فإن لم تجد ؟

قال : فبسنة رسول الله .

قال : فإن لم تجد ؟

قال : أجتهد رأيي ولا آلو .

فضرب صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضيه ^(١) . وكانت طريقة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - على هذا المنوال ، قال أبو عبيدة ^(٢) في كتاب القضاء : حدثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان

(١) أخرجه عن الحارث بن عمر يرفعه إلى معاذ أبو داود في كتاب الأقضية باب الاجتهاد والرأي في القضاء ، حديث (٣٥٩٢) والترمذي في كتاب (الأحكام) باب القاضي كيف يقضي ، حديث (١٣٢٧) ، وأحمد في المسند ٣٧/١ ، ٢٣٠/٥ ، ٢٣٦ قال في التلخيص الحبير ١٨٣/٤ وقد استند أبو العباس بن القاص على صحته إلى تلقي أئمة الفقه والاجتهاد له بالقبول ، قال : وهذا القدر مُغْنٍ عن مجرد رواية .

(٢) هو أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ، كان فقيهاً إماماً في القراءات ، حافظاً للحديث وعلله رأساً في اللغة ، تولى القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة ، ومات بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين ، من تصانيفه أدب القضاء ، وغريب الحديث ، وغريب القرآن وغيرها .

عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر الصديق - عليه السلام - إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله - تعالى - ، فإن وجد ما يقضى به قضى به ، وإن لم يجد في كتاب الله نظر في سنة رسول الله - عليه السلام - ، فإن وجد فيها ما يقضى به قضى به ، فإن أعياه ذلك سأل الناس : هل علمتم أن رسول الله - عليه السلام - قضى فيه بقضاء ؟ فرمما قام إليه القوم ، فيقولون : قضى فيه بكذا وكذا ، فإن لم يجد سنة سننها النبي - عليه السلام - جمع رؤساء الناس ، فاستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به .

وكان عمر - عليه السلام - ، يفعل ذلك فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة سأل : هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء ؟ فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به ، وإلا جمع الناس واستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به ^(١) .

وروى عن عمر - عليه السلام - أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري : الفهم الفهم فيما أدلي إليك مما ليس في قرآن ولا سنة ، ثم قس الأمور عند ذلك ، واعرف الأمثال والأشباه ، ثم أعمد فيها إلى أحبها إلى الله - تعالى - ، وأشبهاها بالحق .

قال أبو إسحاق الشيرازي ^(٢) : وهذا كتاب تلقته الأمة بالقبول ، وبهذا يتبين أن مصادر الحكم لدى السلف : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس ، والاجتهاد .

انظر : طبقات الفقهاء ٩٢ ، والفهرست ١٠٦ - ١٠٧ ، شذرات الذهب ٥٤/٢ - ٥٥ .

(١) انظر : أعلام الموقعين ٦٢/١ ، والتبصرة في أصول الفقه ٤٢٦/١ .

(٢) التبصرة في أصول الفقه ٤٢٦/١ ، وانظر اللمع في أصول الفقه ٩٧/١ .

وسأتكلم عن كل مصدر من تلك المصادر بشيء من التفصيل :
أولاً : الكتاب العزيز :

القرآن الكريم مصدر التشريع الأول ، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم ، وقد اشتمل القرآن على أصول الشريعة وقواعدها في الحلال والحرام ، وجاءت أكثر أحكامه مجملة تشير إلى مقاصد الشريعة ، وتضع بيد المجتهدين المصباح الذي يستضيئون في ضوئه أحكام جزئيات الحوادث في كل زمان ومكان ، وهذا سر خلود الشريعة ، وشمول قواعدها الكلية ، ومقاصدها العامة لما يحدث في الناس من أفضيات ، وإنما فصل القرآن ما لا بد فيه من التفصيل الذي يجب أن يسمو عن مواطن الخلاف والجدل ، كما في العقائد وأصول العبادات ، أو لأنه ينبني على أسباب لا تختلف ولا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة ، وذلك كما في تشريع المواريث ، ومحرمات النكاح ، وعقوبة بعض الجرائم ^(١) ﴿ قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي أَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٤) .

وجملة ما شرعه الله من أحكام في القرآن : إما معاملة بين الله والعبد ، وهي العبادات التي لا تصح إلا بالنية كالصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، وهذه العبادات الأربع مع الإيمان أساس الدين .
وإما معاملات العباد بعضهم مع بعض ، وهذه أربعة أقسام :

(١) انظر : التشريع والفقه في الإسلام ٣٧ - ٣٨ .

(٢) الأنعام آية ٣٨ .

الأول: ما شرعه الله لتأمين الدعوة، وهو الجهاد.

الثاني: ما شرعه الله لتكوين الأسرة، وهو ما يتعلق بالزواج والطلاق والأنساب والمواريث.

الثالث: ما شرعه الله للمعاملة بين الناس من بيع وإجارة وغير ذلك.

الرابع: ما شرعه الله ببيان العقوبات على الجرائم وهو القصاص والحدود^(٣).

وقد أمر الله - ﷻ - بوجوب العمل بما تضمنه القرآن من أحكام في أكثر من موضع في كتابه العزيز قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝﴾^(٤).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأِنْ أَحْكَم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ

(٣) انظر تاريخ التشريع الإسلامي / ٢٩.

(١) المائدة آية ٤٨ .

اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بَعْضُ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ
 الْجَهْلِیَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿١﴾

بل جعل العمل بذلك شرط الإيمان :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
 بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
 تَسْلِيمًا ﴾ ﴿٢﴾

ثانياً : السنة .

السنة ما أثر عن النبي - ﷺ - متواتراً من قول أو فعل أو تقرير ^(٣) .
 وهي المصدر الثاني من مصادر الأحكام ، بل تعتبر المصدر الأول في كثير
 من الأحكام ، والرسول لا ينطق عن الهوى قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ
 الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ﴿٤﴾

وأمرنا بإتباعه وطاعته قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا قَدْحُودًا وَمَا
 نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنَّهُوْا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿٥﴾

(١) المائدة آية ٤٩ - ٥٠ .

(٢) النساء آية ٦٥ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوي ١٩/١٩٥ ، والبحر الرائق ٦/٤٤٤ ، وأنيس الفقهاء / ١٠٥ .

(٤) النجم آية ٣ - ٤ .

(٥) الحشر آية ٧ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ^(١).

وطاعة الرسول طاعة لله ، وأصل من أصول الإيمان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ

عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ ^(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

سَلِيمًا﴾ ^(٣).

وجاءت السنة شارحه ومبينه ومفسرة لكثير مما جاء في القرآن من أحكام
مجملة أو موجبة لحكم.

قال ابن القيم - رحمه الله - السنة مع القرآن ثلاثة أوجه :

أحدها : أن تكون موافقة له من كل وجه فيكون توارد القرآن والسنة على
الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

الثاني : أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له.

الثالث : أن تكون موجبة لحكم سكوت القرآن عن إيجابه ، أو محرمه لما
سكت عن تحريمه ، ولا تخرج عن هذه الأقسام ، فلا تعارض القرآن بوجه ما ،
فما كان منها زائداً عن القرآن فهو تشريع مبتدأ من النبي - ﷺ - ، تجب

(١) النساء آية ٥٩ .

(٢) النساء آية ٨٠ .

(٣) النساء آية ٦٥ .

طاعته، ولا تحل معصيته، وليس هذا تقدماً لها على كتاب الله، بل امتثالاً لما أمر الله به من طاعة رسوله^(١).

هذه منزلة السنة عند السلف، فهي ثروة غزيرة، ومصدر من مصادر الحكم السلفي، لا يحل لمسلم علم ما في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - أن يقضي بخلافهما، أو أن يكتفي بالقرآن دون السنة.

ثالثاً: الإجماع.

هو اتفاق مجتهدي أمة محمد - ﷺ - من بعده في عصر من الأعصار على حكم من الأحكام^(٢).

ولا بد أن يستند الإجماع إلى كتاب أو سنة، ولا يخرج عنهما، وهو حجة قاطعة، وهو مذهب الأئمة الأربعة وأتباعهم^(٣).

وحجية الإجماع مبنية على أصل، وهو عصمة الأمة الإسلامية من

اجتماعها على ضلاله في أمر دينها قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ

بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ

وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(٤).

وقال - ﷺ - : "إن أمتي لا تجمع على ضلالة"، وفي رواية: "إن الله لا

يجمع أمتي - أو قال أمة محمد - ﷺ - على ضلالة"^(٥).

(١) إعلام الموقعين ٢/٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) انظر: البحر المحيط ٣/٤٨٧، وشرح الكوكب المنير ٢/٢١١.

(٣) انظر: التحبير شرح التحرير ٤/١٥٣٠، والمسودة ١/٢٨٢، والمختصر في أصول الفقه ١/٧٤.

(٤) النساء آية ١١٥.

(٥) أخرجه ابن ماجه عن أنس بن مالك في كتاب الفتن باب "السواد الأعظم" حديث

(٣٩٥٠)، والترمذي عن ابن عمر في كتاب الفتن باب "ما جاء في لزوم الجماعة" حديث

والإجماع مصدرٌ أساسي من مصادر الحكم عند السلف، تثبت به الأحكام كما تثبت بالنصوص الشرعية، ولكنه ليس مستقلاً بذاته من غير استناد إلى كتاب أو سنة كما سبق ذكر ذلك.

الرابع: القياس.

القياس هو "رد فرع مسكوت عنه عن حكمه إلى أصل منطوق بحكمه؛ لمساواته له في علة حكمه، ولا يكفي وجود المانع بين الأصل والفرع، بل لا بد في اعتباره من دليل يدل عليه من نص أو إجماع^(١)."

(٢١٦٧) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، والحاكم في المستدرک ١١٥/١ - ١١٧، وقال بعد أن ذكر روايات الحديث: "فقد استقر الخلاف في إسناد هذا الحديث على المعتمر ابن سليمان، وهو أحد أركان الحديث من سبعة أوجه، لا يسعنا أن نحكم أن كلها محمولة على الخطأ بحكم الصواب؛ لقول من قال: عن المعتمر، عن سليمان بن سفيان المدني، عن عبد الله بن دينار، ونحن إذا قلنا هذا القول نسبنا الراوي إلى الجهالة، فوهنا به الحديث، ولكننا نقول: إن المعتمر بن سليمان أحد أئمة الحديث، وقد روي عنه هذا الحديث بأسانيد يصح بمجمليها الحديث، فلا بد أن يكون له أصل بأحد هذه الأسانيد، ثم وجدنا للحديث شواهد من غير حديث المعتمر لا أدعي صحتها، ولا أحكم بتوهمها، بل يلزمني ذكرها لإجماع أهل السنة على هذه القاعدة من قواعد الإسلام، فمن روى عنه هذا الحديث من الصحابة عبد الله ابن عباس, وقد روى هذا الحديث عن أنس بن مالك، وقال في المقاصد الحسنة ٧١٦/١ - ٧١٧: "وبالجملة فهو حديث مشهور المتن، ذو أسانيد كثيرة، وشواهد متعددة في المرفوع وغيره، فمن الأول: "أنتم شهداء الله في الأرض"، ومن الثاني قول ابن مسعود: إذا سئل أحدكم فليُنظر في كتاب الله، فإن لم يجد في سنة رسول الله، فإن لم يجد فيها فليُنظر فيما اجتمع عليه المسلمون، وإلا فليجتهد.

(١) انظر: البحر المحیط ٧/٥، وإرشاد الفحول ١٩٨ / ١٩٩ والفكر السامي في تاريخ الفقه ١٢٧/١.

وهو أصل من أصول الشريعة، يستدل به على الأحكام قال الشوكاني في إرشاد الفحول (الفصل الثاني) في حجية القياس: اعلم أنه قد وقع الاتفاق على أنه حجة في الأمور الدنيوية.

قال الفخر الرازي: كما في الأدوية والأغذية، وكذلك اتفقوا على حجية القياس الصادر منه - ﷺ - ، وإنما وقع الخلاف في القياس الشرعي فذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والفقهاء والمتكلمين إلى أنه أصل من أصول الشريعة، يستدل به على الأحكام التي يرد بها السمع^(١).

وقد دل على اعتباره الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وإليك بعض الأدلة على ذلك:

(١) إرشاد الفحول ١٩٩ .

أولاً الكتاب :

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾^(١).

والاعتبار قياس الشيء بالشيء.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ

الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٢).

فأولوا الأمرهم العلماء والاستنباط القياس^(٣).

ثانياً: السنة :

- ١- عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن امرأة أتت إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فقالت : إن أُمي ماتت ، وعليها صوم شهر ، فقال : رأييت لو كان عليها ، دين أكنت تقضينه؟ قالت : نعم ، قال : " فدين الله أحق بالقضاء " ^(٤).
- ٢- عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقالت : إن أُمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت ، أفأحج عنها؟ قال : نعم ! حجي عنها ، رأييت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ، اقضوا لله ، فالله أحق بالوفاء ^(٥).

(١) الحشر آية (٢).

(٢) النساء آية (٨٣) .

(٣) انظر : البحر المحيط ٢٣/٥ ، والفكر السامي في تاريخ الفقه ١٢٧/١ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب " قضاء الصيام عن الميت " حديث (١١٤٨) والبخاري في كتاب الصوم باب من مات وعليه صوم ، حديث (٦١) .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الحج باب الحج والنذر عن الميت ، حديث ٢٤٢٦ .

٣- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً أتى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال : يا رسول الله ولد لي غلام أسود ، فقال هل لك من إبل ؟ قال : نعم ، فقال : ما لونها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها من أورك ؟ قال : نعم ، قال : فأني ذلك ؟ قال : لعله نزعة عرق ، قال : فلعل ابنك هذا نزعة ^(١) ^(٢) .

ثالثاً : إجماع الصحابة :

اتفق الصحابة على العمل بالقياس ، ونقل ذلك عنهم قولاً وفعلاً ، قال الزركشي : " قال ابن عقيل الحنبلي : وقد بلغ التواتر المعنوي عن الصحابة باستعماله وهو قطعي .

وقال الهندي : دليل الإجماع هو المعول عليه لجماهير المحققين من الأصوليين ، وقال ابن دقيق العيد : عندي أن المعتمد اشتهاه العمل بالقياس في أقطار الأرض شرقاً وغرباً قرناً بعد قرناً عند جمهور الأمة ، إلا عند المتأخرين ، قال : وهذا من أقوى الأدلة " ^(٣) .

وما نقل عن الصحابة - رضي الله عنهم - في العمل بالقياس كثير ، يرجع إليه في كتب الآثار والفقه وأصوله .

فالقياس مصدر من مصادر الحكم لا يستغنى عنه كما قال الإمام أحمد - رحمه الله - وغيره ^(٤) ؛ لأن النصوص لا تفي بالأحكام ؛ لأنها متناهية ، والحوادث غير متناهية ، فلا بد من طريق شرعي يضاف إليها .

(١) أخرجه البخاري في كتاب " اللعان " باب " إذا عرض بنفي الولد " ، حديث ٤٨ ومسلم في كتاب " اللعان " حديث (١٥٠٠) .

(٢) انظر : البحر المحيط ٢٤/٥ ، ومعالم السنين ٦٩٤/٢ .

(٣) البحر المحيط ٢٥/٥ .

(٤) انظر : البحر المحيط ١٦/٥ ، وإعلام الموقعين ١٣٠/١ .

فمن لطف الله - ﷻ - بنا أن أنزل العمومات لنستنبط منها المسائل الخاصة بالاندراج ، وأنزل المسائل الخاصة ليقاس عليها ما يماثلها في علة الحكم وما يشابهها ؛ لتكون الشريعة صالحة لكل زمان ومكان.

رابعاً: الاجتهاد:

عرف الاجتهاد بعدة تعاريف ، ولعل أجمعها ما ذكره الآمدي بقوله : استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد فيه ^(١).

وللاجهاد شروط لا بد أن توجد في المجتهد ، حتى يتمكن من استنتاج الأحكام من مأخذها ، وهي :

الأول : أن يكون عالماً بنصوص الكتاب والسنة ، ولا يشترط معرفته بجميع الكتاب والسنة ، بل ما يتعلق منهما بالأحكام ^(٢).

الثاني : أن يكون عارفاً بمسائل الإجماع ، حتى لا يفتى بخلاف ما وقع الإجماع عليه ^(٣).

الثالث : أن يكون عالماً بلسان العرب ، بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة من الغريب ونحوه ^(٤).

الرابع : أن يكون عارفاً بالناسخ والمنسوخ ، حتى لا يحكم بالمنسوخ المتروك ^(٥).

الخامس : أن يكون عالماً بعلم أصول الفقه ^(٦).

(١) الأحكام ٢١٨/٤ ، انظر إرشاد الفحول / ٢٥٠ .

(٢) انظر : إرشاد الفحول / ٢٥٠ ، والبحر المحيط ١٩٩/٦ .

(٣) انظر : إرشاد الفحول / ٢٥١ ، والبحر المحيط ٢٠١/٦ .

(٤) انظر : إرشاد الفحول / ٢٥١ والبحر المحيط ٢٠٢/٦ .

(٥) انظر : البحر المحيط ٢٠٣/٦ ، وإرشاد الفحول / ٢٥٢ .

(٦) انظر : إرشاد الفحول / ٢٥٢ ، والبحر المحيط ٢٠٣/٦ .

السادس : أن يعرف ما يتعلق بصحة الحديث وضعفه^(١).

السابع : معرفه مقاصد الشارع من الأحكام ، وهذا من أهم ما يشترط بالمجتهد ، فإن أحكام الشريعة دائرة حول مصالح العباد في الدنيا والآخرة ، ورعاية المصالح مقصودة بمراتبها الثلاث الضروريات ، والحاجيات ، والتحسينيات^(٢).

مكانة الاجتهاد :

سبق أن ذكرت أن النصوص متناهية ، والحوادث والوقائع غير متناهية ، ولما لم يكن بدُّ تعرف حكم الله في الوقائع كان الاجتهاد من فروض الكفايات.

قال الشهرستاني في الملل والنحل : "الاجتهاد من فروض الكفايات ، لا من فروض الأعيان ، إذا اشتغل بتحصيله واحد سقط الفرض عن الجميع ، وإن قصر فيه أهل عصر عصوا بتركه ، وأشرفوا على خطر عظيم ، فإن الأحكام الشرعية الاجتهادية ، إذا كانت مترتبة على الاجتهاد ترتب المسبب على السبب ، ولم يوجد السبب كانت الأحكام عاطلة ، والآراء كلها فائلة ، فلا بد إذاً من مجتهد^(٣)."

ويلزم من انتفاء الاجتهاد اتفاق الأمة على باطل ، وهذا محال لقول النبي - ﷺ - : "إن أمتي لا تجمع على ضلالة"^(٤).

وقد اجتهد النبي - ﷺ - في كثير من الوقائع ، واجتهد الصحابة - رضوا الله عنهم - في حياته وبعد مماته.

(١) انظر : البحر المحيط ٢٠٣/٦ .

(٢) انظر : الاجتهاد ورعاية المصلحة ودرء المفسدة تأليف عبد العزيز السعيد مطبوعات الجامعة.

(٣) الملل والنحل ٢٥٠/١ انظر : والبحر المحيط ١٩٨/٦ .

(٤) سبق تخريج الحديث في ص ١١ .

والشواهد على هذا كثيرة، ليس من مقصود البحث الاستطراد فيها، فهي مبسوبة في كتب الأصول.

وسأكتفي بشاهدين من اجتهاده - ﷺ - ، وشاهدين من الاجتهاد في حضرته - ﷺ - .

أولاً: اجتهاده - ﷺ - :

١. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - ﷺ - قال: إن الله حرم مكة، فلم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار لا يختلي خلاها، ولا يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرفٍ، وقال العباس: يا رسول الله: إلا الإذخر لصاغتنا وقبورنا، فقال: إلا الإذخر^(١).

ورجوعه لقول العباس دليل على أنه قال ذلك باجتهاده؛ إذ لو كان بوحى لما تغير^(٢).

٢. عن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدى لحلت^(٣).
قال النبي - ﷺ - ذلك حينما قرن الحج بالعمرة، وساق الهدى، وهذا صريح بأنه - ﷺ - عمل باجتهاده، وإلا كيف يتمنى غير ما أمر الله به.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج باب لا ينفر صيد الحرم حديث ٤٠٨/ ، ومسلم في كتاب الحج ، باب التحريم مكة حديث (١٣٥٣).

(٢) الاجتهاد ورعاية المصلحة ودفع المفسدة ٣١/ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب "التمني" باب قول النبي - ﷺ - : "لو استقبلت من أمري ما استدبرت" حديث (٤) ومسلم في كتاب "الحج" باب بيان وجوه الإحرام" حديث ١٢/٦ .

ثانياً: الاجتهاد في حضرته.

١. قصة تحكيم سعد بن معاذ في بني قريظة، ولما حكم سعد فيهم بقتل المقاتلة، وسبي الأموال والذراري قال - ﷺ - : "قضيت بحكم الله" (١).
٢. قصة تحكيم عمرو بن العاص وهو بحضرته - ﷺ - ، وقوله - ﷺ - له : "إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر" (٢).

أما الشواهد على اجتهاد الصحابة من بعده فهي كثيرة، ليس هنا مجال حصرها. ويبقى الاجتهاد معينا لا ينضب من الأحكام، يدل على سعة الشريعة وشمولها، وعدم جمودها، وصلاحياتها لكل زمان ومكان.

(١) أخرجه عن أبي سعيد الخدري ، البخاري في كتاب "المغازي" ، باب مرجع النبي - ﷺ - من الأحزاب ، ومخرجه إلى بني قريظة ، حديث (١٥٧) ومسلم في كتاب (الجهاد والسير) باب جواز قتال من نقض العهد حديث (١٧٦٨) .

(٢) أخرجه عن عمرو بن العاص ، البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب "أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ ، حديث (١٢٠) ، ومسلم في كتاب "الأفضية" ، باب "بيان أجر الحاكم إذا اجتهد وأصاب أو أخطأ حديث (١٧١٦).

المبحث الثاني:

القضاء في المملكة العربية السعودية أنموذجاً للقضاء السلفي.

تأسست الدولة السعودية عام ١١٧٥هـ، بعد لقاء الأمير محمد بن سعود- رحمه الله- أمير الدرعية بالشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا والدولة السعودية تحمل رسالة الإسلام، وتحكم بشريعته في سائر شؤون الحياة، وقد حدد الملك عبد العزيز- رحمه الله- في خطابه التاريخي المنشور في جريدة أم القرى عدد (٣٢) وتاريخ ١٦/١/١٣٤٤هـ مصادر الأحكام القضائية، فقال: "إن أحكام الإسلام هي الركيزة الأساس للحكم، وستظل السراج المنير التي يهتدي بهديها السائرون، ويستضيء بنورها المدجلون، وأن الإسلام دين جاء لما فيه صلاح الناس في الدنيا والآخرة، وأن من أراد سعادة الدارين من الأفراد والجماعات فما عليه إلا أن يفهم حقيقة الإسلام وأحكامه، ويسعى للعمل بها حتى يكون في هناء وسعادة ورفاه.

ولم يتوجه- رحمه الله- إلى تقييد القضاة بمذهب معين مراعاة لمصلحة القضاء، بل ترك المجال واسعاً للقضاء بأن يختاروا من الأقوال ما يرجحه الدليل، فأعلن- رحمه الله- في خطابه المنشور في ٧/٢/١٣٤٦هـ "بأن النظر في شؤون المحكمة الشرعية وترتيبها على الوجه المطابق للشرع على شرط أن يكون من وراء ذلك إنجاز الأمور، ومحافظة حقوق الناس على مقتضى الوجه الشرعي.

أما المذهب الذي يقضى به فليس مقيداً بمذهب مخصوص ، بل يقضي على حسب ما يظهر لها من أي المذاهب كان ، ولا فرق بين مذهب وآخر ، وقد توجت هذه اللبنيات الأولى بصدور النظام الأساسي للحكم الذي أصدره خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - في ٢٧/٨/١٤١٢ هـ ، وقد نص في المادة الأولى أن المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ، ذات سيادة تامة ، دينها الإسلام ، ودستورها كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ونص النظام في مادته (٤٦) على أن القضاء سلطة مستقلة ، ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية ، ونص النظام في مادته (٤٨) على "تطبيق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية ، وفقاً لما دل عليه الكتاب والسنة ، وما يصدره ولي الأمر من أنظمة ، لا تتعارض مع الكتاب والسنة".

وبهذا يتبين أن الشريعة الإسلامية هي المرجعية الوحيدة في المملكة العربية السعودية ، وأن أحكام القضاء فيها مستمدة من الكتاب والسنة ، وما اتفق عليه سلف الأمة ، وما تمليه السياسة الشرعية فيما يتفق ولا يتعارض مع الكتاب والسنة ، والمملكة تتميز بهذا ، وتعتبر الدولة السلفية الوحيدة في الوقت الحاضر التي تطبق الشريعة الإسلامية.

يقول سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - : "والله ما نعلم دولة تطبق شرع الله مثل هذه الدولة ، ونحن لا نقول : إن هناك عصمة من الخطأ إذا أن الناس لا يخطئون ، أو ولادة الأمر لا يخطئون ، حاشا وكلا أن نقول ذلك ، فالمعصوم هو من عصمه الله ، ولكن كل يخطئ ويصيب".

ويقول المفتي العام للمملكة سماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز -
رحمه الله - : "وهذه الدولة السعودية دولة مباركة ، نصر الله بها الحق ،
ونصر بها الدين ، وجمع بها الكلمة ، وقضى بها على أسباب الفساد ، وأمن
الله بها البلاد ، وحصل بها من النعم العظيمة ما لا يحصيه الله ، وليست
معصومة ، وليست كاملة ، كل فيه نقص"^(١).

هذا ما يسرّ الله إirاده ، وأسأل الله العليّ القدير التوفيق والسداد.

(١) نقلاً من مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام / ٧٦ - ٢٧ .

فهرس المصادر والمراجع:

١. الاجتهاد ورعاية المصلحة ودرة المفسدة تأليف د. عبد العزيز السعيد طبع في جامعة الإمام.
٢. الإحكام في أصول الأحكام لسيف الدين الأمدي / دار الكتب العلمية بيروت طبع سنة ١٤٠٠هـ.
٣. إرشاد الفحول للشوكاني / دار الفكر / لبنان.
٤. إعلام الموقعين لابن القيم الجوزية، المكتبة العصرية بيروت.
٥. أنيس الفقهاء للقاسم القوني / دار الوفاء جدة الطبعة الأولى.
٦. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٧. البحر المحيط للزركشي / وزارة الأوقاف بالكويت الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
٨. تاريخ التشريع الإسلامي تأليف مناع القطان / مكتبة وهبة / مصر.
٩. تبصرة الحكام لابن فرحون، دار الكتب العلمية / بيروت ١٤٢٢هـ.
١٠. التبصرة في أصول الفقه للشيرازي / دار الفكر دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
١١. التحرير شرح التحرير للمرداوي / مكتبة الرشد الرياض الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
١٢. التلخيص الحبير، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة (٨٥٢هـ)، تحقيق عبد الله هاشم، مطبعة دار المعرفة، بيروت.
١٣. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية / دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ.
١٤. سير أعلام النبلاء للذهبي / مؤسسة الرسالة / بيروت الطبعة الأولى.
١٥. شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي / دار المسيرة / بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
١٦. شرح الكوكب المنير لابن النجار / جامعة أم القرى / الرياض الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
١٧. طبقات الفقهاء للشيرازي / دار الرائد العربي / بيروت لبنان.
١٨. الفكر السامي في تاريخ الفقه تأليف محمد بن الحسن الفاسي / دار الكتب العلمية لبنان الطبعة الأولى.
١٩. الفهرست لابن النديم / دار المعرفة / بيروت، لبنان.

٢٠. القوانين الفقهية لابن جزي الكلبي دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.
٢١. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.
٢٢. اللمع في أصول الفقه للشيرازي / دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥ هـ.
٢٣. المختصر في أصول الفقه للبعلي / جامعة الملك عبد العزيز.
٢٤. المستدرک، للحافظ أبي عبد الله محمد المعروف بالحاكم النيسابوري، دار الفكر، بيروت.
٢٥. المسند، تأليف الإمام أحمد بن حنبل، دار الدعوة (١٤٠٢ هـ).
٢٦. المصباح المثير لمحمد بن محمد الفيومي، المكتبة العلمية / بيروت.
٢٧. معالم السنن للخطابي بهامش سنن أبي داود دار الحديث / لبنان الطبعة الأولى ١٣٨٩ م.
٢٨. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للشيخ محمد الشرييني الخطيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٩. مفهوم الجماعة والإمامة تأليف معالي الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الله أبا الخيل / الطبعة الثانية ١٤٢٨ هـ.
٣٠. الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني / دار المعرفة / بيروت ١٤٠٤ هـ.



المنهج السلفي

في الانتماء للوطن والدفاع عنه

إعداد

د. إبراهيم محمد قاسم الميمن

مستشار معالي مدير الجامعة

الأستاذ المشارك في المعهد العالي للقضاء

الشيعة

الانتماء للوطن والدفاع عنه في المنهج السلفي

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين ، وأستغفره لذنوبنا فهو خير الغافرين ، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين ، وحجة على الخلق أجمعين ، هو أسوتنا وقدوتنا في كل آن وحين ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ، أما بعد :

السلفية هي الفهم الحقيقي للدين ، والمنهج السليم الذي من سلكه نجا ، وهي الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ ، وصحابته والتابعون لهم بإحسان ، فليست داخلة في مفهوم التفرق بناءً على هذا لكن الذي يجب التنبيه له هو إدخالها في الفكر ، والفكر عمل عقلي ، قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله ^(١) : "الإسلام ليس مجموعة أفكار ، لكنه وحي منزل من رب العالمين في القرآن العظيم والسنة ، أما الفكر فهو قابل للطرح والمناقشة ، قد يصح وقد لا يصح ، لهذا فلا يجوز أن يطلق عليه فكر ، لأن التفكير من خصائص المخلوقين ، والفكر يقبل الصواب والخطأ " .

ولا تخضع للمرحلية ، لأن المرحلية تخضع للتغيير ، والتطور ، ومحدودية الصلاحية باعتبار ظرف الزمان والمكان ، فكأن القائل بذلك يعتبرها دوراً تاريخياً انتهى ، وإذا تقرر أنها الفهم الحقيقي للدين ، والصورة المثلى في الاتباع فإنها بذلك تبقى مدلولاً مستمراً استمرار الحياة ، أخبر بيقائها رسول الله ﷺ في قوله : «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من

(١) معجم المناهج اللفظية ، ص : ٤٣٠ .

خالفهم حتى يأتي أمر الله»^(١)، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً"^(٢).

وقال: "فعلم أن شعار أهل البدع هو ترك انتحال اتباع السلف"^(٣).
والتزام المنهج السلفي على اعتبار أنه التمسك بالدين بروحه وأحكامه ومقاصده وشعائره قائم على معيار الوسطية والاعتدال، بين صور التطرف التي تخرج إلى الطرفين المذمومين، ولهذا فإن سبيل الخروج من الشدة والتطرف ومناهج المفسدين هو التزام منهج السلف الذي يمثل وسطاً بين الطوائف المتطرفة في كل أحكام الدين ومسائله وأحكامه، ولست هنا بصدد التدليل على الوسطية التي يمثلها السلف الصالح في أخذهم بهذا الدين، وقد ألف في هذا مؤلفات مستقلة والذي أقرره هنا بأن النجاة والفوز والصلاح والإصلاح هو في التمسك بالدين بفهم سلف الأمة، ولهذا لما بين رسول الله ﷺ الفرق التي تنجو من الفرق الهالكة، قال: «هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الله برقم (١٠)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي)، برقم (١٩٢٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/١٤٩).

(٣) المرجع السابق (٤/١٥٥).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه باب افتراق الأمة، برقم (٢٦٤١)، والإمام أحمد في مسنده (١٤/١٢٤)، وصححه الألباني.

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً، فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).

فالأخذ بهذا المنهج نجاة وسعادة، وخيرية مطلقة.

وإن أهمية أي بحث تظهر بإبراز مضامينه وأهدافه، وبقدر واقعيته وشموليته، وهذا البحث يستهدف معالجة قضية من أبرز القضايا في السابق واللاحق، إنها قضية تعد بأمس الحاجة إلى تجلية جوانبها، وتسليط الضوء على مفرداتها، لأنها ترتبط برؤية المنهج السلفي للدفاع عن الأوطان، والتضحية بالأنفس والأموال، ومسألة بهذه الأهمية البالغة لم يكن لي أن أتأخر عن الكتابة فيها، وقد أحببت المشاركة فيه في ندوة: السلفية: مطلب شرعي، ومنهج وطني، وقد عنونته بـ: "الانتماء للوطن والدفاع عنه في المنهج السلفي".

ويهدف الموضوع إلى إبراز مفهوم المواطنة من وجهة نظر شرعية في المنهج السلفي تعزز هذه الغريزة والفطرة، وتسلط الضوء على هذه العلاقة التي لا تنحصر في العلاقة العاطفية الغريزية فحسب، بل تتجاوزها إلى حقوق

(١) أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٦٠٧)، والترمذي وصححه برقم (٢٦٧٦)، وابن ماجه برقم (٤٢)، وأحمد في مسنده (٣٧٣/٢٨).

وواجبات ، وتسليط الضوء على جانب واحد منها وهو جانب الدفاع والتضحية عن الوطن ، وحكم هذه الصورة الدفاعية ، والآثار المترتبة عليها في المنهج السلفي ، و يقيني أن الموضوع كبير ، والحاجة ماسة لتجلية الموقف الفقهي تجاه مبدأ المواطنة بصورته المعاصرة مع الإفادة من جهود العلماء السابقين ، لأن هذه الحقيقة تثير الكثير من الأسئلة والإشكاليات التي تتوزع على قضايا كثيرة ، لاستيعاب هذه الظاهرة التي لم تعد علاقتها تنحصر على الارتباط بالوطن ، بل هناك علاقة سياسية ، واقتصادية واجتماعية وثقافية ، وتربوية ، كما أن دائرة هذه العلاقة وارتباطها بالانتماءات الأخرى كالعشيرة والقبيلة والجماعة والأمة كل هذه قضايا ملحة لا يمكن الإجابة عنها إلا بصياغة فقهية تراعي الأبعاد كاملة ، وتقدم الحلول المتكاملة عن مبدأ وواقع الوطن والمواطنة ، والتضحيات التي تقدم لذلك.

- مشكلة البحث : تتركز المعالجة على ثلاثة محاور رئيسة تعد هي مشكلة البحث :

أولها : الرؤية الشرعية تجاه حقيقة المواطنة ، والتوفيق بين الانتماء الوطني ودوائر الانتماءات الأخرى ، وكيف يمكن تحقيق التوازن الشرعي فيها.

وثانيها : يتأسس على شرعية الانتماء حكم الدفاع عن الأوطان ، وصور الدفاع التي تصل إلى التضحية بالنفس والمال.

وثالثها : من قضى دفاعاً عن وطنه ، فما حكم وصفه بالشهادة ، وهل يعامل معاملة الشهداء في الدنيا ، أم ينحصر الحكم على الجانب الأخروي ، وما واجب الدولة والمجتمع تجاهه.

- الدراسات السابقة : حسب الاطلاع والبحث لم أجد من طرق موضوع المواطنة من وجهة نظر فقهية حسب المنهج السلفي تستهدف المفاهيم والأحكام والآثار، وإن كانت هناك معالجات كثيرة، بعضها من قبيل المعالجة الفكرية، أو تسليط الضوء على مسألة الانتماء الوطني، وبعضها يسلط الضوء على أحكام الشهادة، ويمكن تصنيف ما وقفت عليه في المجموعات الآتية :

❖ **المجموعة الأولى:** بحوث وأطروحات تستهدف الشبه التي يعتمد عليها أصحاب الفكر المنحرف، في جميع المجالات ومنها شأن المواطنة، ومن أبرزها :-

١ - كتب د. محمد بن عمر بازمول التي ألفها نتيجة خبرته في لجان المناصحة، وشملت موضوعات : الجماعة والإمامة، والولاء والبراء، والتكفير، وحقيقة منهج المملكة العربية السعودية.

٢ - مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام، لمعالي الشيخ ا.د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل.

٣ - الحجج القوية على وجوب الدفاع عن الدولة السعودية حرسها رب البرية، للشيخ : أسامة بن عطايا بن عثمان.

٤ - النذير، للزميل د. ماجد بن محمد المرسل، وهو من أجمع وأنفع ما كتب حسب اطلاعي، وقد اطلعت عليه في صورته الأولى قبل تقديمه للطبع.

❖ **المجموعة الثانية:** بحوث وأطروحات تعالج موضوع المواطنة وقيمها من باب الرؤية الفكرية المعالجة للانحراف في هذا المفهوم، وقد يستصحب فيها جوانب تربوية أو اجتماعية أو تاريخية، وهذا ما استهدفته جامعتنا المباركة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الندوة التي أقيمت برعاية ملكية، وحملت عنوان: "ندوة الانتماء الوطني في التعليم العام"، ومن أمثلة هذه المجموعة:

- ١- الوطن في ضمير الشرفاء، للأستاذ: بدر بن علي العبد القادر.
- ٢- تنمية المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية بدولة الكويت، لفتحي هلال وآخرون.

٣- فلسفة المواطنة، للدكتور: عبد الرحمن الزبيدي.

❖ المجموعة الثالثة: مجموعة بحوث فقهية تعالج جزئيات وردت في ثنايا البحث، ومنها مؤلفات في الجهاد في سبيل الله على اعتبار أن الدفاع عن الأوطان صورة منه، ومنها:

- ١- أحكام الشهيد في الفقه الإسلامي، تأليف: عبد الرحمن بن غرمان بن عبد الله.

٢- أحكام المجاهد بالنفس في سبيل الله ﷻ في الفقه الإسلامي، تأليف: مرعي بن عبد الله ابن مرعي.

- ٣- الشهادة والشهداء في الإسلام، تأليف: يوسف كمال خطاب.
- وبالنظر إلى هذه الدراسات أجد أن الوفاء بتفاصيل الأحكام الفقهية المرتبطة بالدفاع عن الأوطان لم يتحقق في هذه المعالجات مع التقدير لكل ما طرح، واعتبار أثره الفاعل في إيضاح بعض الجزئيات، لكن الزاوية التي أنظر من خلالها إلى مضامين هذا البحث قد تختلف عما سبق، كما هو ظاهر من الخطة التي اتبعتها في البحث.

- خطة البحث : وتتكون من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة وفهارس.

١- المقدمة، وفيها: أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه، وما واجهه من صعوبات.

٢- التمهيد، وفيه مسائل:

- المسألة الأولى: مفهوم الوطن والمواطنة.
- المسألة الثانية: حب الوطن غريزة وفطرة.
- المسألة الثالثة: موقف الإسلام يعزز هذه الغريزة ويقويها.
- المسألة الرابعة: ما ورد من المآثور حول الدفاع عن الوطن.
- المبحث الأول: الدفاع عن الأوطان، وفيه مطالب:
- المطلب الأول: حكم الدفاع عن الأوطان وصوره، وفيه مسائل:
- المسألة الأولى: حكم الدفاع عن الوطن.
- المسألة الثانية: صور الدفاع عن الوطن، وفيه فرعان:
- الفرع الأول: الدفاع القولي.
- الفرع الثاني: الدفاع الفعلي، وفيه:
- أ- التمسك بثوابت الوطن عقيدة ومنهجاً، وأهمها:
- ١- الأخذ بكتاب الله، والتربية عليه.
- ٢- الأخذ بسنة المصطفى ﷺ.
- ب- القيام بمقومات المواطنة الصالحة.
- ج- الالتفاف والاجتماع حول ولاية الأمر.

- د- التعاون مع ولي الأمر ضد البغاة والخوارج.
- هـ- التعاون مع ولي الأمر في القيام بالولايات ، والنصح في أداء الأمانات ، وتحمل المسؤولية كاملة فيما يوكل إلى الفرد.
- المسألة الثالثة : الشبه المثارة حول الدفاع عن الوطن والجواب عنها.
 - المطلب الثاني : حكم المفاداة بالنفس والمال دفاعاً عن الوطن.
 - المبحث الثاني : الآثار المترتبة على الدفاع عن الوطن ، وفيه مطلبان :
 - المطلب الأول : في حكم إطلاق وصف الشهيد على من قتل دفاعاً عن وطنه ، وفيه مسألتان :
 - المسألة الأولى : إطلاق الوصف على العموم.
 - المسألة الثانية : إطلاق الوصف على سبيل التعيين.
 - المطلب الثاني : حقوق من قتل دفاعاً عن وطنه ، وفيه مسألتان :
 - المسألة الأولى : حقوق من قتل دفاعاً عن وطنه بعد القتل.
 - المسألة الثانية : حفظ حقوق من قتل دفاعاً عن وطنه ، ورعاية أسرته.
 - الخاتمة ، وفيها أهم النتائج والتوصيات.
 - منهج البحث :
- وقد سلكت في البحث مسلكاً يجمع بين مناهج مختلفة للوصول إلى النتائج الدقيقة ، ولتكون المعالجة أدق وأشمل ، فتمت إفادة من المنهج التاريخي ، والمنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والاستنباطي ، وبالجمع بينها يتحقق الهدف المراد بإذن الله ، ويمكن تلخيص الخطوات المنهجية في البحث في الآتي :-

- ١ - فهم الجزئيات وإدراك الروابط بينها، ومحاولة ضبط الصور من خلال تلك الروابط.
- ٢ - الاستفادة من الدراسات التي عنيت بالمسألة، والاهتمام بالجانب التأصيلي منها، لما له من أثر على دقة الضوابط والأحكام المبنية عليها.
- ٣ - اعتمد على النقل عن المتقدمين، لأن فهمهم للنصوص أقرب من فهم غيرهم، ولأن استنتاجهم أدق، ولا يمنع ذلك من توظيف النقل في الاستنباط، واستقراء مجموعة النقول وصولاً إلى فهم أعمق، وحكم أدق.
- ٤ - استخدم المنهج العلمي في طريقة الاستنباط والتأصيل والتععيد والتوثيق والصياغة.
- ٥ - أخرج الأحاديث، وأذكر ما قاله أهل الشأن فيها، إلا إذا كانت في الصحيحين أو أحدهما لاعتمادها من العلماء وتلقيهما بالقبول.
- ٦ - لم أترجم لمن ورد اسمه في البحث، لأن غالبيتهم من المعاصرين، وقد تعوزني المصادر لذلك، وطلباً للاختصار في هذا المقام.
- ٧ - أتبع البحث بفهارس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات. وقد حرصت على الوفاء بهذا المنهج، وبذلت جهدي للوصول إلى رؤية فقهية واضحة، فبالرغم من ضيق الوقت وكثرة الالتزامات، ودقة الاستنتاجات وهي بعض ما واجهني من صعوبات، لكن أعان الله عليها، وإنني إذ أشكر الله على ما منَّ به، فهو أهل المنة والفضل، وما بي من نعمة فمنه وحده، أثني بعد شكره سبحانه وتعالى بشكر من يستحق الشكر، وفي مقدمتهم ولادة أمرنا وقادتنا الأوفياء، وعلى رأسهم مليكنة المفدى خادم الحرمين الشريفين الملك / عبد الله بن عبد العزيز - أيده الله وحفظه - ،

وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير/ نايف بن عبد العزيز -
أدام الله عليهم نعمه ، وأسبغ عليهم فضله ، وأجزل لهم الأجر والمثوبة لقاء ما
يقدمونه لرعايتهم وأبناء أمتهم ، وأثلث بشكر جامعتي العريقة جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية ، ممثلة بمعالي مديرها ومهندس نجاحاتها ، معالي
الشيخ ا.د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل على الرؤية التطويرية ، والقفزة
النوعية التي تشهدها هذه الحقبة الذهبية ، ومن صورها تبني مثل هذه
المؤتمرات والندوات العالمية التي سيكون لها أبلغ الأثر في معالجة مثل هذه
القضايا الحيوية الهامة ، وأسأل الله سبحانه أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه
مباركاً نافعاً ، إنه سميع مجيب ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله
وصحبه.

التمهيد، وفيه مسائل :

المسألة الأولى: مفهوم الوطن والمواطنة.

الوطن في اللغة هو: محل الإنسان^(١)، وهو منزل إقامة الإنسان ومقره؛ ولد به أو لم يولد، وهو مكان الإنسان ومحله، وفي لسان العرب أطلق مفهوم الوطن على المنزل الذي يقيم فيه الإنسان، فهو وطنه ومحله^(٢).

وبصفة عامة فاستخدام كلمة وطن في اللغة العربية تعبر وتنم عن الأرض التي ولد فيها الشخص أو اختار أن يعيش فيها.

وارتباط الإنسان بوطنه وبلده مسألة مستقرة في النفوس، فالوطن مسقط الرأس عادة ومحل التربية، على أرضه يحيا الفرد ويعبد ربه ومن خيراته يعيش، والوطن نعمة من الله على الفرد والمجتمع.

أما عند التحدث عن مفهوم المواطنة، فهي في اللغة مأخوذة من الوطن - السابق بيانه - وهو محل الإقامة والحماية، وورد في الموسوعة السياسية: أن المواطنة هي (صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماءؤه إلى الوطن)^(٣).

وفي قاموس علم الاجتماع تم تعريف المواطنة: بأنها مكانة أو علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة)، ومن خلال هذه

(١) انظر: الصحاح للجوهري، ٢٧٨/٦، والمصباح المنير للفيومي ٦٣٣/٢.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ص ٢٣٩.

(٣) انظر: الموسوعة السياسية، أسسها: عبد الوهاب الكيالي، ثم أتمها بعد وفاته كامل زهيري، ص ١٠.

العلاقة يقدم الطرف الأول (المواطن) الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية، وتحدد هذه العلاقة بين الفرد والدولة عن طريق أنظمة الحكم القائمة^(١).

ومن منظور نفسي: فالمواطنة هي الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية^(٢)، وبذلك فالمواطنة تشير إلى العلاقة مع الأرض والبلد والدولة، ثم هي تفاعل شعوري وقولي وفعلي، ينتهي كل ذلك إلى ارتباط حقيقي، وانتماء صادق للوطن وفاء له، وقيامًا بحقوقه، وأداءً لواجبات المواطنة.

وهذه المفاهيم لو أردنا تنزيل النظرية الشرعية عليها لتحديد مفهوم شرعي للمواطنة لوجدنا أن الرؤية الشرعية تنظر إلى هذا الجانب في صورته الغريزية على أنه أمر إيجابي، والشرعية لا تصادم الغرائز والفطر بل تهذبها، وهو شعور لا يعارض أخوة الإسلام ولا يصادم أحكامها، بل هي مجموعة من الانتماءات يترتب على كل منها حقوق، ولكل منها دائرة يجب أن تبقى في حجمها المشروع إن حصل الإفراط أو التفريط فيها خرجت إلى الجانب المذموم فيها، وهذه النظرة في ذات الانتماء دون اعتبار خلفيات أخرى للوطن نفسه، فوطن هو أصل الأوطان، ومهد الرسالة، وبلد الوحي والتنزيل، ومأرز الإيمان، ومهوى الأفتدة، ويحوي أعظم المقدسات لاشك أن هذه اعتبارات شرعية، ترفع درجة الحكم في الانتماء، وتجعل الولاء للوطن صورة

(١) انظر: قاموس علم الاجتماع، لمحمد عاطف غيث، ص ٥٦.

(٢) انظر: تنمية المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية بدولة الكويت، لفتحي هلال وآخرون،

شرعية، ولا يعني ذلك الانغلاق أو التعصب المذموم، أو توظيف ذلك في معارضة الأصول الشرعية، فهذه أمور طارئة لا تؤثر على الحكم بل تعد خلافاً ممن يقع منه ذلك، ويمكنني بعد هذه الإلماحة الموجزة إلى النظرة الشرعية أن اختار اصطلاحاً يقرب مفهوم المواطنة، ويمكنني التفريق بين مفهوم الانتماء والولاء، وأحدهما نتيجة للآخر، فالانتماء هو ارتباط شعوري غريزي بالوطن الذي نشأ الفرد فيه وترعرع، وعاش فيه.

وأما الولاء فهو التعبير عن هذا الشعور بما يحقق صدق الانتماء، وقوة الارتباط، وإذا أخذنا في الاعتبار المعاني الشرعية المعتبرة في هذا المقام، وهي ما يعبر عنه بمقومات المواطنة الصالحة من إقامة شريعة الله، والحرص على تحقيق العبودية لله، وحماية التوحيد من المؤثرات التي تخدشه أو تخل به، والقيام بحقوق الإمامة والجماعة صار هذا الولاء الذي يؤكد الانتماء مجموعة مكونة للانتماء الصادق، والله أعلم.

المسألة الثانية: حب الوطن غريزة وفطرة.

حب الإنسان لوطنه من الأمور الفطرية التي جُبل عليها، فليس غريباً أبداً أن يُحب الإنسان وطنه الذي نشأ على أرضه، وشبَّ على ثراه، وترعرع بين جنباته، كما أنه ليس غريباً أن يشعر الإنسان بالحنين الصادق لوطنه عندما يُغادره إلى مكانٍ آخر، فما ذلك إلا دليلٌ على قوة الارتباط وصدق الانتماء. وإذا كان الإنسان يتأثر بالبيئة التي ولد فيها، ونشأ على ترابها، وعاش من خيراتها، فإن لهذه البيئة عليه (بما فيها من المكونات، وما فيها من الكائنات) حقوقاً وواجباتٍ كثيرةً تتمثل في حقوق الأخوة، وحقوق الجوار، وحقوق القرابة، وغيرها من الحقوق الأخرى التي على الإنسان في أي زمانٍ ومكان أن يُراعيها وأن يؤديها على الوجه المطلوب؛ وفاءً وحباً منه لوطنه. وإذا كانت حكمة الله تعالى قد قضت أن يُستخلف الإنسان في هذه الأرض ليعمرها على هدى وبصيرة، وأن يستمتع بما فيها من الطيبات والزينة، لاسيما أنها مُسخرةٌ له بكل ما فيها من خيراتٍ ومعطيات؛ فإن حُب الإنسان لوطنه، وحرصه على المحافظة عليه واغتنام خيراته، إنما هو تحقيقٌ لمعنى الاستخلاف الذي قال الله تعالى فيه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَ فِيهَا﴾^(١) وهذا الحب فطرة الله في الناس، فالإنسان مدني بطبعه، لا يستطيع العيش لوحده، ولا بد أن يعيش مع مجموعة، ويحب أن يعيش مع غيره في وطن واحد، ومع هذا التعايش تكون خدمة الناس بعضهم بعضاً، يقول شيخ

(١) هود: ٦١.

الإسلام ابن تيمية رحمه الله ^(١): "كل طائفة من بني آدم لا بد لهم من دين يجمعهم، إذ لا غنى لبعضهم عن بعض، وأحدهم لا يستقل بجلب منفعة ودفع مضرتة، فلا بد من اجتماعهم، وإذا اجتمعوا فلا بد أن يشتركوا في اجتلاب ما ينفعهم كلهم، مثل طلب نزول المطر وذلك محبتهم له، وفي دفع ما يضرهم مثل عدوهم، وذلك بغضهم له، فصار ولا بد أن يشتركوا في محبة شيء عام، وبغض شيء عام، وهذا هو دينهم المشترك العام.

وأما اختصاص كل منهم بمحبة ما يأكله ويشربه وينكحه، وطلب ما يستره باللباس، فهذا يشتركون في نوعه لا في شخصه، بل كل منهم يحب نظير ما يحبه الآخر لا عينه، بل كل منهم لا ينتفع في أكله وشربه ونكاحه ولباسه بعين ما ينتفع به الآخر بل بنظيره.

وهكذا هي الأمور السماوية في الحقيقة، فإن عين المطر الذي ينزل في أرض هذا ليس هو عين الذي ينزل في أرض هذا، ولكن نظيره، ولا عين الهواء البارد الذي يصيب جسد أحدهم قد لا يكون نفس عين الهواء البارد الذي يصيب جسد الآخر بل نظيره.

لكن الأمور السماوية تقع مشتركة عامة، ولهذا تعلق جهم وبغضهم بها عامة مشتركة، بخلاف الأمور التي تعلق بأفعالهم؛ كالطعام واللباس فقد تقع مختصة وقد تقع مشتركة". ١هـ.

(١) في جامع الرسائل، ٢/٢٢١ - ٢٢٣.

وقد قال الشاعر :

النَّاسُ لِلنَّاسِ مِنْ بَدْوٍ وَحَاضِرَةٍ بَعْضُ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمٌ^(١)
وحب الوطن غريزة متأصلة في النفوس ، تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه ، ويحن إليه إذا غاب عنه ، ويدافع عنه إذا هُوجِم ، ويغضب له إذا انتقص .
والكلُّ يعلم أن لكل ذي نفسٍ وطناً ومأوى ، فسبحان من زرع هذه الفطرة في الناس وركبها فيهم ، وليس هذا مقتصرًا على الإنسان فقط ، بل حتى الحيوان فيه خاصية حب الوطن ، فللنمل قرية وهو موضع اجتماعهن ، قال الأصمعي رحمه الله : "قالت الهند : ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوان الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهدا بعيداً ، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدبا ، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر نفعاً"^(٢) ، ومما يذكر في شوق الحيوانات إلى أوطانها أن زوجة جبهاء الأشجعي قالت له : "لو هاجرت بنا إلى المدينة ، وبعت إبلك ، وافترضت في العطاء ، كان خيراً لك ، قال : أفعل ، فأقبل بها وبإبله ، حتى إذا كان بحرة (واقم) شرقي المدينة شرعها بحوض واقم ليسقيها ، فحنت ناقة منها لموطنها ، ثم نزعت وتبعتها الإبل ، وطلبها ففاتته ، فقال لزوجته : هذه إبل لا تعقل تحن إلى أوطانها ، ونحن أحق بالحنين منها ، أنتِ طالق إن لم ترجعي معي"^(٣) ، وممر إياس بن معاوية بمكان ،

(١) انظر: السحر الحلال في الحكم والأمثال ، لأحمد الهاشمي ص ١٠٢ .

(٢) حب الوطن من منظور شرعي / ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) انظر: ربيع الأبرار للزمخشري ، ٢١٨/١ .

فقال: "أسمع صوت كلب غريب" فقليل له: بم عرفت ذلك؟ قال: "بخضوع صوته، وشدة نباح غيره"^(١)، فإذا كان هذا بالحيوان، فكيف بالإنسان؟ قال بعضهم واصفاً النفس البشرية^(٢) أنها إذا: "فارقت وطنها الأصلي، ومعهدا الأولي، اشتقات إلى الرجوع إليه، واشتد ولعها بالحنين إليه، والنزوع إلى الأوطان جبلة ثابتة بطبع الإنسان".

(١) انظر: المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي، ٩٤/٢.

(٢) في تحفة المشتاق شرح أبيات المولى إسحاق، ص ١٢.

المسألة الثالثة: موقف الإسلام يعزز هذه الغريزة ويقويها.

سبق ذكر أن الله ركب في الإنسان غريزة حب الأوطان، وجاء الإسلام ليعزز هذه الغريزة وينميها، ويوظفها فيما يكون فيه الحفاظ على مصالح الوطن بتجسيد المواطنة ومعايشتها واقعاً حياً وفق رؤية وسطية تراعي التوفيق بين مراعاة هذا الجانب الغريزي والشعور بالأخوة الدينية، واستشعار عالمية الإسلام، ولكي يتحقق حب الوطن بصورته المشروعة عند الإنسان لا بد من تحقق صدق الانتماء إلى الإسلام، إذ إن تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف تحث الإنسان على حب الوطن؛ فما ورد من نصوص الكتاب والسنة في هذا الشأن في مواطن عدة يدل على تعزيز هذه الفطرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ آلِهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١)، فقد عدد الله ﷻ أهم الأمور التي يتعلق بها قلب الإنسان ويحبها لكنه جل وعلا حذر من طغيان محبة هذه المتعلقات الدنيوية على محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ والجهاد في سبيله، ومنها الأوطان في قوله: ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾^(٢)، وفيه دلالة واضحة على مشروعية حب الوطن الذي غالباً ما يضم هذه المحبوبات الثمانية^(٣)، وقوله تعالى: ﴿الْفُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ

(١) التوبة: ٢٤.

(٢) انظر: تفسير المراغي ٨٢/١٠ - ٨٣.

وَرِضُونَا وَيَصْرُوهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنْ
 الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ نَبَرُّوهُمْ وَنُقَسِّطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ^(٢) ،
 هذه الآيات وكل الآيات التي فيها إخراج من الديار تؤكد أن الوطن عزيز
 وغال ، وفراقه مؤلم ومحزن ، ومن ثم كانت محبته مشروعة ، وكذلك قوله
 تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ
 مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ ^(٣) ، ووجه الدلالة : أن
 الله جعل فقد الأوطان عديلاً لقتل النفس ، وما ذاك إلا لمكان الوطن في قلب
 الإنسان.

يقول الرازي ^(٤) : "فهؤلاء في المرتبة الأولى : تركوا الأديان القديمة لطلب
 مرضاة الله تعالى ، وفي المرتبة الثانية : تركوا الأقارب والخلان والأوطان
 والجيران لمرضاة الله تعالى".

ومن السنة ما صح عن النبي ﷺ أنه وقف يُخاطب مكة المكرمة مودّعاً لها
 وهي وطنه الذي أخرج منه ، فقد روى عبد الله بن عباسٍ أنه قال : قال
 رسول الله ﷺ لمكة : «ما أطيبك من بلد ، وأحبك إليّ ، ولولا أن قومي

(١) الحشر: ٨.

(٢) الممتحنة: ٨.

(٣) النساء: ٦٦.

(٤) انظر: التفسير الكبير، ١٥/١٦٥.

أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك»^(١)، ولولا أن رسول الله ﷺ وهو مُعلم البشرية الخير، والأسوة والقدوة يُحب وطنه لما قال هذا القول الذي لو أدرك كلُّ إنسانٍ مسلمٍ معناه لرأينا حب الوطن يتجلى في أجمل صورهِ وأصدق معانيهِ، ولأصبح الوطن لفظاً تحبه القلوب، وتهواه الأفئدة، وتتحرك لذكرهِ المشاعر، وهذا توجيه لهذه الغريزة التي أودعها الله في البشر.

وما رواه أبو حميد ﷺ قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: «هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه»^(٢)، وهذا دليل أكيد على شوق النبي ﷺ لوطنه وأهله.

وما رواه مقاتل ﷺ أيضاً أن النبي ﷺ لما خرج من الغار مهاجراً إلى المدينة، نزل بالجحفة، فاشتاق إلى مكة، فأتاه جبريل عليه السلام وقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟ فقال ﷺ: «نعم»، قال: فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٣)، وعن الضحاك ﷺ: لما خرج النبي ﷺ من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب فضل مكة، برقم: (٣٩٢٦)، وعلق عليه الشيخ الألباني وقال: صحيح، انظر: مشكاة المصابيح، بتحقيق الشيخ الألباني ١١٥/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر، برقم: (٤١٦٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، برقم: (١٣٩٢ - ١٣٩٣).

(٣) القصص: ٨٥.

مكة، والشوق لا يكون إلا إلى المحبوب، وفيه دلالة على محبة وشوق النبي ﷺ إلى وطنه^(١).

ومما تقدم يتضح أن حب الوطن مشروع وثابت بالكتاب والسنة، تأكيداً لفطريته عند الإنسان، ومن ثم فمن أحب وطنه كان مستقيماً ومتسقاً مع الفطرة السليمة، ومن قصد بحب وطنه اتباع النبي ﷺ والاقتداء في هذه المحبة وعمارة الكون التي هي من أهم رسالة الإنسان في الوجود بعد عبادة الله تعالى كان مأجوراً ومثاباً، وعضواً فعالاً في وطنه ومن ثم أمتة الإسلامية.

ومن توجيه هذه الغريزة في الإنسان أيضاً ما ثبت عن النبي ﷺ، فقد دعا النبي ﷺ ربه بأن يرزقه حب المدينة لما انتقل إليها، فقد أخرج الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم حب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»^(٢).

ومن توجيه هذه الفطرة أيضاً حنين الإنسان إلى بلده إذا غاب عنها وقدم عليه شخص منها سألها عنها، يتلمس أخبارها، فهذا نبينا محمد ﷺ يسأل أصيل الغفاري عن مكة لما قدم عليه المدينة، فقد أخرج الأزرقى في "أخبار مكة" عن ابن شهاب قال^(٣): "قدم أصيل الغفاري قبل أن يضرب الحجاب على أزواج النبي ﷺ، فدخل على عائشة رضي الله عنها، فقالت له: يا

(١) انظر: التفسير الكبير ٢٦/٢٥ وتفسير القرآن العظيم ٣٧٧/٣ والدر المنثور ٥٢١/١١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، برقم: (١٧٩٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها، برقم: (٣٤٠٨).

(٣) انظر: أخبار مكة، للأزرقى ١٤٨/٢.

أصيل كيف عهدت مكة؟ قال : عهدتها قد أخصب جنابها ، واييضت بطحاؤها ، قالت : أقم حتى يأتيك النبي ﷺ فلم يلبث أن دخل النبي ﷺ ، فقال له : «يا أصيل كيف عهدت مكة؟» ، قال : والله عهدتها قد أخصب جنابها واييضت بطحاؤها ، وأغدق إذخرها ، وأسلت ثمامها ، وأمش سلمها ، فقال : «حسبك يا أصيل لا تحزنا».

وهذه المشاعر تعد من مشارات الاقتداء الصالح بالنبي ﷺ ، وتدل على أن ذلك أمر غريزي ، وأن توجيه النبي ﷺ لهذه الغريزة يبين لنا الطريق الأمثل لذلك.

والحديث في هذا يطول ، لكن القصد إثبات هذه المشروعية من خلال النصوص الظاهرة.

المسألة الرابعة: ما ورد من المأثور حول الدفاع عن الوطن.

لا شك أن الحجة فيما ثبت من نصوص الكتاب والسنة في إثبات مشروعية هذا الانتماء، ولكن النقل عن السلف لإثبات الجانب العملي، وجوانب التأسي في حياتهم، وقد كان للسلف - رحمهم الله - مواقف في حبهم لأوطانهم وحنينهم لها، والدفاع عنها بما يستطيعون، ومما جاء عن السلف وحنينهم إلى أوطانهم ما أخرجه أبو نعيم في الحلية^(١)، أن إبراهيم بن أدهم قال: "ما قاسيت فيما تركت شيئاً أشد علي من مفارقة الأوطان".

وأنشد بعضهم:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي وإن ظنّوا عليّ كرام^(٢)
وقال الرافعي القزويني: "ولو لا نزوع النفس إلى مسقط الرأس ودائرة الميلاد لم ينزل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾"^(٣)، وقد صدق ابن الرومي حيث قال:

وحبب أوطان الرجال إليهم ما رب قضاها الفؤاد هنالك
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبى فيها فحنوا لذلك"^(٤).
وجاءت أشعار الأدباء في التعبير عن حبهم لأوطانهم، وشغفهم وحنينهم إليها، والدفاع عنها ما استطاعوا، فهذا أبو بكر العلاف أنشد يقول^(٥):

(١) ٣٨٠/٧.

(٢) انظر: مختارات من كتاب: معجم لآلئ الشعر العربي، د. إميل بديع يعقوب، ص ٢٥.

(٣) القصص: ٨٥.

(٤) انظر: التدوين في أخبار قزوين ١/١٣١.

(٥) انظر: شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٨/٤٥١.

وكنا ألفناها ولم تك مألفاً وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
كما تؤلف الأرض التي لم يكن بها هواء ولا ماء سوى أنها وطن
وقال بعضهم^(١): "ولو انتقلنا عن وطننا، وتحولنا عن سكننا، وبعدنا عن
هذا الجانب، ونزعنا عن الأهل والأقارب، وحاورنا الأبعاد، لا يطيب لنا
مقام، وتتكرر أوقاتنا على مر الأيام، فلا نزال بين تذكر الوطن المألوف،
وتحنن إلى الصاحب المعروف، فيسهل عند هذه الأنكال مفارقة الأطفال"،
وذكر أن أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني كان إماماً ثقة ثبّتاً، وكان مفخرة من
مفاخر عصره، قيل: "إنه كان قتيل حب الوطن"، أملى مجلساً في هذا المعنى،
وبكى ومرض عقيقه ثم مات منه^(٢).

ويقول السدي رحمه الله: "النفوس تحن إلى أوطانها، وتنزع إلى
مذاهبها، ولها في ذلك نزع عند الموت"^(٣).

ويقول محمد النوقي رحمه الله: "حضرت درس الإمام أبي حامد الغزالي
لكتاب إحياء علوم الدين، فأنشد:

وحب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الفؤاد هنالك

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبى فيها فحنوا لذلك

فحن إلى وطنه، وبكى وأبكى الحاضرين معه"^(٤).

(١) انظر: فاكهة الخلفاء، لابن عربشاه، ١/١٧٣.

(٢) انظر: الأنساب للسمعاني، ٥/٢٧٩.

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ١٠/٤٢٦.

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/٢١٧.

وهذا يبين لنا بجلاء ووضوح أن حب الوطن غريزة متأصلة في نفوس
الناس على اختلاف أديانهم ومناهجهم وأجناسهم ، وأن الدفاع عنه أصل
متأصل في نفوس البشر ، فهي فطرة أودعها الله فيهم ، وأول من طبق ذلك
وجسده هم سلف الأمة من العلماء والزهاد والعباد.

المبحث الأول: الدفاع عن الأوطان، وفيه مطالب:

- **المطلب الأول: حكم الدفاع عن الأوطان وصوره، وفيه مسائل:**
- **المسألة الأولى: حكم الدفاع عن الوطن.**

مما تقدم يتبين أن حب الوطن غريزة متأصلة في النفوس، والدفاع عن الوطن جبلة جبل عليها الإنسان، وهذا الحق من الحقوق الطبيعية الأصلية يشرع الدفاع عنها، والإسلام شرع للإنسان أن يدافع دون ماله ونفسه، وذلك يلزم منه الدفاع عن وطنه، يقول النبي ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون نفسه فهو شهيد، ومن قتل دون عرضه فهو شهيد»^(١)، ولا يتصور هذا الدفاع إلا إذا كان له وطن يحبه ويدافع عنه.

وبهذا التصور الذي يبنى على جوانب غريزية، ودوافع ضرورية، يمكن للمتأمل أن يجعل الدفاع عن الأوطان دفاعاً عن أمر ضروري ترتبط به الضرورات الخمس المرعية في كل ملة، وهذه الضرورة شرع ما يكملها ويحميها من جانب الوجود ومن جانب العدم، كما ذكر الشاطبي في الموافقات، يقول رحمه الله: "تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها: أن تكون ضرورية، والثاني: أن تكون حاجية، والثالث: أن تكون تحسينية، فأما الضرورية فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في قتل اللصوص، برقم: (٤٧٧٢)، من

حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين، والحفظ لها يكون بأمرين، أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم... ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وقد قالوا إنها مراعاة في كل ملة^(١)، وتكليف ذلك أن الحفاظ على الضرورات واستكمالها وبقائها وحمايتها لا يتم إلا بتصور الأرض التي تتم فيها، فيمكن أن يعد الدفاع واجباً شرعياً من جهة ملازمته للضرورات، إضافة إلى ما ورد من نصوص في ذلك، وهذا من حيث كونه وطنًا لا تتعارض محبته والدفاع عنه مع ضرورة الدين، فكيف إذا انضاف على ذلك خصائص وميزات تجعله مطلباً شرعياً، ولذا فإنه يتقرر في شأن وطن المقدسات وبلد الإسلام ومأرز الإيمان المملكة العربية السعودية أن الدفاع عنها دفاع مشروع، بل من أوجب الواجبات، والقصد فيه مقصد شريف، إذ أنه رد للمعتدين، وصد للباغين، من الاعتداء على هذا البلد الأمين، وهو صورة من صور الجهاد المشروع الذي ينال به أن تكون كلمة الله هي العليا، يقول شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله موضحاً حكم القتال دفاعاً عن الأوطان^(٢): "قوله: «في سبيل الله» - في

(١) انظر: الموافقات للشاطبي، ٨/٢ - ٩.

(٢) في: القول المفيد شرح كتاب التوحيد، ٣٠٥/٢.

حديث : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(١) ، ضابطه :
 أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا لا للحمية أو الوطنية أو ما أشبه ذلك ،
 لكن إن قاتل وطنية وقصد حماية وطنه لكونه بلداً إسلامياً يجب الذود عنه ،
 فهو في سبيل الله ، وكذلك من قاتل دفاعاً عن نفسه أو ماله أو أهله " ، وقال
 أيضاً رحمه الله ^(٢) : "قال أهل العلم : ويجب على المسلمين أن يكون منهم
 جهاد في العام مرة واحدة ، يجاهد أعداء الله ؛ لتكون كلمة الله هي العليا ، لا
 لأجل أن يدافعوا عن الوطن من حيث إنه وطن ، لأن الدفاع عن الوطن من
 حيث هو وطن يكون من المؤمن والكافر ، حتى الكفار يدافعون عن
 أوطانهم ، لكن المسلم يدافع عن دين الله ، فيدافع عن وطنه ؛ لا لأنه وطنه
 مثلاً ، ولكن لأنه بلد إسلامي ؛ فيدافع عنه حماية للإسلام الذي حل في هذا
 البلد" ، فمقصود كلام شيخنا رحمه الله أن المقاتل دفاعاً عن وطنه لأنه وطن
 إسلامي ، حينئذ يكون دفاعه جهاداً في سبيل الله ﷻ ؛ لأنه يقاتل دفاعاً عن
 الإسلام ، وخوفاً من أن يستولي على البلاد أهل الفساد والانحراف أو غير
 المسلمين فتكون العواقب وخيمة ، فمن قاتل من أجل إبقاء الإسلام الذي هو
 دين وطنه صار مجاهداً في سبيل الله ﷻ ، وهذا لا ينافي الدفاع عن الأوطان
 مطلقاً ، لأنه كما قال يكون من الجميع ، فيعد من القيم المشتركة كون الأوطان
 محل الدفاع.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً ، برقم :

(١٢٣) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمامة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا

فهو في سبيل الله ، برقم : (١٩٠٤).

(٢) في شرح رياض الصالحين ، ٢٢/١.

فتبين أن دفاع الإنسان عن وطنه يعد أمراً فُطِرَ عليه الإنسان، وجبله الله عليه، وواجباً يحتمه عليه بقاؤه في وطنه، وعيشه فيه^(١)، ولكنه في التصور الشرعي يكون من الجهاد في سبيل الله، لأن أوطان المسلمين جزء من هويتهم التي تجب الدفاع عنها، والوطن الذي يتميز أهله بالإيثار والتضحية تجدهم قريبين من بعضهم، وأما الوطن الذي انتشر في أهله الأنانية والتخاذل تجدهم غريبين بمشاعرهم، وإن تقاربت أجسادهم، لأن التضحية من أجله لا تكون حتى تتعود النفس البشرية لذة العطاء، كما تتعود لذة الأخذ، ويستدل لهذه المشروعية:

- ١ - بما سبق من أدلة^(٢).
- ٢ - إضافة إلى التكييف السابق في كونه لازماً للضرورات^(٣).
- ٣ - أن غاية الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يمكن ذلك إلا بوطن يتحقق فيه الأمن ويمكن إقامة الدين.
- ٤ - أن مقاصد الدفاع المشروع، والجهاد بأنواعه متحققة في شأن الدفاع عن الأوطان.
- ٥ - لأن ترك مثل هذا يفتح للأعداء باب شر عظيم، وفساد عريض، لا يعلم مدى خطورته إلا الله ﷻ.

(١) انظر: مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام، أ.د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل،

ص ٧٣ - ٧٧.

(٢) انظر: ص (١٣ - ١٦).

(٣) انظر: ص ١٩.

وليست التضحية للوطن والدفاع عنه قولاً فقط ، بل لا بد من قول
يصدق عمل ، وعمل يؤكد عطاء الإنسان ، وسلوك تبرزه تلك المواقف
العظيمة التي يقدمها لوطنه ، وما ورد من ذم العلماء للقتال وطنية ليس
مرادهم هذه الصورة المشروعة ، بل مرادهم فيما لو تعارض أمر الدين مع
شأن الوطن ، بحيث يكون الوطن غير إسلامي وينتمي الإنسان إليه ثم يوجه
سلاحه ويقاتل من يرومون الدفاع عن المسلمين أو يقاومون المحتلين ، فيقاتل
مع المحتل ضدهم ، فهنا تعارض الدفاع الغريزي مع شأن شرعي ، كما أن ما
ورد يتجه إلى ما يقوم بالقلب من قصد ، فالواجب أن يعالج من يشرف بالدفاع
عن أوطان المسلمين نيته ، وما يقوم بقلبه ، فلا يجعل قصد الدفاع عن الوطن
دفاعاً مجرداً لأجل التراب أو المكتسبات الدنيوية ، بل يجعل الأصل في ذلك
كونه يحمل المقومات الشرعية التي هي ملازمة للمقاصد الأخرى الضرورية ،
وما من شك أن النية مؤثرة في الحكم ودرجته وآثاره ، ولكن إجراء الأحكام
على من قضى يكون بالظاهر ، فإذا قدر أن جندياً قتل في ميدان الشرف
والدفاع عن الوطن عومل معاملة الشهداء بما ظهر ، كما قرر العلماء ، حتى
شهيد المعركة الذي وردت النصوص القاطعة بمعاملته معاملة الشهداء ينطبق
الحكم عليه ، وإن كان في الباطن بخلاف ذلك ، وهذا ظاهر لمن تأمل ،
وسأعرض في المسألة القادمة صوراً من الدفاع عن هذا الوطن .

- المسألة الثانية: صور الدفاع عن الوطن ، وفيه فرعان :

- الفرع الأول: الدفاع القولي.

إن الصور المشروعة في الدفاع عن الوطن ليست محصورة ، والوسائل التي يتم بها الدفاع عن الأوطان كذلك ليست محددة ، وذكرها من باب المثال من وجه ، ولتوسيع دائرة المشاركة ، لأنه قد يظن ظان أن الإيجابية في هذه الصورة المشروعة لا تتحقق إلا بفعل ، ولكن عندما تذكر بهذه الصورة فإن كل فرد يمكنه أن يعبر عن محبته ودفاعه بما يستطيع ، ولذا فإن أول الصور وأهمها: الدفاع القولي ، فهو من أعظم ما يدافع به المرء عن وطنه دفاعاً بالبيان ، والكلمة والحجة واللسان ، وهو نوع من أنواع الجهاد ، ورب قول أشد من صول ، ويتأكد البيان في حال ظهور الفتن والتلبيس ، والتشويش بما يظن أنه معارض لهذه الصورة المشروعة ، فإن الفهم الوسطي وبيان الرؤية الشرعية مدعمة بالحجج القوية ، ومقاومة الشبه من أبرز وأهم صور الدفاع عن الأوطان ، وقد مر أن الدفاع عن وطن الإسلام نوع من الجهاد في سبيل الله ، والجهاد كما يكون باللسان يكون بالبيان واللسان ، والله تعالى أمر نبيه محمداً ﷺ بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾^(١) ، ومعلوم أن جهاد المنافقين لا يكون بالسيف ، فلم يثبت أن النبي ﷺ قاتل المنافقين أو قتلهم ، وإنما يكون الجهاد بالحجة ، فعن جابر رضي الله عنه أن عبد الله بن أبي بن سلول قال: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل" ، فقال عمر رضي الله عنه: "ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث" ، فقال النبي ﷺ: «لا يتحدث الناس أنه كان

(١) التوبة: ٧٣ ، والتحريم: ٩.

يقتل أصحابه»^(١)، يقول ابن القيم رحمه الله: "النبي ﷺ كان يكف عن قتل المنافقين مع كونه مصلحة لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه وقولهم إن محمدا يقتل أصحابه فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام ممن دخل فيه ومن لم يدخل فيه ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل"^(٢).

ويمكن تأسيساً على ذلك أن يقال: إن استهداف الأوطان ولو بالقول عدوان، والدفاع عنها يكون بالبيان الذي يعتمد استقراء الأدلة، وفهمها على ضوء ما ورد عن سلف الأمة، وللدفاع عن الوطن بالقول صور كثيرة، منها:

١ - كتابة الكتب التي تؤصل للدفاع عن الوطن، واستخدام القلم السيل في مثل ذلك.

٢ - ومنها الخطب، وعقد الندوات والمؤتمرات التي يتحدث فيها أهل الاختصاص، والمشاركة في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة بما يقتضي الدفاع عن الوطن ومقدساته ومكتسباته.

٣ - ومنها استخدام الشبكة العنكبوتية في الدفاع عن الوطن، والرد على شبه المخالفين.

٤ - ولعل من أبرز ذلك برامج المناصحة التي تبنتها الدولة وأثبتت فاعليتها وأثرها في مواجهة هذا الفكر.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما ينهى من دعوى الجاهلية، برقم: (٣٣٣٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، برقم: (٢٥٨٤).

(٢) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٣/١٣٨.

وغير ذلك من الصور التي لا يتصور حصرها.

- الفرع الثاني: الدفاع الفعلي.

والمراد بذلك الإيجابية الخيرة التي يبيدها من شرف بالانتماء إلى الوطن
تعبّر عن محبته وانتمائه الصادق، ودفاعه عن الوطن بمكوناته، وعن ثوابته
وقيمه، وذلك بما يأتي:

أ- التمسك بثوابت الوطن عقيدة ومنهجاً: فمما لا مزايدة عليه أن من
أعظم خصائص هذا الثرى الطاهر، وأبرز ميزاته قيامه على عقيدة التوحيد
الخالص، وحمانيته لهذا الأصل، ومن هنا فإن تحقيق التوحيد لله ﷻ، تحقيقاً
قائماً على الكتاب والسنة، وعلى فهم سلف الأمة صورة إيجابية، ومحبة
حقيقية، ودفاع عملي، فهذه البلاد - حرسها الله - قد قامت على أساس
نصرة التوحيد، وعلى القيام بالكتاب والسنة، وعلى أساس ذلك حصل لها
التمكين والغلبة والعزة، وهو أساس متين، وظل قويماً، ويعد من أبرز
المقومات التي يجب أن يربى عليها الناشئة تربية سليمة صالحة، تحميهم من
الانحراف والزيغ والظلال، وتجعل في أنفسهم حصناً منيعاً منه، لا يمكن
اجتثاؤه أو تغييره مهما حدث، وأعظم الثوابت وأهمها تحكيم الكتاب
والسنة، والأخذ بهما، فمن باب المثال: تتحقق هذه المحافظة بعد المحافظة
على عقيدة التوحيد بما يلي:

١- الأخذ بكتاب الله، والتربية عليه: فمن فهم كلام الله وأخذ به أخذاً
صحيحاً هداه الله إلى أفضل الطرق، وعُصم من مضلات الفتن، وتدبر هذا
الكتاب على ضوء ما فهمه السلف الصالح رضوان الله عليهم، ومعرفة كيفية
استنباطهم من النصوص، وفهمهم لها، وتطبيقهم لها في حياتهم العلمية

والعملية، صغيرها وكبيرها، ليصل المرء بعد ذلك إلى فهم قوي، وأساس متين يستطيع أن يدافع به عن وطنه، وأن يساهم في حمايته من الانحرافات الناشئة عن الجهل والتخبط.

٢- **الأخذ بسنة المصطفى ﷺ**: وذلك بالحرص على الأخذ بكل ما جاء فيها من أحكام تنفع المرء في معاشه ومعاده، وفهم السنة على ما فهمه صحابة النبي ﷺ، وجعل ذلك شرعة ومنهاجاً يسير عليه المرء في حياته ليفوز في الدارين، ولست أريد بذلك الاستقلال في الفهم، أو التخبط في الاستدلال، فما من شك أن ذلك يكون بحسب فهم سلف الأمة وفقهائها وعلمائها، والكلام يتجه إلى التطبيق العلمي المستند إلى كلام العلماء ليكون التطبيق تجسيدا للمقومات، وتعبيراً صادقاً عن المحبة.

ب- **القيام بمقومات المواطنة الصالحة**: والمقصود بمقومات المواطنة الصالحة: تلك الركائز والأسس والأعمال التي جعلها الله ﷻ لحماية للدول والحضارات أن تزول، وأخبر أنها سبب للاستخلاف والتمكين، وهي مقومات شرعية، ذكرها الله سبحانه في كتابه، وبينها رسول الله ﷺ مجموعها يحمي الجماعة الشرعية التي تعد أساس المواطنة الحقة، وتثمر الوحدة والتماسك والتعاقد والتعاون على البر والتقوى من مثل قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١)، وقوله: ﴿الَّذِينَ إِن

(١) النور: ٥٥.

مَكَّنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عِقَبَةُ الْأُمُورِ»^(١)، وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة ؓ: «من يقطع الأمير فقد أطاعني»^(٢)، وقوله ﷺ في حديث تميم الدراي ؓ: «الدين النصيحة»^(٣)، وقوله ﷺ في حديث عبادة بن الصامت ؓ: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن لا ننازع الأمر أهله»^(٤).

فهذه المقومات الشرعية يعد القيام بها في بلد الإسلام تجسيداً حقيقياً للمواطنة وصلاًحاً وإصلاحاً، ويعد أحد الأساليب الناجعة الناجحة في الدفاع عن الوطن، لأنها حفاظ على الوحدة والجماعة، وقيام بمقتضيات البيعة، وتحقيق لمقاصد الإمامة في الشرع، وإذا حصلت هذه المثالية فإن تمسك المسلم المواطن بها يضيق الفرصة على الأعداء أن يجدوا عليه مدخلاً لاستهدافه، والقيام بها من أعظم السبل التي ترفع مشكلة الانحراف الواقع، وبضد ذلك من يخرق هذه المقومات أو يخل بها، فإن المواطنة في حقه مختلة أو ناقصة بحسب ما يقع فيه، فهذه المقومات هي التعبير الصادق، ولا يخفى أنه يندرج في السمع والطاعة لولاة الأمر ما يحصل من تنظيم إداري وسياسي،

(١) الحج: ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقي به، برقم: (٢٧٩٧)، و مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم: (١٨٣٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم: (٥٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب كيف يبائع الإمام الناس، برقم: (٦٧٧٤)، و مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم: (١٧٠٩).

يناط أمره بالمصالح ودرء المفسد، ويعود إليه غالب الصور التنظيمية التي يحصل بالتزامها والتقيّد بها مصالح البلاد والعباد، كما سيرد في الفقرة التالية.

ج- الالتفاف والاجتماع حول ولاية الأمر: وهو جزء من المقومات، لكن إبرازه لأهميته، فإن السمع والطاعة لولاية أمر المسلمين أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، قلّ أن يخلو كتاب فيها من تقريره وشرحه وبيانه، وما ذلك إلا لبالح أهميته وعظيم شأنه، إذ بالسمع والطاعة لهم تنتظم مصالح الدين والدنيا معاً، وبالتعدي عليهم قولاً أو فعلاً فساد الدين والدنيا، وقد علّم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة.

لقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يولون أمر الاجتماع حول ولاية الأمر اهتماماً خاصاً، لاسيما عند ظهور بوادر الفتنة، نظراً لما يترتب على الجهل به أو إغفاله من الفساد العريض في العباد والبلاد، والعدول عن سبيل الهدى والرشاد، يقول الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ^(١): "فلا ريب أن الله جل وعلا أمر بطاعة ولاية الأمر والتعاون معهم على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه، فقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾" ^(٢)، هذا هو الطريق طريق السعادة، وطريق الهداية، وهو طاعة الله ورسوله في كل شيء، وطاعة

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن باز رحمه الله ٩/٩٣.

(٢) النساء: ٥٩.

ولاة الأمور في المعروف من طاعة الله ورسوله ، ولهذا قال جل وعلا : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ، فطاعة ولي الأمر تابعة لطاعة الله ورسوله ، فإن أولي الأمر هم الأمراء والعلماء ، والواجب طاعتهم في المعروف " .

فالواجب أن نكون يداً واحدة مع ولاة أمرنا ، إذ أن الالتفاف حولهم يحمي الإنسان من كل ناعق ينشق بالخروج عليهم ، والافتيات على سلطتهم وولايتهم ، وإذا حصل الاجتماع والالتفاف كان ذلك دافعاً وحامياً من الوقوع في الانحراف ، واستطاع المرء بذلك المساهمة في الدفاع عن وطنه من كل من يستهدفه من المتربصين به ، يقول شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله : "أوامر ولاة الأمر تنقسم إلى أقسام :

القسم الأول : ما لا يجوز طاعته : وذلك فيما إذا أمره بمعصية الله ، مثل : أن يأمره بحلق اللحية ، أو يأمره بأشياء منكرة ، فهذا لا يجوز طاعتهم فيه ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(١) ، فعطف طاعة أولي الأمر على طاعة الله ورسوله ؛ بدون إعادة العامل ، ممّا يدل على أن طاعة أولي الأمر على سبيل التبع...

القسم الثاني : أن يأمر ولي الأمر بما أمر الله به ورسوله ﷺ من العبادات ، فهذا إن كان واجباً مثل : أن يأمر بصلاة الجماعة ، ويتفقد الناس عليها ، فطاعته هنا واجبة...

القسم الثالث : أن يأمر بعبادة غير واجبة ؛ لكنها مشروعة : - مثل أن يأمر الناس بالصيام ، يقول : أيها الناس ! صوموا غداً ، فإننا سوف نخرج إلى

(١) النساء : ٥٩ .

الاستسقاء نستسقي، ودعاء الصائم مستجاب، فصوموا غداً، فهذا لا تلزم طاعتهم؛ لأن هذا عبادة بين العبد وبين ربه فلا تلزم طاعتهم.

القسم الرابع: أن يأمر بما فيه حفظ الأمن وصلاح المجتمع: فهذا تجب طاعته فيه، وإن لم يأمر الله به ورسوله صراحة، ما لم يكن معصية، كالأوامر الآن في النظم التي تقرّر وهي لا تخالف الشرع، فإن طاعة ولي الأمر فيها واجبة، ومن عصى وخالف فهو آثم^(١).

د- التعاون مع ولي الأمر ضد البغاة والخوارج: ما مر في السمع والطاعة هو جزء من حقوق الراعي على الرعية التي بها تتم صورة المواطنة الصالحة، وتحقق الحماية التامة، وثمة حقوق ذكرها العلماء كلها لها أثر عظيم في هذا الشأن، لكن إبراز هذه النقاط لأثرها المباشر في حماية الأوطان والدفاع عنها، ولذا فإن التعاون مع ولي الأمر في الكشف عن مخططات المفسدين للقضاء عليها وإراحة المجتمع من شرهم هو واجب شرعي، وعمل دفاعي، يتعاون فيه المسلمون على دفع الشرور التي تحيط ببلادهم، حتى يكونوا في حياتهم كما قال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٢).

وهذا التعاون مع ولي الأمر له أثره في اجتماع الكلمة، وتآلف القلوب واستتباب الأمن مطلب ضروري، كي يسعد الناس، وتنتظم مصالح العباد،

(١) انظر: لقاءات الباب المفتوح بتصرف يسير، ٥/١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، برقم: (٢٣١٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاوضهم، برقم: (٢٥٨٥)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

بقوة السلطان، ومن هنا كان من صور الدفاع التعاون مع ولي الأمر تعاوُنًا تامًا يعد كل فرد من أفراد المجتمع نفسه فيه رجل أمن، ويدين لله بالسمع والطاعة والنصح، ويتعبد لله بهذه المشاركات الإيجابية التي تشمل: كشف مخططاتهم، والإبلاغ عنهم وعدم التستر عليهم أو إيوائهم، والإبلاغ عن المطلوب منهم سواء كان مطلوبًا بوصفه أو بعينه، والاحتساب في ذلك، وهذا يلزم كل مواطن عمومًا، ولكن لزومه أشد في حق من وكل إليهم ولي الأمر هذه المسؤولية، وأسند إليهم هذه المهمة وهم رجال الأمن في القطاعات الأمنية المختلفة، ومن المهم إثارة هذا الباعث الشرعي لديهم، ليكون قيامهم بعملهم، وأداؤهم لمسؤولياتهم لا ينحصر في صورة أداء المهمة فحسب، بل تكون مؤسسة على اعتبار هذه الخلفيات الشرعية التي لا يخفى أثرها على رفع الروح المعنوية، وقوة التضحية، واحتساب الأجر عند الله، ويتأكد هذا في ظل ما يقرؤونه أو يعرض عليهم أو يسمعون من تشويش على الأصل الشرعي بما يثار من شبه، وهذه جزئية أساسية يتأكد فيها البيان على من تحمل مسؤولية البيان، ومما لا شك فيه أن حصول هذه الصورة الإيجابية من رجال الأمن والمواطنين يقلل من ضرر من يستهدفون الأوطان، ويقضي على فتنهم، وهي من أبلغ الصور في الدفاع عن الأوطان.

هـ- التعاون مع ولي الأمر في القيام بالولايات، والنصح في أداء الأمانات، وتحمل المسؤولية كاملة فيما يوكل إلى الفرد.

لأن ولي الأمر لا تتم ولايته وسلطته إلا بتوزيع الاختصاصات، وتسلسل المسؤوليات، واستيعاب مصالح البلاد بهذا التنظيم الإداري، ومن هنا فإن التعاون معه والتكاتف، وقبول الولاية التي تسند إلى الفرد أيًا كانت، ومن

أي مصدر، باعتبار أن المصالح لا تتم إلا بذلك، والنصح في المهمة التي تسند إلى الفرد، وتغليب المصلحة العامة فيها على المصالح الفردية، والمكاسب الآنية، واستشعار أن هذه أمانة، وأنها كما ورد في الحديث ستكون يوم القيامة خزيًا وندامة إلا على من قام بحققها، فقد قال النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه حينما طلب منه أن يوليه: «إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحققها، وأدى الذي عليه فيها»^(١)، فصار هذا الجانب متكونًا من جزأين: قبول الولاية أو المسؤولية متى ما اختير لها شخص، ولا سيما إذا تميز بميزة تجعل أهليته فيها تامة، والثاني: النصح التام، وأداء الأمانة كاملة، والنظر إلى المصالح العليا فيها، وهذا كما أنه من مقومات المواطنة الصالحة فهو من حقوق ولي الأمر على رعيته، كما ذكر ابن جماعة رحمه الله ذلك فقال: "الحق الثاني: بذل النصيحة له سرًا وعلانية"، وقال رحمه الله: "الحق الثامن: إيعاذه على ما تحمله من أعباء الأمة، ومساعدته على ذلك بقدر المكنة"^(٢).

- المسألة الثالثة: الشبه المثارة حول الدفاع عن الوطن والجواب عنها. والمقصود بهذه الفقرة الجواب عما يشكل مما يظن فيه التعارض أو التناقض، وذلك لأن سلامة الحكم منوطة بسلامة الاستدلال، ومقاومة المعارض، وتسميتها شبيهًا باعتبار ضعف مأخذها من وجه، ولأن من يعتمد عليها لم يقصر استدلاله على فهم أو قناعة، وإنما تحمل انحرافات فكرية،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، برقم: (١٨٢٥).

(٢) في كتابه: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ص ٨.

يعارض بها الاستدلالات الصحيحة، بل وربما يتجه النقد إلى العلماء، ومن هنا فلا بد من التعرض لبعض هذه الشبه، ومن باب التركيز على الجزئيات المباشرة فإنني أتجاوز الشبه المرتبطة بالجماعة والإمامة والولاء والبراء وغيرها من أبواب العقيدة والفقه إلى شبهتين رئيسيتين مرتبطتين بالموضوع مباشرة.

الشبهة الأولى: أن الوطنية جاهلية، لا يجوز الانتماء إليها، لأنها من أمور الجاهلية، فهي وثنية ومن الشرك بالله عز وجل، وقد ورد في الحديث: «من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية»^(١)، ويرى أولئك أن من مظاهر الخروج عن الإسلام الدعوة إليها وتدريسها وربط الناس بها^(٢).

وفي نظري أن هذه شبهة قديمة حديثة، ويعزى إليها ضعف الانتماء الوطني في نفوس كثير من الشباب خاصة، وكانت سبباً في إحجام بعض من أوكل إليهم التعليم والتربية من تدريس مواد الوطنية، وتوقف بعض الوعاظ من التحدث في مثل هذه القضايا المهمة، والجواب عن هذه الشبهة يكون بأمور:

١ - بالتأصيل الشرعي الذي سبق ذكره بأدلة ونصوص لا مزايدة عليها، وهي نصوص مقنعة لطالب الحق، لاعتمادها على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة، هذا من حيث صورة الحكم العام.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة، برقم: (١٨٤٨).

(٢) انظر: النذير، د. ماجد المرسل ص ٣٣١.

٢- ثم إنه في جانب التطبيق العملي يقال : إن المواطنة انتماء ، والانتماء يختلف حكمه بحسب الباعث عليه ، فما يقصد به مقاصد معتبرة كالتعريف وغيرها يختلف عما يقصد به التفاضل والتميز ، فالمقصد الأول الأصل فيه الإباحة ، والثاني إن أدى إلى معنى مشروع ، ومقصد معتبر فهو محمود ، ويدور بين الوجوب والاستحباب كالانتساب إلى الإسلام والسنة ، والمهاجرين والأنصار ، ومنه الانتساب إلى وطن الإسلام للمعاني الشرعية فهو من هذا القبيل ، بل إنه حينئذ يكون حبه من الإيمان وليس حباً طبعياً ، وتكون حمايته من مقتضيات العقيدة ، كيف وقد وردت نصوص كثيرة في فضله وفضل بعض بلدانه ، كمكة والمدينة والمشاعر ، ووطننا المبارك المملكة العربية السعودية قد جمع ذلك كله والله الحمد ، فالانتساب والانتماء والولاء له من الدين كما تقرر ، وما أدى إلى معنى غير مشروع فهو انتساب مذموم يدور بين الكراهة والتحريم^(١) ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله^(٢) : "وانتساب الرجل إلى المهاجرين أو الأنصار ، انتساب حسن محمود ، عند الله وعند رسوله ، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط ، كالانتساب إلى القبائل والأمصار ، ولا من المكروه أو المحرم ، كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة ، أو معصية أخرى".

(١) النذير - مرجع سابق - / ٣٣١ - ٣٣٢.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ص ٧١.

٣- جعل هذا الانتماء معياراً للتفاضل هذا شأن آخر، فلا شك أن معيار التفاضل في الإسلام ظاهر واضح بين ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ﴾^(١)، «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»^(٢)، لكن هذا المعيار لا يعني إلغاء الانتماء أو محاربته، بدليل النصوص الشرعية القاطعة بمحبة الأوطان، وقد مرت، والتوفيق بين الأخوة والانتماء سيأتي جوابه في الشبهة الثانية.

٤- المحذور في الانتماء الوطني هو تقديمه على محبة الدين، وإذا صار بهذه المثابة أصبح غلوّاً محرماً، وعصبية جاهلية، وهو بهذا المعنى مرفوض، وأول من يؤكد على رفض هذا الغلو ولالة أمرنا الذين تتم بيعتهم على الكتاب والسنة، وتقديم الدين على الوطن، وهم يرددون في كل مناسبة: "الدين أولاً والوطن ثانياً"^(٣).

٥- اعتبار الوطنية من العصبية التي ورد النهي عنها في الحديث: «من قاتل تحت راية عمية...»^(٤)، من الفهم الخاطئ، والتوظيف غير الدقيق للنصوص، لأن المراد بالحديث العصبية لغير الدين، وهذا مذموم كما سبق، أما إذا كان الوطن وطن الإسلام، والتعصب له

(١) الحُجُرات: ١٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم: (٢٣٥٣٦)، من حديث أبي نضرة، أنه حدثه من سمع خطبة النبي ﷺ، وعلق عليه الشيخ شعيب الأرناؤوط فقال: إسناده صحيح.

(٣) النذير - مرجع سابق - / ٣٣٦.

(٤) سبق تخريجه ص ٣٢.

لأجل المعاني الشرعية، فهذا جانب فطري تعزز بأصول شرعية تجعله ولاء وانتماء من الدين بل من الإيمان^(١)، ولو قلب هذا وقيل بأن من يحملون هذه الأفكار، ويتكثرون على هذه الشبه، ويمارسون أشد الفساد بالخروج على جماعة المسلمين، ونقض بيعة الإمام وتضليل العلماء بل وتكفيرهم، واستحلال الدماء كل ذلك لصالح جماعات سرية، ورايات ضالة، بل ودول تحارب المسلمين، أليس هذا كله يعد داخلاً فيما ورد في الحديث، لكن كما قال الله تعالى:

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾^(٢).

الشبهة الثانية: سلمنا أن المواطنة تأخذ جانباً شرعياً، وجانباً غريباً فطرياً، إلا أنه لا يمكن تحقيقها، لأن مفاد ذلك منافية مبدأ الأخوة وعالمية الدين الإسلامي، لاسيما أنها نتاج حركات قامت في البلاد العربية لإحياء هذه النعرات، وتغليبها على الرابطة الأساس وهي رابطة الدين، ويجب أن هذه الشبهة بما يلي:

١- لا شك أن القومية العربية التي وفدت كفكرة أوربية مبدأ منحرف، يراد من خلاله جمع الناس تحت هذه المضلة كبديل عن الإسلام، وجعل الولاء والبراء والتضحية لأجلها، ولذا قاومها علماء المسلمين، ووقفوا منها موقفاً واضحاً^(٣)، والإشكالية هنا أنه تم الربط بين مفهوم القومية العربية والوطنية على اعتبار أن مفهومهما

(١) النذير - مرجع سابق - ٣٣٦ / ٣٣٧.

(٢) فاطر: ٨.

(٣) انظر: فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، للشيخ / صالح العبود، ص ٢٥٤.

واحد، وأن كلا منهما مناقض للإسلام، وفي نظري - والله أعلم - أن هذه القضية نوقشت في وقت طغت فيه تلك المفاهيم، وتعددت الردود، فلا بد من مراعاة ظرف القضية وزمنها عند الإفادة من تلك الأطروحات، وهذا خلل يقع فيه كثير من المتحمسين لا في خصوص هذه المسألة، بل في عموم الإفادة من كلام العلماء والمتخصصين، وقد تطور مفهوم المواطنة، ولا نعني طغيان هذه العلاقة على رابطة الدين أو المذهب، ولا بد من مراعاة هذا التطور عند مناقشة هذه القضية الهامة^(١).

٢- أن ما وقع أخذ في بعضه طبيعة ردود الفعل، وردود الفعل تؤول إلى طرفين مذمومين، فالفكرة القومية كانت مخالفة لمبادئ الدين في صورتها المذمومة التي يراد منها إحلالها بديلاً عن الرابطة الدينية، لكن ذلك لا يلغي فضل جنس العرب على غيرهم، وما حباهم الله من خلال وخصال يفضلون بها على غيرهم، كما أن الوطنية لها صورتها المذمومة إذا طغت وصارت مجالاً للتعصب المذموم، أو الحزبية الممقوتة، لكنها كارتباط غريزي فطري يعزز بالموقف الشرعي الذي يعتمد في التعبير عن الارتباط بمقومات المواطنة الصالحة فإنه حينئذٍ لا يعارض الروابط الأخرى ولا يقاومها.

(١) انظر: الفقه الإسلامي ومفهوم المواطنة، مقال للكاتب/ محمد محفوظ، على الشبكة في موقع: التجديد العربي.

٣- أن أي فرد في مجتمع يكون ممارساته وتصرفاته الاجتماعية ضمن دوائر عدة، تتكامل هذه الدوائر في حياته دون تناقض أو التباس، ومنها هذه الدائرة الوطنية، فيمكنه الانتماء إليها دون أن تتعارض مع دائرة الجماعة أو العشيرة أو الأخوة الدينية، فتبتدى بمحبة الأسرة والعشيرة ثم الجماعة، ثم الوطن، ثم كل مسلم، ولا تلغي الدرجة العليا ما دونها، والمنهي عنه التعصب الذي يؤدي إلى الفرقة والانقسام، ويحرض على الظلم^(١)، ويؤكد هذا المعنى أن رسول الله ﷺ جسد هذه المعاني كلها، فعبّر عن محبته لوطنه وحنينه إليه، وأكد على حق قرابته، وأرشد إلى معاني الأخوة الإسلامية وطبق ذلك عملياً صلوات الله وسلامه وعليه.

٤- ويمكن أن يقال: أنه كما كان للعلماء موقف ظاهر وقت طغيان القومية العربية بمفهومها المخالف، فإننا نعاني من انحراف سبب تصرفات منكرة واجه بها المنحرفون مجتمعهم، وواجهوا ولاية أمرهم، وصرحوا بأنهم لا يربطهم بوطنهم رابط، بل أوردوا الكلام السابق لدعم انحرافهم، ومن هنا فإن مقاومة هذا الانحراف يستدعي إبراز الموقف الشرعي من الانتماء إلى الوطن، من خلال النقاط السابقة، وقد ثبت أن ثمت علاقة قوية بين قوة الانتماء والسلامة من الانحراف الفكري، والعكس بالعكس.

(١) انظر: المقال السابق، نقلاً عن الشيخ محمد أبو زهرة.

المطلب الثاني: حكم المفاداة بالنفس والمال دفاعاً عن الوطن.

إذا تقرر أن الدفاع عن الأوطان مشروع، وأن المشروعية تتأكد في الدفاع عن أوطان المسلمين، ومن خلال التقرير السابق يتبين أنه من الجهاد في سبيل الله، لأنه إعلاء لكلمة الله، وحفاظ على وحدة المسلمين، ودفاع عن حرمتهم، وحماية لحوزة الإسلام في بلد الإسلام، وكلها مقاصد شرعية تجعل المفاداة بالنفس والمال دون الوطن من المجالات المشروعة، بل المقدسة، وأن المسلم إذا اعتدي على وطنه واستهدف بسوء فإن من واجبه أن يدافع ويقدم ما يملك فداء لوطن الإسلام، وما يقدمه من تضحيات في هذا السبيل تدخل في صور الجهاد المشروع، ومما يؤكد الحكم ويقويه:-

١- أن الله جعل الإخراج من الأوطان عديلاً لقتل النفوس، وإذا كان الأعداء لو استهدفوا المسلمين وجب عليهم أن يدافعوا عن أنفسهم فكذا أوطانهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً﴾^(١).

٢- أن الله سبحانه وتعالى جعل من أسباب الجهاد، ودوافع مشروعيته اعتداء الكفار على الأوطان، وإخراج أهلها منها، قال الله تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٢) الَّذِينَ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ^(٣)، وقال سبحانه:

(١) النساء: ٦٦.

(٢) الحج: ٣٩- ٤٠.

﴿لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١)، فدل على أن الأوطان يجب الدفاع عنها، وأن الاعتداء عليها سبب مشروع للقتال.

٣- قوله ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد»^(٢)، وفي رواية: «من قتل دون أهله أو دون دمه أو دون دينه فهو شهيد»^(٣)، وورد أيضاً بلفظ عام: «من قتل دون حقه فهو شهيد»^(٤)، وورد بلفظ آخر: «من قتل دون مظلّمته فهو شهيد»^(٥)، ومعلوم أن المال والنفس والعرض كلها من الضرورات، ومرتبطة بالمكان الذي يقيم فيه الشخص، فكيف يمكن الدفاع دون التمسك بالوطن؟

(١) الحشر: ٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب من قاتل دون ماله، برقم: (٢٣٤٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه، وإن قتل كان في النار، وأن من قتل دون ماله فهو شهيد، برقم: (١٤١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، برقم: (٤٧٧٢)، من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ١٤٦/١٢، برقم: (٦٧٧٥)، من حديث زيد بن علي بن حسين عن أبيه عن جده.

(٥) أخرجه النسائي في سننه، كتاب تحريم الدم، باب من قتل دون ماله، برقم: (٤٠٩٣)، من حديث أبي جعفر رضي الله عنه.

٤ - سيرة رسول الله ﷺ وهديه حينما يقع الهجوم والاعتداء فإنه يُحصّن أولاً الوطن، ويفعل كل ما بوسعه لصد الأعداء عنه، ولذا جعل الفقهاء من الحالات التي يكون الجهاد فيها فرض إذا هاجم العدو بلداً إسلامياً وجب على أهله الدفاع عنه، ووجب على من يليهم نصرتهم إذا طلبوا ذلك منهم بالضوابط الشرعية الواردة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَسْتَضْرُّوكُمْ فِي الَّذِينَ فَعلَيْكُمْ أَنْتَضِرُوا إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ...﴾^(١)، وهذا يؤكد أن الدفاع عن الأراضي والأوطان من المطالب الشرعية، يقول الجصاص رحمه الله من علماء الحنفية: "ومعلوم في اعتقاد جميع المسلمين أنه إذا خاف أهل الثغور من العدو، ولم تكن فيهم مقاومة لهم، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذريائهم، أن الفرض على كافة الأمة أن ينفر إليهم من يكف عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمة"^(٢)، ومقصوده بقوله: "كافة الأمة" أي: أمة هذا البلد الذي وقع الاعتداء عليه كما هو صريح كلام غيره من العلماء، والقرطبي رحمه الله يقول: "إذا تعين الجهاد بغلبة العدو على قطر من الأقطار أو مجلوله بالعقر، فإذا كان ذلك وجب على جميع أهل تلك الدار أن ينفروا ويخرجوا إليه خفافاً وثقالاً شباباً وشيوخاً كل على قدر طاقته"^(٣)، ويقول النووي رحمه الله: "الضرب

(١) الأنفال: ٧٢.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١١٤/٣.

(٣) تفسير القرطبي ١٤٢/١.

الثاني : الجهاد الذي هو فرض عين ، فإذا وطئ الكفار بلدة للمسلمين ، أو أطلوا عليها ، ونزلوا بها قاصدين ، ولو لم يدخلوا صار الجهاد فرض عين^(١) ، وهذا القول كسابقه ، ففرضية العين هي على من اعتدي عليهم ، وللحدود السياسية أثر في استقلال كل بلد بأحكامه في هذا المجال كما قرر العلماء ، ويقول ابن قدامة : "ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع : ... الثاني : إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم"^(٢) ، وكلام الفقهاء في ذلك كثير مشهور.

(١) روضة الطالبين ، وعمدة المفتين ، ١٠/ ٢١٤ .

(٢) المغني ٩/ ١٧٩ .

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على الدفاع عن الوطن، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: حكم إطلاق وصف الشهيد على من قتل دفاعاً عن

وطنه، وفيه مسألتان:

- المسألة الأولى: إطلاق الوصف على العموم.

الحديث عن إطلاق الوصف على سبيل التعيين سيأتي الخلاف فيه، لكن أذكر هنا أن العلماء حذروا من التساهل الشديد في إطلاق الأوصاف أو إضافة قيود أو أوصاف لم ترد في الشرع، قال شيخنا الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "وأما ما ينشر في الصحف وما أشبه ذلك من مثل هذه الألقاب التي قد تقال لمن يجزم الإنسان بأنه ليس من المؤمنين فضلاً عن الشهداء؛ فإن الواجب أن يتحرى الإنسان فيما يقول، سواء كان صحفياً أم غير صحفي لأنه سيُسأل عما قال، كما قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١)"^(٢)، كما أن من الأمور التي يجب الحذر منها إطلاق البعض أوصافاً لنيل الشهادة غير الأوصاف التي ذكرها النبي ﷺ، كشهد الحربة أو شهيد العلم، وغير ذلك من الأوصاف التي لم ترد في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولا يخفى أن مرتبة الشهادة مرتبة عظيمة، جاء الإسلام برفع مكانتها وإعلاء شأنها، فيجب الوقوف عند الأصول الشرعية في التسميات، كما هو حال المؤمن في جميع شأنه أنه يرجع إلى الحق، ويلتزم بالنص، وهذا في الجزم، أما إطلاق الوصف، وقول: الشهيد، فهذا على نوعين:

(١) ق: ١٨.

(٢) فتاوى إسلامية، جمع محمد بن عبد العزيز المسند: ٢٦٢/٤.

الأول: وصف العموم: كأن يقال: من قُتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن مات بالطاعون فهو شهيد، ونحو ذلك، فهذا جائز كما جاءت به النصوص؛ لأنه شهادة بما أخبر به رسول الله ﷺ، ونعني بقولنا: جائز أنه غير ممنوع، وإن كانت الشهادة بذلك واجبة تصديقاً لخبر رسول الله ﷺ^(١).

فإطلاق لفظ الشهيد لمن قتل وهو يدافع عن وطنه من باب الإطلاق على العموم جائز، لأن المجال مشروع، وهو من ميادين الجهاد التي تدخل في المعيار الذي جعله النبي ﷺ للوصف بالشهادة فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(٢)، وكما سبق فإن المقاتل دون أوطان المسلمين دفاعاً عنها، وحماية لحوزة الإسلام فهو من هذا القبيل، وعليه فوصفه بالشهادة على سبيل العموم لا على سبيل التعيين جائز وسائغ.

وهنا لابد من تسليط الضوء على المصطلح الذي استعمل كعنوان للندوة ألا وهو "شهيد الواجب" فإنه عند التدقيق والنظر لا يخرج عما ذكرت، لأن الدفاع عن الأوطان واجب، والنفير إلى ذلك متعين، فيعد من الحالات التي تجب المشاركة فيها وجوباً عينياً كما سبق، والوجوب درجة عالية من المشروعية، فمن قتل دون الوطن الذي يجب الدفاع عنه فهو شهيد هذا الواجب، فالتسمية مراعى فيها هذا البعد الذي يحصل به استثارة النفوس لطلب هذا الشرف، ولا تعني أنها خروج عن الوصف الشرعي، أو إثبات

(١) المناهي اللفظية، محمد بن صالح العثيمين، جمع فهد السليمان، ص ٨٠.

(٢) سبق تخريجه في ص ٢١.

وصف لم تدل النصوص عليه ، وإذا قيل بجواز وصف المقتول دون وطن الإسلام بالشهادة على سبيل العموم فإنه يسوغ أن يطلق هذا على من حصلت له هذه المنزلة باعتبار العموم ، بمعنى أن من قتل دفاعاً عن وطنه فلا يمنع أن يقال شهيد الواجب ، وليس المراد الشهادة له بعينه ، وإنما المراد أن المجال الذي قتل فيه ، والهدف الذي قاتل لأجله مشروع ، فينطبق عليه هذا الحكم بهذا الاعتبار ، كما أن من قتل في المعركة يعامل معاملة الشهداء ولا يعني له الشهادة بعينه ، لأنه قد يتخلف شرط أو يوجد مانع ، على أن الإطلاق المعين محل خلاف كما سيأتي ، والله أعلم.

- المسألة الثانية: إطلاق الوصف على سبيل التعيين.

سبق الكلام أن من قتل مدافعاً عن وطنه فهو شهيد ، ولكن اختلف أهل العلم - رحمهم الله - في مسألة إطلاق وصف الشهيد على المعين ، وكان اختلافهم فيها على قولين :

❖ القول الأول :

أنه لا يجوز أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد ، حتى لو قتل مظلوماً ، أو قتل وهو يدافع عن الحق ، إلا من شهد له النبي ﷺ ، أو اتفقت الأمة على الشهادة له بذلك .

وقال بهذا جماعة من أهل العلم - رحمهم الله - ، منهم : الإمام البخاري رحمه الله ^(١) ، ورجحه شيخنا الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله ^(٢) ،

(١) فقد بوب لذلك فقال : (باب لا يقال : فلان شهيد) ، انظر : صحيح البخاري ، ٨٩/٦ .

(٢) انظر : المناهي اللفظية ، للشيخ : محمد بن الصالح العثيمين ، جمع : فهد السليمان ،

ص ٨٠ ، وانظر : فتاوى إسلامية ، جمع : محمد بن عبد العزيز المسند ٩١/١ .

وهو رأي العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله^(١) فقال: " (تنبيه):
بوب البخاري في "صحيحه": (باب لا يقال: فلان شهيد)، فهذا مما يتساهل
فيه كثير من الناس فيقولون: الشهيد فلان، والشهيد فلان" اهـ^(٢).
- الأدلة:

استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

١- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الله أعلم بمن يجاهد
في سبيله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله»^(٣).

♦ وجه الدلالة: في قول النبي ﷺ: «الله أعلم...»، قالوا: إن هذا
الحكم ليس على الظاهر، فمن كان يقاتل في صفوف المسلمين فلا يتعين أن
يكون ممن يقاتل في سبيل الله، ويكلم في سبيل الله؛ لأنه قد يكون في صفوف
المسلمين ويقاتل حمية، وما أشبه ذلك، ولا يكون لأحد الفضيلة حتى يقاتل
في سبيل الله^(٤)، ولا يمكن اطلاع ذلك إلا بالوحي، فمن ثبت أنه في سبيل الله
أعطي حكم الشهادة، ولا يعلم ذلك إلا من علمه الله، فلا ينبغي إطلاق
كون كل مقتول في الجهاد أنه في سبيل الله^(٥).

(١) كما في: أحكام الجنائز، ص ٥٩.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب فضل مؤمن مجاهد بنفسه وماله في

سبيل الله، رقم (٢٧٨٧).

(٤) انظر: المنتقى، للباجي: ٢٠٥/٣.

(٥) انظر: فتح الباري: ١٠٦/٦.

٢- عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع للعدو شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنه من أهل النار»، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه...، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة»^(١).

❖ **وجه الدلالة:** أن الصحابة رضي الله عنهم شهدوا أن هذا الرجل محسوب على الجهاد في سبيل الله، فلو كان قُتل لم يمتنع أن يشهدوا له بالشهادة، وقد ظهر منه أنه لم يقاتل لله وإنما قاتل غضباً لقومه، فلا يطلق على كل مقتول في الجهاد أنه شهيد، لاحتمال أن يكون مثل هذا^(٢).

٣- قال أصحاب هذا القول: إننا لو شهدنا لأحد بعينه أنه شهيد لزم من تلك الشهادة أن نشهد له بالجنة، وهذا خلاف ما كان عليه أهل السنة.

وهناك أدلة أخرى، ولكن هذه أهمها.

❖ مناقشة الأدلة:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب لا يقول: فلان شهيد، برقم: (٢٨٩٨).

(٢) انظر: فتح الباري: ١٠٦/٦.

اعترض بعض العلماء على تبويب البخاري رحمه الله، فقال الحافظ ابن حجر على تبويب البخاري^(١): "أي على سبيل القطع... وإن كان مع ذلك يعطى حكم الشهداء في الأحكام الظاهرة، ولذلك أطبق السلف على تسمية المقتولين في بدر وأحد وغيرهما شهداء، والمراد بذلك الحكم الظاهر المبني على الظن الغالب، والله أعلم". ١.هـ

ونقل الشيخ بكر أبو زيد في معجم المناهي اللفظية^(٢) عن الطاهر ابن عاشور في ترجمة البخاري، فقال: "هذا تبويب غريب، فإن إطلاق اسم الشهيد على المسلم المقتول في الجهاد الإسلامي ثابت شرعاً، ومطروق على السنة السلف فمن بعدهم، وقد ورد في حديث الموطأ، وفي الصحيحين: أن الشهداء خمسة غير الشهيد في سبيل الله، والوصف بمثل هذه الأعمال يعتمد على النظر إلى الظاهر الذي لم يتأكد غيره، وليس فيما أخرجه البخاري هنا إسناد وتعليق ما يقتضي منع القول بأن فلانا شهيد، ولا النهي عن ذلك.

فالظاهر أن مراد البخاري بذلك أن لا يجزم أحد بكون أحد قد نال عند الله ثواب الشهادة؛ إذ لا يدري ما نواه من جهاده، وليس ذلك للمنع من أن يقال لأحد: إنه شهيد، وأن يجري عليه أحكام الشهداء، إذا توفرت فيه، فكان وجه التبويب أن يكون: باب لا يجزم بأن فلانا شهيد إلا بإخبار من رسول الله ﷺ مثل قوله في عامر بن الأكوع: "إنه لجاهد مجاهد"^(٣)، ومن هذا

(١) في: فتح الباري، ١٠٦/٦.

(٢) ص ٣٢٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب غزوة خيبر، برقم: (٣٩٦٠)، ومسلم في صحيحه،

باب غزوة خيبر، برقم: (١٨٠٢).

القبيل زجر رسول الله ﷺ أم العلاء الأنصارية حين قالت في عثمان بن مظعون: "شهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: "وما يدريك أن الله أكرمهُ؟" (١) .ا.هـ.

❖ القول الثاني :

جواز تسمية المقتول في سبيل الله وغيره ممن مات بسبب من أسباب الشهادة بشهيد ولو على سبيل التعيين، وذلك بناء على الحكم الظاهر على الشخص المبني على الظن الغالب لدى الناس، قال ابن عبد البر رحمه الله: «إن الأحكام إنما يقضون في التعديل والتجريح عند الشهادات بما يظهر ويغلب، ولا يقطعون على غيب فيما به من ذلك يقضون، ولم يكلفوا إلا العلم الظاهر، والباطن إلى الله ﷻ» (٢).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «قد يكون في بلاد الكفر من هو مؤمن في الباطن يكتُم إيمانه، ممن لا يعلم المسلمون حاله، إذا قاتلوا الكفار، فيقتلونه، ولا يغسل، ولا يصلى عليه، ويدفن مع المشركين، وهو في الآخرة مع المؤمنين أهل الجنة، كما أن المنافقين تجري عليهم في الدنيا أحكام المسلمين، وهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، فحكم الدار الآخرة غير حكم الدار الدنيا» (٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه، برقم: (١١٨٦).

(٢) الاستذكار: ٢٤٠/١٤.

(٣) درء تعارض العقل والنقل: ٤٣٢/٨ - ٤٣٣.

وذهب بعض أهل العلم إلى هذا القول ومنهم : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(١) ، وكذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله^(٢) ،
- الأدلة :

- استدل أصحاب هذا القول بما يلي :
- الأدلة الكثيرة على تسمية بعض الصحابة نفسه بالشهيد ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما طعن حرام بن ملحان رضي الله عنه - وكان خاله - يوم بئر معونة قال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال : "فزت ورب الكعبة"^(٣) ، فقله : "فزت ورب الكعبة" أي بالشهادة^(٤) ، وكان هذا شهادة لنفسه ، ولم ينكر عليه النبي ﷺ .
- وعندما قُتل النعمان بن مقرن رضي الله عنه في معركة نهاوند قال أخوه معقل : هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح ، وختم له بالشهادة^(٥) .
- هذه بعض الآثار المروية عن الصحابة ش ، وروي مثلها عن التابعين ومن بعدهم ، وبمثلها قال كثير من العلماء المحققين^(٦) .

(١) انظر : الفتاوى ٢٤/٢٩٣ .

(٢) انظر : فتاوى اللجنة الدائمة ، ١٢/٢٣ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب غزوة الرجيع ، برقم : (٤٠٩٥) .

(٤) فتح الباري : ٧/٤٤٩ .

(٥) موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ، للهشمي ، ص ٤٢٣ .

(٦) انظر مثلاً : قول يحيى بن معين في أحمد بن نصر المروزي - عندما قتل في فتنه القرآن - : "ختم له بالشهادة" ، انظر : سير أعلام النبلاء : ١١/١٦٧ ، وانظر مثلاً أقوال كل من : شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاويه : ٢٩٣/٢٤ . وابن عبد البر في الاستيعاب : ٣/٣١٢ ،

وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن حكم إطلاق لفظة "الشهيد" على المعين فأجاز ذلك، وقال: كل من سماه النبي ﷺ شهيداً فإنه يسمى شهيداً^(١).

- الترجيح:

يظهر لي - والله أعلم - أن من مات بسبب من أسباب الشهادة التي ثبتت عن النبي ﷺ، فلا يمنع من إطلاق الوصف عليه ولو على سبيل التعيين، لأن السبب قد ثبت به الشهادة، وكذلك من أسباب حصول الفضل له شهادة المؤمنين بذلك، فلا مانع من إطلاق لفظ شهيد عليه، ولا محذور في ذلك، وإن كان فيه شهادة بالجنة، فعن أنس رضي الله عنه قال: مر على النبي ﷺ بجنازة فأتوا عليها خيراً فقال: «وجبت»، ثم مر بأخرى فأتوا عليها شراً أو قال غير ذلك فقال: «وجبت»، فقيل: يا رسول الله قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت، قال: «شهادة القوم المؤمنون شهداء الله في الأرض»^(٢).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله^(٣): "قال الداودي: المعتبر في ذلك شهادة أهل الفضل والصدق، لا الفسقة لأنهم قد يشنون على من يكون مثلهم، ولا

٥٤٣، ٦٥٤، ٦٥٥. وانظر إلى ابن حجر في الإصابة في عدة مواضع من كتابه. وابن كثير في البداية والنهاية: ١٢٠/٧.

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتوى رقم ٩٢٤٨، جمع: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، ٢٣/١٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، برقم: (١٣٦٧).

(٣) في فتح الباري، ٢٧٣/٣.

من بينه وبين الميت عداوة لأن شهادة العدو لا تقبل ، وفي الحديث فضيلة هذه
الأمة ، وإعمال الحكم بالظاهر " .ا.هـ.

- **المطلب الثاني: حقوق من قتل دفاعاً عن وطنه، وفيه مسألتان:**

- **المسألة الأولى: حقوق من قتل دفاعاً عن وطنه بعد القتل.**

من أحكام الشهداء عدم التغسيل والتكفين والصلاة عليه، وفي كل هذه المسائل خلاف يسير، وسأعرضه كما يأتي - بإيجاز - :

أولاً: تغسيل الشهيد: اتفق الأئمة الأربعة ^(١) على أن شهيد المعركة لا يغسل إذا لم يكن جنباً، وحكاه بعضهم إجماعاً ^(٢)، واستدلوا بعدة أدلة منها ما روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «قال النبي ﷺ: ادفنوه في دمائهم، يعني يوم أحد، ولم يغسلهم» ^(٣)، لكن إن علق به شيء من النجاسات فيجب أن يزال ما عليه، لأن الآثار وردت في إبقاء دمه خاصة، وإن أدى ذلك إلى زوال بعض دمه، لأن دفع المفسدة وهي غسل النجاسة، أولى من جلب المصلحة وهي إبقاء أثر العبادة ^(٤).

ثانياً: تكفين الشهيد: اتفق الأئمة الأربعة ^(٥)، والظاهرية ^(٦) على مشروعية تكفين الشهيد في ثيابه التي أصيب فيها، وذلك استناداً إلى الأحاديث الدالة على ذلك، ومنها حديث جابر المتقدم في تغسيل الشهيد، لكن إذا سلبت عنه

(١) انظر: المبسوط: ٤٩/٢، والمدونة: ١٨٣/١، وحاشية الدسوقي: ٤٢٥/١، والأم:

٤٤٦/١، وروضة الطالبين: ١١٨/٢، والمغني: ٤٦٧/٣.

(٢) انظر: الإفصاح: ١٣٩/١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من لم ير غسل الشهداء، برقم: (١٣٤٦).

(٤) انظر: مواهب الجليل: ٢٤٩/٢، وروضة الطالبين: ١٢٠/٢، والإنصاف: ٤٤٩/٢.

(٥) انظر: المبسوط: ٥٠/٢، والمدونة: ١٨٣/١، والأم: ٤٤٦/١، والمغني: ٤٧١/٣.

(٦) المحلى، لابن حزم: ٣٣٦/٣.

ثيابه في المعركة، وعراه العدو فإنه يجب تكفينه، لأنه بذلك يكون كغيره من الموتى، قال ابن رشد: "قوله في تكفين من عراه العدو من الشهداء أن ذلك حسن، لفظ فيه تجاوز وتسامح، بل ذلك لازم، لا رخصة في تركه"^(١)، وينزع عن الشهيد سلاحه، كالسيف، والدرع، وغيرها مما تسمى سلاحاً وقد اتفق الأئمة الأربعة على ذلك وأنه ينزع عن الشهيد^(٢)، وحكى النووي ذلك إجماعاً، فقال: «وأجمع العلماء على أن الحديد والجلود تنزع عنه»^(٣).

ثالثاً: الصلاة على الشهيد: فقد اختلف العلماء في حكم الصلاة على الشهيد على أقوال هي:

❖ القول الأول: أنه لا يصلى على الشهيد، وهذا مذهب الجمهور من المالكية والشافعية والحنابلة^(٤).

- الأدلة:

استدلوا بعدة أدلة، منها:

١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟»

(١) البيان والتحصيل: ٢٢٩/٢.

(٢) انظر: المبسوط: ٥٠/١، والمدونة: ٤٨٣/١، ونهاية المحتاج: ٥١١/٢، وكشاف القناع: ٩٩/٢.

(٣) المجموع: ٢٦٧/٥.

(٤) انظر: المدونة: ١٨٣/١، والأم: ٤٦٦/١، والإنصاف: ٥٠٠/٢.

فإذا أشير له على أحدهما قدمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا، ولم يصل عليهم^(١).

٢- أن الصلاة على الميت شفاعته له، ولا يشفع إلا للمذنبين. والشهداء قد غفرت ذنوبهم، وصاروا إلى كرامة الله ورحمته أجمعين، فارتفعت حالتهم عن أن يصلى عليهم، كما يصلى على سائر موتى المسلمين^(٢).

٣- أن الغسل متعلق بالصلاة، فإذا كان الشهيد لا يغسل ثبت أنه لا يصلى عليه^(٣).

٤- أن الصلاة إنما شرعت في حق الموتى، والشهداء أحياء عند ربهم^(٤).
❖ القول الثاني: أنه يصلى عليه، وهذا مذهب الحنفية^(٥)، ورواية عن أحمد^(٦).

- الأدلة:

استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(١)، فأمر بالصلاة ولم يفصل، وعلل بأن الصلاة سكن لهم أي أنس ورحمة، والشهيد أولى من غيره.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، برقم: (١٣٤٣).

(٢) انظر: الأم ١/٤٤٧.

(٣) انظر: المجموع: ٥/٢٦٦، وتهذيب السنن، لابن القيم: ٤/٢٩٦.

(٤) انظر: المغني: ٣/٤٦٩، بتصرف.

(٥) تبين الحقائق: ١/٢٤٨.

(٦) المغني: ٣/٤٦٧، الإنصاف: ٢/٥٠٠.

٢- ما رواه عقبة بن عامر «أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت»^(٢)، وغير لك من الأدلة التي بينت أن النبي ﷺ صلى على الشهداء.

❖ القول الثالث: أن الصلاة على الشهيد بالخيار للمصلي: فإن شاء صلى، وإن شاء ترك، وهو رواية عن الإمام أحمد^(٣) رجحها ابن القيم^(٤)، وهو مذهب ابن حزم^(٥)، فهم جمعوا بين أدلة القولين.

- الترجيح:

الذي يظهر أن الراجح - والله أعلم - هو القول الأول، لقوة أدلته، وصلاة النبي ﷺ على شهداء أحد ليست استدراكاً للصلاة عليهم، لأنه لم يحصل هذا في شهداء المعارك غيرهم، ولكن لو حصل التردد في صورة كما سيأتي في قتال البغاة والخوارج والمحاربين فإن الصلاة عليهم تترجح، لأنه إذا كان شهيد المعركة محل خلاف، فإذا قوي الخلاف بقي الأصل وهو الصلاة، والله أعلم.

ولكن من هو هذا الشهيد؟ وهل من يقتل في الثغور أو في مدافعة البغاة أو الخوارج ينطبق عليه حكم الشهيد الأنف، وهو حكم دنيوي، وأما الأخروي فإلى الله، وهذه المسألة من مسائل الخلاف، ووقع الخلاف فيها على أوجه

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، برقم: (١٣٤٤).

(٣) المبدع: ٢٣٦/٢، والإنصاف: ٥٠٠/٢.

(٤) تهذيب السنن: ٢٩٥/٤.

(٥) المحلى: ٣٣٦/٣.

كثيرة، والمؤثر في حكم المسألة أمور، أولها: تحديد شهيد المعركة هل المراد بالمعركة أمر مكاني أو زماني، وقد اختلف في ذلك، فذكر القاضي عبد الوهاب - من المالكية - أن الشافعية^(١) اعتبروا في ذلك: زمن الحرب وبقاءها، ورجح أن المعترك ليس بقاء الحرب وتقضيها، وإنما عبارة عن الموضع الذي يكون فيه القتال^(٢).

كما أن الشافعية ذهبوا في تحديد المعركة إلى اعتبار الحال أيضاً، أي أن المجاهد إذا قاوم وقاتل وحصل منه عراك لعدوه ثم قتل أثناء ذلك يصح اعتباره من قتلى المعركة، أما إذا قتل وهو غافل أو قتل صبراً^(٣) فإنه لا يكون من قتلى المعركة^(٤). ولعلهم أخذوا ذلك من فهمهم للمعنى اللغوي من المعاركة التي هي على وزن مفاعلة، وأنها لا تكون إلا من اثنين، ولا بد من فعلين لفاعلين في الغالب.

والذي يظهر - والله أعلم - هو ما رجحه القاضي عبد الوهاب من أن المعركة هي أرض الحرب والموضع الذي يكون فيه القتال؛ لأن هذا هو المعروف في دلالة اللغة، وهو ما يسمى في عصرنا الحاضر "مسرح العمليات"،

(١) قال أبو إسحاق الشيرازي: "إن جرح في الحرب ومات بعد انقضاء الحرب غسل وصلى

عليه، لأنه مات بعد انقضاء الحرب"، المذهب: ١/١٣٥.

(٢) الإشراف على نكت مسائل الخلاف: ١/٣٥٨ - ٣٥٩.

(٣) صبراً: قال ابن الأثير: كل من قتل في غير معركة، ولا حرب، ولا خطأ، فإنه مقتول صبراً. النهاية: ٨/٣.

(٤) انظر: روضة الطالبين: ١١٩/٢، تحفة المحتاج: ٣/١٦٤.

وهو يرادف "أرض المعركة" ، فكل من قتل في "مسرح العمليات" يطلق عليه قتل المعركة.

ثم إن أحكام الشهيد الدنيوية من كونه لا يغسل ولا يصلى عليه ويكفن في ثيابه تطبق على المسلم المقتول في معركة الكفار بلا خلاف بين المذاهب الأربعة^(١) في أنه شهيد يأخذ الأحكام الخاصة من عدم الغسل ، والدفن بثيابه ، وغير ذلك من الأحكام التي اختلفت في بعضها ، لكن صور الشهادة الأخرى التي منها : الشهادة في قتال البغاة والخوارج ، والمدافعة عن الثغور وقع الخلاف فيها ، فقد اختلف العلماء - رحمهم الله - فيمن قُتل في معركة البغاة.

قال ابن رشد^(٢) : "وسبب اختلافهم هو الموجب لرفع حكم الغسل هل هي الشهادة مطلقاً أو الشهادة على أيدي الكفار؟ فمن رأى أن سبب ذلك هو الشهادة مطلقاً ، قال : لا يغسل كل من نص عليه النبي ﷺ أنه شهيد ممن قتل" ، وقد اختلفوا في ذلك على قولين :

❖ القول الأول :

أن من قتله أهل البغي كمن قتله أهل الحرب ، فيأخذ الأحكام الخاصة بالشهيد ، وهذا مذهب الحنفية^(٣) ، والحنابلة^(٤) ، وقول عند الشافعية^(٥) .

(١) الحجة لمحمد بن الحسن ٣٥٦/١ - ٣٥٧ ، الذخيرة ٤٧٦/٢ ، مغني المحتاج ٣٥٠/١ ،

الفروع لابن مفلح : ٢١٣/٢ .

(٢) بداية المجتهد : ٢٦٧/١ .

(٣) حاشية رد المحتار : ٢٤٩/٢ .

(٤) المغني : ٤٧٤/٣ ، الشرح الكبير : ٥٤٩/١ .

(٥) الحاوي : ٢٠٧/٣ .

- الأدلة :

استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة ، أشهرها :

الآثار التي وردت عن بعض الصحابة المقتولين ظلماً أنهم يدفنون في ثيابهم ، ومن ذلك : قول عمار بن ياسر رضي الله عنه : « ادفنوني في ثيابي فأني مخاصم »^(١) ، وكان قد استشهد بصفين تحت راية علي رضي الله عنه ، فكان قتيل أهل البغي ، ومع ذلك فإنه أمر أن يدفن في ثيابه^(٢) .

وكذلك فإن عثمان بن عفان رضي الله عنه دفن في ثيابه بدمائه ولم يغسل^(٣) .

❖ القول الثاني :

أن من قتله أهل البغي يكون كسائر الموتى ، ولا يأخذ حكم شهيد المعركة مع الكفار ، وهذا مذهب المالكية^(٤) ، والشافعية في الأظهر^(٥) ، ورواية عن الإمام أحمد^(٦) .

- الأدلة :

استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة ، أشهرها :

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى : ١٧/٤ ، كتاب الجنائز ، باب المقتول بسيف البغي ، وقال عنه ابن حجر في التلخيص الحبير ٢٧٥/٥ : " حديث أن عمار بن ياسر أوصى أن لا يغسل : البيهقي من حديث قيس بن أبي حازم عنه وصححه ابن السكن " .

(٢) بدائع الصنائع : ٣٢٣/١ ، بتصرف .

(٣) المسند لعبد الله بن أحمد ، الفتح الرباني : ١٥٩/٧ ، قال ابن الملقن : إسناداه لا أعلم به بأساً . خلاصة البدر المنير : ٢٨٠/١ .

(٤) الذخيرة : ٤٧٦/٢ .

(٥) الأم : ٤٤٩/١ ، روضة الطالبين : ١١٩/٢ .

(٦) الشرح الكبير ، لابن قدامة : ٥٤٩/١ ، الإنصاف : ٥٠٣/٢ .

١ - عموماً أحاديث غسل من سوى الشهداء، وقالوا: إن الشهداء المقتولين في المعركة مع الكفار خرجوا عن أمر النبي ﷺ بالكفن والغسل، والصلاة، وبقي سائر من قتله مسلم أو باغ أو محارب على حكم سائر الموتى^(١)، فكأنهم يريدون أن الأحكام العامة أصل، وشأن الشهداء استثناء، فيقتصر فيه على النص، ويؤكد ذلك ورود تسمية الشهيد لمن مات في حادث عام كغرق وحريق ومرض طاعون ونحوه، ولم يستثنوا في هذه الأحكام، ولكن يمكن أن يجاب بأن صورة الاستثناء تنطبق على قتل المعركة سواء في مواجهة الكفار أو البغاة والخوارج، فكله يجمعه أنه قتل مشروع مأمور به.

٢ - عن ابن أبي مليكة قال: «دخلت على أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها بعد قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، قال: وجاء كتاب عبد الملك بن مروان أن يدفع إلى أهله، فأتيته به أسماء من الخشبة، فغسلته وكفنته وحنطته ثم دفنته»^(٢)، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنه قتل مظلوماً، ولم ينكر أحد على أمه فعلها^(٣).

- الترجيح:

الذي يظهر في هذه المسألة - والعلم عند الله - أن الراجح هو القول الأول، لأن الله تعالى كما أمر بقتال المشركين أمر بقتال البغاة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفْتِنُوا أَلَا تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) المحلى: ٣/٣٣٧.

(٢) انظر الاستيعاب: ٣٠٥/٢، ٣٠٦.

(٣) مغني المحتاج: ١/٣٥٠.

الْمُقْسِطِينَ»^(١)، فكان قتالهم امتثالاً لأمر الله تعالى، فكان جهاداً، وبذلك قال الصنعاني رحمه الله في تعريف الجهاد^(٢): «بذل الجهد في قتال الكفار أو البغاة».

- المسألة الثانية: حفظ حقوق من قتل دفاعاً عن وطنه، ورعاية أسرته. حث الإسلام على رعاية حقوق الشهداء وحفظ حقوقهم، ورعاية أهلهم وذرائعهم، وجعل لذلك الأجر العظيم، حتى إنه ساواهم في الأجر بأجر الغزاة في سبيل الله، قال النبي ﷺ: «من خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا»^(٣)، وقد كان النبي ﷺ يزور أسر الشهداء، ويواسيهم، فقد روى أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، ف قيل له؟ فقال: إني أرحمها، قتل أخوها معي»^(٤)، فالنبي ﷺ كان يجبر قلب أم سليم بزيارتها، ويعلل ذلك بأن أخاها قتل معه، ففيه أنه خلفه في أهله بخير بعد وفاته، وذلك من حسن عهده ﷺ^(٥).

(١) الحُجُرَات: ٩.

(٢) سبل السلام: ٥٣/٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، برقم: (٢٨٤٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، برقم: (١٨٩٥).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، برقم: (٢٨٤٣).

(٥) فتح الباري: ٦٠/٦.

وقد روي عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها زوج جعفر عليه السلام : «أنه لما قتل جعفر جاءها النبي ﷺ فقال: ائتيني ببني جعفر، قالت: فأتيته بهم، فشمهم وذرفت عيناه»^(١).

وروي أنه لما جاء جيش المسلمين من معركة مؤتة ودنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ والمسلمون، فقال رسول الله ﷺ : «خذوا الصبيان فاحملوهم، واعطوني ابن جعفر، فأتى بعبد الله، فأخذه فحمله بين يديه»^(٢). وكان صحابة رسول الله ﷺ من بعده يولون الشهداء اهتماماً كما هي سيرة المصطفى ﷺ، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يدخل عليه رجل فيجد بنت سعد بن الربيع رضي الله عنه على بطنه وهو يشمها، فقال: يا خليفة رسول الله! ابتك هذه؟ قال: لا، بل ابنة رجل هو خير مني، قال الرجل: من هذا الرجل الذي هو خير منك بعد رسول الله ﷺ؟! قال: سعد بن الربيع، كان من النقباء، وشهد بدرًا، وقتل يوم أحد^(٣)، وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكرم أبناء الشهداء ويفضلهم على غيرهم، فقد روي أنه لما فرض للناس، فرض لعبد الله بن حنظلة الغسيل ألفي درهم، فأتاه طلحة بابن أخ له ففرض له دون

(١) السيرة النبوية، لابن هشام: ٣٨٠/٤، وأخرجه أحمد في المسند، الفتح الرباني: ٢١٥/٢٢ - ٢١٦. قال الهيثمي: رواه أحمد وفيه امرأتان لم أجد من وثقهما، ولا من جرحهما، وبقيّة رجاله ثقات. المجمع: ١٦١/٦.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام: ٣٨٢/٤.

(٣) سنن سعيد بن منصور، ٣٠٣/٢، رقم ٢٨٤٢، بتصرف يسير.

ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين فضلت هذا الأنصاري على ابن أخي! قال: نعم
لأنني رأيت أباه يستن يوم أحد بسيفه كما يستن الجمل^(١).

ولذا فقد ذكر الفقهاء - رحمهم الله - أن من مات أو قتل من جنود
المسلمين فإنه ينفق على امرأته حتى تتزوج، وعلى ابنته الصغيرة حتى تتزوج،
وعلى ابنه الصغير حتى يبلغ، ثم يجعل من المقاتلة إن كان يصلح للقتال، لأن
في هذا تطبيقاً لقلوب المجاهدين، فإنهم متى علموا أن عيالهم يكفون المؤنة بعد
موتهم تحمسوا للجهاد والقتال^(٢).

وكل هذا إزاء ما قدموه دفاعاً عن الإسلام وعن الأوطان، فكافأهم بأن
حفظ لهم حقوقهم ورعى أسرهم، حفظاً لهم، ورعاية لحقوقهم.

ومن هنا فإن هذه مسؤولية يتحملها ولاية الأمر باعتبار أن هذا جزء من
مسؤوليتهم وأمانتهم التي حملهم الله إياها، أن يقوموا برعاية أسر الشهداء،
والعناية بأبنائهم من بعدهم، والحرص على توفير الأمان لهم بعد غياب من
يرعاهم، وقد قامت المملكة العربية السعودية بهذا الواجب خير قيام، وأولت
شهداء الواجب وأبنائهم اهتماماً كبيراً، بل يعد قيامهم بهذا الأمر صورة
مثالية تحتذى، وتعكس الرؤية الشرعية لهذا الأمر، وولاية الأمر - أيدهم
الله - يقومون بذلك من منطلق استشعارهم لأهمية العمل الذي قاموا به،
وأهمية التضحيات التي قدموها لدفاعهم عن هذا الوطن، وهم في ذلك
يطبقون سنة المصطفى ﷺ حينما رعى أبناء وأسر الشهداء، ولكن هذا لا يعني

(١) الحاكم في المستدرک: ٢٠٥/٣.

(٢) انظر: الشرح الكبير، لابن قدامة: ٥٨٩/٥، وفتاوى ابن تيمية: ٩٨٦/٢٨.

أن المجتمع لا يتحمل شيئاً من هذه المسؤولية، بل عليهم أن يقفوا بجانب من يحمون بلادهم، ويسعون على أمنهم وسلامتهم، ويدفعون عنهم وعن بلادهم من يريد بها شراً وسوءاً، ويرعون أسرهم من بعدهم، فهم قضوا ليحموهم، واستشهدوا ليدفعوا عنهم ما يحل بهم، فيجب عليهم حفظ حقوقهم من بعد موتهم من خلال التعاون مع ولاية الأمر، واستشعار هذه المسؤولية في عمل مؤسسي، وتخطيط استراتيجي يبقى صورة متجسدة للأجيال، ولعل في هذا المؤتمر ما يؤسس لهذه الخطوة المجتمعية بإذن الله.

الخاتمة:

أحمد الله تعالى على ما منَّ به من إتمام هذا البحث ، والوفاء بمتطلباته ،
وقد خلصت إلى نتائج كثيرة ، ومعالم في هذه المسألة الهامة بارزة ، أهمها :

- ١ - أن الانتماء إلى الوطن ومحبه غريزة وفطرة ، والدين لا يقاوم
الغرائز بل يهذبها ، ولكن هذا الشعور الفطري ، والمحبة الغريزية
تنمى بالمقومات الشرعية ، التي هي أساس قوة الأوطان وعزتها.
- ٢ - الانتماء الوطني دائرة من دوائر الانتماء التي يمكن تحقيقها مع
رعاية ما هو أعلى منها وهو الدين ، والنصوص الشرعية من
كتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله ﷺ القولية والعملية تدل على
مشروعية محبة الأوطان والحنين إليها.
- ٣ - إذا وجدت خصائص ومقومات للبلد فإنها ترفع درجة هذه
المشروعية لتكون محبتها من الإيمان ، والدفاع عنها حماية للعقيدة
والدين ، وهذا شأن وطننا المبارك ومملكتنا الغراء.
- ٤ - وبهذه الخصائص يكون الدفاع عن الوطن واجباً وجهاداً في سبيل
الله ، المقاتل فيه مجاهد لإعلاء كلمة الله ، والتضحية فيه بالنفس
والمال جهاد بالأنفس والأموال.
- ٥ - كما أن الدفاع عن الأوطان الإسلامية لا يقتصر على الجهاد
والمقاومة بالنفس والمال ، بل يمتد ليشمل الدفاع القولي ، وهو مجال
رحب واسع ، ومهم في هذا الوقت على وجه الخصوص.

- ٦- الدفاع عن الأوطان بالفعل لا يشمل القتال فقط ، بل إن تمسك الإنسان بثوابت وطنه عقيدة ومنهجاً ، ومنها الأخذ بكتاب الله ، وبسنة المصطفى ﷺ يعد دفاعاً عن وطنه.
- ٧- وكذلك فإن من طرق دفاع المرء عن وطنه بالفعل القيام بمقومات المواطنة الصالحة التي توجبها عليه انتماؤه لهذا الوطن ، والتفافه حول ولادة الأمر.
- ٨- تعاون المرء مع ولي الأمر ضد البغاة والخوارج ، وتعاونه مع ولي الأمر في القيام بما يوكل إليه ، وتحمل المسؤولية ، والنصح لعباد الله من المقومات البارزة المهمة التي تجسد محبة الوطن الصادقة.
- ٩- تمت شبه يشوش بها حول الدفاع عن الوطن ، من أن الانتماء إلى الوطن جاهلية ، وأنه إثارة للعصية ، وهذا محرم ، وتبين أنها شبه لا تقاوم النصوص الظاهرة.
- ١٠- أن إطلاق وصف الشهيد على الفعل لا على المعين سائغ وجائز ، لأنه قيامه بالدفاع عن وطنه جهاد في سبيل الله ، فصح إطلاق لفظ الشهيد على الفعل.
- ١١- أن إطلاق وصف الشهادة على الأشخاص بأعيانهم كذلك جائز فيما يظهر ، لأن السبب قد ثبتت به الشهادة ، ونال به المرتبة العالية.
- ١٢- الراجح أن الشهيد في معركة البغاة مع المسلمين يعد شهيداً لا يغسل ، ولا يكفن ، ولا يصلى عليه.

١٣- أن للشهيد الذي قضى دفاعاً عن وطنه حقوقاً كثيرة، تتجه إلى فئات المجتمع، سواء فيما يتعلق بالإشادة بهم وبتضحياتهم، وإبرازهم كقدوات، وكذا العناية بأبنائهم، وأسرههم، وتعويضهم عن فقد عائلهم.

- أما أبرز التوصيات :

١- أهمية دراسة هذه الموضوعات، وإبراز الرؤية الفقهية المتوازنة، وتحرير المصطلحات، للإجابة على كثير من التساؤلات التي تطرح، وحرصاً على تنشئة الشباب وحمائيتهم من عوامل الانحراف.

٢- أهمية تحرير مصطلح "شهداء الواجب" لمعرفة دائرة هذا المفهوم وما تشمله، وأوصي بأن يتم ذلك بالتعاون مع الجهات الأمنية.

٣- المؤتمر يعد نقطة تحول في الدراسات الوطنية، وأوصي بأن ينبثق عنه فعاليات مصاحبة، وأخرى ممتدة، ليعد بمثابة ترسيخ بعض المفاهيم والتصورات الشرعية.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد، ويجعله خالصاً لوجهه، وأداء لحق ولالة أمرنا ووطننا، ورجال أمننا البواسل الذين قضوا، والذين بقوا، حمى الله من بقي، وتقبل الله من قضى في الشهداء، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ،

المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أحكام القرآن، للجصاص، دار المعرفة، بيروت.
- ٣- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، للإمام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مكة المكرمة - دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ.
- ٤- الاستذكار، لابن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت - دار قتيبة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت - دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٦- الإشراف على نكت مسائل الخلاف، القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادى المالكي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- ٧- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت - دار الجيل، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، دار الجيل، بيروت.
- ٩- الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة الشيباني، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ.
- ١٠- اقتضاء الصراط المستقيم: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ٧٢٨هـ، دراسة وتحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ.
- ١١- الأم: للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، طبعة ١٤١٠هـ، مطابع دار الفكر، بيروت.

- ١٢- الأنساب، للإمام: أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ١٣- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام المجل أحمد بن حنبل، لعلي بن سليمان المرادوي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة - دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ١٤- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة العاشرة ١٤٠٨هـ.
- ١٥- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: د. عبد الله التركي، طبعة دار هجر - ١٤١٩هـ.
- ١٦- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، لأبي الوليد ابن رشد، تحقيق: سعيد أعراب، الطبعة الثانية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، عام ١٤٠٨هـ.
- ١٧- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، للعلامة فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي، مصر - المطبعة الأميرية ببولاق، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ١٨- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق ودراسة وتعليق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، نشر: دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر، قطر - الدوحة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- ١٩- تحفة المشتاق إلى شرح أبيات موسى إسحاق، الحسين بن أحمد بن الحسين السياغي، بيروت: دار المسيرة، ١٩٨٤م.
- ٢٠- التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم القزويني، تحقيق: عزيز الله العطاردي، الطبعة الأولى، نشر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.
- ٢١- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، وغيرهما، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٢٢- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، صحح بإشراف: الشيخ خليل الميس، بيروت - دار القلم، الطبعة الثانية.

- ٢٣- تفسير المراغي: الشيخ مصطفى المراغي، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٩٧١م.
- ٢٤- تلخيص أحكام الجنائز، المحدث محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.
- ٢٥- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، القاهرة - مكتبة الكليات الأزهرية.
- ٢٦- تنمية المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية بدولة الكويت، فتحي هلال وآخرون.
- ٢٧- جامع الترمذي، لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٨- جامع الرسائل: لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٢٩- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد القرطبي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٨هـ.
- ٣٠- حاشية ابن عابدين: المسماة بحاشية رد المحتار على الدر المختار، للشيخ محمد أمين الشهير بابن عابدين، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.
- ٣١- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، للعلامة شمس الدين الشيخ محمد عرفه الدسوقي، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٣٢- حاشية تحفة المحتاج بشرح المنهاج: للشيخين: عبد الحميد الشرواني وأحمد قاسم العبادي، طبعة دار الكتب العربية، ١٣١٥ هـ.
- ٣٣- الحاوي الكبير، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ.
- ٣٤- حب الوطن من منظور شرعي، د. زيد بن عبد الكريم الزيد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٧هـ.
- ٣٥- الحجة على أهل المدينة، محمد بن الحسن الشيباني، تحقيق: مهدي حسن الكيلاني القادري، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

- ٣٦- الحجج القوية على وجوب الدفاع عن الدولة السعودية حرسها رب البرية: أسامة بن عطايا بن عثمان، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.
- ٣٧- خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- ٣٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين السيوطي، بيروت - دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- ٣٩- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٧ هـ.
- ٤٠- الذخيرة: لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: د. محمد حجي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ٤١- ربيع الأبرار، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، نشر: مؤسسة الأعلمي للطبوعات، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ م.
- ٤٢- روضة الطالبين وعمدة المفتين، محيي الدين شرف النووي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٢ هـ.
- ٤٣- سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، تخريج: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
- ٤٤- السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت.
- ٤٥- سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، الناشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
- ٤٦- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، عادل السيد، حمص - دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٣٨٨ هـ.
- ٤٧- سنن البيهقي الكبرى، للحافظ أبي بكر البيهقي، وبذيله الجوهر النقي، طبعة دار المعرفة، بيروت - ١٤١٣ هـ.

- ٤٨- سنن النسائي الكبرى: لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- ٤٩- سنن سعيد بن منصور، سعيد بن منصور، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت.
- ٥٠- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- ٥١- السيرة النبوية: ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وغيره، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٥٢- الشرح الكبير مع المقنع والإنصاف تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة دار هجر، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ.
- ٥٣- شرح رياض الصالحين، الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، مدار الوطن للنشر والتوزيع، ١٤٢٦ هـ.
- ٥٤- شرح نهج البلاغة، - أبو حامد عز الدين بن هبة الله ابن أبي الجديد، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨ هـ.
- ٥٥- الصحاح للجوهري المسمى: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، طبعة دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.
- ٥٦- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ضبط وترقيم: د. مصطفى البغا، طبعة دار ابن كثير ودار اليمامة - دمشق.
- ٥٧- صحيح مسلم، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٨- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، المحدث محمد ناصر الدين الألباني، دار المكتب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ.
- ٥٩- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ.

- ٦٠- فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، أحمد بن محمد عربشاه الحنفي، الطبعة الأولى، : دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٠هـ.
- ٦١- فتاوى إسلامية، جمع محمد بن عبد العزيز المسند. الطبعة الأولى، الرياض، دار الوطن، عام ١٤١٣هـ.
- ٦٢- الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، بيروت - عالم المعرفة، ط: الأولى، ١٣٨٦هـ.
- ٦٣- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، اعتنى بها: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، نشر: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.
- ٦٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، شرح وتصحيح: محب الدين الخطيب، ترقيم: محمود فؤاد عبد الباقي - طبعة دار الرياض، القاهرة ١٤٠٧هـ.
- ٦٥- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
- ٦٦- الفروع، لشمس الدين محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: عبد اللطيف السبكي، راجعه: عبد الستار أحمد فراج، بيروت - عالم الكتب، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- ٦٧- الفقه الإسلامي ومفهوم المواطنة، مقال للكاتب/ محمد محفوظ، على الشبكة في موقع: التجديد العربي.
- ٦٨- فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام: للشيخ صالح العبود، الطبعة الأولى، دار طيبة، الرياض، ١٤٠١هـ.
- ٦٩- قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م.
- ٧٠- القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، طبعة دار بن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٢١هـ.
- ٧١- كشف القناع عن علة متن الإقناع: للشيخ: منصور البهوتي، مطبعة الحكومة بمكة ١٣٩٤هـ.

- ٧٢- لسان العرب لابن منظور الإفريقي، طبعة دار الفكر - بيروت - ، ودار صادر، الطبعة الرابعة ١٤١٤ هـ
- ٧٣- لقاءات الباب المفتوح، الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله نسخة صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- ٧٤- المبدع في شرح المقنع، لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح، نشر: بيروت - المكتب الإسلامي، ١٣٩٤ هـ.
- ٧٥- المسبوط للسرخسي، طبعة دار المعرفة لبنان - الطبعة الثالثة - تحقيق الشيخ: خليل الميس.
- ٧٦- المجموع شرح المذهب للشيرازي: النووي، حققه وعلق عليه: محمد نجيب المطيعي، دار إحياء التراث العربي ١٤١٥ هـ.
- ٧٧- مجموع فتاوى ومقالات العلامة ابن باز: أشرف على جمعه وطبعه الشيخ: محمد بن سعد الشويرع، طبعة دار الإفتاء.
- ٧٨- المحلى بالآثار، لابن حزم الظاهري، تحقيق: عبد الغفار البنداري. بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٧٩- مختصر سنن أبي داود، ومعه معالم السنن وتهذيب ابن القيم، زكي الدين المنذري وكامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م.
- ٨٠- المدونة الكبرى، رواية عن الإمام مالك، دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى ١٣٢٤ هـ.
- ٨١- المستدرک، للحاكم، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤١١ هـ.
- ٨٢- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م.
- ٨٣- مسند أبو يعلى: لأحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ هـ.
- ٨٤- المسند، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٣٦٨ هـ.

- ٨٥- مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ.
- ٨٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية، لبنان - بيروت.
- ٨٧- معجم لآليء الشعر - أجمل الأبيات وأشهرها: إعداد: د. أميل يعقوب، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
- ٨٨- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للنووي تأليف: الشربيني - الناشر: مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، مصور عن طبعة ١٣٧٧ هـ.
- ٨٩- المغني، لابن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبد الله التركي ود. عبد الفتاح الحلو، طبعة دار هجر، القاهرة، الطبعة الثانية - ١٤١٣هـ.
- ٩٠- مفاتيح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، نشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٢١هـ.
- ٩١- مقومات حب الوطن في ضوء تعاليم الإسلام، معالي الشيخ ا.د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل، الطبعة الأولى، مطابع الحميضي، الرياض، ١٤٢٩هـ.
- ٩٢- المناهي اللفظية، محمد بن صالح العثيمين، جمع: فهد السليمان. الطبعة الأولى، الرياض، دار الثريا للنشر، عام ١٤١٥هـ.
- ٩٣- المنتقى شرح الموطأ، للباجي، الطبعة الثانية، مصر: دار الكتاب الإسلامي، مصورة عن طبعة السعادة عام ١٣٣٢هـ.
- ٩٤- المذهب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، طبعة دار الفكر بيروت.
- ٩٥- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، بيروت - دار الكتب العلمية.
- ٩٦- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، شرح وتعليق الشيخ/ عبد الله دراز، طبعة دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- ٩٧- مواهب الجليل شرح مختصر خليل، للحطاب، مكتبة النجاح، ليبيا.
- ٩٨- الموسوعة السياسية، أسسها عبد الوهاب الكيالي، ثم أتمها بعد وفاته كامل زهيري، نشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى.

- ٩٩- النذير، مناقشة لأبرز الشبهات المتعلقة بالتكفير والجهاد والإمامة، د. ماجد المرسال، نسخة قبل الطباعة.
- ١٠٠- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لأبي العباس أحمد الرملي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، مصر.
- ١٠١- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك محمد بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ.
- ١٠٢- الوطن في ضمير الشرفاء، مذكرات في حب الوطن والانتماء إليه، بدر بن علي العبد القادر، مطبعة النرجس، الطبعة الثالثة، الرياض، ١٤٢٨هـ.



ج هود

الإمام / عبد العزيز بن محمد بن سعود
في نشر العقيدة السلفية

إعداد

أ.د. محمود بن عبد الرحمن قذح
أستاذ بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

السلفية

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، أما بعد:

فإن من نعم الله ﷻ العظيمة على الجزيرة - في هذا العصر - ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية، التي دعا فيها إلى عقيدة السلف والالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ولقد ناصره الإمام محمد بن سعود وبايعه على نصرة الدعوة ونشرها وتطبيق الشريعة الإسلامية، فانضم إلى قوة الحجّة والدليل والبرهان، قوة السنان والسلطان، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

ومنذ ذلك الحين حمل آل سعود على عاتقهم مسؤولية نشر هذه الدعوة السلفية المباركة، فجاهدوا تحت لوائها، وبذلوا النفس والنفيس في سبيلها، وعليها تأسست الدولة السعودية الأولى والثانية والمملكة العربية السعودية، وما زالوا - بمحمد الله وعونه - سائرين على هذا المنهج القويم والعقيدة السلفية إلى زمننا هذا؛ عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله ورعاه - .

((إن سير أئمة دعوة التوحيد هي في الواقع لوحة مضيئة، تنضح بالصدق والإخلاص والإيمان بالله والعمل لمرضاته، وتجسد الحياة الإسلامية في صورة بهية، تعطي من ذاتها القدوة الحسنة والسيرة الحميدة))^(١).

ومن أئمة آل سعود والأعلام المبرزين الذين حملوا لواء نشر الدعوة الإصلاحية والدفاع عنها: الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود - رحمه الله - ، الذي نشأ في مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وشارك في تأسيس الدولة السعودية الأولى مع أبيه، فاجتمعت فيه ملكات الإمارة ومواهبها، مع سلفية في العقيدة، ورسوخ في العلم، فكان أميراً ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان، مع السيف والسلطان.

لقد كان عهد الإمام محمد بن سعود عهد البيعة والنصرة والتأسيس، أما عهد ابنه الإمام عبد العزيز فهو عهد الانطلاق والتوسع؛ فقد انطلق بحماس شديد وإخلاص في نشر الدعوة السلفية، وبذل في سبيلها النفس والنفيس، فبارك الله له في جهده وجهاده، فدانت له البلاد والعباد، واتسع ملكه من الخليج إلى الحجاز، ومن حدود العراق إلى عسير وتهامة وعمان.

تلك شخصية أحببت دراستها، وإبراز جهودها في نشر العقيدة السلفية؛ في بحث عنوانه "جهود الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود في نشر العقيدة السلفية"؛ (لأن من الدلائل التي تعرف بها عافية الأمة، ورجحان عقلها، ويقظة قلبها، ووعيتها: موقفها من المؤسسين الأوائل لكيانها ونهضتها. فالأمة

(١) رسائل أئمة دعوة التوحيد (ص ٢٣٤ - ٢٣٥)، صاحب السمو الملكي الدكتور / فيصل بن مشعل بن سعود بن عبد العزيز.

الحياة المحترمة هي التي تنصف روادها وأئمتها وبناتها وصانعي مجدها ؛
تنصفهم بأن تذكرهم دوماً كما يذكر المرء الوفي - بالحب والتقدير - والديه ،
ومعلميه ، وذوي الفضل عليه ؛ وتنصفهم بأن تحدد -دوماً- المعاني
والمبادئ الحية التي عاشوا من أجلها ، وماتوا في سبيلها. وتنصفهم بأن تعصم
نفسها من مثلب الجحود ، وتطهر روحها من الاستغراق في الحاضر وحده.
وتنصفهم بأن تدعو لهم بالرحمة والمغفرة وحسن الثواب ، وبأن تردد مع
الخلف المؤمن الوفي : ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [سورة
الحشر / ١٠] ^(١).

وقد اتبعت في كتابة هذا البحث منهج الاستقراء التاريخي مع التحليل ، إلى
جانب المنهج الوصفي والاستنباطي ، ومراعاة القواعد والأصول العلمية
المتبعة في البحث العلمي.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين ، كالتالي :

- التمهيد ؛ ويشتمل على مطلبين ، هما :

المطلب الأول : الحالة الدينية والسياسية في نجد قبل قيام الدولة السعودية
الأولى.

المطلب الثاني : نبذة عن حياة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود.

- المبحث الأول : جهود الإمام عبد العزيز في توضيح العقيدة من خلال
بعض رسائله.

(١) مقدمة معالي الدكتور عبد المحسن بن عبد الله التركي (وزير الشؤون الإسلامية سابقاً)
(ص ٥ - ٦) ، لكتاب الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة.

- المبحث الثاني : جهود الإمام عبد العزيز في نشر العقيدة من خلال بعض أعماله.
 - الخاتمة.
 - الفهارس.
- سائلاً المولى ﷻ أن أكون قد وفقت فيما كتبت ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد: التعريف بالإمام عبد العزيز وعصره

المطلب الأول: الحالة الدينية والسياسية في نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى.

عاشت نجد مقفرة من المعتقد الصحيح في القرون المتأخرة، حتى ظهور مجدي الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام محمد بن سعود. ومرت قرون عديدة كاد الناس ينسون خلالها الإسلام الصحيح، فعادت الجاهلية بعاداتها ومعتقداتها إلى هذا الجزء من الجزيرة العربية، وانتشر الشرك، وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور، والبناء عليها، والتبرك بها، والنذر لها، والاستعاذة من الجن، والذبح لها^(١). وقد صور لنا هذه الحالة الشيخ حسين غنام^(٢) في تاريخه المشهور، فقال^(٣):

((...ولقد انتشر هذا الضلال، حتى عمَّ ديار المسلمين كافة؛ فقد كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم، وهول مقيم؛ كان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب في (الجبيلة)، يدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوب، وقضاء الحاجات، وكانوا يزعمون أن في (قريوة) في الدرعية قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها، وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة، فتقربوا إليهم، وهم يظنون أنهم أسرع إلى تلبية حوائجهم من الله...، وكانوا

(١) ينظر: عنوان المجد (٦/١)، لابن بشر.

(٢) حسين بن غنام النجدي الأحسائي، مؤرخ شاعر، له مصنفات، توفي بالدرعية سنة ١٢٢٥هـ. (انظر: الأعلام ٢٥١/٢ للزركلي).

(٣) تاريخ نجد (١١/١ - ١٩).

يأتون في شعيب (غبراء) من المنكر ما لا يعهد مثله، يزعمون أن فيه قبر ضرار ابن الأزور، وذلك كذب محض، وبهتان مثله لهم إبليس، وصوره، ودلّس عليهم من غير أن يشعروا.

وكان النساء والرجال يأتون بليدة (الفدا)، حيث يكثر ذكر النخل - المعروف بالفحل - ، ويفعلون عنده أقبح الأفعال، ويتبركون به، ويعتقدون فيه؛ فكانت تأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج، فتضمه بيدها، ترجو أن يفرج عنها كربها، وتقول: يا فحل الفحول! أريد زوجاً قبل الحول!!.

وفي أسفل الدرعية غار كبير، يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير، أراد بعض الفسقة أن يظلمها، فصاحت، ودعت الله، فانفلق لها الغار بإذن العلي الكبير، فأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز، ويبعثون بصنوف الهدايا... وكان عندهم رجل من الأولياء اسمه (تاج)، سلكوا فيه سبيل الطواغيت، فصرفوا إليه النذور، وتوجهوا إليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضر، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم أفواجا...)).

ويقول ابن بشر^(١) ما نصه^(٢): ((...وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها، وكثر الاعتقاد في الأشجار، والأحجار، والقبور، والبناء عليها، والتبرك بها، والنذر لها، والاستعاذة بالجن والذبح لهم، ووضع الطعام

(١) عثمان بن عبد الله النجدي، مؤرخ نجد وآل سعود، له مؤلفات، توفي سنة ١٢٩٠هـ.

(انظر: الأعلام ٢٠٩/٤ للزركلي).

(٢) عنوان المجد (٦/١).

لهم ، وجعله لهم في زوايا البيوت ؛ لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم ،
والحلف بغير الله ، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر...)).

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ^(١) : ((كان أهل نجد قبل
دعوة الشيخ على حالة لا يرضاها مؤمن ، كان الشرك الأكبر قد انتشر في
نجد ، حتى عبدت القباب والأشجار ، وعبدت الغيران ، وعبد من يدعي
الولاية ، وهم من المعتوهين أو المجانين ، واشتهر في نجد السحرة والكهنة ،
وسؤالهم وتصديقهم ، وليس هناك مُنكِرٌ إلا من شاء الله ، وغلب على الناس
الإقبال على الدنيا وشهواتها ، وقلّ القائم لله ، والناصر لدين الله)).
وعلى الرغم من ذلك كله ، لم تخل نجد من علماء في الفقه الحنبلي ،
حيث أشار ابن بشر إلى كثير منهم ^(٢) .

وأما الحالة السياسية : فإن إقليم نجد لم يحظ باهتمام الدولة العثمانية ،
نظراً لبعده عن المناطق الإستراتيجية ، ومن ثم لم يدخل في قائمة التقسيمات
الإدارية التي وضعتها الدولة العثمانية في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ،
وظلت معتمدة حتى القرن الثالث عشر الهجري ، وترتب على ذلك أن خلا
إقليم نجد من الولاة العثمانيين ، ومن النفوذ العثماني.

لذا اتسمت الأوضاع السياسية في نجد بالتفكك السياسي ، وبالصرع على
السلطة بين عدد من الأسر كانت تحكم هذا الإقليم ، فكل أمير كان يحكم بلدة
معينة مستقلاً بذاته عن غيره ، وعلاقته بجيرانه كانت سيئة في أغلب الأحيان ،

(١) محاضرة للشيخ عبد العزيز بن باز ، بعنوان (محمد بن عبد الوهاب...دعوته وسيرته) ،

ص ٢٣ - ٢٤ . الدار السعودية للنشر .

(٢) ينظر : عنوان المجد (١/٢٢ ، ٣١ ، ٨٦) .

وكانت القوة هي الفيصل فيما يحدث بينهم من نزاع، وكانت تلك الإمارات دائماً في صراع مستمر، وتنافس على السلطة، ومرابطة دائمة، وثأراً لا ينقطع.

وكان من أشهر الإمارات الموجودة بنجد والمناطق المحيطة به، هي:

- ١- إمارة آل معمر في العيينة.
- ٢- إمارة آل سعود في الدرعية.
- ٣- إمارة آل زامل في الخرج.
- ٤- إمارة دهام بن دواس في الرياض^(١).

(١) الإمام محمد بن سعود "دولة الدعوة والدعاة" (ص ٢٩ - ٣٩)، جامعة الإمام محمد بن سعود.

المطلب الثاني : حياة الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ^(١).

١ - اسمه ونسبه :

هو الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن ربيعة بن مانع بن ربيعة بن مريد، وينتهي نسبه إلى بني حنيفة، من بكر بن وائل من بني أسد بن ربيعة.

٢ - مولده ونشأته :

ولد بالدرعية عام ١١٣٣ هـ، وتعلم القراءة والكتابة مبكراً، وكان له من مجلس والده، وما يدور في شؤون البلدة وما جاورها، وأحوال نجد، ما يعدّ كمدرسة لمن هو في ذكائه ومنشئه ^(٢).

(١) وردت ترجمته في المصادر التالية :

- تاريخ نجد (٢٢٢/١)، (٧٤/٢)، لابن غنام (روضة ابن غنام).
 - عنوان المجد في تاريخ نجد (٩٩/١ - ٢٩٧)، عثمان بن عبد الله بن بشر.
 - الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٤٧/١ - ١٥٢)، جمع عبد الرحمن بن قاسم.
 - تاريخ المملكة العربية السعودية، عبد الله الصالح العثيمين.
 - نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود (ص ٦٨ - ٧٠)، محمد بن أحمد العقيلي.
 - محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه (ص ٧٤ - ٩٠)، مسعود الندوي.
 - تاريخ البلاد العربية السعودية (ص ٢١٣ - ٢٧١)، د. منير العجلاني.
 - ملوك آل سعود (ص ٧)، الأمير سعود بن هذلول.
 - تاريخ الدولة السعودية (ص ٥٥ - ٧٤)، أمين سعيد.
 - الدرعية (ص ١٧٥ - ١٨٩)، عبد الله بن محمد بن خميس.
 - قلب جزيرة العرب (ص ٢٢٦ - ٣٣٩)، فؤاد حمزة.
 - صقر الجزيرة (ص ٥٠ - ٥٤)، أحمد بن عبد الغفور عطار.
 - الأعلام (٢٧/٤)، خير الدين الزركلي.
 - الموسوعة العربية العالمية (١٠٢/١٦).
- (٢) تعليق الشيخ محمد العقيلي، في تحقيقه لكتاب "نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود" (ص ٦٨ - ٦٩).

٣- طلبه العلم:

كان للإمام عبد العزيز اهتمام بعلم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، منذ أن كان صغير السن، فلقد كتب للشيخ -وقد كان في العينة عند ابن معمر- يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة، فكتب الشيخ لأجل ذلك تفسير سورة الفاتحة، وأرسلها إلى الأمير عبد العزيز، وقد ناهز الاحتلام^(١).

((وبعد وصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية، واتفاقه مع الإمام محمد بن سعود، كان عبد العزيز من الملازمين لحلقة الشيخ والحضور لتلقي دروسه، فتوسعت معارفه، واستفاد علمياً، مما جعله من نجباء من تلقى عن الشيخ، وقد حاز على ثقة الشيخ وحبه وإعجابه، وكان الشيخ يثني عليه في مجالسه العامة والخاصة، وينوّه بمزاياه، ويشيد بتقواه وشجاعته. ويفيدنا (رينو) وهو أوروبي وصل إلى الدرعية، وقابل عبد العزيز قال عنه جملة مختصرة، ولكنها واسعة الدلالة: إنه على حظ كبير من الثقافة والعلم))^(٢).

٤- صفاته:

كان الإمام عبد العزيز معروفاً بالشجاعة والإقدام، صبوراً على المكاره، كريماً سخياً، عالماً بالحديث والتفسير والتوحيد، يحب العلماء وطلبة العلم وحملة القرآن، ويعظمهم، ويشارك العلماء في البحوث العلمية، ويملي النصائح النافعة المرصعة بآيات القرآن والأحاديث الصحيحة، وكان كثير

(١) تاريخ نجد (١/٢٢٢) لابن غنام.

(٢) من تعليق الشيخ محمد العقيلي، في كتاب "نفح العود" (ص ٦٩).

الخوف من الله والذكر، كثير العبادة والتهجد^(١)، وكان لا يخرج من المسجد بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس، ويصلي فيه صلاة الضحى.
 وكان رحمه الله متواضعاً لا يكثر في لباسه وسلاحه، بحيث إن بنيهِ وبني بنيهِ محلاة سيوفهم بالذهب والفضة، ولم يكن في سيفه شيء من ذلك، إلا قليلاً^(٢).

وكان الإمام عبد العزيز - رحمه الله - عادلاً، حازماً، أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ينفذ الحق ولو في أهل بيته وعشيرته^(٣)، ساهراً على مصالح الرعية والبلاد، كثير الرأفة والرحمة بالرعية، والدعاء لهم، فكان يقول: اللهم أبق فيهم كلمة لا إله إلا الله حتى يستقيموا عليها، ولا يحيدوا عنها. ويعطي الضعفاء والمساكين حقهم من الصدقات، ويكثر لهم العطاء ولأهل العلم وطلبته ومعلمي القرآن والمؤذنين وأئمة المساجد، وكان يوصي عماله بتقوى الله - عز وجل -، وأخذ الزكاة على الوجه المشروع، ويزجرهم عن الظلم وأخذ كرائم الأموال^(٤).

وكان - رحمه الله - مع رأفته بالرعية، شديداً على الجناة وقطاع الطرق والسارقين؛ لذلك كانت جميع البلاد التي تحت يده آمنة مطمئنة في

(١) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٣٨٩)، حسين خلف الشيخ مزعل.

(٢) عنوان المجد (١/ ٢٦٦).

(٣) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، (ص ٣٨٩).

(٤) عنوان المجد (١/ ٢٦٦، ٢٧٥).

عيشة هنية، بحيث كان المسافر يحب البلاد شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً،
ومعه الأموال الكثيرة، لا يخشى أحداً إلا الله^(١).

٥- توليه الإمامة:

بعد وفاة الإمام محمد بن سعود -رحمه الله- سنة ١١٧٩هـ، بويع ابنه
عبد العزيز بن محمد -وكان في السادسة والأربعين من العمر- إماماً، فبايعه
الخاص والعام، وتتابع على البيعة الحضر والبدو، والشيخ محمد بن عبد
الوهاب هو رأس تلك البيعة، ففتح الله الفتوح على يديه، وملأ قلوب العدا
هيبة، وسارت بفتوحه الركبان في الأمصار، وملأت هيئته قلوب ملوك
الأقطار^(٢).

٦- أعماله:

لقد كان الإمام عبد العزيز الساعد الأمين لوالده قبل توليه الإمامة، فقد
كان - رحمه الله - يتمتع بشخصية قيادية، وحنكة سياسية، وشجاعة
حكيمه، لذا اشترك مع أبيه محمد بن سعود في تأسيس الدولة وإدارة الأمور
وتولي قيادة الجيش، فكان جُلّ الغزوات التي تمت في عصر والده بقيادته،
وجل المهمات أنيط حملها به^(٣).

وبعد توليه الإمامة، سار على نهج والده في مناصرة الدعوة السلفية،
ونشرها، والجهاد في سبيلها، فقد حكم الإمام عبد العزيز من سنة ١١٧٩هـ

(١) المرجع السابق (١/٢٦٧، ٢٦٨).

(٢) المرجع السابق (١/٩٩، ١٠٠)، تاريخ الدولة السعودية (١/٥٥)، أمين سعيد.

(٣) الدرعية (ص ١٧٥)، عبد الله بن محمد بن خميس.

إلى سنة ١٢١٨ هـ أي مدة تسعة وثلاثين عاماً، ومضى أكثر عهده تحت إشراف مباشر من شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبد الوهاب نفسه^(١). ويعتبر الإمام عبد العزيز أول من حكم نجداً من أقصاها إلى أقصاها، واتسع ملكه من شواطئ الفرات ووادي السرحان إلى رأس الخيمة وعمان، ومن الخليج إلى أطراف الحجاز وعسير^(٢).

ويعد الإمام عبد العزيز الباني الثاني للدولة السعودية الأولى لما أنجزه من أعمال كبيرة في سبيل نشر الدعوة السلفية الإصلاحية، وتطبيق مبادئها من جهة، وفي سبيل بناء الدولة من جهة ثانية، فكانت الأقطار والرعية مطمئنة في عيشة هنيئة، وتأمنت السبل والطرق، وأبطل الأموال التي تؤخذ من الحجاج وغيرهم وكذلك العطايا التي تؤخذ على المجتازين، فارتقت البلاد تجارياً واقتصادياً وعلمياً في أيامه، مما مهد السبيل لمن بعده من الحكام^(٣).

٦ - وفاته:

توفي - رحمه الله - يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ١٢١٨ هـ، إثر طعنة وهو ساجد أثناء صلاة العصر في مسجد الطريف بالدرعية، فقد طعنه رجل رافضي من أهل العمارة في العراق، كان قد انتحل زي درويش^(٤)، انتقاماً لما قامت به قوات الإمام بقيادة ابنه سعود من هدم

(١) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه (ص ٩٠)، مسعود الندوي.

(٢) قلب جزيرة العرب (ص ٣٣٩)، فؤاد حمزة.

(٣) انظر: عنوان المجد (٢٦٩/١)، الدرعية (ص ١٨٨).

(٤) الدرويش: الراهب والمتعبد والزاهد، واللفظة فارسية معناها: فقير، جمعه: دراويش.

انظر: المنجد (ص ٢١٤) مادة (دروش)، المعجم الوسيط (ص ٢٨٠).

للمزارات والقباب والأضرحة في المناطق السنية والشيعية، فمات الإمام من
يومه، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.
وكان عمره يوم أن توفي خمساً وثمانين سنة، وكان له ثلاثة أبناء، هم:
الإمام سعود، وعبد الله، وعمر^(١).

(١) عنوان المجد (١/٢٦٤، ٢٦٥)، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٣٨٨)، تاريخ
الدولة السعودية (١/٧٣).

المبحث الأول

جهود الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود

في توضيح العقيدة من خلال بعض رسائله

لقد اجتمع في الإمام عبد العزيز مؤهلات الإمارة وملكاتهما ومواهبها، مع طلبه للعلم، ورسوخه فيه، وسلامة العقيدة، منذ نعومة أظفاره، فهو ليس أميراً يناصر الحق بقوة السلطان والسنان فحسب، بل إنه كذلك ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان.

فلقد نشأ وتعلم منذ صغره في مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فحاز على ثقة الشيخ وحبه وإعجابه، وكان الشيخ يثني عليه في مجالسه العامة والخاصة، وينوه بمزاياه ويشيد بتقواه وشجاعته^(١).

((فكان عالماً بالحديث والتفسير والتوحيد، وقد كان يشارك العلماء في البحوث العلمية، ويملي النصائح النافعة المرصعة بآيات القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة، كما كان كثير الخوف من الله، كثير العبادة والتهجد والطاعة له))^(٢).

لذا فقد امتازت خطابات الإمام عبد العزيز ورسائله ببيان حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والرد على التهم الباطلة عليها، وبالدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك والبدع، والرد على شبه المخالفين المبتدعين،

(١) تعليق الشيخ محمد العقيلي على كتاب نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود (ص ٦٩)،
للعلامة عبد الرحمن البهكلي.

(٢) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٣٨٩)، للشيخ حسين خلف الشيخ خزعل.

كما تميزت رسائله بكثرة الاستدلال بالنصوص الشرعية ، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وبساطة الأسلوب ووضوحه وقوته .
وقد اطلعت على بعض رسائل الإمام عبد العزيز - رحمه الله - ، وهي كالتالي :

- ١ - رسالته إلى أهل بلدان العجم والروم .
- ٢ - رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (جازان) .
- ٣ - رسالته إلى أحمد بن علي القاسمي .
- ٤ - رسالته إلى ياقوت الصغاني .
- ٥ - رسالته إلى السيد علي .
- ٦ - رسالته إلى العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق ، وسائر علماء المغرب والمشرق .
- ٧ - رسالته إلى محمد بن أحمد الحفظي ^(١) .
- ٨ - رسالة أخرى إلى محمد بن أحمد الحفظي .
- ٩ - رسالة في الرد على سؤال ^(٢) .

(١) وهذه الرسائل جمعت في ملحق الجزء الأول من تاريخ البلاد العربية السعودية ١/ ٢١٣ - ٢٦٠ ، د. منير العجلاني ، علماً بأن الرسالة السادسة قد طبعت مستقلة عدة مرات ، وحققها مؤخراً الأستاذ عبد الله بن زيد آل مسلم ونشرها بعنوان (الرسالة الدينية في معنى الإلهية) .

(٢) وردت الرسالتان في الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ١٦٦ - ١٧٠ ، جمع الشيخ سليمان بن سحمان .

وسأورد من هذه الرسائل نماذج من أقواله ، التي تدل على جهوده في نشر العقيدة وتوضيحها والدفاع عنها ، وذلك في المطالب التالية :

المطلب الأول : بيانه الحكمة من خلق الإنس والجن .

قال الإمام عبد العزيز - رحمه الله - : ((فإن الله عز وجل شأنه ، وتعالى سلطانه ، لم يخلق الخلق عبثاً ، ولا تركهم سدى ، وإنما خلقهم لعبادته ، فأمرهم بطاعته ، وحذرهم مخالفته ، وأخبرهم تعالى أن الجزاء واقع لا محالة ، إما في ناره بعدله ، أو في جنته بفضلته ورحمته ، قد أخبر ﷺ بذلك في كل كتاب أنزله ، وعلى لسان كل رسول أرسله ، كما نطقت بذلك الآيات القرآنية ، وأخبرتنا به الأحاديث النبوية ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات / ٥٦] وقال : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعُثُوا حُكَّامًا مِنْ أَهْلِهِمْ وَحُكَّامًا مِنْ أَهْلِهِمَا إِنْ يَرِيدُوا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء / ٣٥] وقال سبحانه ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْعَنَ عِنْدَكَ الْكَبِيرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء / ٢٣] .

فالعباداة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال المختصة بمجالاته وعظمته ، فهي الغاية المحبوبة له - تعالى شأنه - والمرضية له ، وبها أرسل جميع الرسل ، كما قال نوح لقومه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة الأعراف / ٥٩] ، وكذلك قال هود وصالح وشعيب ، وغيرهم من الرسل ، كلُّ قال لقومه : ﴿ وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظَيِّرَ وَجْهَكُمْ فَسَوَاءٌ بَلَّيْتُمْ أَوْ أَبَيْتُمْ فَتَقَرُّوا عَنْ حُدُودِ اللَّهِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي الْفُتُورِ ﴾ [سورة هود / ١٣] .

﴿ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدَ الْعَادِ قَوْمٌ مُفْتَرُونَ ﴾ [سورة هود / ١٣] .

هُود ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَانَكُمْ يُخَيَّرُوا لِيَ خَيْرٌ لِّمَنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾
[هود/ ٥٠ ، ٦٠ ، ٨٤] ، وذلك أن الإله يطلق على كل معبود بحق أو بباطل ،
والإله الحق هو : (الله) ، قال تعالى : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لَهُ ذُنُوبَهُ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ
الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ
كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ [النحل / ٣٥] ، وقال تعالى :
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة
الأنبياء : ٢٥] ^(١) .

المطلب الثاني : حرصه على بيان معنى ((لا إله إلا الله)) .

لقد كان الإمام عبد العزيز حريصاً كل الحرص على بيان معنى ((لا إله إلا الله)) ، وتوضيح معناها الصحيح ، مكرراً ومؤكداً ذلك في جميع رسائله ، فقال رحمه الله : ((فحن لما علمنا وفهمنا من كلام الله وسنة رسوله ، وكلام الأئمة الأعلام رضي الله عنهم كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة السلف أن ((لا إله إلا الله)) معنى يخصها ، وهي ترك كل معبود مع الله ، وإخلاص الإلهية له تعالى وحده ، وأن العبادة بأفعالهم مما أمرهم به في كتابه وعلى لسان رسوله ، إذا جعلت لغيره تعالى ، صار ذلك الغير إلهاً مع الله ، وإن لم يعتقد الفاعل ذلك . فالمشرك مشرك شاء أم أبى ^(٢) .

(١) رسالته إلى العلماء والقضاة في المشرق والمغرب (ص ٢٣٢) ، د/ منير العجلوني ، وكرره في

رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (١/ ٢٨١) .

(٢) رسالته إلى العلماء في المشرق والمغرب ١/ ٢٣٣ .

وقال أيضاً: فأول ما دعا إليه الرسول ﷺ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومعنى لا إله إلا الله نفي الإلهية عما سوى الحق جل جلاله، وإثباتها له وحده لا شريك له، والإلهية فعل العبد^(١).

وقال: وهو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو المعبود بحق أو باطل، فمن عبد الله وحده لا شريك له، وأخلص الدعوة كلها لله، وأخلص التوكل على الله، وأخلص الذبح لله، وأخلص النذر لله، فقد وحد الله بالعبادة، وجعل الله إلهه دون ما سواه^(٢).

المطلب الثالث: بيانه أنواع التوحيد

قال الإمام عبد العزيز مبيناً توحيد الربوبية: ((الإيمان بأفعال الله تعالى وتقدس، كخلقه السموات والأرض، والليل والنهار، ورزق العباد وتدبير أمورهم؛ لأن هذا يسمى (توحيد الربوبية)، الذي أقر به الكفار الأولون في سورة يونس^(٣) والزمر^(٤) والزخرف^(٥) وغيرها))^(٦).

(١) رسالته إلى السيد علي ٢٢٩/١.

(٢) رسالته إلى الفرس والترك ٢١٣/١.

(٣) قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ وَيُمِيتُ الْمَيِّتَ وَمَنْ يُدِيرُ الْأُمُورَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة يونس: ٣١].

(٤) قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِي قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٨].

(٥) قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الزخرف: ٩].

(٦) رسالته إلى المشرق والمغرب ٢٣٣/١، وذكره في رسالته إلى السيد علي ٢٢٩/١.

وحرص الإمام عبد العزيز في جميع رسائله على بيان توحيد الألوهية،
ويسميه أيضا (توحيد الله بالعبادة) ؛ لأنه التوحيد الذي وقع النزاع فيه بين
الأنبياء ومخالفهم، فقال - رحمه الله - :

((وإخلاص الدين هو صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده لا
شريك له ، وذلك بالأدعى إلا الله ، ولا يستغاث إلا بالله ، ولا يذبح إلا لله ،
ولا يخشى ولا يرجى سواه ، ولا يرهب ولا يرغب إلا فيما لديه ، ولا يتوكل
في جميع الأمور إلا عليه ، وأن كل ما هنالك لله تعالى ، لا يصلح منه شيء
لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غيرهما. وهذا هو بعينه توحيد الألوهية الذي
أسس الإسلام عليه ، وانفرد به المسلم عن الكافر ، وهو معنى شهادة أن لا إله
إلا الله))^(١).

وذكر بعض الأدلة على توحيد الألوهية ، وأنه أصل دين رسول الله ﷺ
وأهل بيته عليهم السلام ، فقال : ((فإن أصل دين رسول الله ﷺ وأهل بيته
عليهم السلام هو توحيد الله بجميع أنواع العبادة ، لا يدعى إلا هو ، ولا ينذر
إلا له ، ولا يذبح إلا له ، ولا يخاف خوف السر إلا منه ، ولا يتوكل إلا
عليه ، كما دل على ذلك الكتاب العزيز ، فقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا
مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن / ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ
لَهُمْ شَيْءٌ إِلَّا بِسُطِّ كَتَبِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد
/ ١٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَنَحْنُ وَلَا

(١) رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (١/ ٢١٨ - ٢١٩) ، ورسالته إلى الفرس والترك
(١/ ٢١٣) ، رسالته إلى القاسمي (١/ ٢٢٢) ، ورسالته إلى ياقوت (١/ ٢٢٥) ، ورسالته
إلى الحفظي (الدرر السنية ٢/ ١٦٧) ، وجوابه لسؤال (الدرر السنية ٢/ ١٧٣)

ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ ﴿ [النحل / ٣٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٥] . فهذا التوحيد هو أصل دين أهل
البيت عليهم السلام ، من لم يأت به فالنبي ﷺ وأهل بيته براء منه ، قال الله
تعالى : ﴿ وَأَذِّنْ لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا آلَهُمُ الْغُوثَ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُمْ حَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَنَشِرِ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة / ٣] ^(١) .

كما يبين العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فقال : ((ولا يغني
أحد التوحيد عن الآخر ، بل صحة أحدهما مرتبطة بوجود الآخر)) ^(٢) .
وأشار إلى توحيد الأسماء والصفات ، فقال : ((وكسؤال الله بأسمائه
الحسنى ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٠] ، وكالأدعية المذكورة في
السنن : ((اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت الحنان المنان ، بديع
السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ^(٣) ، وأمثال ذلك)) ^(٤) .

المطلب الرابع : تحذيره من الشرك .

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٣٣) .

(٢) رسالته إلى القاسمي (١/ ٢٢٢) .

(٣) أخرجه أحمد ح ١٣٦٠٥ ، والبخاري في الأدب المفرد ح ٧٠٥ ، وأبو داود ح ١٤٩٢ ،
وابن ماجه ح ٣٨٥٨ ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٢٠٥٩ .

(٤) رسالته إلى المشرق والمغرب ١/ ٢٤٨ .

قال الإمام عبد العزيز - رحمه الله - محذراً من الشرك ودواعيه :
 ((ومن أشرك مع الله إلهاً غيره في الدعوة أو في الاستغاثة أو في التوكل أو في الذبح أو في النذر، فقد اتخذ مع الله إلهاً آخر، وعبد معه غيره، وهو أعظم الذنوب إثماً عند الله، كما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قلت: يا رسول الله! أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، الحديث^(١)). وقال تعالى: ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ شُرْكَهٖ وَبِشُرْكِهٖ يُغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء/٤٨]، وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّكَ اللَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِيَّ اسْرُبْوا اللَّهَ رُبِّي وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة/ ٧٢]. وهذا هو سبب عداوة الناس لنا وبغضهم إيانا، لما أخلصنا العبادة لله وحده، ونهينا عن دعوة غير الله ولوازمها، مع البدع المضللة والمنكرات المغوية^(٢).

وقال: ((واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد هو الموقع لكثير من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتمائيل القوم الصالحين؛ كودّ وسواع ويغوث، وتمائيل طلاسّم الكواكب، ونحو ذلك؛ يزعمون أنها تخاطبهم وتشفع لهم. والشرك بقبر النبي ﷺ أو الرجل المعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً ما يتضرعون ويخشعون عندها ما لا يخشعون لله في

(١) أخرجه البخاري ح ٤٧٦١ ومسلم برقم ح ٨٦.

(٢) رسالته إلى الفرس والترك (٢١٥/١).

الصلاة، ويعبدون أصحابها بدعائهم ورجائهم، والاستغاثة بهم، وسؤال النصر على الأعداء، وتكثير الرزق، وإيجاده، والعافية، وقضاء الديون، ويذلون لهم النذور لجلب ما أملوه، أو دفع ما خافوه، مع اتخاذهم أعياداً، والطواف بقبورهم، وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على تربتها، وغير ذلك من أنواع العبادات، والطلبات التي كان عليها عباد الأوثان يسألون أوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم. فهؤلاء يسأل كل منهم حاجته وتفريج كربته، ويهتفون عند الشدائد باسمه، كما يهتف المضطر بالفرد الصمد، ويعتقدون أن زيارته موجبة للغفران، والنجاة من النيران، وأنها تجب ما قبلها من الآثام، بل قد وجد هذا الاعتقاد في الأشجار والغيران، ويهتفون باسمها واسم من ينسبون إليه من المعتقدين بما لا يقدر عليه إلا رب العالمين، وأكثر ما يكون ذلك عند الشدائد»^(١).

وأوضح أقسام الشرك، فقال:

((والشرك: شركان، أكبر: وله أنواع، ومنه الذي تقدم بيانه آنفاً، وشرك أصغر: كالرياء والسمعة، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه))^(٢)، ومنه الحلف بغير الله لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ: ((من حلف بغير الله فقد

(١) رسالته إلى الشرق والغرب (١/٢٤١ - ٢٤٢).

(٢) أخرجه الإمام مسلم ح ٢٩٨٥.

أشرك))^(١) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان. وقال ﷺ: ((إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)) أخرجه الشيخان^(٢)، وروى الإمام أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: ((أجعلني لله نداً؟ قل ما شاء الله وحده))^(٣)، والشرك الأصغر لا يخرج عن الملة وتجب التوبة منه ومن كل ذنب))^(٤).

وبين حكم الشرك الأكبر، فقال: ((إنه الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه وتهدد بالوعيد الشديد عليه، وأخبر في كتابه أنه لا يغفره إلا بالتوبة منه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء / ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ وَلَا يَبْنِيْكَ مِثْلَ خَيْرٍ﴾ [فاطر / ١٤]. والآيات في أن دعوة غير الله تعالى الشرك الأكبر كثيرة واضحة شهيرة))^(٥).

(١) أخرجه أحمد في المسند (ح ٦٢١٥)، وأبو داود ح ٣٢٥١، والترمذي ح ١٥٣٥، والحاكم (١٧٢/١) وابن حبان ح ١١٧٧، وصححه الألباني في إرواء الغليل ١٨٩/٨.

(٢) أخرجه البخاري ح ٦٦٤٦، ومسلم ح ١٦٤٦.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وأحمد في المسند ح ١٨٣٩، وحسنه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٣٩).

(٤) رسالته إلى المشرق والمغرب (٢٤٧/١).

(٥) رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (٢١٩/١)، (٢١٥/١).

المطلب الخامس: بيانه حقوق النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم وأوليائهم.

قال الإمام عبد العزيز: ((وحق أنبيائه عليهم السلام: الإيمان بهم وبما جاؤوا به، وموالاتهم وتوقيرهم، واتباع النور الذي أنزل معهم، ومحبتهم على النفس والمال والبنين والناس أجمعين، وعلامة الصدق في ذلك اتباع هديهم، والإيمان بما جاؤوا به من عند ربهم. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران/ ٣١]. والإيمان بمعجزاتهم، وأنهم بلغوا رسالات ربهم، وأدوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وأن محمداً ﷺ خاتمهم وأفضلهم، وإثبات شفاعتهم التي أثبتها الله في كتابه، وهي من بعد إذنه لمن رضي عنه من أهل التوحيد. وأما المقام المحمود الذي ذكره الله في كتابه وعظم شأنه فهو لنبينا محمد ﷺ))^(١).

وقال: ((وحق الرسول ﷺ التصديق والطاعة في جميع ما يأمر به وجميع ما ينهى عنه، وكيفيك ما ذكر الله في آخر سورة الكهف: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ ۚ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا﴾ [الكهف/ ١١٠])^(٢).

وقال أيضاً: ((فنقول بل الله سبحانه افترض على الناس محبة النبي ﷺ وتوقيره، وأن يكون أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم والناس أجمعين، ولكن لم يأمرنا بالغلو فيه، وإطرائه، بل هو ﷺ نهى عن ذلك فيما ثبت عنه

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٣٤).

(٢) رسالته إلى ياقوت (١/ ٢٢٦).

في الصحيح ، أنه قال : ((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله ^(١))) ((^(٢)).

وقال مثبتاً الشفاعة العظمى للنبي ﷺ وأنواع الشفاعة الأخرى ، بشروطها : ((وحقيقة قولنا : إن الشفاعة — وإن كانت حقاً في الآخرة — فلها أنواع مذكورة في محلها ، ووجب على كل مسلم الإيمان بشفاعته ﷺ ، بل وغيره من الشفعاء ، فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص ، ما عدا الشفاعة العظمى فإنها لأهل الموقف عامة ، وليس منها ما يقصدون ؛ فالوصف من مات لا يشرك بالله شيئاً ، كما في البخاري من حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال : ((لكل نبي دعوة مستجابة ، وإنني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي ، وهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً ^(٣))) ((^(٤)).

وبيّن حقوق صحابة النبي ﷺ ، فقال : ((ومن مذهب أهل البيت محبة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان. وأفضل السابقين الأولين الخلفاء الراشدون ، كما ثبت ذلك عن علي من رواية ابنه محمد بن الحنفية ، وغيره من الصحابة أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو

(١) أخرجه البخاري ح ٣٤٤٥.

(٢) رسالته إلى القاسمي (١/٢٢٣).

(٣) أخرجه البخاري ح ٧٤٧٤ ، ومسلم ح ٣٣٨.

(٤) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨) وفي رسالته إلى السيد علي

(١/٢٣١).

بكر ثم عمر. والأدلة الدالة على فضيلة الخلفاء الراشدين أكثر من أن تحصر^(١).

وقال: ومن المحرمات التي نهى الله عنها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ سب أفاضل الصحابة كأبي بكر وعمر، وغيرهما من الصحابة^(٢).
 وبين الإمام عبد العزيز صفات أولياء الله والإيمان بكراماتهم، فقال: ((وكذلك حق أوليائه: محبتهم، والترضي عنهم، والإيمان بكراماتهم، لا دعاؤهم ليجلبوا لمن دعاهم خيراً لا يقدر على جلبه إلا الله تعالى، أو ليدفعوا عنهم سوءاً لا يقدر على دفعه إلا هو ﷻ؛ لأن ذلك عبادة مختصة بجلاله تعالى وتقدس. هذا إذا تحققت الولاية أو رجيت لشخص معين كظهور اتباع سنة، وعمل بتقوى في جميع أحواله، وإلا فقد صار الولي في هذا الزمان من أطال سبحته، ووسّع كفه، وأسبل إزاره، ومد يده للتقيل، ولبس شكلاً مخصوصاً، وجمع الطبول والبيارق، وأكل أموال عباد الله ظلماً وادعاءً، ورغب عن سنة المصطفى وأحكام شرعه^(٣))).

المطلب السادس: دعوته إلى الالتزام بالكتاب والسنة وتطبيق شرائع الإسلام.

قال الإمام عبد العزيز - رحمه الله - : ((ونأمر رعايانا باتباع كتاب الله وسنة رسوله، وإقام الصلاة في أوقاتها والمحافظة عليها، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً، ونأمر بجميع ما أمر الله به

(١) رسالته إلى القاسمي (١/٢٢٢).

(٢) المرجع السابق (١/٢٢٣).

(٣) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/٢٣٤، ٢٣٥).

ورسوله من العدل ، وإنصاف الضعيف من القوي ، ووفاء المكاييل والموازين ، وإقامة حدود الله على الشريف والوضيع ، ونهى عن جميع ما نهى عنه الله ورسوله من البدع والمنكرات ، مثل : الزنا والسرقه وأكل أموال الناس بالباطل ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وظلم الناس بعضهم بعضاً ، ونقاتل لقبول فرائض الله التي أجمعت عليها الأمة ، فمن فعل ما فرض الله عليه ، فهو أخونا المسلم وإن لم يعرفنا ونعرفه))^(١).

وقال : ((فنحن إنما ندعو إلى العمل بالقرآن العظيم ، والذكر الحكيم ، الذي فيه الكفاية لمن اعتبر وتدبر ، وبعين بصيرته نظر وفكر ، فإنه حجة الله وعهده ، ووعدده ووعيدده ، وأمانه وقدره ، ومن اتبعه عاملاً بما فيه جدّ جدّه ، وعلا مجده ، وأثار رشدده ، وأبان سعدده))^(٢).

المطلب السابع : تجليته بعض المفاهيم الخاطئة وردّه على المخالفين.

لقد ناقش الإمام عبد العزيز في رسائله مسائل عقديّة ، أوضح فيها الحق بالأدلة والبراهين الساطعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ورد على المخالفين المتبدعين الذين استدلوا بشبه سموها أدلة ، ليروجوا بضاعتهم ويجادلوا بالباطل ، ومن تلك المسائل العقدية ما يأتي :

● الشفاعة. بيّن الإمام عبد العزيز حقيقة الشفاعة ، فقال : ((فنحن نقول : ليس للخلق من دون الله من ولي ولا نصير. وسائر الشفعاء محمد ﷺ سيدهم وأفضلهم فمن دونه ، لا يشفعون لأحد إلا بإذنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا

(١) رسالته إلى الفرس والترك (١/٢١٦).

(٢) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/٢٣٥).

تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿البقرة/ ٢٥٥﴾، ﴿فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعِندَنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف/ ١٠٢]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢٨]. وإذا كان كذلك، فحقيقة الشفاعة كلها لله، فلا تسأل في هذه الدار إلا منه ﷺ، وأن يشفع فيه ^(١) نبيه ﷺ، فجميع الأنبياء والأولياء لا يجعلون وسائل ولا وسائط بين الله وبين الخلق، في جلب الخير أو دفع الشر، ولا يجعل لهم من حقه شيء؛ لأن حقه تعالى وتقدس غير جنس حقهم، فإن حقه عبادته بأنواعها، بما شرع في كتابه، وعلى لسان رسوله ^(٢).

● التوسل. أوضح رحمه الله أنواع التوسل الصحيح، فقال: ((فلم يبقَ إلا التوسل بالأعمال الصالحة، كتوسل المؤمنين بإيمانهم في قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٩٣]، وتوسل أصحاب الصخرة المنطبقة عليهم، وهم ثلاثة نفر توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة - الحديث في صحيح البخاري ^(٣) -، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله، وكسؤال الله بأسمائه الحسنى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

(١) أي في السائل.

(٢) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٣٤، ٢٣٧)، وناقش هذه المسألة في رسالته إلى السيد

علي (١/ ٢٣١).

(٣) أخرجه البخاري ح ٣٤٦٥، ومسلم ح ٢٧٤٣.

[الأعراف / ١٨٠]، وكالأدعية الماثورة في السنن: ((اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنان المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام. وأمثال ذلك وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة / ٣٥])^(١).

وردَّ على المخالفين استدلالاتهم الباطلة في التوسل بالمخلوق، فقال: ((وليست الوسيلة بمخلوق يبتغى ليحصل واسطة بين الله وبين خلقه، يشفع لهم ويتقربون إليه؛ لأن هذا عين ما نهى الله عنه في الآيات، وأنزل بقبحه الكتب، وأرسل الرسل، وهو ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿وَجُوزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يُنْمُو سَوْسًا أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٣٨]؛ لأن قصدهم أن يتقربوا به)^(٢).

• زيارة قبر النبي ﷺ. أرشد الإمام عبد العزيز إلى الزيارة الشرعية لقبر النبي ﷺ، ورد على المخالفين في ذلك، فقال: ((وإذا جاء السفر المشروع لقصد مسجد النبي ﷺ للصلاة فيه، دخلت زيارة القبر تبعاً؛ لأنها غير مقصودة استقلالاً، وحينئذ فالزيارة مشروعة مجمع على استحبابها، بشرط عدم فعل محذور عند القبر، كما تقدم عن مالك، وما حكاه الغزالي رحمه الله ومن وافقه من متأخري الفقهاء من زيارة القبر، فمرادهم السفر المجرد عن فعل العبادة من الصلاة والدعاء عنده، بل يصلي ويسلم عليه، ويسأل له الوسيلة، ثم يسلم على أبي بكر، ثم عمر، ولا يقصد الصلاة عند القبر؛

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٤٧ - ٢٤٨).

(٢) وانظر ردوده على شبهات المتوسلين بالنبي ﷺ، في رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٤٩ - ٢٥٥).

للعنة ﷺ المتخذين قبور أنبيائهم مساجد، واللعنة في كلام الله وكلام رسوله لا تجتمع إلا الحرمه والإثم، لا مجرد الكراهة، قوله: ((اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))^(١)، وقال ابن حجر^(٢) رحمه الله في "الإمداد" الموسوم بشرح الإرشاد: ينوي الزائر المتقرب السفر إلى مسجده ﷺ، وشدّ الرحل إليه، لتكون زيارة القبر تابعة. انتهى))^(٣).

المطلب الثامن: بيانه مسألة التكفير وشروطه.

قال الإمام عبد العزيز: ((والتوحيد ليس هو محل الاجتهاد، فلا تقليد فيه ولا عناد، ولا نكفر إلا من أنكر أمرنا هذا ونهينا، فلم يحكم بما أنزل الله في التوحيد، بل يحكم بضده الذي هو الشرك الأكبر، الذي لا يغفر، كما سنذكر أنواعه، فجعله ديناً وسماء الوسيلة عناداً وبغياً، ووالى أهله وظاهرهم علينا، ولم يقوم أركان الدين ممتنعاً أن دعوانه، وأمرهم أن يبدؤوا بقتالنا ليرجعونا عن دين الله - الذي وصفنا - ، إلى ما هم فيه وكانوا عليه من الشرك بالله، والعمل بسائر ما لا يرضي رب العباد ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِمَ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُنِيرَهُ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة/٣٢]. وما حجتهم علينا إلا أن المدعو يكون شفيعاً ووسيلة. ونحن نقول: هؤلاء الداعون الهاتفون بذكره، المعتقدون في الأحياء الغائبين المدعويين والأموات، يطلبون كشف

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٨٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٤٣/٥)، وصححه من حديث

أبي سعيد الخدري.

(٢) هو ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي الهيتمي الأنصاري، أبو العباس، فقيه مصري، له تصانيف كثيرة. توفي بمكة المكرمة، سنة ٩٧٤هـ. الأعلام (٢٣٤/١) للزركلي.

(٣) رسالته إلى المشرق والمغرب (٢٤١/١).

شدتهم، وتفريج كربتهم، وإبراء مريضهم، ومعاواة سقيمهم، وتكثير رزقهم، وإيجاده من العدم، ونصرهم على عدوهم براً وبحراً، لم يكفهم الاقتصار على مسألة الشفاعة والوسيلة، وهما من أعظم المخاصمة الجارية علينا ممن قاتلنا وبدّعنا، وجعل اليهود والنصارى أخف شرا منا ومن أتباعنا...) (١).

وقال موضحاً: ((ونحن لا نكفر إلا من عرف التوحيد وسبّه وسماه دين الخوارج (٢)، وعرف الشرك، وأحبه وأحب أهله، ودعا إليه وحض الناس عليه، بعدما قامت عليه الحجة، وإن لم يفعل الشرك، أو فعل الشرك وسماه التوسل بالصالحين، بعدما عرف أن الله حرمه، أو كره بعض ما أنزل الله، كما قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْطَبُوا عَنَّا لَهُمْ﴾ [محمد/٩]، أو استهزؤوا بالدين أو القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ كَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣) لَا تَعْزِرُوا فَاذْكُرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ تَعَفَوْا مِنْكُمْ نَعَذِّبْ طَائِفًا مِنْهُمْ كَأَنَّهُمْ كُفَرُوا بِالتَّوْبَةِ / ٦٥ - ٦٦. قال العلماء في هذه الآية: الاستهزاء بالله كفر مستقل بالإجماع، والاستهزاء بالرسول كفر مستقل بالإجماع.

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (٢٣٥/١)

(٢) الخوارج: هم الذين خرجوا على الإمام علي عليه السلام بعد قضية التحكيم، وهم فرق شتى، يجمعهم القول بتكفير علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل، ومرتكب الكبيرة، والخروج على الأئمة إذا ظلموا. انظر: مقالات الإسلاميين (١٦٧/١) لأبي الحسن الأشعري، الفرق بين الفرق (ص ٤٩) للبغدادي، والملل والنحل (١١٤/٢) للشهرستاني.

وهذه الأنواع التي ذكرنا أننا نكفر من فعلها، قد أجمع العلماء كلهم من جميع أهل المذاهب على كفر من فعلها، وهذه كتب أهل العلم من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم موجودة، والله الحمد والمنة، وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم)).^(١)

المطلب التاسع: إيضاحه مفهوم الجهاد وشروطه.

قال الإمام عبد العزيز - رحمه الله - : ((وأما الجيوش والأجناد الذين تجهزهم من الوادي وأتباعهم، فنأمرهم بقتال كل من بلغته الدعوة، وأبى عن الدخول في الإسلام، والانقياد لتوحيد الله وأوامره وفرائضه، واستمسك بما هو عليه من الشرك بالله وترك الفرائض والأحكام الجاهلية المخالفة لحكم الله ورسوله، ومثل هؤلاء لا يحتاجون إلى الدعوة إذا كانت الدعوة قد بلغتهم قبل ذلك بسنين، وأبوا وأعرضوا عن دين الإسلام وإخلاص العبادة لله، وقد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم ترعى، فسبى رسول الله ﷺ النساء والذرية والنعم والشاء، مع أن الدعوة قبل القتال مستحبة، ولو كانت الدعوة قد بلغتهم، لأن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب حين بعثه لقتال أهل خيبر: ((فادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم^(٢))).

(١) رسالته إلى الفرس والترك (١/٢١٦ - ٢١٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٨١)، وابن ماجه (٢٨١٨)، وقال الترمذي : حديث حسن.

وأجاب بعضهم: شرع الله الجهاد، وأمر بالقتال، وبين لنا الحكمة في ذلك، وموجه وما يحصل به الكف، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة / ١٩٣]. قال المفسرون: الفتنة الشرك، والدين اسم عام لكل ما بعث الله به محمدا ﷺ. وقال ﷺ ((بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله ولا يشرك به شيء))^(١). وقال ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها))^(٢). وقد عمل بهذا أبو بكر، ووافقه الصحابة رضي الله عنهم في قتال مانعي الزكاة، فدل الحديث وعمل الصحابة على أن من ترك شيئاً من شرائع الدين الظاهرة، وكانوا طائفة مجمعة على ذلك، أنهم يقاتلون، قال شيخ الإسلام رحمه الله: كل طائفة ممتعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المعلومة فإنه يجب قتالها، فلو قالوا نشهد ولا نصلي، قوتلوا حتى يصلوا، ولو قالوا نصلي ولا نزكي، قوتلوا حتى يزكوا، ولو قالوا نزكي ولا نصوم ولا نحج البيت، قوتلوا حتى يصوموا ويحجوا البيت، فلو قالوا نفعل هذا كله، لكن لا ندع الربا وشرب الخمر ولا الفواحش، ولا نجاهد في سبيل الله، ولا نضرب الجزية على اليهود والنصارى، ونحو ذلك، قوتلوا حتى يفعلوا ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة / ١٩٣] انتهى.

(١) أخرجه أحمد (برقم ٥٢٣٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ٢٨٣١.

(٢) أخرجه البخاري ح ٣٤.

فاعلم أن المقاتلين أنواع ؛ منهم من يقاتل على الدخول في الإسلام ، وهو الإقرار لله بالوحدانية والاعتراف له بذلك ، والعمل به ، والشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة ، فهذا إذا التزم بذلك التزاماً ظاهراً ، كف عن قتاله على ذلك ، ووكلت سريرته إلى الله ، إلا إن قام به ناقض ينقض ما التزمه ، وأظهر الناقض ، وترك شريعة من شرائعه كالصلاة والزكاة وغيرهما من الشرائع ، فيجب على ولي الأمر أن يقاتل هذا ، وأن يبعث عماله على هذا المنوال. وما كان من نقص ، فهو نقص في الراعي والرعية)).^(١)

(١) رسالته إلى محمد الحفظي ٢٥٩/١

المبحث الثاني:

جهود الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود

في نشر العقيدة السلفية من خلال بعض أعماله

انطلقت الدعوة الإصلاحية في عهد الإمام عبد العزيز وتوسعت، وصار لها كثير من الأنصار والمؤيدين، وازدادت قوتها وتجمع لديها الخيل والسلاح والرجال، فقد تمّ له بعد جهاد طويل - في إعلاء كلمة الله، وإخلاص العبادة لله، وتنفيذ أحكام شرع الله - إخضاع أواسط الجزيرة العربية والأحساء وعسير وتهامة، واستقر سلطانه على شواطئ الخليج، ووصلت جيوشه إلى حدود الحجاز.

وبذلك تأسست له دولة لها مسؤولياتها وواجباتها وحقوقها، فوطد أركانها، وشيّد بناءها، وأحكم سياجها، ووحد رعاياها تحت راية التوحيد وشعار الإسلام.

وسيطول الحديث بنا عن منجزات وأعمال الإمام عبد العزيز -رحمه الله- ولكن حسبنا أن نسلط الضوء على بعض أعماله الجليلة المتعلقة بنشر العقيدة السلفية، وهي في المطالب التالية:

المطلب الأول: تأسيسه نظام الحكم والإدارة:

لقد كان النظام السائد في تلك الفترة أن يحكم الأمير طبقاً للعرف والتقاليد التي يفرضها النظام القبلي، وكانت تلك السمة البارزة في معظم إمارات ومناطق الجزيرة العربية في ذلك الوقت.

إلا أن هذا النظام بدأ يهتز ويطرأ عليه التغيير والتطور منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أي منذ تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود على نشر دعوة التوحيد، وتنفيذ أحكام الشرع التي نص عليها القرآن والسنة واجتهادات السلف^(١).

((إن الدعوة بمعناها الشامل تنتظم: تمكين عقيدة التوحيد، وترسيخها، وإقامة الحدود، وتوفير الأمن، وصون الأعراض والدماء والأموال، ولا يتحقق ذلك إلا بسلطان الحكم والدولة))^(٢).

وحينما اتسعت حدود الدولة السعودية، وضع الإمام عبد العزيز نظاماً للحكم وإدارة شؤون الدولة، ترسيخاً لدولة التوحيد، ونشراً للعقيدة. ومن ذلك ما يأتي:

١ - تعيين عمال وأمراء نيابة عنه في حكم الأقاليم الخاضعة له، وخولهم سلطات واسعة في حكمهم، بشرط ألا يحيدوا عن نظام الدولة، وأن يسيروا وفقاً لما يصدره لهم من تعاليم وأوامر، فكان عامله وأميره على تهامة وما يليها من اليمن عبد الوهاب المعروف بكنيته أبو نقطة، وعلى الحجاز وما يليه من النواحي عثمان بن عبد الرحمن المضايقي، وعلى عمان صقر بن راشد رئيس رأس الخيمة، وعلى الأحساء ونواحيه سليمان بن ماجد الناصري، وعلى الزبارة والبحرين سلمان بن خليفة، وعلى ناحية الخرج

(١) الدولة السعودية الأولى (ص ٢٢٥)، د/ عبد الرحيم عبد الرحمن. باختصار

(٢) مقدمة معالي د. عبد الله بن عبد المحسن التركي (ص ١٠) لكتاب "الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة".

إبراهيم بن سليمان بن عفيصان ، وعلى جبل شمر محمد بن عبد المحسن بن فايز بن علي في بلد حائل ، وغيرهم من الأمراء والعمال^(١) .

فكان الإمام عبد العزيز يرسل كتبه إلى عماله في الأقاليم ، يوضح لهم فيها سبل السير في حكم رعاياه ، ويوصيهم بتقوى الله ، ويحضهم على الجهاد ، ويزجرهم عن جميع المحظورات ، ويوضح لهم ذلك كله بأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف^(٢) .

((وكان الإمام السعودي يقوم باختيار هؤلاء الحكام الذين ينوبون عنه من العناصر المخلصة لآل سعود ، والمؤمنة بمبادئ الدعوة السلفية إيماناً عميقاً ، حتى يطمئن إلى تنفيذ نظم الدولة على خير وجه))^(٣) .

٢ - اتخاذه ولياً للعهد :

قال ابن بشر : في سنة ١٢٠٢ هـ أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب جميع أهل نجد أن يبايعوا سعود بن عبد العزيز ، وأن يكون ولي العهد بعد أبيه ، وذلك بإذن عبد العزيز ، فبايعوه جميعهم^(٤) .

٣ - تطبيقه نظام الشورى :

بعد تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود ، كان الأمير يستشير الشيخ في كل الأمور ، ويستشير ابنه عبد العزيز الذي كان ساعده الأيمن في إدارة شئون الدرعية ، وظل الأمر ذلك طوال فترة حكم

(١) عنوان المجد (١/٢٧٨) .

(٢) الدولة السعودية الأولى (ص ٢٢٧) د/عبد الرحيم .

(٣) المرجع السابق (ص ٢٣٤) .

(٤) عنوان المجد (١/٦٢) .

الأمير محمد بن سعود، ولكن في عهد عبد العزيز بن محمد اتسعت أملاك الدولة وتعقدت شؤونها، وفوض الشيخ محمد بن عبد الوهاب كل أمور الدولة إلى عبد العزيز، وانقطع هو للأمور الدينية، إلا أن عبد العزيز لم يكن في مقدوره أن يبت في كل الأمور بمفرده، ولذا فإنه كان دائماً يلجأ إلى استشارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولا ينفذ حكماً إلا بإذنه، بالإضافة إلى استشارته للأمرء من أفراد أسرته، والعلماء، وأصحاب الرأي^(١).

٤ - تعيينه القضاة:

كان يشترط فيمن يتولى القضاء أن يكون من علماء الشرع الذين لهم خبرة طويلة بعلوم الشريعة، وكان الإمام عبد العزيز أول من أرسل قضاة إلى الأقاليم^(٢)، وكان القضاة لا يعينون إلا بمشورة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لأن منصب القضاء منصب مهم له تأثير كبير، فبالإضافة إلى القضاء يتولون الإمامة والخطابة والتدريس والفتوى والإرشاد، ويكونون أصحاب الكلمة الفاصلة في البلد الذي يتولون القضاء فيه، ولا يخفى ما يكون لهم من أثر كبير وعظيم في نشر عقيدة السلف الصالح - رحمهم الله تعالى -^(٣).

وكان من القضاة في عهد الإمام عبد العزيز في الدرعية بعد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ابنه حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وفي ناحية الوشم عبد العزيز بن عبد الله الحصين، وعلى ناحية سدير حمد بن راشد

(١) المرجع السابق (١/٤٦، ٤٧)، الدولة السعودية الأولى (ص ٢٣٢، ٢٣٣).

(٢) الدولة السعودية الأولى (ص ٢٣٨).

(٣) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية (ص ٥٢٦، ٥٢٧)، د/ صالح عبد الله العبود.

العريني ، وعلى ناحية الخرج محمد بن سويلم من أهل الدرعية ، وعلى ناحية الجنوب سعيد بن حجي ، وغيرهم من القضاة في غير ذلك من النواحي ^(١).

٥ - توفير الأمن :

كان الإمام عبد العزيز - رحمه الله - حريصاً على نشر الأمن ، وتوفير الأمان والطمأنينة لرعيته في جميع الأقطار ، فكان مع رأفته بالرعية ، شديداً على من جنى جناية من الأعراب ، أو قطع سبلاً ، أو سرق شيئاً من مسافر أو غيره ، بحيث من فعل شيئاً من ذلك ، أخذ ماله نكالاً أو بعض ماله أو شيئاً منه ، على حسب جنايته ، وأدبه على غير ذلك أدباً بليغاً ^(٢).

لذا كانت البلاد من جميع الأقطار في زمنه آمنة مطمئنة في عيشة هنية... لأن الشخص الواحد يسافر بالأموال العظيمة في أي وقت شاء ، شتاءً وصيفاً ، يميناً وشمالاً ، شرقاً وغرباً ، في نجد والحجاز واليمن وتهامة وعمان وغير ذلك ، لا يخشى أحداً إلا الله ، لا سارق ومكابر ^(٣). وليس يؤخذ من المسافرين شيء من القوانين والجوائز التي يأخذها الأعراب على الدروب يميون بها سنن الجاهلية ، فبطلت جميعها ، ولله الحمد ، وصار بعض العمال إذا جاؤوا بالأخماس والزكاة من أقاصي البلاد ، يجعلون مزاول الدراهم أطناباً لخيمتهم وربطاً لخيولهم بالليل ، لا يخشون سارقاً ولا غيره ^(٤) ، ونمت المواشي والشمار وساد الأمن جميع البلاد. وهذا من أثر عقيدة السلف الصالح التي

(١) عنوان المجد (١/ ٢٧٨ ، ٢٧٩).

(٢) عنوان المجد (١/ ٢٦٨).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٦٦ ، ٢٦٧).

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٦٩).

أظهرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب. قال الله -تعالى- : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام / ٨٢].

٦ - تطبيقه النظام المالي الإسلامي :

كان الإمام عبد العزيز يرسل عماله الذين يوكل إليهم أمر جمع الزكاة
بمختلف أنواعها، ويحاسبهم عليها، ويقدر لهم رواتبهم، وكان يوصي عماله
بتقوى الله، وأخذ الزكاة على الأمر الشرعي، وإعطاء الضعفاء والمساكين،
ويزجرهم من الظلم وأخذ كرائم الأموال. كما كان من مصادر الدخل
للدولة السعودية الأولى خمس الغنائم التي كانت الجيوش السعودية تحوزها
من سائبة وأموال أثناء غزوها، فكان على قائد كل جيش أن يقوم بعزل
خمس ما غنمه جيشه، ويرسله إلى بيت المال في الدرعية، ويقوم بتوزيع
الأخماس الأربعة الباقية على أفراد الجيش، الذين اشتركوا في المعارك.

وكان من الأموال التي تضم إلى بيت المال، الأموال التي تصدر من
الخارجين على الأمن، والعابثين به، والمتخلفين عن الغزو^(١).

وكانت الدولة تقوم بالإنفاق من بيت المال الذي تتكون حصيلته -مما
ذكرناه- على المساكين والفقراء وباقي الأصناف الثمانية الذين لهم حق في
الزكاة طبقاً لأحكام الشرع، كما ينفق أيضاً على إقامة المساجد والأئمة
والمؤذنين، وعلى أهل العلم وطلبته، وعلى المحتاجين، ورواتب القضاة
وغيرهم^(٢).

(١) عنوان المجد (١/ ٢٦٩ - ٢٧٧) بتصرف واختصار.

(٢) الدولة السعودية الأولى (ص ٢٢٩، ٢٤٢ - ٢٥١) باختصار.

المطلب الثاني : جهوده في تعليم التوحيد ونشر العلم الشرعي :

قامت الدولة السعودية على أساس الدعوة الإصلاحية التي كان منهجها الالتزام بكتاب الله -ﷻ- وسنة رسوله -ﷺ- وهدى السلف الصالح، عقيدة وشريعة وسلوكاً، ولا يتم ذلك إلا بالعلم. لذا كان الإمام عبد العزيز -يرحمه الله- حريصاً كل الحرص على تعليم التوحيد، وغرسه في رعيته وأتباعه، ونشر العلم الشرعي فيهم، حتى إنه كان يكثر الدعاء لشعبه في ورده، ويقول: اللهم أبْقِ فيهم كلمة لا إله إلا الله، حتى يستقيموا عليها، ولا يحيدوا عنها^(١).

ولما كان الحكام هم القدوة، فقد حرص أئمة آل سعود كل الحرص على حضور مجالس العلم، والتلمذ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وتلامذته من بعده. وقد طلب الإمام عبد العزيز من الشيخ محمد، أن يكتب رسالة موجزة في أصول الإسلام، ليتعلمها الناس، فكتب الشيخ ثلاثة الأصول، وهي معرفة الرب المعبود، والرسول -ﷺ-، ودين الإسلام بالأدلة، مبنية على مسائل القبر الثلاث: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وأرسلها الإمام عبد العزيز إلى جميع النواحي، وأمر الناس أن يتعلموها في المساجد على يد أئمتها وطلبة العلم، وأن يعملوا بها جميعاً بدون استثناء، فصاروا يسألون الناس في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشاءين عن معرفة ثلاثة الأصول، وقد كتب بصيغ مختلفة مطولة ومختصرة وباللغة الفصحى وبالعامية على حسب طبقات الناس، وعلى مستوى كل طبقة وما

(١) عنوان المجد (١/٢٦٦).

يناسبها، وكان الشيخ يعلمها الناس في الدرعية ويأمرهم بتعلمها^(١)، وألحق بها شروط الصلاة وأركانها، ونحو ذلك من أمور الدين التي لا يسع أحداً من المسلمين جهله. وأصبحت الدرعية مركزاً للعلم، ومقصداً لطلبة العلم الشرعي، للتلمذ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وتلامذته من بعده. وكان الطلبة يتلقون تعليمهم دون مقابل، بل كانت تصرف لهم نفقة جارية من بيت المال، ويعطى المتفوقون جوائز سخية^(٢)، كما كان القضاة الذين يعينهم الإمام عبد العزيز بمشورة من الشيخ محمد في الأقاليم الخاضعة له، يتولون بالإضافة إلى القضاء الإمامة والخطابة والتدريس والفتوى والإرشاد...، ولا يخفى ما يكون لهم من أثر كبير وعظيم في نشر عقيدة السلف الصالح^(٣).

وكانت المساجد وبيوت المعلمين هي أماكن الدراسة، وكان التعليم مركزاً بدرجة كبيرة على التوحيد وما يتعلق بالعبادة، ويشمل أيضاً دراسة التفسير والحديث والسيرة النبوية وكتب الفقه الحنبلي^(٤).

كما كان الإمام عبد العزيز والشيخ محمد إذا وفد عليهم وفود المناطق والأقاليم وبايعوهم على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ورجعوا إلى

(١) المرجع السابق (١/١٤، ٩٠)، وعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية (ص ٥١٦)،

د/ صالح عبد الله العبود.

(٢) عنوان المجد (١/١٨٦، ٢٧٥).

(٣) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ص ٥٢٧).

(٤) الدولة السعودية الأولى (ص ٢٥١) د/ عبد الرحيم عبد الرحمن، تاريخ المملكة العربية

السعودية (١/١٨١) د/ عبد الله العثيمين.

بلادهم ، كانوا يرسلون معهم العلماء وطلبة العلم ، ليعلموهم التوحيد وأصول الدين ، ويفقهوهم في ذلك^(١) .

وكذلك إذا فتحوا البلاد ودانت لهم ، أمروا فيها أميراً وإماماً ، وجعلوا فيهم علماء يعلمونهم التوحيد ، ويذاكرونهم فيه ، ويعلمونهم أصول الإسلام^(٢) .

المطلب الثالث : جهاده في نشر العقيدة :

بعد الدعوة والإرشاد والتعليم ، يأتي الجهاد حماية للحق ونشره ، ودفعاً لأهل الباطل وقمعه .

والجهاد في الشرع له تعريفات عديدة ، أشملها تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ، حيث قال : والجهاد : هو بذل الوسع -وهو القدرة- في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه .

وقال أيضاً : وذلك لأن الجهاد حقيقته : الاجتهاد في حصول ما يحببه الله من الإيمان والعمل الصالح ، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان^(٣) .

وللجهاد أنواع مختلفة ومراتب متفاوتة ، هي : جهاد النفس ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الكفار والمنافقين ، وجهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات^(٤) .

(١) عنوان المجد (١/١٢٩ ، ١٦٦) .

(٢) عنوان المجد (١/٧٦ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣) .

(٤) زاد المعاد (١٠/٢) لابن القيم .

وقد تظاهرت آيات الكتاب، وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد والحض عليه، ومدح أهله والإخبار عما لهم عند ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات، ويكفي في ذلك قوله -تعالى- : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُمْ عَلَىٰ بَحْرِنِ نُجُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۖ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ سَبِيلُ لَّكُمُ الْكَرْخَانُ كَمَا تَقُولُونَ ۖ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَسَيَسْكَنُونَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف / ١٠ - ١٢]^(١). ومن الأحاديث النبوية: حديث معاذ بن جبل -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله))^(٢). قال الإمام ابن تيمية: والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن تُحصَر، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان -باتفاق العلماء- أفضل من الحج والعمرة، ومن الصلاة التطوع والصوم التطوع، كما دل عليه الكتاب والسنة...، وهذا باب واسع، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه، وهو ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشمتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة^(٣).

ووسيلة الجهاد في سبيل الله شرعت من أجل نشر الدعوة وتبليغها للناس، ولا بد للتبليغ من قوة تُخضع الطواغيت للإسلام؛ وذلك لا يكون إلا بالجهاد في سبيل الله -عز وجل-؛ لأن أعداء الدعوة لن يتركوا الدعوة تسير في طريقها، يسمعون من شاء، ويهتدي بها من شاء، ويتركها من شاء، بل

(١) طريق الهجرتين (ص ٥٨٢ - ٥٨٤) لابن القيم (بتصرف).

(٢) رواه الترمذي (ح ٢٦١٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥٢/٢٨ - ٣٥٣).

يصدون دعاة الإسلام، ويصدون الناس عن سماع دعوتهم، فإذا لا بد أن تظهر الدعوة في أمة مهية الجانب، عندها قوة تحمي نفسها، وتحمي من استجاب لها، وتؤدب من اعتدى عليها أو صدها، وإلا فإن العالم سيُحرم من تبليغ هذه الدعوة، والتمتع بهذا الدين، بدون الجهاد في سبيل الله^(١).

وقد كان للإمام عبد العزيز -يرحمه الله- النصيب الأوفر من هذا الأمر، منذ أن أمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالجهاد لمن عادى أهل التوحيد وسبه وسب أهله، وحضهم عليه فامتثلوا^(٢).

وكان في مقدمة من استجابوا لدعوة الشيخ محمد بالجهاد: الإمام عبد العزيز الذي كان يتولى المشاركة في المعارك وقيادة جيوش الدعوة في عهد والده الإمام محمد بن سعود، منذ عام ١١٦١ هـ إلى عهد ولايته الإمامة، ثم إلى وفاته سنة ١٢١٨ هـ، فلم تخل سنة من تلك السنوات من معركة أو غزوة قادها الإمام عبد العزيز بنفسه، أو كانت بأمره وتحت رايته، وهي كثيرة جداً يصعب حصرها^(٣).

وقد حقق الإمام عبد العزيز من خلال جهاده ومعاركه في نصرة دعوة التوحيد أهدافاً جلية، منها:

١- كسر شوكة من لم يقبل مبادئ الدعوة بعد وصولها إليه، ومجاهدة من أساء إلى الدعوة ودولتها أو تحرش بهما وتأديبه، وإثبات تفوق أنصار الدعوة عليهم.

(١) الجهاد في سبيل الله، حقيقته وغايته (٥٢١/٢) د/ عبد الله أحمد قادري.

(٢) عنوان المجد (٤٥/١، ٤٦، ٤٨).

(٣) انظر للتوسع في معرفة معارك الإمام: عنوان المجد (٥٦/١ - ٢٧٧).

- ٢- استرداد القرى والمدن التي نكصت عن الدعوة بعد قبولها، ومعاقبة أهلها، وجعلهم عبرة لغيرهم.
- ٣- بناءؤه الحصون قرب المدن والقرى التي يستعصي فتحها على أنصار الدعوة، ووضع بعض المرباطين فيها، حتى يحكموا الحصار على أهلها، مما يضطرهم في النهاية إلى الاستسلام والدخول في دولة الدعوة.
- ٤- توسيع نفوذ الدعوة خارج نجد، لتشمل دولة التوحيد من شواطئ الفرات ووادي السرحان إلى رأس الخيمة وعمان، ومن الخليج العربي إلى أطراف الحجاز وعسير.

المطلب الرابع: إزالته المظاهر الشركية والبدعية:

لقد قام الإمام عبد العزيز -رحمه الله- وأتباعه بالدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ الشرك والبدع، كهدم الأوثان والأحجار المعظمة، وقطع الأشجار المتبرك بها، وهدم القباب على القبور، ومحاربة أعمال الرافضة^(١) المنكرة، كإقامة المشاهد والمقدسات الشركية.

وكل ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر به الإسلام، فعن أبي الهياج قال: قال لي علي -عليه السلام-: ((ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله -ﷺ-، ألا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته))^(٢). لذلك أمر الإمام عبد العزيز أمراءه وعماله وجنده بإزالة معالم الشرك والبدعة، فاستجابوا لأمر الله ورسوله.

ومن صور ذلك ما يأتي:

- في سنة ١٢٠٦ هـ حينما غزا الأمير سعود بن عبد العزيز القطيف، أزال جميع ما في القطيف من الأوثان والمتعبدات والكنائس، وأحرق كتبهم القبيحة، بعد ما جمع منها أحمالاً^(٣).

(١) الرافضة: من فرق الشيعة، وهم فرق شتى. سمووا بهذا الاسم لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وقيل: لرفضهم زيد بن علي بن الحسين حينما تولى أبا بكر وعمر، ويجمعهم القول بالنص على استخلاف علي -عليه السلام-، وأنها في ذريته من بعده، والبراءة من أبي بكر وعمر، وعصمة أئمتهم، وغير ذلك من العقائد الباطلة.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/٨٩)، لأبي الحسن الأشعري، الفرق بين الفرق (ص ٢١)، للبغدادى.

(٢) أخرجه مسلم (ح ٢٢٨٧).

(٣) عنوان المجد (١/١٧٨).

- وفي سنة ١٢٠٧هـ حينما دخلت الجيوش السعودية الأحساء بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز ، هدموا جميع ما فيها من القباب والمشاهد التي على القبور والمواقع الشركية ، فلم يتركوا لها أثراً^(١).
- وفي سنة ١٢١٦هـ سار الأمير سعود بن عبد العزيز بجيوش التوحيد إلى أرض كربلاء في شهر ذي القعدة ، وهدموا القبة الموضوعة على القبر المزعوم للحسين —ﷺ—^(٢).
- وفي سنة ١٢١٧هـ دخل الأمير سعود بن عبد العزيز مكة المكرمة وأعطى أهلها الأمان ، وبذل من الصدقات والعطاء لأهلها شيئاً كثيراً ، وأمر بهدم القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية ، وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير في أسفلها وأعلاها ووسطها وبيوتها ، حتى لم يبق في مكة شيء من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها وجعلوها تراباً^(٣).

المطلب الخامس : نشره العقيدة خارج دولته :

اعتنى الإمام عبد العزيز —رحمه الله— بالدعوة إلى العقيدة السلفية خارج حدود سلطته ودولته —بل إلى علماء الشرق والغرب وبلدان العجم والروم— ، بالنصيحة وإقامة الحجة والبيان ، وإرسال الرسائل والدعاة والمبعوثين ، وذلك من منطلق حمله لأمانة الدعوة إلى الله التي أمر الله بها نبيه محمداً —ﷺ— وأتمته من بعده ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ

(١) المرجع السابق (٢٠٢/١).

(٢) المرجع السابق (٢٥٧/١).

(٣) المرجع السابق (٢٦٣/١) بتصرف بسيط.

وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ وَخَدْلُهُمْ بِأَلْقَى هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴿النحل / ١٢٥﴾ .

ومن جهوده - رحمه الله - في هذا المجال ما يأتي :

١ - إرساله الرسائل العامة للدعوة إلى التوحيد والعقيدة السلفية. ومن تلك الرسائل :

أ- رسالة إلى من يراه من أهل بلدان العجم والروم ، أرسلها مع رجل منهم اسمه محمد خلفا النواب ، وفد عليهم مع الحاج ، وأقام عندهم مدة طويلة ، وعرف ما هم عليه من الحق ، وقال فيها : ((من عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من أهل بلدان العجم والروم...)) وبعد الثناء والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ، بيّن في رسالته العقيدة السلفية الصحيحة ، ودفع الشُّبه الماثرة حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ^(١).

ب- رسالته إلى العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب ، أبان فيها عقيدة السلف الصالح بالبيان الواضح والأدلة القوية والبراهين العظيمة ، كما بيّن - رحمه الله - الأمور التي أنكرها الناس على أصحاب الدعوة الإصلاحية المباركة ، وأوضح أدلتها وكشف الشبه التي تعلق بها عباد الأنبياء والأولياء ،

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٢٥٨ - ٢٦٤) جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

فجاءت بحمد الله رسالة كافية شافية في بيان حقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأتباع الكتاب والسنة، والرد على المخالفين المبتدعين^(١).

ج- رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (منطقة جازان). وهي أيضاً في بيان عقيدة السلف الصالح^(٢).

د- رسالته إلى سليمان باشا الكبير والي بغداد نصيحة له، مصحوبة بنسخة من (كتاب التوحيد) للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وطلب منه أن يجمع علماء بغداد للنظر في كتاب الشيخ، والإيمان بما جاء فيه^(٣).

٢- إرساله الرسائل الخاصة، وفيها بيان التوحيد والعقيدة السلفية وما يضادها، والدعوة إلى اتباع الكتاب والسنة، كرسالته إلى أحمد بن علي القاسمي، وإلى الأخ ياقوت الصنعاني، وإلى أحمد بن محمد العويلي، ومحمد بن أحمد الحفظي وغيرهم^(٤).

٣- إرساله الدعاة والعلماء لبيان التوحيد وعقيدة السلف الصالح وما يضادها، والدعوة إلى تحكيم كتاب الله ﷻ - وسنة رسوله - ﷺ، والرد على الشبهات، ومناظرة المخالفين والخصوم. ومن ذلك :

(١) انظر : الهدية السنية (ص ٥ - ٢٩) ابن سحمان.

(٢) انظر : الدرر السنية (١/ ٢٦٥ - ٢٦٨).

(٣) الدولة السعودية الأولى (ص ١٩١، ١٩٢) د/ عبد الرحيم عبد الرحمن.

(٤) انظر : الدرر السنية (١/ ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٧٩)، (٢/ ١٦٦، ١٧٠).

- في حوادث سنة ١١٨٥ هـ - أن الإمام عبد العزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب أرسلوا الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين إلى والي مكة أحمد ابن سعيد الشريف ، وأرسلوا معه رسالة للتفاوض والمناظرة مع بعض علماء مكة ، فتفاوضوا في ثلاث مسائل ؛ الأولى : ما نسب إلى الدعوة الإصلاحية من التكفير بالعموم ، والثانية : هدم القباب التي على القبور ، والثالثة : إنكار دعوة الصالحين للشفاعة ؛ فبين الشيخ عبد العزيز لهم الحق في تلك المسائل ، وأقام عليها الأدلة والحجج والبراهين ، فأقروا واقتنعوا^(١).

- وجاء في أخبار سنة ١٢٠٤ هـ أن الإمام عبد العزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب أرسلوا القاضي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين ومعه كتاب ، بناءً على طلب الشريف غالب ، ليبين له حقيقة دعوتهم وما هم عليه. وعندما قدم الشيخ عبد العزيز الحصين مكة المشرفة ، عرض عليه رسالة الشيخ محمد فأذعن الشريف وأقر بذلك ، وطلب الشيخ عبد العزيز حضور العلماء للمناظرة في التوحيد ، فأبوا^(٢).

- وفي سنة ١٢١١ هـ تكرر الطلب من غالب بن مساعد -شريف مكة- إلى الإمام عبد العزيز أن يرسل إليه علماء يناظرون علماء مكة في أصل الدين والتوحيد ، فأجاب الإمام عبد العزيز طلبه ، وأرسل إليه جماعة من العلماء كبيرهم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، فلما وصلوا إلى مكة قابلهم الشريف بالإكرام ، وأحضر لهم علماء يناظرونهم عدة ليال ، وجرت

(١) روضة ابن غنام (ص ١٢١) طبعة المدني ، حاشية عنوان المجد (١/١١٧) ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ.

(٢) عنوان المجد (١/١٧١ ، ١٧٢).

المناظرة في مسألتين، إحداهما: مسألة قتال الموحدين الناس، والثانية: مسألة دعاء الأموات؛ فكان الشيخ حمد بن ناصر يأتي لبيان حجته بالدليل القاطع والبرهان الواضح، من كتاب الله، وأحاديث رسوله الصحيحة، وأقوال الأئمة وأتباعهم المتقدمين الأخيار، فاضطرهم بذلك إلى التسليم له في المسألة الأولى، والاعتراف بالحق، بعد أن لجؤا في المغالطة والعناد حيناً. ولكنهم أنكروا وجود ما ذكره لهم من مظاهر الشرك، بدعوة الأموات، وجحدوا أن يكون ذلك واقعاً في البلاد، مع أنه عندهم كثير، مشهود، يرونه كل ساعة. ١. هـ^(١).

(١) روضة ابن غنام (ص ٢٠٠) بتصرف بسيط.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، و الصلاة والسلام على المبعوث بخاتمة الرسائل، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

في نهاية هذا البحث الموجز أود أن أسجل بعض النتائج التي توصلت إليها، وهي كالتالي:

- ١- أن الدولة السعودية الأولى قامت على العقيدة السلفية، وامتد سلطانها في عهد الإمام عبد العزيز من الخليج شرقاً إلى حدود الحجاز غرباً، ومن حدود العراق شمالاً إلى عسير وتهامة وعمان جنوباً.
- ٢- أن الإمام عبد العزيز كان من تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب منذ صغره، مما كان له الأثر الكبير في حماسه وجهاده في الدعوة الإصلاحية.
- ٣- أن الإمام عبد العزيز قد اجتمعت فيه مواهب الإمارة وملكاتهما، مع تمسك بالعقيدة السلفية، ورسوخ في العلم، فكان أميراً ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان، مع قوة السيف والسلطان.
- ٤- عناية الإمام عبد العزيز بتوضيح التوحيد وشرح العقيدة السلفية في جميع رسائله العامة والخاصة، وعنايته بإيراد الشواهد والأدلة من الكتاب والسنة، والرد على المخالفين.
- ٥- لقد بذل الإمام عبد العزيز جهده في نشر العقيدة، والدعوة إليها، وحماية جناب التوحيد في داخل دولته وخارجها بشتى الوسائل

والإمكانات المتوفرة لديه ، فبارك الله له في عمله وجهاده ، ورزقه
دولة آمنة مطمئنة رغيدة ، يأتيها رزقها من كل مكان ، فرحمه الله
رحمة واسعة ، وأدخله فسيح جناته.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ٥، دار العلم، بيروت، ١٩٨٠م.
- الإمام سعود بن عبد العزيز وجهوده في الدعوة إلى الله - محمد بن عبد الرحمن التركي، ط ١، دار الأندلس - جدة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة - اعتنى بإصداره وقدم له د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي - طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ.
- تاريخ البلاد العربية السعودية - د/ منير العجلاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تاريخ الدولة السعودية - أمين سعيد، دار الكاتب العربي.
- تاريخ المملكة العربية السعودية - د/ عبد الله الصالح العثيمين، ط ٩، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- تاريخ نجد، المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام - الشيخ حسين بن غنام، ط ١، مطبعة الحلبي بمصر، ١٣٦٨هـ.
- الجامع الصحيح، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، إشراف ومراجعة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته - د/ عبد الله أحمد قادري، ط ١، دار المنار، جدة - ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - حسين خلف الشيخ خزعل، ط ١، مطابع دار الكتب - بيروت، ١٩٦٨م.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية - جمع عبد الرحمن بن قاسم، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- الدرعية - عبد الله بن محمد بن خميس، ط ١، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- الدولة السعودية الأولى، د/ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ط ٢، دار نافع للطباعة، القاهرة، ١٩٧٥م.
- رسائل أئمة دعوة التوحيد - جمع د. فيصل بن مشعل بن سعود آل سعود، ط ٢، مطابع الحميضي، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

- السنن، أبو عبد الله محمد يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، (د.ت).
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٨هـ.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن حجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨هـ.
- صقر الجزيرة - أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢.
- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي - د/ صالح بن عبد الله العبود.
- عنوان المجد في تاريخ نجد - الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر، تحقيق عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ط ٤، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- الفرق بين الفرق - عبد القاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
- قلب جزيرة العرب - فؤاد حمزة، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.
- محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه - الأستاذ مسعود الندوي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، ط الثانية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م. (د.ن).
- المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، إستنبول.
- مقالات الإسلاميين - لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.
- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ملوك آل سعود - الأمير سعود بن هذلول، ط ١، ١٣٨٠هـ.
- المنجد في اللغة والأعلام، ط ٢٦، دار المشرق، بيروت.

- الموسوعة العربية العالمية - مؤسسة أعمال الموسوعة، ط ٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود - للعلامة عبد الرحمن بن أحمد البهكلي، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية - جمع الشيخ سليمان بن سحمان، ط ٢، المنار سنة ١٣٤٤هـ، وط مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة عام ١٣٩٣هـ.



عناية

الملك سعود بن عبد العزيز بالعقيدة السلفية

إعداد

أ.د. محمود بن عبد الرحمن قلدح

الأستاذ في قسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

السلفية

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا ،
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا ضَلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .
أما بعد :

" ففي تاريخ الأمم والشعوب مناسبات وأحداث ترسم لها الطريق ،
وتوضح المعالم في خط سيرها نحو إدراك أمجادها وتحقيق أهدافها ، ومن الجدير
بكل أمة ناهضة أن تستذكر في هذه المناسبات ما قطعت من أشواط ، وحقت
من مراحل ، وأن تستعرض ما أصابت من نجاح ، وما صادفت من عقبات في
سعيها الدائب نحو أداء رسالتها ؛ لتتخذ من تجارب ماضيها عظة وعبرة
لمستقبلها ، وتستمد منها طاقة متجددة في منطلقها نحو أهدافها"^(١) .

وإننا في هذا العهد الزاهر الميمون بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد
الله بن عبد العزيز آل سعود ، لجدير بنا أن نزداد حمداً وشكراً على ما أولانا
به ربنا - ﷻ - من نعم لا تعد ولا تحصى ، ومن أعظمها نعمة الأمن
والأمان ورغد العيش في ظلّ الشريعة الإسلامية الغراء في دولة وطّد أركانها
المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود بالتوحيد والعلم ، وجاء
أبناؤه من بعده يتأسون به ويواصلون مسيرة البناء والتقدم .

(١) من خطاب جلالة الملك سعود - رحمه الله - في عام ١٣٨٣هـ ، انظر : "مختارات من
الخطب الملكية" : ٢٧٧/١ .

وقد كان الملك سعود ولي عهد الملك عبد العزيز وخليفته من بعده ، وممن رافقوه في مرحلة التأسيس والبناء ، وعاشوه في إدارة شؤون مملكته الدينية والدينية ، وممن عاهدوه على الوفاء والسير على نهجه وهديه في جميع الأمور الدينية والسياسية والإدارية وغيرها.

ومن هنا تأتي أهمية موضوع هذا البحث ليحاول إبراز جانب مهم من جوانب تاريخ الدولة السعودية وهو التمسك بالعقيدة السلفية وعناية ملوك المملكة العربية السعودية بها قولاً وعملاً ، والتأكيد على تمسك الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - بالعقيدة السلفية والتزامه بها ، وبيان بعض جهوده في العناية بها والدعوة إليها.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد ، ومبحثين كالتالي :

تمهيد : عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية وأثرها في أبنائه.

المبحث الأول : عناية الملك سعود بالعقيدة السلفية من خلال بعض أقواله وخطبه.

المبحث الثاني : عناية الملك سعود بالعقيدة السلفية من خلال بعض أعماله ومنجزاته.

سائلاً الله - ﷻ - أن أكون وفقت فيما كتبت ، والله أعلم بالنيات والمقاصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وصلى وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد:

عناية المؤسس الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية وأثرها في أبنائه.
 إن السلفية هي اتباع طريقة السلف الصالح من هذه الأمة المسلمة، الذين هم أهل السنة والجماعة، ومعنى ذلك: هو الإجماع والاجتماع على اتباع سنة رسول الله ﷺ وآثاره، باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان^(١).
 وقد قامت الدعوة الإصلاحية على العقيدة السلفية التي دعا إليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب^(٢) وناصره عليها الإمام محمد بن سعود^(٣) - رحمهما الله - .

-
- (١) انظر: "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية": ٢٦٤/١، ٢٦٥، د/ صالح العبود.
 (٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي الحنبلي، الإمام المجدد، صاحب الدعوة الإصلاحية ولد سنة ١١١٥ هـ، في العيينة في نجد، له مؤلفات عدة منها: "كتاب التوحيد"، توفي رحمه الله سنة ١٢٠٦ هـ. (انظر ترجمته: في "عنوان المجدد في تاريخ نجد": ٨٩/١ - ٩٦ لابن بشر، و"روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام والغزوات البيانية والفتوحات الربانية": ٢٥ - ٥٠ للشيخ حسين ابن غانم، و"الأعلام": ٢٥٧/٦ للزركلي).
 (٣) الإمام محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان، أول من لقب بالإمامة من آل سعود، ولي الإمارة في الدرعية سنة ١١٣٩ هـ، وفي سنة ١١٥٧ هـ يتابع الإمام محمد بن سعود الشيخ محمد بن عبد الوهاب لتمكين الدعوة الإصلاحية وبذلك انطلق تأسيس الدولة السعودية الأولى، توفي - رحمه الله - بالدرعية سنة ١١٧٩ هـ. (انظر ترجمته: في "عنوان المجدد": ٤٩/١، وروضة ابن غانم": ٥/٢، و"الأعلام": ١٣٨/٦، للزركلي).
 وقصة البيعة المباركة بين الإمامين معروفة عند المؤرخين. (انظر: "عنوان المجدد": ١١/١، ١٢، و"روضة ابن غانم": ٣/١).

فمنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو منهج السلف الصالح وعقيدته هي عقيدتهم التي أجمعوا عليها ونقلت عنهم ، وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : "فنحن - والله الحمد - متبعون غير مبتدعين ، مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة ، على مذهب أهل السنة والجماعة ، الذي هو على أمر الله ورسوله - ﷺ - ، وعليه الرسول - ﷺ - وصحابته والتابعون وأتباعهم وإجماع علماء المسلمين وأئمة الدين ، ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم ودرايتهم ، مثل الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقه ، كالأئمة الأربعة : أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، ومالك بن أنس ، ومحمد ابن إدريس ، وأحمد بن حنبل - رحمهم الله وتعالى ورضي عنهم أجمعين - ، وكذلك ما درج عليه الأعلام من اتباع هؤلاء الأئمة ، فنحن على ذلك ، وإن خالفنا غالب الناس في ما أحدثوا في دينهم من الحوادث ، لأننا على ما كان عليه أهل السنة والجماعة ، الذين هم الفرقة الناجية ، وهم سلف الأمة وأئمتها والتابعون لهم بإحسان ، وإن صرنا غرباء ، فطوبى للغرباء"^(١).

على هذا المنهج القويم والعقيدة السلفية تأسست الدولة السعودية الأولى^(٢) ، ثم الدولة السعودية الثانية^(٣).

- (١) انظر: "مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (القسم الخامس ، الشخصية ، رقم ٣٨ ص: ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، - والقسم الثالث ، الفتاوى ص: ٣١ - ٣٥ ، ٨٨ - ٨٩ ، و"مجموع الرسائل النجدية" : ٣٢/١ ، و"عنوان المجد" : ٩١/١ ، لابن بشر) نقلاً من "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب" : ٣٦٩/١ - ٣٧٠ ، - د/صالح بن عبد الله العبود.
- (٢) تأسست الدولة السعودية الأولى بإمامة الإمام محمد بن سعود عام ١١٥٧هـ ، وانتهت بسقوط الدرعية في عهد الإمام عبد الله بن سعود في عام ١٢٣٤هـ.
- (٣) تأسست الدولة السعودية الثانية بإمامة الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود عام ١٢٤٠هـ ، وانتهت في عهد الإمام عبد الرحمن بن فيصل سنة ١٣٠٩هـ. (راجع "تاريخ

ثم قيض الله - ﷻ - للعقيدة السلفية إماماً راشداً وسلطاناً نصيراً
وملكاً حامياً، ألا وهو أبو الملوك الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل
سعود^(١) - رحمهم الله جميعاً - ، الذي سار على سنة آبائه وأجداده في
نصرة العقيدة السلف الصالح وإعزاز أهل الدين الحق، واستعادة مكاسب
آبائه من ذلك، وتجديد مجدهم وإحياء سنتهم الراشدة^(٢).

وسوف نذكر إشارات ولحats لبعض جهود الملك عبد العزيز في العناية
بالعقيدة السلفية وأثرها في أبنائه من خلال العناصر التالية:

أولاً: بعض أقواله في نصرة العقيدة السلفية.

قال المؤسس الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - بكل فخر واعتزاز
وصراحة: "إنني رجل سلفي، وعقيدتي هي السلفية التي أمشي بمقتضاها
على الكتاب والسنة، وإن أكثر ما يهمني هو المحافظة على كلمة التوحيد، ثم
على محارم المسلمين، وأود أن نفني - أنا وأولادي - في سبيل الله"^(٣).

المملكة العربية السعودية" تأليف د/ عبد الله الصالح العثيمين، و"المملكة العربية السعودية
في مائة عام": ٢١ - ٣٢، دار الملك عبد العزيز).

(١) وُلد الملك عبد العزيز في مدينة الرياض سنة ١٢٩٣هـ، صقر الجزيرة العربية وموحدها،
ومؤسس المملكة العربية السعودية، تولى الحكم سنة ١٣١٩هـ، وبدأ مرحلة التأسيس
والبناء والعناية بجميع الجوانب الدينية والإدارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية
والتعليمية وغيرها، توفي - رحمه الله - سنة ١٣٧٣هـ، وعمره ثمانون عاماً. (انظر
"الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز - للزركلي، و"تاريخ المملكة العربية السعودية" -
د/ عبد الله الصالح العثيمين)

(٢) انظر: "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية": ٢/ ٢٩٥، - د/ صالح العبود.

(٣) انظر: "المصحف والسيف" ص: ٨١، - محي الدين القاسبي.

وقال - رحمه الله - : "أنا داعية إلى عقيدة السلف الصالح... وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وما جاء عن الخلفاء الراشدين"^(١).

وقال موضحاً عقيدته ومصدرها: "إن أصل الدين كتاب الله - تعالى - ، وسنة نبيه محمد - ﷺ - ، وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان ؛ فهم السلف الصالح ، ثم الأئمة الأربعة من بعدهم : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، - ﷺ - وعن سلف الأمة من الصحابة ومن تبعهم إلى يوم القيامة ، فإن هؤلاء الأئمة المقتدى بهم عند جميع المسلمين من أهل الكتاب والسنة ، فإنه لا خلاف بينهم في أصل الدين ، من توحيد الله - تعالى - في ربوبيته وفي ألوهيته وأسمائه وصفاته ، وهذا - والحمد لله - ثابت في كتبهم الموجودة بين أيديكم ، وإن حصل بينهم اختلاف في الفروع ، فما ذاك إلا من شدة حرصهم وتمسكهم بكتاب ربهم وما صحّ عن نبيهم - ﷺ - ، واستخراج معانيهما ، كلّ منهم على قدر ما آتاه الله من العلم والفهم في دينه ، وكلهم - إن شاء الله تعالى - على حق ومن سلك طريقهم وحذا حذوهم إلى يوم القيامة.

فهذا الذي ندين الله به ، وهو اعتقادنا نحن واعتقاد مشايخنا وأسلافنا ، وهو الصراط المستقيم ، والميزان العدل ، فمن استقام عليه ، فهو المتبع

(١) نقل هذه الكلمة الملك فهد بن عبد العزيز عن والده وذكرها في افتتاح المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز بالرياض في ١٩/٣/١٤٠٦ هـ ، ونقلها الزركلي في كتابه "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز" ص : ٢١٦.

المهتدي ، ومن حاد عنه وهو جاهل ، فيجب عليه الرجوع والتوبة إلى الله -
تبارك وتعالى - " (١).

وكان الملك عبد العزيز حريصاً كل الحرص على دعوة إخوانه المسلمين في كل مكان من أرجاء العالم إلى العناية بالعقيدة وتصحيحها والعمل بها ، فلا يدع مناسبة تمر إلا واغتنمها في الدعوة إلى التوحيد وخاصة في موسم الحج ، ومن أقواله في ذلك : "إني أدعو المسلمين جميعاً إلى عبادة الله وحده والرجوع للعمل بما كان عليه السلف الصالح ؛ لأنه لا نجاة للمسلمين إلا بهذا" (٢).

ثانياً: بعض جهوده في العناية بالعقيدة السلفية.

إن المنطلق والدافع لأعمال الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - وإنجازاته الجليلة كانت العقيدة السلفية ، فعندما وحد هذه البلاد المترامية الأطراف ولمّ شملها أسس دولة إسلامية جعل شعارها ورايتها كلمة التوحيد الخالدة ، ودستورها كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، ومنهجها هدي السلف الصالح .

(١) انظر: "تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها": ١٥٣/٢ ، - صلاح الدين المختار.

(٢) "عبد العزيز آل سعود وعبقريته الشخصية الإسلامية" ص: ٢٧٧ ، د/عبد العزيز شرف.
وأقوال الملك عبد العزيز في بيان عقيدته السلفية وتوضيحها والعمل بها والدعوة إليها والتحدث بنعمها وفضلها ، مبثوثة في كتب عديدة منها : - مختارات من الخطب الملكية ، - المصحف والسيف ، إعداد محي الدين القابسي ، - عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية والدفاع عنها ص: ١٧ - ٢٣ ، د/محمد الخميس ، وغيرها من الكتب.

لذا، اعتنى الملك عبد العزيز بترسيخ العقيدة ونشرها عن طريق التعليم النظامي بمختلف مراحله وأنواعه، كما أرسل المعلمين والدعاة إلى القرى والهجر؛ لتعليم الناس أمور دينهم والعقيدة الصحيحة، وتحذيرهم من البدع والمنكرات، بل إنه أرسل بعض الدعاة إلى خارج البلاد وأمدهم بالمال والكتب لنشر العقيدة الصحيحة ومحاربة البدع، وطبع ونشر كتب السلف وخاصة كتب العقيدة مثل كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وشرح العقيدة الطحاوية للإمام ابن أبي العز الحنفي وغيرها

وحرص - رحمه الله - على القضاء على كل مظاهر الشرك والبدعة في المملكة، وأنشأ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صيانة للعقيدة ومحافظة على الشعائر الإسلامية ومحاربة للبدع والمنكرات والرذائل وحفظاً لأخلاقيات المجتمع وأفراده.

كما حرص الملك عبد العزيز أشد الحرص على تحكيم الشريعة الإسلامية في بلده في كل الأمور، والرجوع والتحاكم إليها، والدعوة إلى لزومها. فتحقق من ذلك كله - بفضل الله وعونه - الأمن والأمان والنعمة في هذه البلاد المباركة من آثار تحكيم الشريعة السمحة والقضاء بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وهدى السلف الصالح^(١).

(١) للتوسع: انظر "عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية والدفاع عنها" - د/محمد الخميس، وكتاب "توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي" - د/محمد بن عبد الله سلمان.

ثالثاً: أثر عقيدة الملك عبد العزيز في أبنائه:

لقد اعتنى الملك عبد العزيز عناية بالغة بتربية أبنائه على العقيدة السلفية، وغرسها في نفوسهم، وإعدادهم لتحمل المسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقهم من بعده تجاه دينهم ووطنهم وأمتهم الإسلامية، يوضح لنا ذلك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز^(١) - رحمه الله - بقوله - عن والده الملك عبد العزيز - : "هو القائد الوالد الذي أعدّ بنيه وربّى فيهم الإحساس الصادق الواضح بالمسؤولية العظيمة الدقيقة تجاه العقيدة والشريعة والدعوة والمقدسات والوحدة ومصالح الوطن والمواطنين والأمة الإسلامية جمعاء"^(٢).

كما قال - رحمه الله - : "الشيء الذي تأثرت به من الملك عبد العزيز - هو ما فيه شك - أنه مرب كبير، ودائماً عندما نكون في حضرة الملك عبد العزيز التركيز الأساسي هو كيف يوضح لنا مفهوم العقيدة الإسلامية؟ وكيف يمكن إذا تمسكنا بهذه العقيدة أن الخير والسعادة والبركة سوف تكون دائماً حوالينا؟ وإذا - لا سمح الله - خرجنا عن نطاقنا فلن يكون لنا أي

(١) الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، ولد بمدينة الرياض عام ١٤١٣هـ، كان أول وزير للمعارف عام ١٣٧٣هـ، ثم وزيراً للداخلية ثم نائباً لرئيس مجلس الوزراء، ثم ولياً للعهد، تولى الحكم عام ١٤٠٢هـ، بعد وفاة أخيه الملك خالد، حفل عهده الزاهر بالعديد من المنجزات داخلياً وخارجياً، توفي - رحمه الله - في ٢٦/٦/١٤٢٦هـ. (انظر ترجمته في "المملكة العربية السعودية في مائة عام" ص: ٨٣ - ٨٩، دار الملك عبد العزيز، "الموسوعة العربية العالمية": ١٧/٥٨٠ - ٥٨٢).

(٢) انظر: "المصحف والسيف" ص: ٣٢.

نصيب من الحياة التي يمكن أن يتمتع بها الإنسان... كانت نصائحه دائماً تنصب على العقيدة الإسلامية ويقول: هي الخير والبركة، ولولا أن هذه البلاد متمسكة بالعقيدة الإسلامية ما كان وصلت إلى ما وصلت إليه، وإن توجيهاته أو حديثه معنا كأبناء له ينصب على إيضاح مفهوم العقيدة الإسلامية إذا تمسك بها الإنسان أو تركها الإنسان^(١).

ولذلك كانت وصية الملك عبد العزيز لولي عهده الأمير سعود - يرحمهما الله - إبان مبايعته ولياً للعهد في ١٨/١/١٣٥٢هـ بإعلاء كلمة التوحيد وتقوى الله - ﷻ - وبيان مسؤولياته وأسس تعامله في الحكم ومع الناس^(٢).

ولقد اجتهد الملك سعود في تنفيذ تلك الوصية الثمينة، وقام بما عاهد الله - ﷻ - عليه وبما تعهد به لوالده الملك عبد العزيز في إعلاء كلمة التوحيد ونصرتها والدعوة إليها.

وقد جاءت أقوال وأفعال ملوك المملكة العربية السعودية بعد الملك سعود من أبناء المؤسس الملك عبد العزيز - رحمه الله - تأكيداً وتوثيقاً للسير على

(١) من كلمة له مع منسوبي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ١/٨/١٤٠٤هـ. (انظر كتاب "شباب العقيدة الإسلامية" - مختارات من كلمات ولقاءات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - ص: ٤٢، ٤٣، - إعداد محمد سعيد مبارك).

(٢) انظر: "عهد الملك سعود": ٣٢٤/٢، ٣٢٥، - أمين سعيد، و"تاريخ الملك سعود":

نهج والدهم العظيم في العناية بالعقيدة السلفية ، فهذا الملك فيصل^(١) الذي تولى الحكم بعد أخيه الملك سعود يقول : "ولهذا السبب فنحن عندما نكرر في كل مناسبة أننا يجب أن نجعل العقيدة الإسلامية ، حينما نكرر قولنا بأن نجعل العقيدة الإسلامية هي الركيزة التي يجب أن نطلق منها لتحرير أنفسنا ولرد الظلم عنا وعن أبناء مواطنينا في كل الأنحاء وفي كل الأقطار ، هذا هو الذي يدعوننا إلى أن نجعل هذه الدعوة هي ديدنا"^(٢).

ثم الملك خالد^(٣) - رحمه الله - الذي قال : "وإنها لفرصة طيبة أن نتذكر فضل الله علينا ، ونذكر به أبناءنا وأجيالنا الحاضرة وأن نعمل بكل إخلاص ، ونلتف حول عقيدتنا ونلتفت إلى تربية أبنائنا ليكونوا مواطنين صالحين مؤسسين على أسس صحيحة من العقيدة الإسلامية ومترين تربية إسلامية تمكنهم من القيام بمسؤولياتهم وحمل الأمانة الملقاة على عاتقهم في المستقبل فنضمن بذلك اتصال الماضي بالحاضر واتصال الحاضر بالمستقبل"^(٤).

(١) الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، ولد بالرياض سنة ١٣٢٤هـ ، وتولى الحكم سنة ١٣٨٤هـ ، يعتبر رائد التضامن الإسلامي ، قام بإنجازات عديدة في مجال الاقتصاد ، والصناعة ، والزراعة ، والتعليم ، توفي - رحمه الله - سنة ١٣٩٥هـ . (انظر ترجمته في "الأعلام" : ١٦٦/٥ - ١٦٨ ، للزركلي ، والمملكة في مائة عام" ص : ٧١ - ٧٦).

(٢) انظر : "مختارات من الخطب الملكية" : ٣٦٨/١.

(٣) الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود ، ولد بمدينة الرياض سنة ١٣٣١هـ ، وتولى الحكم سنة ١٣٩٥هـ ، تميز عهده بالرخاء الاقتصادي العميم الذي أسهم في رقي النهضة الحضارية في شتى المجالات ، توفي - رحمه الله - سنة ١٤٠٢هـ . (انظر ترجمته في "المملكة العربية السعودية في مائة عام" ص : ٧٧ - ٨٢).

(٤) انظر : "مختارات من الخطب الملكية" : ٥٤/٢.

ثم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد - رحمه الله - الذي قال مؤكداً
تمسكه بهدي السلف الصالح: "لقد جاء موحد هذه الجزيرة وجامع شملها
الملك عبد العزيز - رحمه الله - ليقيم دولة التوحيد والشريعة الإسلامية
والدعوة السلفية، رمز الإسلام الحقيقي ومظهره العلمي... حيث يلتحم الدين
بالدنيا، وتسير الأمة كلها في طريق الله، طريق الجهاد الصادق والعمل
المثابر"^(١). رحم الله الجميع رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته، آمين.

ثم جاء خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز^(٢) - حفظه
الله وأيّده - ليوصل المسيرة المباركة ويؤكد تمسكه بالعقيدة الإسلامية
والاعتزاز بها، فقال - رعاها الله وأعزّه ونصره - : "المملكة العربية
السعودية - أعزّها الله ونصرها - بتمسكها بالعقيدة الإسلامية، وأنتم
وآباؤكم وأجدادكم وأبناؤكم أعزكم الله بتمسككم بالعقيدة الإسلامية وهو
شرف وعزّ لكم، وأنتم ونحن - إن شاء الله بخير - ما دمنا متمسكين بهذه
العقيدة، وإن شاء الله لن يأتينا إلا كل خير"^(٣).

(١) انظر: "كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين" ص: ٤، إعداد عبد الرحمن
ابن سليمان الرويشد، وانظر فيما سبق كتاب "عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد
بعقيدة السلف" د/ محمود دح - بتصرف.

(٢) الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، ولد في مدينة الرياض سنة ١٣٤٣هـ، تولى الحكم
بعد وفاة أخيه الملك فهد سنة ١٤٢٦هـ، كان ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس مجلس الوزراء
ورئيساً للحرس الوطني، ملك القلوب بعطفه وحبه للخير، أمدّ الله في عمره ومتعه
بالصحة وبارك في عمله وأيّده ونصره. (انظر ترجمته في "الموسوعة العربية العالمية":
٨٤، ٨٣/١٦).

(٣) من كلمة ارتجلها الملك عبد الله في استقباله لأمير منطقة المدينة المنورة سمو الأمير عبد العزيز
بن ماجد ووفد أهالي منطقة المدينة المنورة في ٢٥/٤/١٤٢٧هـ. (انظر: جريدة المدينة العدد
١٥٧٣٦ في ٢٦/٤/١٤٢٧هـ).

وقال - أيّده الله - : "أيها الإخوة المواطنين... سبق لي أن قلت وأكرر أمامكم الآن : إن هناك أمرين لا يمكن التساهل فيهما وهما شريعتنا الإسلامية ووحدة هذا الوطن..."^(١).

(١) من خطابه في حفل أهالي منطقة القصيم احتفاء بزيارته الكريمة للمنطقة في ١٩/٥/١٤٢٧هـ. (انظر: جريدة عكاظ، العدد (١٤٥٣٩) في ٢١/٥/١٤٢٧هـ).

المبحث الأول

عناية الملك سعود بالعقيدة من خلال بعض خطبه وأقواله

إن المتأمل في رسائل وأحاديث وخطب الملك سعود يتبين له بجلاء أنه - يرحمه الله - كان مقتنياً خطى والده العظيم الملك عبد العزيز - يرحمه الله - في ضرورة تبليغ كلمة الله والدعوة إلى الإسلام الصحيح والتمسك بكتاب الله - ﷻ - وسنة رسوله - ﷺ - وسيرة السلف الصالح، يوضح ذلك الملك سعود بقوله: "إننا منذ أن شأنا العناية الإلهية، والبيعة العامة، أن تؤول إلينا مقاليد الأمور، ما زلنا عاملين على تصريف شؤون البلاد مهتدين بكتاب الله وسنة رسوله والسلف الصالح، فهل هناك مبادئ ندين بها في علاقاتنا، وتحكم سلوكنا أسمى من الإسلام الذي يمثل الحق والعدل في أروع صورهما.

فنحن نتبع خطى منسئ المملكة جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - في إعلاء كلمة الحق والدين ونشر ألوية العدل بين الناس وتحقيق الأمن والاستقرار لهم، وتهئية أسباب الرفاهية والتقدم للبلاد في كافة الميادين"^(١). فمن الطبيعي أن نجد العناية البالغة من جلالة الملك سعود بأمور العقيدة والتمسك بها، والتركيز على أنها من الثوابت التي لا يمكن التفريط بها بأي

(١) من خطاب جلالته بمناسبة مرور (١٠) عشر سنوات على توليه الحكم في عام ١٣٨٣هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ٢٧٨/١.

حالٍ من الأحوال أو التهاون في شيء منها ، وأنها مصدر العزة والفلاح في الدنيا والآخرة.

وسنورد مقتطفات من أقواله الحكيمة التي تدل على شدة اهتمامه بأمور العقيدة وبالغ عنايته بها إيماناً وعملاً وتطبيقاً ودعوة إليها ودفاعاً عنها بالنفس والنفيس ، وتلك المقتطفات هي أمثلة ونماذج وشواهد من كلماته وخطبه - رحمه الله - وليس القصد الحصر والاستيعاب :

المطلب الأول: بيانه لأهمية العقيدة وأنها أساس كل شيء.

قال - رحمه الله - مبيناً أهمية العقيدة وأنها أعزّ وأغلى وأقوى ما يملكه الإنسان: "أيها الإخوان، إن مدينة الرسول ﷺ - لها في نفوسنا من الحب والحرمة ما لا تقوى عوادي الدهر على النيل منه ، فهو حب متصل بالعقيدة والروح ، والعقيدة أعزّ وأقوى ما يملكه الإنسان ، لقد اشتدّ ساعد الإسلام وانتشر في سائر الآفاق من هذه المدينة المنورة"^(١).

وقال - رحمه الله - موضحاً أن إخلاص العبادة لله هو أساس كل شيء: "يا إخواني ، النية الصالحة وعبادة الله والإخلاص له في السر والعلانية هو أساس كل شيء ، وقد عاهدنا الله أن دستورنا هو القرآن ، وشريعة نبينا محمد ﷺ - ، فأرجو - وأزمة الأمور بيده - أن يريني فيكم ما يسرني في دينكم ودنياكم ، وأن يحفظ هذا الدين الحنيف ، وأن نتكاتف على ما فيه صلاح ديننا ودنيانا ، وأن يهلك من فيه شر على الإسلام والمسلمين ، وأن

(١) من خطاب الملك سعود في الحفل الكبير الذي أقيم بمناسبة الانتهاء من عمارة المسجد النبوي الشريف في عام ١٣٧٥هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ٢١٣/١ ، - جمع ونشر دائرة الملك عبد العزيز.

يحمينا بالتوحيد، وأن يحفظنا بالقرآن ويهدينا لما فيه خير الدنيا والآخرة. والسلام عليكم" (١).

المطلب الثاني: حرصه على توضيح التوحيد والدعوة إليه.

لقد حرص الملك سعود على توضيح أهم أمور العقيدة السلفية ولبّ دعوتها ألا وهو توحيد الله - ﷻ - وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، فلا تمر مناسبة عامة - خصوصاً في خطابه لحجاج بيت الله من مشارق الأرض ومغاربها - إلا ويكون محور حديثه - رحمه الله - عن هذا الأمر العظيم الذي من أجله خلق الله الثقلين، قال الله - تعالى - : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦].

ومن أجله بعث الله الرسل والأنبياء قال الله - تعالى - : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذِبين﴾ [النحل : ٣٦].

لذا حرص الملك سعود على غرس التوحيد في قلوب شعبه فقال - رحمه الله - : "إن أول ما يهمننا جميعاً، هو الاعتصام بحبل الله المتين، وأن نتخذ من الوسائل في داخل بلادنا ما يمكن روح التوحيد الخالص في قلوب أفراد الشعب كافة، حتى يخلص الجميع العبادة لله وحده." (٢).

(١) من كلمته في حفل افتتاح المعاهد العلمية الجديدة في يوم الأحد ١٩/٤/١٣٧٨ هـ، المرجع السابق : ٢٣٦/١.

(٢) من خطابه في حفل افتتاح الدورة الأولى لمجلس الوزراء بالرياض عام ١٣٧٣ هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية" : ١٧٧/١، وتكرر ذلك في : ١٨٥/١.

وقال - رحمه الله - : "فإن سياستنا في ديننا أن نحافظ على كلمة التوحيد، ونعمل على بثها في ديارنا وفي أنحاء العالم بقدر ما نستطيع"^(١).
كما يدعو الملك سعود إخوانه المسلمين إلى التوحيد مبيناً لهم أنه دعوة الأنبياء والمرسلين، فقال مخاطباً حجاج بيت الله الحرام: "ولقد بعث الله رسله يدعوون البشر لعبادة ربنا، وإفراده - سبحانه - بالعبادة، فدعا إلى هذا إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -
لقد اعترف العرب بجاهليتهم أنه لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت إلا الله، ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

ولكن كانوا يشركون بعبادة ربهم، ويدعون معه غيره، فالفرق بين الإسلام والكفر، وبين من استجاب لدعوة رسول الله ومن خرج من شريعته هو إفراد الله في العبادة وحده، أو إشراك غيره معه، ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، وآيات القرآن الكريم التي تدعو إلى إفراد الله بالعبادة أكثر من أن تحصى.

إخواني المسلمين إنني في هذا الموقف في هذا الحج الأكبر أجدد الدعوة إلى عبادة الله وحده، وأدعوكم وأدعو المسلمين جميعاً للرجوع إلى دين الله، وتنظيف عقيدتنا من الشرك، وإخلاص العبادة لله وحده"^(٢).

(١) المرجع السابق: ٢٤٤/١.

(٢) المرجع السابق: ٢٠٦/١، وتكرر ذلك في مناسبات عديدة انظر: ٢٢٤/١، ٢٥٦.

ويوضح أن التوحيد يقتضي: "توحيد الله - سبحانه وتعالى - في أسمائه وصفاته وإلهيته ؛ لأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"^(١).

ويؤكد أن هذا التوحيد "هو الجوهر، هو روح الإسلام، وأساس الدعوة المحمدية التي شرف الله بها الأمة العربية لحملها ونشرها في مشارق الأرض ومغاربها"^(٢).

المطلب الثالث: تحذيره من الشرك والبدعة.

لما كان التوحيد والشرك نقيضان لا يجتمعان، وكانت البدعة طريقاً وبريداً للشرك، قال - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] حرص الملك سعود - يرحمه الله - على التحذير من الشرك والبدعة، ومن أقواله في ذلك: "فإذا ما حققنا هذا الركن الركين من توحيد الله - سبحانه وتعالى - في أسمائه وصفاته وألوهيته نجونا، وإن اتبعنا هوى الشيطان في ابتداع ما ابتدعه المبتدعون من دعاء شجر أو حجر أو رمم بالية، فقد ضللنا سواء السبيل وخالفنا الهدى الذي بعث الله به رسله"^(٣).

(١) نشرة أخبار المملكة العربية السعودية، العدد (٥٩٢) في ١٣٧٧/٩/٢ هـ، نقلاً من "تاريخ الملك سعود": ٢٧١/١.

(٢) انظر: "الخطب الملكية" ٢٢٤/١، من خطابه إلى الحجاج في عرفات حج عام ١٣٧٥ هـ.

(٣) انظر: نشرة أخبار المملكة العربية السعودية، العدد (٥٩٢) في ١٣٧٧/٩/٢ هـ، نقلاً من "تاريخ الملك سعود": ٢٧٢/١.

وقال - أيضاً - : "إخواني ، لقد أتيتم من ديار بعيدة وتجشتمتم مشقة السفر إلى هذا البيت العتيق ، فأدعوكم ونفسي أن نتوجه إلى الله بقلوب صادقة تائبين من ذنوبنا ، مخلصين العبادة لله وحده ، تاركين دعاء غيره أو التوسل بغيره ، ﴿يَاكَ تَبَدُّوْا يَاكَ نَسْتَعِيْثُ﴾ [الفاتحة : ٥] وأن نعقد العزم بعد ذلك على أن نبتعد عن هذه المذاهب المبتدعة في الدين والاجتماع ، ونرجع للمذهب الذي أنزله رب السماء ، الذي ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيْنَ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر : ١٩] ، على نبينا محمد - ﷺ - ، ففي ذلك الخير كله" (١) .

وقال : "كلنا يعلم المساعي المبذولة بأساليب شيطانية للقضاء على هذه الروح الإسلامية بمبادئ وبدع وضلالات زخرفوها للناس ؛ ليجتذبوا بها عقولاً عميت عن الهدى ، ولقد بعد الناس عن الهدى وتفرق المسلمون قبائل وشيعاً ، ولكنه ما دام هذا القرآن بين أيدينا وسنة رسوله واضحة فلن يعدم ذلك أن تقوم فئة بنصرة الحق ونشر مبادئه ، والدعوة إلى جمع كلمة المسلمين في صعيد واحد" (٢) .

ودعا ربه قائلاً : "وأسأل الله أن يثبتنا على دينه ، وأن يأخذ بنواصينا إلى الإيمان الصادق ، ويحجزنا عما نهانا عنه من شرك أو ضلال أو بدعة" (٣) .

(١) انظر : "مختارات من الخطب الملكية" : ٢٠٦/١ .

(٢) المرجع السابق : ٢٦٣/١ ، من خطابه في الحفل السنوي الكبير للحجاج عام ١٣٨٠هـ .

(٣) المرجع السابق : ٢٥٣/١ ، من خطابه في الحفل السنوي الكبير للحجاج عام ١٣٧٩هـ .

المطلب الرابع :

بيانه أن هذه الدولة قامت على أساس العقيدة

والدعوة إلى الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح

قال الملك سعود في خطابه الملكي لشعبه بمناسبة توليه مقاليد الحكم في ١٣٧٣/٣/٦ هـ: "شعبي الكريم، أما وقد قضت عليّ البيعة الشرعية التي في عنقي، أن أرتقي الملك، وأتقلد مسؤولية الحكم؛ فإنني سأجعل نصب عيني سيرة والدنا المغفور له، وآراءه ومزاياه المجيدة في إدارة البلاد وتصريف شؤونها، متبعاً أحكام الدين المبين، معتصماً بحبل المتين. وأعاهد الله بالتمسك بكتابه الكريم، وسنة رسوله - ﷺ -، وسأكافح دونهما بلساني وعناني، باذلاً قصارى جهدي في إسعاد شعبي العزيز ورفاهيته، والعمل على رقي البلاد سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، ساهراً على مصالح البلاد، وتأمين حقوق أبنائها، مذكلاً كل عقبة تعترض سيرنا في هذا السبيل"^(١).

وأكد ذلك بعد مرور سنة على توليه الحكم في خطابه لشعبه في عام ١٣٧٤ هـ، فقال: "الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه. وبعد، فقد تولينا حكم المملكة العربية السعودية منذ سنة كاملة، معتزين بهذا التراث المجيد الذي ورثناه كابراً عن كابر، والذي أسس على تقوى الله وطاعته. دستوره القرآن الكريم، وعماده سنة محمد - ﷺ -، فعلى أسسه نحن ماضون، وعلى دستوره نحن ثابتون بحول الله وقوته"^(٢).

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١٧١/١، ١٧٢.

(٢) المرجع السابق: ١٩٦/١.

وقال في البيان الذي ألقاه في افتتاح أول جلسة لمجلس الوزراء: "إنكم تدركون ولا شك أن الدعامة الأولى التي يقوم عليها كياننا هي تمسكنا بتعاليم ديننا الحنيف وسنة نبينا محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - وعروبتنا المجيدة"^(١).

كما أوضح جلالته - رحمه الله - أن المملكة لا قوام لها ولا عزّ لها إلا بالدعوة والعقيدة السلفية فقال: "إن المدرسة السلفية التي أسست في بلجرشي من قبل ناصر بن مغرم ومحمد بن جماح، والتي مناهجها تعليم الدين الإسلامي والعقيدة السلفية، وإفهام الناس الحق من الباطل، واجتناب ما حرم الله وتحليل ما أحل الله..... وبعد زيارتنا لهذه المنطقة وتفقدنا لهذه المدرسة، رأينا ما سرنا من أساتذتها وطلابها مما تحلوا به من العقيدة الصالحة والدعوة إلى الله، وإقبال الناس على هذه المبادئ الشريفة السليمة، التي نرجو أن تزداد وتمتد إلى جميع أنحاء المملكة، التي لا قوام لها ولا عزّ لها إلا بهذه الدعوة والعقيدة الصالحة، والعمل بكتاب الله وشرعية نبيه - ﷺ - ، وتحليل ما أحل الله وتحريم ما حرّم الله"^(٢).

(١) انظر: "عهد الملك سعود": ٢٤٧/٣، - أمين سعيد.

(٢) انظر: أم القرى، العدد (١٥٧٢) في ١٨/١١/١٣٧٤هـ، نقلاً من "تاريخ الملك سعود":

المطلب الخامس :

بيانه أن ما تحقق لهذه الدولة من نعم كثيرة فمرده إلى التمسك بكتاب الله
وسنة رسوله وهدى السلف الصالح

إن الإيمان الصادق للملك سعود - يرحمه الله - بالإسلام والتمسك به
يبرزه إعلانه أن ما تحقق لبلاده من الأمن والخير فمرده إلى التمسك بهذا الدين
فقال :

"إن من دواعي سروري أن أتحدث إليكم بمناسبة انسلاخ العام الرابع من
تولينا مقاليد الأمور في بلادنا العزيزة - شاكرين المولى - ﷺ - على ما
أولانا من نعم جزيلة في هذه الحقبة من الزمن ، وعلى ما وفقنا إليه فيها من
أعمال شاملة رفعت مستوى المعيشة داخل البلاد ، وأحلت مملكتنا المكانة
اللائقة بها في الخارج. وما كان هذا ليتحقق لنا لولا تمسكنا بأهداب الدين
الحنيف ، كما فعل آبائنا من قبل ، وجعلنا كتاب الله دستورنا ، وسنة رسوله
- ﷺ - سبيلنا الممهد وهدفنا المسدد منهما نستمد الهداية من الله العزيز
القدير ، وبالمحافظة على شريعتهما وشعائرهما ، ونرجو الخير والسلامة في
الدارين" (١).

ويقول متحدثاً بما أنعم عليه وعلى بلاده من الخير ، ويدعو إخوانه
المسلمين إلى التمسك بأحكام الشريعة :

"إن الأمن والسلامة الذي يرفرف على بلادي ، لم يكن إلا نتيجة لطاعة
الله والسير على هدي كتابه وسنة نبيه الكريم ، والتمسك بأحكام الشريعة

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية" : ٢٢٧/١.

وأوامر الله. وإني لوثق الأمل بأن مندوبيكم بالجمعية الدستورية سيعملون على وضع دستور لباكستان قوامه تعاليم القرآن الكريم، وأحكام الشريعة الإسلامية، وذلك مما سيجعل طريقكم سهلاً ميسوراً، ويجنبكم المتاعب الاجتماعية والاقتصادية ويحل مشكلاتها"^(١).

كما يُذكرُ جلالته إخوانه المواطنين بما هم عليه من النعم بسبب التمسك بالكتاب والسنة وتنفيذ الشريعة مقارنة بالأمس وبالعير، فقال - رحمه الله - :

"وما هي إلا نظرة عابرة ليرى الإنسان الفروق الهائلة التي تقوم بين حاضرتنا اليوم وماضينا بالأمس، من رفاهية وأمن ووفر في المال وصحة في الأبدان مما لا ينكره إلا ذو غرض، ولا يجهله إلا ذو جهالة.

وإن من يلقي نظرة إلى عالمنا المضطرب وما تجري فيه كل يوم من أحداث جسام من تقويض للمبادئ السامية، وتهديم للنظم المألوفة، وتجاهل للقيم الإنسانية، فيقابل ذلك فيما نحن عليه من مجبوحة في العيش، ورضى بما يحيط بنا من رفاهية ونمو في جميع وسائل حياتنا، وتأخ فيما بيننا وبين الناس، ليقدر حق التقدير ما نحن فيه من نعم جزيلة، لم تكن لتحصل لنا لولا تمسكنا بكتاب الله وسنة رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - ، وتنفيذنا للشريعة الغراء.

ونحن - بحول الله وقوته - باقون في هذا النمو والتقدم ما دام هذا دستورنا وتلك شريعتنا"^(٢).

(١) من خطبة ألقاها جلالته في أثناء زيارته لباكستان، انظر: "عهد الملك سعود": ٤٧/٣،

أمين سعيد، تاريخ الملك سعود: ٤٦٣/١.

(٢) من كلمته إلى المواطنين في عام ١٣٧٩هـ. انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ٢٥٠/١ -

المطلب السادس

التزامه بالدعوة إلى الإسلام

لقد أعلن الملك سعود - رحمه الله - التزامه بالدعوة إلى الإسلام صراحة فقال :

"فنحن نعلن على رؤوس الأشهاد أننا لسنا ملوكاً فحسب ، بل نحن دعاة لهذا الدين ، ونعاهد الله أن نعزّ دعوة الدين بأموالنا وسيوفنا وأنفسنا ، فسيروا على بركة الله ، ونحن أمامكم ووراء ظهوركم ، ففي الحديث " إن عرض بلاء بنفسك فافد بمالك دون نفسك ، فإن تجاوز البلاء فافد بنفسك دون دينك " (١) . وأوضح - رحمه الله - أن ذلك من فضل الله عليه في اتباع سنة الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى فقال : " وإني أذكر فضل الله عليّ وعليكم أن جعلني من السلالة التي تدعو إلى الله ، متبعاً في ذلك سنة أبينا إبراهيم - عليه السلام - ، وسنة الأنبياء من بعده - عليهم السلام - ، وسنة نبينا محمد - ﷺ - ، وخلفائه الراشدين في الدعوة إلى الله ، وعلى الأخص في هذا الموسم العظيم . كذلك كانت سنة آبائي الذين شرفهم الله بخدمة الدين وهذا البلد الأمين " (٢) .

كما بين منهجه - رحمه الله - في الدعوة فقال : " إن أهدافنا في سياستنا الداخلية وسياستنا الخارجية ، هي المبادئ التي جاء بها الإسلام ، لا أهداف لنا غيرها ، عليها نسير ، وإليها ندعو ، لا نبتغي بها بديلاً لأنها كفلت لنا سعادة

(١) انظر : "مختارات من الخطب الملكية" : ٢٣٥/١ .

والحديث أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان" : ٣٥٨/٢ (٢٠٣٢) ، وقال : "عبد القدوس ابن حبيب الشامي هذا ضعيف مرة وقد أخطأ في إسناد هذا المتن إن لم يتعده والله أعلم" .

(٢) المرجع السابق : ٢٠٥/١ .

الدنيا والآخرة، ولا نسمح أن يكون في بلادنا غير مبادئ الإسلام، وندعو إليها في خارج بلادنا، وكما أمر الله بالحكمة والموعظة الحسنة لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى، لا انفصام لها والله سميع عليم، هذه مبادئنا، وهذه أهدافنا، لا مبادئ لنا سواها ولا أهداف لنا غيرها^(١).

(١) من كلمته أمام هيئة الوزارة الجديدة في ١٠/٩/١٣٨٠هـ، انظر: "عهد الملك سعود": ٢٥٣/٣، آمين سعيد.

المطلب السابع:

بيانه أن الإسلام جاء بالمبادئ السامية التي كفلت للبشرية خيري الدنيا والآخرة

قال الملك سعود في خطابه إلى العالم الإسلامي بمناسبة شهر رمضان المبارك لعام ١٣٧٨ هـ: "إخواني، لقد جاءنا الإسلام بأعلى المبادئ الدينية من التوحيد الخالص، وبأعلى المبادئ الاجتماعية التي تكفل للبشر سعادتهم وهناءهم، كما رسم لنا أوضح المناهج والسبل في كل أمر نحتاج إليه لسعادتنا في دنيانا وأخرانا، وكلنا يعلم ما لقيت هذه الدعوة الإسلامية من النجاح حتى دان لها نحو نصف الأرض في أقل من عشرين عاماً، وعاش الناس في ظلالها في عدل ورخاء وهناء، لا يعرف البشر مثله في عصر من عصور التاريخ"^(١).

وقال - يرحمه الله - : "إخواني، إنه لا يوجد أي مبدأ من المبادئ السامية العالية الكفيلة بسعادة البشر لم يكفلها ديننا، من أجل ذلك رضىنا بالله رباً، وبمحمد - صلوات الله وسلامه عليه - نبياً ورسولاً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن دستوراً، لا دستور لنا سواه، ولا هدي لنا إلا هدي نبينا - صلوات الله وسلامه عليه - . انظروا ما فعل الإسلام بمتبعيه، قال: "بعثت للأسود والأحمر"^(٢)، وبلال الحبشي وصهيب الرومي لهما من الحقوق وعليها من الواجبات ما لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ٢٣٧/١، ١٣٨.

(٢) رواه أحمد: ١٤٧/٥ (٢١٣٥٢)، والدارمي: ٢٩٥/٢ (٢٤٦٧)، وابن حبان:

٣٧٥/١٤ (٦٤٦٢) من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - بلفظ ((بعثت إلى الأحمر والأسود)).

وقال - أيضاً - مؤكداً أن كتاب الله والشرعة المطهرة كفلت خيري الدنيا والآخرة:

"كما أجدد في هذا الموقف وفي كل موقف الدعوة للعمل بكتاب الله وبالشرعة المطهرة التي جاءتنا من عند الله، والتي كفلت لنا خيري الدنيا والآخرة، ورسمت لنا سياستنا الدينية والاقتصادية والاجتماعية بما عجزت، وستعجز عنه في الحاضر والمستقبل، أفكار فلاسفة العالم وعلمائه، فأبي مبادئ يمكن أن تكون أعلى وأرقى من العدالة التي أعلنها رسول الله - ﷺ - في حجة الوداع؟ فقد أخرج ابن مردويه والبيهقي عن جابر بن عبد الله قال: خطبنا رسول الله - ﷺ - في وسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: " لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟، قالوا: بلى يا رسول الله! قال: فليبلغ الشاهد الغائب" (١).

(١) انظر: المرجع السابق: ٢٠٦/١، ٢٠٧.

والحديث رواه البيهقي في "شعب الإيمان": ٢٨٩/٤ (٥١٣٧)، وقال: "في إسناده بعض من يجهل"، ورواه أحمد: ٤١١/٥ (٢٣٥٣٦) من حديث أبي نضرة - ﷺ - ، وقال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح". (مجمع الزوائد: ٢٦٦/٣)

المطلب الثامن

إدراكه لمكائد الأعداء ومخططاتهم في محاربة الدعوة والكيد للمسلمين
وبيانه كيفية مواجهتهم وإبطال مكائدهم

لقد كان الملك سعود مدركاً لما يحاك للإسلام وأهله من مكائد ومخططات ، فكان حريصاً على تحذير مواطنيه وإخوانه المسلمين وتوعيتهم من تلك المكائد والمخاطر ، فقال - رحمه الله - : "إخواني المسلمين ممن حضر مجلسنا هذا ومن غاب عنا ، إنه مما يحز في نفسي أن أشعر أن الإسلام بدأ يكون غريباً في مواطن كثيرة ، فإذا لم يتنبه المسلمون لما يراد بهم من إفساد دينهم وعقائدهم فالخطر محيط بهم وبنا لا محالة ، إلا إن يشاء الله ، أقول هذا قول عالم بما هناك ، وبما يدس في الأقطار والمسالك من تشكيك الناس في دينهم ، وتزيين شياطين الإنس مبادئ اختلقوها وأسماء أسموها ما أنزل الله بها من سلطان ؛ ليشككوا الناس في شريعتهم التي شرعها الله في كتابه ، وعلى لسان نبيه ، وليظهروا للناس أن شرع الله ناقص لا يكفي لكل زمان ومكان : ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَمَا أَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم : ٢٣].

إخواني ، إن حبائل الاستعمار كحبائل الشيطان وجنود الاستعمار كجنود الشيطان ، إذا سدّ عليهم باب سلكوا باباً آخر ، فإن أعيتهم قواهم عن الوصول لأغراضهم من هدم الإسلام ومبادئه ، راحوا يكيدون له بأساليب وطرق تكاد تعجز إبليس وجنوده ، فإذا عجزوا عن الفساد أخذوا للوقعة بين المسلمين والفرقة بينهم بطرق شتى ، فإذا لم يتنبه المسلمون لما يراد بهم ذهبت ريحهم وضاعوا في هذه الدنيا ، وكانوا أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام ،

والضر واقع بهم دنيا وآخرة، إن الله في غنى عن سائر المخلوقات فهو الغني ونحن الفقراء ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ جَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨] ^(١).

وبين بعض أساليب الأعداء في محاربة الدعوة إلى الله والكيد للمسلمين فقال: "ولقد كان من المبادئ الرئيسة التي هدفنا إليها عندما حصل التفكير في تأسيس المؤتمر الإسلامي تنظيم الدعوة إلى الله، ونشر التعاليم الدينية، ومبادئ الإسلام الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية، ونرجو من الله أن يوفقنا وإياكم لنشر دعوته والعمل بكتابه، وإنه غير خاف أنه ليس من السهل على أعداء العرب والمسلمين أن يروا طائفة من المسلمين على هذا المنهج في الدعوة إلى الله والعمل بكتاب الله، ولما لم يجدوا سبيلاً لصددهم عن ذلك لم يروا إلا استعمال الحيل والمكر وأساليب مختلفة، وطرق متعددة أحياناً بالعمل لإفساد جامعة العرب، وأحياناً بالطعن علينا في ديننا، وأحياناً بنشر الأكاذيب والدعايات، وأحياناً بالتفرقة بين صفوف العرب والمسلمين ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وسنكون - بحول الله وقوته - مصداقاً لقوله - تعالى -: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَتَبْلُوا أَلْبَابَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] ^(٢).

(١) من خطابه للحجاج في عام ١٣٧٨هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ٢٤٣/١، ٢٤٤.

(٢) انظر: المرجع السابق: ٢٠٧/١.

وقال - رحمه الله - : "يا إخواني، الظروف كما تعلمون، وتيار الفساد كما تعلمون، والملحدون يحيطون بكم من كل جانب، يريدون هدم هذا الدين الحنيف لكننا لا والله، سنقاتل عن ديننا بأنفسنا وأموالنا وأولادنا، حتى نقتل شهداء في سبيل الله" (١).

كما يوضح جلالته - رحمه الله - كيفية مواجهة الأعداء، فقال: "وإن المتتبع لتاريخ الدعوة الإسلامية ليرى الجهود المتنوعة التي بذلت لطمس معالم تلك المبادئ، وهدم أسسها الراسخة، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وليس في مبادئ الإسلام وأسسها إلا ما يجعل المسلم في أعلى الدرجات وأسمائها، ولكن بعد المسلمين عن فهم حقيقة دينهم أحدث الفجوات في صفوفهم، وأخلى المجال لمن يعملون على تغطية نور الشمس بسحب الشكوك. وإذا رجع المسلمون إلى كتابهم وسنة رسولهم وسيرة الخلفاء الراشدين، وجدوا فيها الرائد الراشد، لبلوغ أسمى الغايات في التوحيد الخالص وفي حياتهم الاجتماعية ورفع مستواهم، ولجعلهم الأعلين في كل مكان.

إخواني، كل ما أدعو إليه هو الرجوع لكتاب الله وسنة رسوله وسنة خلفائه الراشدين، نقضي آثارهم، ونهتدي بهديهم، وتناصح فيما بيننا للعمل لذلك، سائلين الله أن يلهمنا رشدنا وأن يقينا شر البطر والأشر، وأن

(١) انظر: المرجع السابق: ٢٣٦/١.

يَمِّنَ عَلَيْنَا بِعَفْوِهِ وَرِضْوَانِهِ ، وَيَعِينُنَا عَلَى صِيَامِ هَذَا الشَّهْرِ الْفَضِيلِ وَقِيَامِهِ ، وَأَنْ يَجْعَلَ عَمَلَنَا خَالِصاً مُخْلِصاً لَوَجْهِهِ ، حَتَّى نَفُوزَ بِرِضْوَانِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" (١) .

ويرسم خطة الدفاع لمكائد الأعداء وسبيل النجاة من مخططاتهم فقال -
رحمه الله- : "... ولا يمكن حفظ كيان أو دفاع عدو إلا بالتمسك بدين الله وبأحكام كتابه وسنة رسوله ﷺ... فإن قمنا بهذا قولاً ونطقاً باللسان وعملاً بالأركان وعقيدة بالجنان ، فقد أدينا الرسالة وحصلت لنا المنعة وكافحنا العدو بالسلاح القوي... ألا وهو السلاح الرباني الذي لا يعادله أي سلاح أو أي قوة... قال الله في كتابه الكريم : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج : ٣٨]... فإذا دافعنا عن دينه دافع عنا... وإذا أهملناه أو تكلمنا بمجرد كلام وتمنٍّ ، فهذا لا ينفعنا شيئاً ، كما في الحديث " إن الله لا ينظر إلى صوركهم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (٢) ... فنرجو أن نكون ممن قال واعتقد بقلبه وصدقته أعماله... والذي أوصي به نفسي وشعبي هو تقوى الله سبحانه وتعالى في السر والعلانية والميسرة والعسرة... والاعتصام بدين الله... وتطبيق سنة رسول الله - ﷺ - ... وعدم الميل إلى ما يخل بالدين وبتقاليد الإسلام ومبادئنا العربية الشريفة التي يؤيدها الإسلام ، فإن عملنا بهذا نجحنا في أمر ديننا ودنيانا وإن تركناه - لا سمح الله - فما أهوننا على الله... كما قال الله في كتابه العزيز : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ**

(١) انظر: المرجع السابق : ٢٣٨/١ .

(٢) رواه مسلم : ١٩٨٧/٤ (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة - ﷺ - .

دُونِهِ مِنْ وَالِي ﴿الرعد: ١١﴾... وهذا لا يمنع عن اتخاذ كل قوة في البلاد عسكرياً
أو مادياً أو معنوياً... وكل ما فيه رقي للبلاد والنهوض بها في شتى مرافق الحياة
التي لا تتعارض مع الدين الإسلامي^(١).

(١) جريدة أم القرى، العدد (١٥٧٢) في ١٨/١١/١٣٧٤هـ، نقلاً من "تاريخ الملك سعود":
٢٧٩/١، ٢٨٠.

المطلب التاسع:

يقينه وبيانه أن التمسك بالعقيدة أهم أسباب العز والكرامة، وأن التفريط فيها من أعظم أسباب الفرقة والهزيمة

قال الملك سعود: "إخواني، لا يزال المسلمون بخير ما تواصلوا بينهم وتناصحوا بالبر والتقوى، وما أصابهم من غلبة عدوهم لهم إلا حين نسوا وتناسوا ما جاءهم به نبينا - صلوات الله وسلامه عليه - إن التوحيد الخالص وجمع كلمتنا عليه هو الجامع الذي يجمعنا للجهاد في سبيله، وهو الذي يوحد صفوفنا، ويرفع من شأننا، وقد كتب الله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فإذا عقدنا العزم في قلوبنا على الإيمان بالله، وعبدناه حق عبادته، وتناصحنا بالتآخي بيننا، أمكننا الوصول إلى أهدافنا التي نسعى إليها من السعادة في الدنيا والآخرة"^(١).

وقال أيضاً: "إن المسلمين لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه يوم قادوا أمم الدنيا ونشروا العدل والسلام والحق بين الشعوب إلا بالعقيدة والصدق والإخلاص ونكران الذات والتضحية في سبيل توحيد كلمة المسلمين، وهذه وصيتي لنفسي ولإخواني المسلمين في كل مكان، وعليها تقوم أسس كل نهضة وتقدم ونجاح، فليكن شعارنا وشعاركم، وهدفنا وهدفكم في السر والعلن، وفي السراء والضراء"^(٢).

(١) من خطابه إلى المسلمين في موسم الحج لعام ١٣٧٧هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ٢٣٢/١، ٢٣٣.

(٢) راجع: "كتاب رحلات في ميادين العمل والجهاد" ص: ٣٧٣، فؤاد شاكر، نقلاً من "تاريخ الملك سعود": ٢٦٩/١، ٢٧٠.

ولقد بيّن جلّالته أسباب الهزيمة والتخلف والفرقة التي أصابت المسلمين وأوضح طريق العز والكرامة بقوله: "والذي أوصيكم به ونفسي، تقوى الله - سبحانه وتعالى - في السر والعلانية، وتحليل ما أحله الله وجاء في سنة نبيه محمد - ﷺ - ، وتحريم ما حرّم. وليس بخاف على أحد منكم ما أصاب المسلمين وحلّ بهم، ولا شكّ عندي أن ذلك كان بسبب تخليهم عن مبادئهم الدينية، وأعظم هذه المبادئ هو التمسك بكتاب الله وسنة نبيه، واعتقاد ما اعتقده السلف الصالح الذين تعرفون ماضيهم، وقد نالوا العز والكرامة، وما ذاك إلا بقوة إيمانهم، ومحافظتهم على شرائع الإسلام وشعائره، فنالوا ما نالوا من النصر والتأييد بهذا السبب، وهذا المبدأ الشريف. فعليكم - أيها المسلمون - بالرجوع إلى الله في سرّكم وعلانياتكم، وتحليل ما أحلّ الله وتحريم ما حرّم، والصدق فيما بينكم، وصفاء القلوب بعضكم لبعض، وتوحيد كلمتكم، وجمع صفوفكم في هذا الجو المكفهر الذي حير كل عاقل من تعقده"^(١).

كما أكدّه بقوله - أيضاً - : "أجل، لن يتم لنا جميعاً النهوض الحقيقي إلا بالرجوع إلى تعاليم ديننا الحنيف وتفهم مبادئه الحكيمة وأساسه القويمة وأوامره السامية. وفي كتاب الله العزيز نبراس يضيء لنا معالم الطريق مهما ادلهمت الخطوب، وتكالبت الأزمات، ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَلَنَفَسَنُوا فَهَيْبُوا وَيَنْتَهُوا﴾" (١) نداء من جلالة الملك إلى المسلمين بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك في عام ١٣٧٣هـ، انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١٨٢/١.

يَذْكُرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيْسَ يُرَبِّدُ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [الحج : ٤٠].^(١)

وقال الملك سعود - رحمه الله - متحدثاً بنعم الله الكثيرة على بلاده بسبب المحافظة على الإسلام والعقيدة السلفية ، ومحذراً من إزالة النعم وجلب النقم بسبب ضياع الدين والأخلاق : "بمناسبة قرب حلول شهر رمضان المبارك ، وبما أنعم الله علينا من نعمة الإسلام وتحكيم الشريعة المحمدية ، وشرف التمسك بها ، مضافاً إلى ذلك ما أسداه الله علينا من النعم الغزيرة من الأمن والطمأنينة ورغد العيش وعافية الأبدان ، كل هذه يا إخواني نعم عظيمة ومنن من الله جسيمة ، نلتفت إلى من حولنا ونرى كل ما ذكرناه معدوماً ، وذلك من عدم مبالاتهم بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه محمد - ﷺ - مع أنهم أقوى منكم عدة ، وأكثر عدداً ، ولكن أنتم أقوى منهم ليس بجهودكم ولا بعددكم إنما ذلك بتمسككم بدين الإسلام ، والعمل بشرائعه والمحافظة على شعائره .

فإن استقمتم على هذا ، وعلم الله من نيتكم المحافظة على دين الإسلام والعقيدة السلفية ، والتمسك بأداب القرآن والسنة وتحليل ما حللاه ، وتحريم ما حرماه ، وصرفتم جهودكم في هذا ، وفيما يصلح الله به أحوالكم في هذه الحياة مما أحله من الحلال ، وصرفتم أنظاركم عن كل أمر يغضب الله عليكم ويضيع مبادئكم الديني والخلقي ، فماذا تريدون يا إخواني غير ما أنتم فيه من العز والكرامة والاستقلال التام ، دستوركم فيه القرآن . هذا - والله - هو

(١) المرجع السابق : ١/ ٢٣٠ ، ١٣١ .

الشرف ، وهو العصمة لمن أراد العصمة. أما ما يضيع الدين ولا ينطبق مع المبادئ الإسلامية والمثل العليا للأخلاق العربية ، فإن ذلك هلاك وذلّ في الدنيا والآخرة وذهاب الأمم ، لأن الأمة أخلاق ، إذا ذهبت أخلاقهم ذهبوا. وتعرفون أنه ما حلّ بغيركم ما حلّ بهم إلا بسبب انتهاكهم حرّيات الله ، وإضاعتهم دينهم وأخلاقهم. فالذي أوصيكم به ونفسي تقوى الله - سبحانه وتعالى - في السر والعلانية ، والاعتراف بالنعم الجليلة ، وما أسداه على هذه البلاد من النعم الكثيرة ، فلا تكونوا سبباً لإزالة هذه النعم وغضب الله وجلب النقم. فأنا - بحول الله وقوته - سأمضي قدماً إلى ما فيه عزّ هذا الدين الحنيف ، وإقامة شعائر الإسلام ، والضرب على يد كل من تزين له نفسه شيئاً من الإخلال بهذا الدين أو مقدسات المسلمين." (١).

(١) نصيحة جلالة الملك سعود إلى جميع المسلمين بمناسبة إقبال شهر رمضان المبارك لعام ١٣٧٥هـ ، المرجع السابق: ٢١٥/١ ، ٢١٦.

المبحث الثاني

عناية الملك سعود بالعقيدة السلفية من خلال بعض أعماله

لقد أكرم الله الملك سعود - رحمه الله - ومنّ عليه بإيمان راسخ بعقيدة سلفية، وسجايا حميدة، وصفات قيادية، مكنته - بتوفيق الله وعونه - من القيام بإنجازات عظيمة وأعمال جليلة في داخل المملكة وخارجها، ومن أبرزها: توسعة المسجد الحرام، وتوسعة المسجد النبوي الشريف، وعمارة المسجد الأقصى، وإصدار الكثير من أنظمة الدولة ومن أهمها: نظام مجلس الوزراء، إلغاء الرق، إنشاء العديد من الوزارات كوزارة المعارف، ووزارة الإعلام، ووزارة البترول والثروة المعدنية، وغيرها، وتوثيق أواصر المحبة والتعاون مع كافة الشعوب وخاصة الدول الإسلامية، ومناصرة القضية الفلسطينية ووقوفه إلى جوار الجزائر في نضالها ومساندته لتونس وغير ذلك من الأعمال والمنجزات الحضارية.

وسيطول بنا الحديث عن تلك المنجزات والأعمال الكثيرة، ولكن حسبنا أن نشير إلى بعض تلك الإنجازات والأعمال التي لها صلة مباشرة بموضوعنا، وهو العناية بالعقيدة السلفية، وهي كالتالي:

المطلب الأول: العناية بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

أولاً: القرآن الكريم - المصدر الأول للعقيدة - :

إن القرآن الكريم مصدر العقيدة ومنبعها، ودستور الأمة وقودتها ومصدر هدايتها وتشريعاتها، قال - تعالى - : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩].

فالقرآن الكريم مشتمل على بيان العقيدة الصحيحة وتجليتها، والناظر فيه يجد أن معانيه - كما قال الإمام ابن القيم - : "دائرة على التوحيد وبراهينه، وعلى الإيمان بالرسول، وذكر براهين صدقهم وأدلة صحة نبوتهم، والتعريف بحقوقهم، وحقوق مرسلهم، وعلى الإيمان بملائكته، وهم رسله في خلقه وأمره، وتدريبهم الأمور بإذنه ومشيتته، وما جعلوا عليه من أمر العلم العلوي والسفلي...، وعلى الإيمان باليوم الآخر، وما أعد الله فيه لأولياته من دار النعيم المطلق التي لا يشعرون فيها بألم ولا نكد ولا تنغيص، وما أعد لأعدائه من دار العقاب الوبيل التي لا يخالطها سرور ولا رخاء، ولا راحة ولا فرح، وفصل ذلك أتم تفصيل وأبينه، كما اشتمل على تفاصيل الأمر والنهي والشرع والقدر، والحلال والحرام، والمواظب والعبر، والقصص والأمثال، والأسباب والحكم، والمبادئ والغايات في خلقه وأمره"^(١).

لذا، كانت العناية بالقرآن الكريم من أولويات الملك سعود - رحمه الله - واهتماماته، فكان يعلن تمسكه بالقرآن الكريم والسنة المطهرة والعمل

(١) انظر: "مدارج السالكين" : ٤٥٢/١.

بهما في خطبه وكلماته ، ويكرره دائماً - ومن ذلك قوله في خطابه الموجه إلى المواطنين : "وجعلنا كتاب الله دستورنا ، وسنة رسوله سبيلنا الممهّد وهدفنا المسدد منهما ، نستمدّ الهداية من الله العزيز القدير ، وبالمحافظة على شريعتهما وشعائرهما ، ونرجو الخير والسلامة في الدارين"^(١).

وقال الملك سعود في خطابه إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٣٨١هـ : "إخواني بين أيدينا وأيديكم ، بين صدورنا وصدوركم كتاب الله الذي أنزل على رسوله محمد - عليه الصلاة والسلام - ، فليكن كتاب الله وما جاء فيه دستورنا نعمل به ونسير في هداه ، فيرفع من شأننا ويقوي في عزيمتنا ، ويوحد بين قلوبنا وينظم من شؤوننا. ولا خير في أمة بين أيديها كتاب الله وسنة رسوله ، ولا تعمل بهما ، ولا تسير طبقاً لما جاء به. نادى القرآن بالحق ونحن نريد الحق ، نادى القرآن بالعدل ونحن نريد العدل ، نادى القرآن بالوحدة بين المؤمنين ونحن نريد الوحدة مع المؤمنين"^(٢).

ومن مظاهر عناية الملك سعود بالقرآن الكريم نذكر ما يأتي :
- إصداره مرسوماً ملكياً رقم : (٢٧٤/٣/٢) يدعو فيه الملك سعود رعيته إلى الاهتمام بحفظ كتاب الله - ﷻ - والحرص على تلاوته بالتجويد والضبط ، والتشجيع على ذلك بالمكافآت المادية والمعنوية ، ونص المرسوم الملكي كالتالي^(٣) :

(١) انظر : "مختارات من الخطب الملكية" : ٢٢٧/١ .

(٢) انظر المرجع السابق : ٢٧٣/١ .

(٣) انظر : "تاريخ الملك سعود" : ٢٩٧/١ - ٢٩٩ ، ١٣٧/٣ - ١٤٠ ، د/ سلمان آل سعود .

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود بن عبد العزيز إلى من يراه من رعايانا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فكلنا يعلم أن كتاب الله القرآن الكريم العظيم المنزل على رسوله الكريم هو قدوتنا، وهو الهدى والنور الذي أنزله الله على رسوله ليكون للناس بشيراً ونذيراً، وقد تداوله أصحاب رسول الله - ﷺ - بالحفظ والمدارسة، وتبعهم السلف الصالح ومن بعدهم. فمن أثار الله بصيرته رغبه في كتابه.

وقد رأينا انغماس الناس بالدنيا وإعراض الكثيرين عن مدارس هذا الكتاب الكريم، حتى قلّ حفظ القرآن، ويخشى أن يتمادى الناس في هذا التغافل؛ ولذلك رأينا أن ندعو أبناء رعايتنا إلى الاهتمام بهذا الكتاب وحفظه عن ظهر قلب، ومن أجل ذلك أمرنا بما هو آت :

أولاً: تعيين جائزة ألفي ريال لكل شخص يحفظ القرآن عن ظهر قلب، تسلم له بعد استيفاء الشروط المذكورة في بياننا هذا.

ثانياً: كل من يرغب أن يبدأ بحفظ كتاب الله، سواء من أبناء المدارس أو من عامة الشعب، عليه أن يسجل اسمه عند قاضي البلدة أو عند إدارة المدرسة التي يدرس فيها.

ثالثاً: عندما ينتهي حفظ القرآن، على مدير المدرسة أو القاضي أن يسمّع له كتاب الله من أوله إلى آخره، ليرى أنه قد أتمّ حفظه أم لا.

رابعاً: يشترط في الحفظ أن يكون حفظاً متقناً بالتجويد والضبط.

خامساً: عندما يأخذ الشهادة بحفظه، يتناول الجائزة من إدارة المالية في البلاد التي يقيم بها.

سادساً: يكتب أسماء الحفاظ وينشر، ويكون لهم مركز خاص ممتاز في أي حفل من الحفلات التي يقيمها الحكومة ليكونوا موضع التكريم والاحترام.

سابعاً: على رئيس وزرائنا ووزير المعارف ووزير مالىتنا إنفاذ أمرنا هذا.

سعود بن عبد العزيز.

ويرجع افتتاح أول مدرسة ابتدائية نظامية لتحفيظ القرآن الكريم للبنين إلى عام ١٣٦٧هـ بالمدينة المنورة، كما افتتحت أول مدرسة متوسطة لتحفيظ القرآن الكريم عام ١٣٨٤هـ بمدينة الرياض، باسم "مدرسة تحفيظ القرآن الكريم لتلاميذ المرحلة المتوسطة".

- كما حرص الملك يعقود - رحمه الله - على نشر كتاب الله - ﷻ - وتوزيعه ليكون في متناول طلبة العلم وجميع المسلمين، ومن الأدلة على ذلك:

أمره الكريم الذي أصدره في عام ١٣٧٤هـ بشراء خمسة عشر ألف نسخة من القرآن الكريم (مصحف مكة) الذي يطبع في مهبط الوحي، لتوزيعها على المساجد والمدارس في عموم قرى المملكة.

كما أرسل - رحمه الله - عدداً من نسخ المصحف الشريف إلى المدارس الإسلامية في لبنان^(١).

ثانياً: المصدر الثاني للعقيدة - السنة النبوية المطهرة:

إن السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم، فهي تفسر مبهمه، وتفصل مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامه، وتشرح أحكامه وأهدافه قال - عليه الصلاة والسلام - : "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه..."^(٢).

(١) انظر: "تاريخ الملك سعود": ٢٩٧/١ - ٢٩٩، ١٣٧/٣ - ١٤٠، د/ سلمان آل سعود.

(٢) انظر: المملكة العربية في مائة عام ص: ٦٧، إصدار دائرة الملك عبد العزيز.

قال الملك سعود: "إن النبي - ﷺ - قد أوضح في سنته الحكيمة كل شيء، ومن سار على سنة النبي الكريم فقد استلم طريق النجاح والعلاج، وأنه القدوة الحسنة للمسلمين، وهذه أحاديثه الصحيحة تبين للناس مكارم الأخلاق، وحسن معاملاتهم بين أنفسهم وبين ربهم وبينهم وبين إخوانهم جميعاً"^(١).

لذلك أولى الملك سعود - يرحمه الله - السنة النبوية الشريفة عنايته البالغة ودعا شعبه إلى الاهتمام بالسنة وشجّع على حفظ الأحاديث ووضع جائزة لمن يحفظ أحاديث متنوعة، وقد كان ذلك سبباً في تأليف الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتي المملكة كتابه "تحفة الحفاظ ومرجع القضاة والمفتين والوعاظ"، جمع فيه ألف حديث، وقد رفع سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم خطاباً بذلك إلى رئيس ديوان جلالة الملك سعود، ونصه كالتالي:

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة المكرم رئيس ديوان جلالة الملك - سلمه الله تعالى -

وبعد: نعيد لكم المكاتبة الواردة إلينا منكم رقم ١٣ - ١٧ - ٧١٦٧ وتاريخ ٢٢ - ٥ - ١٣٧٤ هـ بخصوص الاقتراح المقدم بجعل جائزة لمن يحفظ بعض الأحاديث.

(١) أخرجه الترمذي: ٣١٠/٧، أبو داود: ١٠/٥ - ١١، والإمام أحمد: ١٣٠/٤، وابن ماجه: ٧/١، وابن حبان: ١٤٧/١، وصححه الألباني. (ر: مشكاة المصابيح: ٥٧/١، وصحيح سنن ابن ماجه).

أفيدكم أن هذه الاقتراح طيب ، ولكن يلاحظ أن يكون ذلك المطلوب حفظه على الأقل ألف حديث ، وأن يكون ذلك الحفظ تاماً ، وأن يكون مقامة ألفاظ تلك الأحاديث في الحفظ من حيث الرواية ومن حيث العربية ، والاعتبار في إشكال هذه الشروط المطلوبة بإثبات من يعتبر إثباتهم شرعاً. أما انتخاب تلك الأحاديث فيكون من عندنا - إن شاء الله - . والسلام عليكم^(١).

- كما أمر الملك سعود - يرحمه الله - بطباعة كتب السنة ومنها : صحيح أبي عبد الله البخاري - طبع عام ١٣٧٦ هـ ، و مختصر سنن أبي داود - للإمام المنذري ، طبع عام ١٣٦٧ هـ.

(١) انظر: "فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ" : ١٣٢/٨ ، جمع وترتيب محمد بن عبد الرحمن بن قاسم.

المطلب الثاني : العناية بطباعة ونشر كتب السلف.

عُرف عن الملك سعود - رحمه الله - حب القراءة والاطلاع في الكتب الدينية والأدبية والتاريخية والعلمية، فلذلك اهتم - رحمه الله - بالكتب والمكتبات.

وعن ذلك قال جلالتة : " وكذلك أنشأت مكتبة كبيرة في الرياض ستملاً بأمهات الكتب النافعة في كل علم ، وتبلغ ما بلغته خزائن الكتب في التاريخ الإسلامي وفي العصر الحديث ، وقد تعاونت بلدية الرياض التي أنشأتها مع جامعتها على إمداد هذه المكتبة بأنواع الكتب في شتى العلوم لتكون مثابة للراغبين في القراءة الطامحين في الاستزادة من العلم"^(١).

فانتشرت في عهده مكتبات عامة علمية موزعة على المدن البارزة في مكة المكرمة والمدينة المنورة والرياض وبريدة وجدة والظهران والهفوف وغيرها^(٢). كما اعتنى الملك سعود - رحمه الله تعالى - عناية بالغة بطباعة ونشر كتب السلف التي أولاهها اهتماماً خاصاً منذ أن كان ولياً للعهد فساهم في طباعة الكثير من كتب السلف وتوزيعها على طلبة العلم، نذكر من جملة الكتب التي أمر - رحمه الله - بطباعتها على سبيل المثال لا الحصر^(٣) :

(١) خطاب الملك سعود بمناسبة ذكرى جلوسه في الحكم صحيفة (أم القرى) عدد خاص في ٢٩/٣/١٣٨٧هـ، نقلاً من تاريخ الملك سعود : ٢٩٢/٣.

(٢) للتوسع انظر : المرجع السابق ٢٩٠/٣ - ٢٩١.

(٣) انظر موقع الدارة على الإنترنت (www.darah.org.sa)، وتاريخ الملك سعود : ٢٩٣/٣، ٢٩٤، ومكتبة الملك سعود بن عبد العزيز الخاصة - إعداد د/فهد السماري

- ١ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، طبع سنة ١٣٦٢هـ، على نفقة سمو الأمير سعود بن عبد العزيز.
- ٢ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ويقع الكتاب في (٣٧) سبعة وثلاثين مجلداً، وهو كتاب غني عن التعريف به لشهرته بين العلماء وطلبة العلم في بلادنا، فهو موسوعة شاملة في علوم العقيدة والتفسير والحديث والفقه، ويقع مسائل العقيدة في مجموع الفتاوى في (١٢) اثني عشر مجلداً منها، وقد طبع الكتاب في مطبعة الحكومة في الرياض سنة ١٣٨٦هـ.
- ٣ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - لشيخ الإسلام ابن تيمية، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر.
- ٤ - المجموعة العلمية السعودية من نفائس الكتب الدينية والعلمية، راجعها وصحح أصولها الشيخ محمد بن إبراهيم، واحتوت المجموعة على الكتب التالية: كتاب ثلاثة الأصول وأدلتها، وكتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد، وكتاب كشف الشبهات، وكلها للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكتاب العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ومتن الرحبية في علم الفرائض، ومتن الأجرومية في علم العربية، وطبعت المجموعة بمطبعة أنصار السنة المحمدية عام ١٣٦٥هـ.
- ٥ - مجموع بقلم حافظ بن أحمد الحكمي، فيه: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة - في التوحيد، وسلم الوصول إلى

علم الأصول - في التوحيد، والقصيدة الميمية - في الآداب العلمية،
والسبل السوية - في الفقه، ووسيلة الحصول - في أصول الفقه،
إشراف الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، مطبعة
البلاد السعودية - مكة المكرمة.

٦- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد
- للشيخ حافظ أحمد الحكمي، المطبعة السلفية، القاهرة عام
١٣٦٦هـ.

٧- معارج الأبواب في مناهج الحق والصواب - للشيخ حسين بن
مهدي النعمي اليمني، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، عام
١٣٦٩هـ.

٨- الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس، للشيخ
عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، عام ١٣٦٥هـ.

٩- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس،
للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، مطبعة أنصار السنة
المحمدية، عام ١٣٦٦هـ.

١٠- الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق، للشيخ سليمان بن
سحمان، الطبعة الثانية، الرياض، عام ١٣٧٥هـ، وأعيد طبعها
عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

١١- كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام، للشيخ سليمان
بن سحمان، طبع عام ١٣٧٦هـ.

- ١٢ - الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد، للشيخ سليمان بن سحمان، الطبعة الثانية، عام ١٣٧٦هـ.
- ١٣ - مجموعة: الصواعق المرسلّة، تبرئة الشيخين، كشف شبهات عبد الكريم البغدادي، الجهر بالذكر بعد الصلاة - للشيخ سليمان بن سحمان، طبعت عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م
- ١٤ - مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام، للشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، طبع بأمر سمو الأمير سعود بن عبد العزيز^(١).
- ١٥ - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة المحمدية، القاهرة ١٣٧٤ - ١٣٨٧هـ.
- ١٦ - العدة حاشية الصنعاني على إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للعلامة ابن دقيق العيد - حققه علي بن محمد الهندي، المطبعة السلفية، القاهرة، عام ١٣٧٩هـ.
- ١٧ - رسالة النور الفاضل في علم الفرائض - للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، مطابع البلاد السعودية، مكة المكرمة عام ١٣٧٢هـ.

(١) انظر: "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية" ٣٥٨/١.

- ١٨ - دليل أرباب الفلاح لتحقيق فنّ الاصطلاح - للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ، مطابع البلاد السعودية ، مكة المكرمة عام ١٣٧٤هـ.
- ١٩ - صحيح أبي عبد الله البخاري - مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ، طبع عام ١٣٧٦هـ
- ٢٠ - مختصر سنن أبي داود - للمنذري ، طبع عام ١٣٦٧هـ.
- ٢١ - المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - لمجد الدين أبي البركات ، ومعه النكت والفوائد السنية لمجد الدين ابن تيمية ، مطابع السنة المحمدية ، القاهرة عام ١٣٦٩هـ.
- ٢٢ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء - لأبي حاتم محمد السبتي ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد الرزاق عفيفي ومحمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية ، عام ١٣٦٨هـ.
- وغير ذلك من كتب السلف القيّمة.

المطلب الثالث: قيامه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودعمه

لهيئاتها.

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قواعد الدين الهامة التي ينبغي تحقيقها ومراعاتها، وهي دعامة هامة من دعائم المجتمع الإسلامي، ومن أجلها كانت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس قال الله - تعالى - : ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال - عليه الصلاة والسلام - : ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))^(١).

وقد كان - ولا يزال بحمد الله تعالى - نظام الحسبة من أهم ركائز الدولة السعودية منذ نشأت في منتصف القرن الثاني عشر الهجري ومروراً بأدوارها الثلاثة، ومما تميّزت به عن غيرها من الدول الإسلامية المعاصرة. وقد كانت بداية تأسيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهازاً مستقلاً في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - يرحمه الله - بإصدار الأمر الملكي بتاريخ ١٨/١/١٣٤٧هـ^(٢).

(١) أخرجه مسلم ٦٩/١ عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - .

(٢) انظر: "الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص: ٤٨٣، ٤٨٤، د/عبد الرحيم المغذوي.

وحين تولى الملك سعود مقاليد الحكم، كان عهده عهد نهضة وقفزة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقد تمّ في عهده افتتاح فروع عديدة للهيئة في جميع أنحاء المملكة^(١)، بعد أن كانت هذه الهيئات مقصورة على المدن الرئيسة.

ومن هنا - وبناءً على رغبته - تمّ إنشاء حوالي مائة وواحد وعشرين مركزاً لهيئات الأمر بالمعروف في الحجاز وتهامة، وأسند جلالته منصب رئاسة جميع هيئات الأمر بالمعروف في هذه المناطق إلى فضيلة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم.

ومن المراكز الرئيسة في هذه المناطق: مكة، المدينة، جدة، الطائف، أبها، جيزان، نجران، تبوك، بلجرشي، القنفذة، أملج، بيشة. أما مقر الرئاسة لهذه الهيئات فهو مكة المكرمة، وبلغ عدد الموظفين التابعين لجميع هذه الهيئات سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م تسعمائة موظف، عدا الجنود والعرفاء التابعين لها^(٢).

كما تميّز عهد الملك سعود بتركيز أعمال الهيئة، وتخصيصها في الأمور الدينية، وبالأخص فيما يتعلق بالمحافظة على سلامة العقيدة، والعبادات وما

(١) انظر: "الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". ص: ١٢٤.

(٢) انظر: "هذه المملكة العربية السعودية" - المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر، ص:

يتعلق بأدائها وشعائرها، وكثير من المعاملات والأخلاقيات التي أمر بها الإسلام ونهى عن غيرها^(١).

وقد حرص الملك سعود على أن يقدم توجيهاته السديدة وإرشاداته المفيدة إلى القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، موجهاً إلى الأسس التي ينبغي أن يتعاملوا بها مع الناس، حتى يستطيعوا أن يؤدوا رسالتهم على أفضل وجه دون إفراط أو تفريط.

وبهمنا هنا أن نورد إحدى الوثائق المهمة، وهي خطاب من الملك سعود إلى القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يتبين منه المنهج الذي ارتضاه الملك في ممارسة هذا المبدأ الإسلامي العظيم^(٢):

من سعود بن عبد العزيز آل سعود إلى كل من يراه من بيده سلطة تنفيذية في مملكتنا من أمر بالمعروف، ونأه عن المنكر، ومن أمير أو مسؤول نوجه خطابنا هذا:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإننا نحمد الله - سبحانه وتعالى - بما من الله به علينا وعلى المسلمين في أرجاء مملكتنا المترامية الأطراف من أمن شامل، وانقياد تام من الرعية، وسمع وطاعة منهم، نحمده أن وفقنا لإقامة العدل، وتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية التي حفظت لكل فرد حقه كاملاً غير منقوص، نحمد الله على هذه النعمة، ونسأله المزيد منها،

(١) انظر: "التطبيقات العملية للحسبة في المملكة العربية السعودية" ص: ١١٧ - طامي

البقمي، نقلاً من تاريخ الملك سعود: ٨٩/١.

(٢) "تاريخ الملك سعود": ٢٩٠ / ١.

وأن يوفقنا لشكر نعمائه بالقيام بالواجب الذي ألقاه على عاتقنا فيما ولانا إياه.

ولهذا رأينا أن نلفت نظر سائر المكلفين بتنفيذ الأحكام أن يراقبوا الله في تصرفاتهم بأن يأخذوا الرعية بالحسنى ، وأن يلتزموا حدود الله في تصرفاتهم ولا يتعدوها قيد شعرة ، فالشعب - والله الحمد - كما قلنا سامع ومطيع ، ولا يحتاج الغافل أو الجاهل إلا إلى تنبيه أو زجر بالحسنى لينقاد ويسمع ، ويطيع لكل ما يؤمر به ؛ ولهذا ينبغي أن لا تستعمل القسوة في معاملة الناس حيث ينفع لين الجانب ، كما أنه لا يتمادى في لين الجانب إذا لم ينفع في الأمر إلا كبح الجراح بالشدة.

وقد بُلغت عن تصرفات بعض الموظفين في استعمال القسوة والشدة في الأمور التي لا تحتاج لقسوة أو تدبير شديد ، فعلى الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يكونوا مثلاً حسناً للناس في الدعوة إلى الله ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل : ١٢٥]...^(١).

بل إننا نجد أن الملك سعود - رحمه الله - تولى بنفسه الحسبة في خطابه الذي يحذر فيه المتهاونين في أمور العقيدة والشرع ، فيقول الملك سعود - رحمه الله - :

(١) انظر نص الخطاب في "الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". مرجع سابق

"وقد نمتى إليّ بعض الغلاة المتطرفة الجهال يرون في التنكب عن هذا الصراط المستقيم خيراً، وأن التمسك به والثبات فيه جمود. وقد أعماهم الله عن حقائق الأمور؛ فلم يروا أن هذا الملك لم يقم إلا على الدين، وأن هذه الأمة لم يلم شعثها، ويلتئم صدعها إلا بالدين، وأن الأمة العربية كانت في جاهليتها تائهة في ببداء التردى والجهالة والفرقة والضعف، حتى منّ الله عليها بهذا الدين الحنيف، فأرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق، فظهرت على الأمم ونهضت في شتى شؤون الحياة، ثم عادت فهزلت وهوت، واستعبدت عندما تخلى الكثير من أبنائها عن هذا الدين الحنيف وعن العقيدة الصحيحة. وها نحن اليوم، وقد جمع الله شملنا ويسر لنا وسائل المنعة والقوة وفتح لنا أبواب الرزق، راح أعداؤنا يستغلون جهالة جهّالنا وخساسة المتنطعين منّا، لإفساد عقيدتنا فيأتون ما حرم الله وينتهكون حرمة ما حرم الله، ويقدحون في عقيدتنا من هنا وهناك. فإلى هؤلاء خاصة وإلى جميع أبناء شعبي عامة أوجه قولتي وأخص إنذارى... فمن والانا في ذلك والينا، وعرفنا له حقه وقربناه، ومن شدّ عنا في ذلك واتخذ السفه والجهالة والمروق مركباً، فليأذن من الله، ثمّ ممّا بحرب لا هوادة فيها ولا رحمة، فلا نعترف بقربى قريب أو كبر كبير. فمن اختزن جهالته لنفسه في صدره، فالله حسبنا عليه وهو نعم الوكيل، ومن جهر بالمعصية وجاهر بها فأحكام الشريعة تكفيننا شره، وحكم الردة معروف، والحلال بين والحرام بين" (١).

(١) انظر نص الخطاب في "الملك سعود من أحاديثه وخطبه" - فؤاد شاكر، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ/١٦٥٥م - ص: ٣٩ - ٤٠، نقلاً من "تاريخ الملك سعود": ٢٩٥/١، ٥٨٠ - ٥٨١.

كما وجّه الملك سعود تحذيراً إلى الذين يترددون على الخارج وينفقون أموالهم في غير طاعة الله - ﷻ - فقال - رحمه الله - : "وقد اتصل بنا أيضاً أن الكثيرين من الذين نعموا في مجبوحة من العيش بما منّ الله عليهم من الرزق يكثرّون التردد إلى الخارج، فينفقون أموالاً طائلة في غير طاعة الله، ثم يعودون وقد تزعزعت عقيدتهم وتهلّلت القيم الخلقية العربية في نفوسهم، وفي ذلك خطر على مجتمعنا وعقيدتنا، وإسراف في أموالنا، في حين أننا أحوج ما نكون إلى تقوية سياجنا الديني والخلقي لصدّ هذه التيارات المتضاربة التي تحتاج عالم اليوم، وتكاد تقضي على قيمه الاجتماعية"^(١).

ووجه الملك سعود أمره الملكي الكريم رقم ١٤٨٧/١/١٧ في ١٣٧٤/٨/٣٠ هـ إلى الأمير فيصل - ولي العهد - بشأن تلقي أبناء البلاد العلوم خارج البلاد فقال: "بما أن التعليم في شتى العلوم وأنواع الدراسات واجب علينا لأبنائنا، ولما كان خروج أبنائنا في الآونة الأخيرة إلى الخارج باسم تلقي العلوم قد ضيّع الشيء الكثير من مبادئهم الدينية والخلقية، ولذلك اعتزمنا بحول الله وقوته تهيئة جميع الأسباب المؤدية إلى نجاح الطالب وتكملة دروسه وتعليمه في البلاد فأمرنا بفتح المدارس اللائقة، وفعلاً جهزناها وهي على وشك الانتهاء... ونأمر بأن لا يبقى أحد من أبنائنا ورعيتنا في المدارس الابتدائية والثانوية في الخارج حفظاً للمصلحة وللعقيدة، ولا يستثنى من هذا أحد، لا كبير، ولا صغير، إلا من أراد التخلي عن الجنسية السعودية فهذا حرّ في نفسه، ولا نسمح لأيّ شخص أن يعلم ولده خارج البلاد إلا إذا دخل

(١) انظر: "الملك سعود في أحاديثه وخطبه" ص: ٣٩، ٤٠، - فؤاد شاكر.

إحدى الجامعات الخارجية ليتلقى العلوم العالمية التي ليس لدينا منها مقابل ،
على أن الجامعيين يجب أن يتحقق من أمر أخلاقهم وعقيدتهم قبل
خروجهم..."^(١).

كما أصدر - رحمه الله - أمراً ملكياً حذر فيه رعاياه من إدخال أبنائهم
في مدارس الإرساليات التبشيرية حفاظاً على عقائدهم وتقاليدهم الإسلامية
الموروثة، فأرسل إلى أخيه الأمير فيصل - ولي العهد ورئيس مجلس
الوزراء - خطاباً برقم ٢٢٩٢/٢٣/٣/٥ في ١١/١٢/١٣٧٤هـ بشأن
البعثات الخارجية والمحافظة على جانب العقيدة الإسلامية والأخلاق لدى
الطلاب من أبناء موظفي الحكومة في الخارج، فقال: "نحن نوافق أن يستمر في
الصرف عليهم كما كان سابقاً على شرط أن تكون دراستهم في مدارس
إسلامية أو غير تبشيرية، فإذا خالف أحدهم هذا الشرط فانتسب إلى مدرسة
غير إسلامية أو تبشيرية يقطع المخصص له، كما يخصم رواتب سنة واحدة
من رواتب الموظف الذي كان السبب في الإخلال بهذا الشرط"^(٢).

من هذه الشواهد وغيرها نجد أن الملك سعود - رحمه الله - قد قام
بنفسه بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة في الحفاظ على العقيدة
والقيم الإسلامية والأخلاق، كما نجده - يرحمه الله - يتابع القضية
والعلماء والأمراء ورؤساء الهيئات في قيامهم بواجب الأمر بالمعروف والنهي

(١) انظر: جريدة أم القرى ١٣٧٤/٩/٦هـ، نقلاً من تاريخ الملك سعود: ٤٢/٣.

(٢) تاريخ الملك سعود: ٤٢/٣، ١٨٥، د/سلمان آل سعود.

عن المنكر وينصحهم ويذكرهم بواجبهم إذا رأى منهم فتوراً أو تساهلاً في القيام بهذا الواجب^(١).

(١) راجع خطابه في ذلك إلى القضاة والعلماء والأمرء ورؤساء الهيئات، المرجع السابق ص:

٢٩٢، ٢٩٣.

المطلب الرابع: العناية بإنشاء المعاهد العلمية وتطويرها.

اهتمّ الملك سعود - يرحمه الله - بنشر الدعوة إلى العقيدة السلفية عن طريق التعليم الشرعي وتعليم شعبه أمور دينهم الذي فيه خير الدنيا والآخرة، يوضح ذلك قوله: "إن أول ما يهمنا هو الاعتصام بجبل الله المتين، وأن نتخذ من الوسائل في داخل بلادنا ما يمكن روح التوحيد الخالص في قلوب أفراد الشعب كافة، حتى يخلص الجميع العبادة لله وحده، وسنسير في ذلك بهدي كتاب الله في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في كل مجال، وعلى الأخص في المدارس، ونحرص - بحول الله - على مراقبة ذلك، وحثّ الناس على ما يأمر به الشرع الإسلامي، ومنعهم من كل ما ينهى عنه، لأن في ذلك خيري الدنيا والآخرة، ولأنه ليس شيء من الخير إلا دعا له الإسلام، وليس شيء من الشر إلا ونهى الإسلام عنه"^(١).

كما قال - رحمه الله - : "ولقد أولينا عنايتنا الخاصة لنشر علوم الدين وإخراج أكبر عدد من العلماء الأخيار كي يسيطروا مناهج الحق والعدالة بين الناس، وينيروا أفئدة الرعية بالعلوم الإلهية الوضاعة، فأسسنا المعاهد الدينية في المدن وأقمنا مساجد الله في كل مجتمع"^(٢).

ولذلك حظيت المعاهد العلمية في المملكة بعناية خاصة من الملك سعود ودعم متواصل منه، فحينما تولى الملك سعود الحكم، لم يكن بالمملكة إلا

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية" ١٧٧/١.

(٢) من خطابه - يرحمه الله - إلى المواطنين بمناسبة مرور أربع سنوات على توليه الحكم،

انظر: "مختارات من الخطب الملكية" ٢٢٧/١.

المعهد العلمي بالرياض الذي افتتح عام ١٣٧٠هـ، وبدأت الدراسة فيه في مطلع عام ١٣٧١هـ.

وبتشجيع من الملك سعود وبتوجيه منه بدأت هذه المعاهد في الانتشار، ففي عام ١٣٧٢هـ، افتتح معهدان علميان في كلٍّ من بريدة وعنيزة.

وفي عام ١٣٧٤هـ، افتتح معهد إمام الدعوة بالرياض، ثم افتتحت معاهد جديدة في كلٍّ من الإحساء وشقراء وسامطة والمجمعة.

وفي عام ١٣٨١هـ، افتتحت معاهد جديدة في كلٍّ من أبها وحائل والمدينة المنورة.

وفي عام ١٣٨٣هـ، افتتحت معاهد بلجرشي وحوطة بني تميم والزلفي ومكة المكرمة.

وفي عام ١٣٨٤هـ، تمّ افتتاح معاهد جديدة في كلٍّ من الأفلاج وتبوك وجدة والدلم والدمام^(١).

وهذا يعني أن هذه المعاهد قد ارتفع عددها من معهد واحد إلى عشرين معهداً في عهد الملك سعود.

وحرصاً من الملك سعود على تشجيع أبناء هذه الأمة على الإقبال على التعلم بصورة عامة، وعلى العلم الشرعي بصفة خاصة، فقد جعل لجميع

(١) انظر: "الفقه الإسلامي في عهد أبناء الملك عبد العزيز ص: ٢٢٠، ٢٢١. د/ سليمان أبا الخيل (من إصدارات المثوية).

الطلاب مكافآت شهرية يتقاضونها من هذه المعاهد على حسب السن والحاجة^(١)، إضافة إلى السكن والإعاشة للطلاب المغتربين^(٢).

وقد أثمرت هذه السياسة الحكيمة من لدن الملك سعود عن ارتفاع عدد الطلاب في هذه المعاهد من (١٧٥) طالباً في عام ١٣٧٠هـ، حتى بلغ (٤٦٧٨) طالباً في العام الدراسي ١٣٨٤/١٣٨٥هـ.

وقد دعم التعليم الشرعي بافتتاح كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض في عامي ١٣٧٣/١٣٧٤هـ.

ونظراً إلى أهمية الدور الذي تؤديه هذه المعاهد والكليات في نشر العلم الشرعي، فقد أصدر الملك سعود توجيهاته بإنشاء إدارة مركزية تشرف على هذه المعاهد والكليات، وتوجه سياستها وتنظم أمورها، فكانت إدارة المعاهد العلمية والكليات برئاسة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وقد تولى النيابة عنه في الإشراف على هذه المؤسسة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، وبعد سنوات قليلة تحولت إلى رئاسة عامة، وأطلق على المسؤول عنها اسم "نائب الرئيس العام للكليات والمعاهد العلمية"^(٣).

(١) معلومات عن المملكة العربية السعودية. المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر.

(١٣٧٣ - ١٣٧٨هـ) ص: ٢١.

(٢) موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام. وزارة المعارف.

١٤١٩هـ - ١٩٩٩م. ص: ٣٢٧.

(٣) "موسوعة تاريخ التعليم في المملكة في مائة عام": ٣/١٧.

وكانت تلك المعاهد العلمية مع كليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض
نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، التي أنشأت رسمياً في
شعبان عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م^(١).

ومما ينبغي ذكره والإشادة به أن الملك سعود - يرحمه الله - قد حدد
لهذه المعاهد العلمية سياستها التعليمية وأهدافها الدينية والتربوية ، وذلك في
خطابه إلى الشيخ محمد بن إبراهيم (المشرف على المعاهد) ، ونصها كالتالي :
من سعود بن عبد العزيز إلى صاحب السماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ،
سَلِّمهُ اللهُ ، السلام عليكم ورحمة الله. وبعد : فإننا نبعث إليكم برفق هذا ما
رأيناه من تسيير إدارة المعاهد الدينية بإشرافكم عليه في تعليم الدين ونشره ،
لتأمرؤا بتنفيذه في سائر المعاهد الدينية. نسأل الله أن يتولانا وإياكم بتوفيقه
والسلام.

بيان عن السياسة التعليمية في المعاهد الدينية :

إن السياسة التي رسمناها لتعليم أبناء شعبنا في المعاهد الدينية ترمي إلى
الأهداف الآتية :

أولاً : تعليم الدين الإسلامي والأخلاق الإسلامية لنشر ذلك في المملكة
والقيام بالدعوة للإسلام ، التي أمر الله بها في سائر أرجاء المعمورة.
ثانياً : نشر العلوم وتعميمها في البلاد لإعمارها.

(١) "جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أربعين عاماً" ص : ١١ ، (من إصدارات
الجامعة بمناسبة افتتاح المدينة الجامعية عام ١٤١٢هـ) ، و"تاريخ الملك سعود" : ٢٧٥/١ -
٢٧٨.

ثالثاً: إن دراسة سائر العلوم التي تحتاج إليها البلاد لرفع مستواها الديني والمعيشي والاجتماعي، ينبغي أن تتلازم مع المبادئ الإسلامية والأخلاق الإسلامية والروح الوطنية الصادقة، بعيدة عن النزغات الشيطانية والمبادئ التي تتنافى مع ديننا الحنيف، الذي جاء بأرقى ما يمكن أن يصل إليه التفكير البشري في سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

رابعاً: تنفيذاً لهذه السياسة، أمرنا بتنشيط المعاهد الدينية وتشجيعها في مملكتنا، مع مراقبة حياة الطلاب لتكون حياتهم دينية علمية بالمعنى الصحيح، بحيث يكون التدين خلقاً للتلميذ، ومحافظته على الشعائر الدينية وعباداته كعمل طبيعي يأتيه الطالب من تلقاء نفسه عن رغبة وطوعية، ولذلك نرى جعل أقسام داخلية في المعاهد الدينية يعيش الطلاب فيها عيشة كاملة في محيط بعيد عن اللهو، ويروّضون فيها أنفسهم بالإقبال على الله، ومراقبته حتى يتولد في نفوسهم، ويتأسس فيها روح الإسلام وتعاليمه.

خامساً: ولما كان تحقيق أهدافنا من التعليم يتوقف على حسن اختيار الأساتذة، ولما كانت بلادنا تعاني فقراً كبيراً في الأساتذة المختصين، نرى تشكيل هيئة خاصة في المعاهد الدينية لتعيين عدد الأساتذة الذين تحتاج إليهم هذه المعاهد، وتعمل على استقصاء أسماء الأشخاص الذين تريدهم، وتتصل بمن تثق بهم ديناً وعلماً في البلاد الإسلامية والعربية، بحيث تنصرف هذه الهيئة طوال السنة بأكملها في مراعاة ما يلي:

أ- تتبع سيرة كل أستاذ منتدب بهذه البلاد من الناحية الدينية والأخلاقية والعلمية.

- ب- تقوم بدراسة أخبار كل شخص يتقدم لها أو تخبر عنه ، لتتوخى أحسن الناس ديناً وخلقاً وعلماً لتعيينه في الوظائف الشاغرة.
- ج- عدم التقيد باختيار الأساتذة من أي بلد إسلامي ، سواء كان ذلك عن طريق الانتداب أو طريق التعاقد الحر. ووزارة خارجيتنا وممثلاتنا في الخارج تلتزم بكل مساعدة لتحقيق مهمة الهيئة.
- وأخيراً فإن المهم هو الرقابة والتوجيه منذ البداية. فقد جاء في الحديث الشريف "ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"^(١). والله ولي التوفيق^(٢).

(١) رواه البخاري: ٤٦٥/١ (١٣١٩) مسلم: ٢٠٤٧/٤ (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: نص الوثيقة في "جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أربعين عاماً" ص:

المطلب الخامس : إنشاء الجامعة الإسلامية .

إن إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة مكرمة جليلة ومنقبة عظيمة لجلالة الملك سعود - يرحمه الله - إذ كانت الحاجة إلى إنشاء مثل هذه الجامعة ملحة وضرورة في ذلك الوقت الذي راجت فيه أنواع من الفتن والشُرور والأفكار الهدامة والمعادية للإسلام والمسلمين.

وقد كانت الجامعة الإسلامية قبل تأسيسها حلمًا يراود أذهان المخلصين من أبناء العالم الإسلامي بعامه ، وأبناء هذه البلد الكريم (المملكة العربية السعودية) بخاصة ، فتصدى لإبراز فكرة هذا المشروع العظيم عدد من الكتاب والمفكرين ، من أبرزهم وأولهم الأستاذ أحمد بن عبد الله الفاسي في مقالاته الكثيرة عن الموضوع ، وكانت صحيفة المدينة المنورة سباقة لإبراز أهمية إقامة هذا المشروع في طيبة الطيبة ، تلك آمال وتطلعات المخلصين من الكتاب والمفكرين وإرهاصات إنشاء الجامعة.

ولما عرف من جلالة الملك سعود - يرحمه الله - وعُهد عنه حبه للخير، وحرصه عليه ، وحبه الكبير لشعبه ، وغيرته الصادقة على الدين الحنيف ، فقد أعلن الملك سعود عن رغبته في إنشاء الجامعة الإسلامية ، وأسباب ذلك في الحفل السنوي الكبير للحجاج في حج عام ١٣٨٠هـ في يوم ١٨/١٢/١٣٨٠هـ إذ قال - رحمه الله - :

"... إخواني ، لقد رأيت من واجبي أن أخدم هذين الحرمين الشريفين ، وأن أبدأ العمل في نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء المعمورة ، فأمرت بإنشاء جامعة إسلامية في المدينة المنورة ، وهيأت لها من الأسباب والوسائل ما يكفل لها أداء الرسائل السامية المرجوة منها ، فاستقدمت عدداً من علماء المسلمين

من بعض الأقطار الإسلامية ، وضعوا لذلك برامج ونظماً ومناهج ، وستضم هذه الجامعة طلاباً من سائر أنحاء العالم ، وسأحرص على أن يكون فيها عدد غير قليل من إخواننا الأفريقيين والآسيويين ، الذين يتشوقون لمعرفة الإسلام من منابعه ، وبذلك ستحوي طلاباً من أقصى البلاد ، حتى إذا أكملوا دروسهم وتفقهوا في الدين ، رجعوا إلى الدين القويم ، وهذا عمل يحتاج إلى أمد طويل ، ولكنه الطريق السوي لبث الدعوة وتوصيلها إلى أقصى المعمورة عن طريق هذه الجامعة والمنتسبين إليها ، حتى إذا تفرقوا في الأقطار جمعتهم دعوة الحق ، وكانوا سبباً في اجتماع كلمة المسلمين وتعاضدهم وتعاونهم في كل قطر وفي كل حين...^(١).

ثم تلا ذلك صدور الأمر الملكي رقم ١١ في ١٣٨١/٣/٢٥ هـ بإنشاء الجامعة الإسلامية ، ونص المرسوم كالتالي :

بعون الله - تعالى - نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود
ملك المملكة العربية السعودية

تقديراً منا لما لنشر العلوم الإسلامية من أثر نافع في تثبيت دعائم الدين والنهوض بالأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، ورغبة في إبلاغ الرسالة الإسلامية.

ومن حيث إننا - استهدفنا لهذه الغاية - ما زلنا عاملين على تشجيع التعليم ونشر المعارف ، وحرصاً منا على السير على هدي القرآن وسنة رسول الله وسيرة السلف الصالح ، ابتغاء مرضاة الله وثوابه.

(١) انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ٢٦٥/١.

أمرنا بما هوأت :

١. إنشاء جامعة إسلامية بالمدينة المنورة تسمى الجامعة الإسلامية.
٢. تعتمد جامعة إسلامية في مواردها على الأموال التي تتقرر لها من خاصتنا الملكية.
٣. تقرر ميزانية الجامعة الإسلامية للعام الدراسي ١٣٨١/١٣٨٢ هـ بمبلغ ٣ ، ٠٠٠ ، ٠٠٠ (ثلاثة ملايين) ريال تؤدي من خاصتنا الملكية.
٤. يكون قبول الطلاب السعوديين وغير السعوديين في الجامعة الإسلامية ، وسير الدراسة ومناهج العلوم التي تدرس فيها حسب الشروط والأوضاع الواردة في النظام الأساسي للجامعة الإسلامية ولوائحها.
٥. يعمل بأمرنا هذا من تاريخ صدوره ، وينشر في الجريدة الرسمية^(١).
وقد بدأت الدراسة في الجامعة الإسلامية في الثاني من جمادى الآخرة سنة ١٣٨١ هـ ، وصدر الأمر الملكي رقم ١٧ بتاريخ ٩/٤/١٣٨١ هـ بالمصادقة على النظام الأساسي للجامعة ، وتلاه إصدار مرسوم ملكي برقم ٢١ ، تاريخ ١٦/٤/١٣٨١ هـ يتضمن المصادقة على المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة.
ولما تضمنته تلك المراسيم الملكية من تحديد هوية الجامعة الإسلامية وأهدافها ومعالمها ونظامها الأساسي ومنهجها الدراسي ، فإنه يجدر بنا الإشارة إلى أبرز تلك الأمور على النحو التالي :

(١) انظر : "الكتاب الوثائقي للجامعة الإسلامية" ص : ٤٦.

١. أن الجامعة الإسلامية : مؤسسة إسلامية ، عالمية من حيث الغاية ، عربية سعودية من حيث التبعية ، ذات شخصية اعتبارية مستقلة.
٢. أن أهداف الجامعة : تبليغ رسالة الإسلام ، ونشر العلوم الإسلامية التي لها أثر نافع في تثبيت دعائم الدين والنهوض بالأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، تشجيع التعليم ونشر المعارف ، السير على هدي القرآن وسنة رسول الله - ﷺ - وسيرة السلف الصالح ابتغاء مرضاة الله وثوابه.
- كما نصت المادة الأولى من نظامها الأساسي على أن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مؤسسة دينية علمية سعودية ، تتمتع بالشخصية الاعتبارية العامة ، الغرض منها تثقيف من يلتحق بها من طلاب العلم في المملكة العربية السعودية ، ومن البلاد الإسلامية ليتفقهوا في الدين ، ويفقهوا العلوم الشرعية والعربية ، ويتعلموا بعض اللغات الأجنبية ليبصروا بأصول الدين وفروعه ، ويتمرنوا على طرائق البحث والمناظرة ليكونوا دعاة للدين وأنصاراً للحق ، وليقوموا بإلقاء المحاضرات ، والكتابة في الردّ على الملحدين ، والذود عن حوزة الدين ، وحل ما يعرض من المشاكل للمسلمين في شؤون دينهم ودنياهم.
٣. نصت المادة الرابعة من نظامها على أن جلالته هو الرئيس الأعلى للجامعة وكفيل بتأمين مواردها ، كما ألحق جلالته ميزانية الجامعة بخاصته الملكية ، وأهدى الجامعة جزءاً من قصره على وادي العقيق.

٤. نصت المادة السابعة من نظامها على أن الجامعة الإسلامية تتكون من قسمين: قسم عال^(١)، ومدة الدراسة به أربع سنوات، وقسم ثانوي، ومدة الدراسة به ثلاث سنوات.

٥. نصت المادة التاسعة على أن تدرس العلوم الآتية في الجامعة بقسميها:

أولاً: من العلوم الدينية: التوحيد، الفرق الإسلامية، التفسير وأصوله، الفقه وأصوله، الفرائض، التاريخ الإسلامي، القرآن، التجويد.

ثانياً: من العلوم العربية: النحو، الصرف، الإنشاء، المطالعة، الخطابة، الخط، البلاغة، أدب البحث والمناظرة، مختارات من النصوص الأدبية.

٦. نصت المادة الثانية عشرة على أن كل من يعرف عنه من الطلاب أو غيرهم إلحاد في الدين وزيف في العقيدة أو انحراف في الأخلاق يشطب قيده ويطرد من الجامعة.

٧. نصت المادة الرابعة عشرة على تحديد مناهج الدراسة في كل من القسمين الثانوي والعالي بالجامعة، ونشير إلى أن مادة التوحيد - في القسم الثانوي - تخصص له ثلاث حصص في الأسبوع في كل سنة من السنوات الثلاث، يدرس فيها في السنة الأولى النصف الأول من كتاب "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" مع حفظ المتن من كتاب

(١) المرحلة الجامعية.

التوحيد ، وفي السنة الثانية يدرس النصف الآخر منه ، وكذلك في السنة الثالثة العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية. وأما القسم العالي : فلمادة التوحيد ثلاث حصص في كل من السنة الأولى والثانية والثالثة يدرس فيها شرح الطحاوية موزعاً على السنوات الثلاث.

الفرق الإسلامية : لها ثلاث حصص في السنة الرابعة فقط ، يدرس فيها مذاهب الفرق التي تنتسب إلى الإسلام ، ونشأة كل فرقة وأصولها التي لأجلها ينسب إلى أهلها من وافقهم فيها ، ويرجع في ذلك إلى كتاب المذاهب الإحدى الحديثة وأصولها مع بيان بطلانها بالأدلة العقلية والنقلية.

٨. نصت المادة الخامسة عشرة على تعليمات عامة تتصل بدراسة المواد التي ذكرت في المنهج ، ونشير إلى أنه يراعي في مادة التوحيد إيضاح أقسم التوحيد الثلاثة وهي توحيد الألوهية والربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، والعناية بإيضاح كل قسم ، كذلك يراعي ربط ما ظهر من الآراء الإحدى وأنواع الزيغ الحديث بالمذاهب الإحدى القديمة التي تذكر في دراسة الفرق القديمة وبيان بطلانها.

٩. نصت المادة الثامنة عشرة على أنه يقبل في الجامعة طلاب من كل دولة في حدود ميزانية الجامعة مع مراعاة التوزيع الجغرافي في السكان لعالم المسلمين بحيث تحدد نسبة لكل دولة.

١٠. تكليف جلالة الملك سعود أبرز شخصيتين علميتين للقيام على أمر الجامعة وتنفيذ مراحل إنشائها ومتابعة مسيرتها والإشراف على

منهجها الدراسي والإداري ومسؤوليتها العلمية والدعوية وهما :
سماحة مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل
الشيخ - الذي عينه رئيساً للجامعة ، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن
عبد الله بن باز - الذي عينه نائباً للرئيس ، رحم الله الجميع رحمة
واسعة^(١) .

من ذلك ندرك حرص مؤسس الجامعة جلالة الملك سعود - رحمه
الله - على أن تنطلق الجامعة لأداء رسالتها السامية على أسس راسخة ،
واضحة المعالم والأهداف ، فكان لهذا كله أكبر الأثر في انطلاقة الجامعة
الإسلامية بخطى واسعة إلى الأمام فتحقق لها - بفضل الله وعونه - مكانة
علمية رفيعة وشهرة واسعة على مستوى العالم .

تلك الجامعة الإسلامية بذرة طيبة أخرى وغرسة مباركة غرسها الملك
سعود - يرحمه الله - وتعاهد لها من بعد إخوانه البررة الميامين الملك فيصل
والملك خالد والملك فهد - يرحمهم الله جميعاً - بالرعاية والدعم
المتواصل مادياً ومعنوياً - وتواصل الجامعة مسيرتها المباركة لتحقيق أهدافها
السامية في ظل رعاية ودعم خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد
العزيز - حفظه الله وأيده - .

وتضم الجامعة الإسلامية - حالياً - بين جنباتها الكليات التالية :

(١) انظر : "الكتاب الوثائقي للجامعة الإسلامية" ص : ٤٩ - ٥٨ .

١. كلية الشريعة أنشئت عام ١٣٨١ هـ، بموجب الأمر السامي الكريم رقم: ١١ بتاريخ ١٣٨١/٣/٢٥ هـ، وفيها الأقسام العلمية التالية: قسم الفقه، قسم أصول الفقه، وقسم القضاء والسياسة الشرعية. وتمنح الكلية درجة العالية (البكالوريوس) في العلوم الشرعية، ودرجة الدبلوم العالي في القضاء والسياسة الشرعية، ودرجتي العالمية (الماجستير) والعالمية العالية (الدكتوراه) في التخصصات المتاحة بها.
٢. كلية الدعوة وأصول الدين، أنشئت عام ١٣٨٦ هـ، بموجب الأمر السامي رقم: ٣٣٢/م بتاريخ ١٣٨٦/٥/٤ هـ، وفيها الأقسام العلمية التالية: قسم العقيدة، قسم الدعوة، قسم التاريخ الإسلامي، وقسم التربية. وتمنح الكلية درجة العالية (البكالوريوس) في الدعوة وأصول الدين، ودرجة الدبلوم العالي في الدعوة، ودرجتي العالمية (الماجستير) والعالمية العالية (الدكتوراه) في التخصصات المتاحة بها.
٣. كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، أنشئت عام ١٣٩٤ هـ، بموجب الأمر السامي رقم: ٦٥١١ بتاريخ ١٣٩٤/٩/٦ هـ، وفيها الأقسام العلمية التالية: قسم القراءات، قسم التفسير. وتمنح الكلية درجة العالية (البكالوريوس) في القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، ودرجتي العالمية (الماجستير) والعالمية العالية (الدكتوراه) في التخصصات المتاحة بها.

٤. كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، أنشئت عام ١٣٩٦هـ، بموجب الأمر السامي رقم: ١٥٦٥٣ بتاريخ ١٣٩٦/٦/٢٣هـ، وفيها الأقسام العلمية التالية: قسم فقه السنة ومصادرها، قسم علوم الحديث.

وتمنح الكلية درجة العالية (البكالوريوس) في الحديث الشريف والدراسات الإسلامية، ودرجتي العالمية (الماجستير) والعالمية العالية (الدكتوراه) في التخصصات المتاحة بها.

٥. كلية اللغة العربية، أنشئت عام ١٣٩٥هـ، بموجب الأمر السامي رقم: د/م/٧٠ بتاريخ ١٣٩٥/٨/٧هـ، وفيها الأقسام العلمية التالية: قسم اللغويات، قسم البلاغة والأدب.

وتمنح الكلية درجة العالية (البكالوريوس) في اللغة العربية، ودرجتي العالمية (الماجستير) والعالمية العالية (الدكتوراه) في التخصصات المتاحة بها.

٦. عمادة الدراسات العليا، وقد افتتحت الدراسات العليا بالجامعة عام ١٣٩٥هـ، وأنشئت عمادة الدراسات العليا بالجامعة بالموافقة السامية الكريمة بالتوجيه البرقي رقم: ٩٠٤٥/ب/٧ بتاريخ ١٤١٦/٦/٢٧هـ.

وتتولى العمادة الإشراف على جميع برامج الدراسات العليا في الجامعة.

٧. المعهد الثانوي، أنشئت عام ١٣٨١هـ.

٨. المعهد المتوسط، أنشئت عام ١٣٨٦هـ.

٩. دار الحديث المدنية ، كانت مدرسة أهلية أنشئت عام ١٣٥٠هـ ، وفي عام ١٣٨٤هـ صدرت الموافقة السامية على ضمها إلى الجامعة الإسلامية ، وتشتمل الدار على مرحلة التعليم المتوسط.

١٠. دار الحديث المكية ، كانت مدرسة أهلية أنشئت عام ١٣٥٢هـ ، وفي عام ١٣٩١هـ صدرت الموافقة السامية على ضمها إلى الجامعة الإسلامية ، وتشتمل الدار على مرحلة التعليم المتوسط والثانوي.

١١. معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، افتتحت عام ١٣٨٦هـ .
إن هذه الكليات والمعاهد قد أثرت وأينعت ثمارها وانتشر خرجوها في كل صقع من بقاع الأرض ، وأصبحوا دعاة علم وخير ، ومشاعل هداية ونور ونظرة سريعة لمخرجات الجامعة من الخريجين منذ تخرج أول فوج فيها حتى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ توضح أن دعم ولاية الأمر لهذه الجامعة قد حقق أهدافها - بعون من الله وفضل - :

- بلغ عدد الخريجين الإجمالي في كليات الجامعة الحاصلين على درجة العالمية العالية (الدكتوراه) منذ تخرج الدفعة الأولى حتى عام ١٤٢٦/١٤٢٧هـ : ٥٤٨ خريجاً من ٤٧ بلداً من مختلف بلدان العالم.

- بلغ عدد الخريجين الإجمالي في كليات الجامعة الحاصلين على درجة العالمية (الماجستير) منذ تخرج الدفعة الأولى حتى عام ١٤٢٦/١٤٢٧هـ : ٨١٧ خريجاً من ٦٤ قطراً من مختلف أقطار العالم.

- بلغ عدد الخريجين في كلية الشريعة الحاصلين على درجة البكالوريوس منذ إنشائها إلى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧ هـ: ٩١٩٧ خريجاً من ١٣٢ قطراً.
- بلغ عدد الخريجين في كلية الدعوة وأصول الدين الحاصلين على درجة البكالوريوس منذ إنشائها إلى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧ هـ: ٣٩١٩ خريجاً من ١٢٤ قطراً.
- بلغ عدد الخريجين في كلية القرآن والدراسات الإسلامية الحاصلين على درجة البكالوريوس منذ إنشائها إلى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧ هـ: ١٠٣١ خريجاً من ٦٩ قطراً.
- بلغ عدد الخريجين في كلية الحديث الشريف والدراسات الإسلامية الحاصلين على درجة البكالوريوس منذ إنشائها إلى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧ هـ: ٢٤٦٠ خريجاً من ١٠٣ قطراً.
- بلغ عدد الخريجين في كلية اللغة العربية الحاصلين على درجة البكالوريوس منذ إنشائها إلى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧ هـ: ٢٥٣ خريجاً من ٨١ قطراً.
- بلغ عدد الخريجين الإجمالي في كليات الجامعة الحاصلين على درجة البكالوريوس منذ إنشاء الجامعة إلى العام الجامعي ١٤٢٦/١٤٢٧ هـ: ١٨٦٦٠ خريجاً من ١٣٨ قطراً من مختلف أنحاء العالم.
- بلغ عدد الحاصلين على الشهادة الثانوية من المعهد الثانوي بالجامعة منذ افتتاحه حتى عام ١٤٢٥/١٤٢٦ هـ: ٨٧٤٧ طالباً.

- بلغ عدد الحاصلين على الشهادة المتوسطة من المعهد المتوسط بالجامعة منذ افتتاحه حتى عام ١٤٢٥/١٤٢٦ هـ: ٣٣٥١ طالباً.
- بلغ عدد الحاصلين على الشهادة المتوسطة من دار الحديث المدنية منذ ضمها إلى الجامعة حتى عام ١٤٢٥/١٤٢٦ هـ: ١٥٤٢ طالباً.
- بلغ عدد الحاصلين على الشهادة المتوسطة من دار الحديث المكية منذ ضمها إلى الجامعة حتى عام ١٤٢٥/١٤٢٦ هـ: ١٦٦٢ طالباً^(١).

بلغ مجموع الخريجين في جميع المراحل (٣٣٩٦٢) خريجاً موزعين على (١٥٢) قطراً.

ومن الجدير بالذكر والإشادة أن من جهود الجامعة الإسلامية العلمية إقامة الدورات الشرعية تحت مسمى "الدورات التدريبية لمعلمي اللغة العربية والثقافة الإسلامية" وقد بدأت الجامعة في إقامة هذه الدورات منذ عام ١٣٩٥ هـ إلى عام ١٤٢٢ هـ وفق منهج دراسي متكامل ، استفاد من هذه الدورات منذ بدايتها إلى عام ١٤٢١ هـ (٤٦١٢٢) طالباً في ٢٩ دولة من مختلف أرجاء العالم^(٢).

كما تجدر الإشارة -أيضاً- إلى الجهود العلمية التي تقوم بها الجامعة الإسلامية من خلال عقد المؤتمرات والندوات والملتقيات كالمؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة في الفترة من ٢٤ - ٢٩/٢/١٣٩٧ هـ، والمؤتمر

(١) انظر: "التقرير الموجز لعام ١٤٢٦/١٤٢٧ هـ" إصدار إدارة التطوير الإداري في الجامعة الإسلامية.

(٢) انظر: "عناية خادم الحرمين الشريفين بعقيدة السلف" ص: ٦٨ - ٧٢.

الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات في الفترة من ٢٨-٣٠/٥/١٤٠٢ هـ، والمؤتمر العالمي الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة في الفترة من ٢٨-٣٠/٣/١٤٠٤ هـ، وغيرها من الندوات الإقليمية والمحلية^(١).

وهناك جهود دعوية للجامعة -أيضاً- من خلال مجلس شؤون الدعوة، ومركز الدعوة سابقاً، وحالياً "عمادة خدمة المجتمع" يتم عن طريقها تقديم الجامعة خدماتها للمجتمع الداخلي والخارجي العالمي حسب الإمكانيات المتوفرة -أيضاً- .

وهناك جهود بحثية علمية تقدمها الجامعة من خلال عمادة البحث العلمي، وعمادة شؤون المكتبات، ومركز السنة والسيرة النبوية. تلك إشارات وإضاءات لبعض إنجازات الجامعة الإسلامية التي لا تألوا جهوداً في العمل على تحقيق أهدافها السامية التي بينها مؤسسها الملك سعود - يرحمه الله - ورعاها بدعم مستمر وعناية بالغة إخوانه البررة ولالة الأمر في هذه البلاد المباركة، سائلاً الله - وَجَّكَ - أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأن يرفع درجاتهم في عليين، آمين.

ولا نبالغ إن قلنا : إنه لا يكاد يوجد بلد في أنحاء الأرض، مغاربها ومشارقها إلا وفيه من خريجي هذه الجامعة المباركة الذين نهلوا من معين علومها الشرعية ومعارفها الإسلامية من منابعها الصافية لا كدر ولا شوائب،

(١) انظر: "الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية" ص: ٢٣٥ - ٢٦٨.

فرجعوا إلى أوطانهم علماء متمكنين ، ينشرون الإسلام ويدعون إليه على بصيرة وحكمة.

ويمكن إجمال أهم الجهود التي يقوم بها الخريجون بعد تخرجهم وعودتهم إلى بلدانهم فيما يلي :

١. إنشاء مدارس تحفيظ القرآن الكريم والمدارس والمعاهد والجامعات والمؤسسات الإسلامية التي تساعد على نشر التعليم الإسلامي.
٢. إعداد المناهج الإسلامية الدراسية السليمة التي تساعد على نشر الإسلام.
٣. القيام بالتربية والتعليم والتوجيه في الجامعات والمعاهد والمدارس الأهلية والحكومية.
٤. المشاركة في العمل الإسلامي من خطابة وإمامة ومحاضرات وندوات في المساجد والمراكز الإسلامية.
٥. المساهمة في العمل الإداري في بلدانهم من قضاء ووزارة، وتعليم وإشراف على الجمعيات والهيئات الإسلامية البناء الرسمية منها والشعبية.
٦. الإسهام بفاعلية في ترجمة وطباعة الكتب الإسلامية من اللغة العربية إلى اللغات العالمية والمحلية.
٧. المشاركة الإعلامية في مختلف وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة للتعريف بالإسلام وتعاليمه السمحة وأهدافه النبيلة.
٨. التصدي بقوة للغزو الثقافي الذي يستهدف الإسلام والمجتمعات الإسلامية.

٩. التعاون البناء مع المؤسسات الإسلامية الحكومية والأهلية في المملكة للقيام بتقديم أفضل الخدمات للمجتمعات الإسلامية.
١٠. المساهمة في دعم أواصر التعاون والتآخي بين أفراد مجتمعاتهم والجمعيات والهيئات المحلية في بلدانهم ونبذ الخلاف والشقاق^(١).

(١) جهود خادم الحرمين الشريفين في تعليم أبناء المسلمين من خلال المنح الدراسية التي تقدمها الجامعة الإسلامية ص: ٤٤٦ ، - د/سعيد بن فالح المغامسي ، مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١١٨) عام ١٤٢٣هـ.

المطلب السادس : رعايته رابطة العالم الإسلامي.

تعدّ الدعوة إلى خدمة قضايا الإسلام والمسلمين إحدى ركائز ومبادئ السياسة السعودية في الداخل والخارج منذ عهد الملك عبد العزيز - يرحمه الله - الذي أرسى دعائم التضامن الإسلامي، وعمل على مناصرة قضايا المسلمين.

قال الملك عبد العزيز: "أنا مسلم، وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل الله"^(١).
وحين تولى الملك سعود - يرحمه الله - مقاليد الحكم تابع تلك السياسة، وبذل جهوداً كبيرة في الدعوة إلى اجتماع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وإرساء دعائم التضامن الإسلامي فيما بينهم، وعن ذلك قال الملك سعود: "ونحن اليوم في هذا المكان ندعو مسلمي العالم في كل بقاع الأرض أن يتعاونوا ويتكاتفوا يداً واحدة لإقامة رابطة إسلامية قوية عملاً بقول الله - تعالى - ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]"^(٢).

ودعا الملك سعود إلى عقد مؤتمر إسلامي بمكة المكرمة في موسم الحج من عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م، وذلك لبحث أوضاع المسلمين ومشكلاتهم وتفعيل

(١) "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز" ص: ٢١٦، للزركلي.

(٢) "مختارات من الخطب الملكية" ص: ١٨٣.

التضامن الإسلامي ، وحضرت المؤتمر وفود من الدول الإسلامية المختلفة ،
وانتهى المؤتمر بإصدار توصيات عديدة منها : إنشاء سكرتارية عامة للمؤتمر ،
وتشكيل مجلس أعلى يرأسه الملك سعود .

ثم دعا الملك سعود - رئيس المؤتمر الإسلامي - في عام
١٣٨١هـ / ١٩٦٢م إلى مؤتمر إسلامي كبير بمكة المكرمة ، افتتحه الملك سعود
في يوم الجمعة الموافق ١٤ / ١٢ / ١٣٨١هـ بحضور وفود كثيرة من بلاد إسلامية
عديدة ، وألقى جلالتة كلمة افتتح المؤتمر جاء فيها :

"أفتح هذا المؤتمر الإسلامي بكل اعتزاز وافتخار لأن الإسلام مبدأنا
ومنتهانا. قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ
مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ٨٥].

وجاء في الأثر : فإن عرض بلاء فقدّم مالك دون نفسك ، وإن تجاوز
البلاء فقدّم نفسك دون دينك ، فإن المحروب من حرب دينه والمسلوب من
سلب دينه .

أيها الإخوة :

إنكم تعلمون ما نحن فيه من الاتجاهات الخبيثة ضد الإسلام وأهل
الإسلام ، ونحن والله الحمد أعوان الإسلام وفداء للإسلام بأموالنا وأرواحنا
وكل ما أوتينا من حول وقوة... أوصيكم أيها الإخوة بالذب عن دينكم .

علماء المسلمين يقولون ما الله سبحانه وتعالى ألهمهم إياه ، ونحن من
ورائهم سنزود عن هذا الدين بكل ما أوتينا من حول وقوة. والله الموفق ، أن
ينصر دينه ويعلي كلمته وينصر ما فيه نصر الإسلام والمسلمين ويذل أعداء
الدين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" (١).

وكان من أبرز القرارات التي اتخذها المؤتمر الإسلامي إنشاء أول مؤسسة توفر الإطار التنظيمي للتواصل الإسلامي، ودعم كلمة المسلمين ورعاية قضاياهم، وتقرر أن تتخذ تلك المؤسسة من مكة المكرمة مقراً لها، وتسمى بـ "رابطة العالم الإسلامي"، وبعد تلاوة قرارات المؤتمر نهض سمو الأمير خالد بن سعود - رئيس الديوان الملكي - وزف إلى الحاضرين البشرى الغالية: إن حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم أمر ببناء دار للرابطة بمكة المكرمة على نفقة جلالته، كما أمر بصرف مبلغ مليون ريال عزلي مشاركة من جلالته في ميزانية الرابطة (٢).

ورابطة العالم الإسلامي: هي مؤسسة إسلامية شعبية محضة، لا ترتبط بأي حكومة، بل هي هيئة مستقلة تحاول كل جهدها أن تجمع بين قوى الخير العاملة في الحقل الإسلامي في جميع البلدان وتنسق جهودها، وترشد طاقتها في تضامن وتعاون إسلامي من أجل إعلاء كلمة الله ورفع شأن الإسلام والمسلمين، ومناهضة الأفكار الدخيلة والقوى المعادية التي تعمل ضد عقيدة المسلمين وأوطانهم.

وأما أهدافها: فتتركز أهداف الرابطة في تبليغ دعوة الإسلام، وشرح مبادئه وتعاليمه، ودحض الشبهات، والتصدي للتيارات والأفكار الهدامة، والدفاع عن القضايا الإسلامية، بما يتفق مع مصالح المسلمين وآمالهم، وحل

(١) "اجتماعات المؤتمر الإسلامي" ص: ٨، نقلاً من تاريخ الملك سعود: ٤٢٨/١.

(٢) "اجتماعات المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة حج ١٣٨١هـ" ص: ٩، إعداد رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ١٣٨١هـ.

مشكلاتهم ، وتقديم الخدمات لهم في مختلف المجالات التربوية والتعليمية والثقافية والاجتماعية والصحية وغيرها.

وتتكون الرابطة من أجهزة رئيسة هي :

١. المؤتمر الإسلامي العام.

٢. المجلس التأسيسي للرابطة.

٣. الأمانة العامة للرابطة.

وقد انبثقت عن رابطة العالم الإسلامي عدة هيئات ومؤسسات إسلامية لها جهود وأعمال جليلة في خدمة الإسلام والمسلمين ،^(١) تلك هي رابطة العالم الإسلامي وبعض إنجازاتها في سطور قليلة ، وهي شجرة طيبة غرست بذرتها يد الملك سعود بن عبد العزيز - يرحمه الله - ورعاها من بعده إخوانه البررة فأتت أكلها وثمارها وانتفع بها القاصي والداني من أبناء الأمة الإسلامية ، والحمد لله.

(١) انظر: رابطة العالم الإسلامي: أهدافها، مجالها، أنشطتها، - من إصدارات الأمانة العامة للرابطة بمكة، ١٩٩٩ هـ.

- "الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية" (حقائق ووثائق) ص: ٤٤ وما بعدها.

- "من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله" ص: ٢٣٦ وما بعدها.

- "المملكة العربية السعودية مائة عام في خدمة الإسلام والمسلمين" ص: ١٢١ وما بعدها.

المطلب السابع : دعوته للعقيدة عن طريق الإعلام.

قدّر الملك سعود - يرحمه الله - أهمية وسائل الإعلام في توجيه الرأي العام، وتحصينه ضدّ الأفكار والأيدولوجيات التي تتناقض والثابت التي قامت عليها المملكة العربية السعودية.

كما قدّر الدور الفاعل لتلك الوسائل في دعم مسيرة التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، تلك التنمية التي أرسى دعائمها الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - وجاء من بعده الملك سعود، فعمل على ترسيخها والنهوض بها خطوات كبرى إلى الأمام.

لذلك كله، رأينا أن عهد الملك سعود قد شهد من الإنجازات - في مجال الإعلام - ما يجعلنا نقول إنها إنجازات كبيرة وعظيمة، إذا نسبت إلى زمانها، وظروفها المادية والتقنية. فالملك سعود هو صاحب فكرة إنشاء الإذاعة السعودية، حينما كان ولياً للعهد، ولما تولى مقاليد الحكم عمل على تقوية الإرسال الإذاعي ودعم العمل الإذاعي بالطاقات الفنية والبشرية، وفي عهده تبلورت الملامح الرئيسة للإعلام السعودي بعامة، والإذاعي بخاصة.

وفي عهده أنشئت مؤسسات صحفية عديدة، وصدر العديد من الصحف والمجلات التي أخذت بأساليب العمل الصحفي الحديث. كما كان الملك سعود وراء فكرة إنشاء التلفزيون السعودي، وبدء الخطوات التنفيذية لإقامته.

وسنحاول أن نعرض ومضات لعناية الملك سعود - يرحمه الله - للعقيدة السلفية ودعوته لها ودفاعه عنها بوسائل الإعلام المتوفرة في عهده.

أولاً: الصحافة.

شهد عهد الملك سعود - يرحمه الله - نهضة صحفية كبيرة، اتسمت بتعدد الإصدارات الصحفية وتنوعت موضوعاتها، والجوانب التي تغطيها، والجهات التي تصدر عنها، ومن الإصدارات الصحفية الدينية التي تعنى بالدعوة الإسلامية وشؤون المسلمين التي ظهرت في عهد الملك سعود، ما يلي:

١. مجلة راية الإسلام: وهي مجلة شهرية اهتمت بالقضايا الإسلامية وشؤون الدعوة إلى دين الله، وقد صدر العدد الأول منها في مدينة الرياض في غرة ذي الحجة عام ١٣٧٩هـ، وكان صاحب امتيازها والمشرف عليها حين صدورها فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم، كما رأس تحريرها فضيلة الشيخ صالح اللحيدان.
٢. في مرحلة إنشاء المؤسسات الصحفية الأهلية - التي كانت مرحلة أخرى من مراحل تطور الصحافة السعودية في عهد الملك سعود - أنشئت "مؤسسة الدعوة الإسلامية للصحافة والنشر" في شهر محرم عام ١٣٨٤هـ، وقد صدر عن المؤسسة فيما بعد مجلة "الدعوة الإسلامية".

ثانياً: الإذاعة.

يبين لنا الملك سعود - يرحمه الله - أهمية الإذاعة ورسالتها ومبادئها فيقول: "للإذاعة رسالتها العالمية، ورسالتها الوطنية... وهي - بحق - المذياع الذي تنادي منه الجهات الرسمية والهيئات المختلفة مواطنيها إلى ما يحسن أن يتمسكوا به من الأخلاق الفاضلة، والصفات الحسنة، وتعرفهم

على أمجادهم وتاريخ بلادهم ، وعلى ما كانوا عليه في ماضيهم العظيم من العزة والقوة والاتحاد.

كما تطلب منهم التمسك بالصالح من القوانين ، وما يجب أن يراعه من الأنظمة والتعليمات التي تضمن حقوقهم ، وترعى سلامتهم في أمور دينهم ودنياهم.

والإذاعة هي الوسيلة التي يتلقون منها بأقصى السرعة ما يجري في العالم من حولهم من حوادث وأنباء ، وخطوات في العلم ووسائل التقدم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي... والإذاعة إذا اعتمدت على الصدق والحق ، فهي أقوى دعامة يقوم عليها السلام ، - بدل الخصام - بين الناس. وهي في كل البلاد أداة تصور بلادها في الصورة الحسنة التي يجب أن تبرز فيها ، وتضع الحقائق في نصابها ، حتى لا تشوّهها الدعايات المعادية أو الأنباء المغرضة أو الجهل بالواقع أو المبادئ الهدامة والمتطرفة... ولقد خطت الإذاعة السعودية حتى الآن خطوات جعلتها - والحمد لله - في مكان يحترم بين إذاعات العالم العربي والإسلامي ، فكانت بذلك موضع رضانا وغبطتنا ، فلها منا كل تأييد وتعزيد بذلناه لها في الماضي وستتابعه في المستقبل - بإذن الله - ^(١).

(١) من كلمة لصاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز (ولي العهد) بمناسبة مرور أربع سنوات على نشأة الإذاعة السعودية ، راجع : "مجلة المنهل" : ١٦٢/١ ، السنة (١٤) محرم / ١٣٧٣ هـ.

وقد كان جلالة الملك سعود - يرحمه الله - أول من فكّر في إقامة محطة للإذاعة عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩ م حيث عرض الأمر على والده جلالة الملك عبد العزيز الذي وافقه على الفكرة، وكلف وزير ماليته بمتابعة تنفيذها^(١).
وقد بدأ البثّ الفعلي للإذاعة السعودية يوم الأحد ١٣٦٨/١٢/٩هـ بكلمة للأمير فيصل ألقاها نيابة عن والده جلالة الملك عبد العزيز - يرحمهما الله - تضمنت تهنئة الحجيح بمناسبة الحج، والترحيب بهم في الأراضي المقدسة^(٢).

وحين تولى الملك سعود الحكم بعد أبيه جلالة الملك عبد العزيز - يرحمهما الله - جعل من جلّ اهتماماته وضع تنظيم تشريعي يوضح أهداف الإذاعة السعودية وغاياتها، ويحدد الأسس العامة لسياستها وإستراتيجيتها في العمل الإذاعي وذلك "حتى يأخذ الإعلام الإذاعي في المجتمع السعودي مساره في إطار القيم الدينية والاجتماعية النابعة من العقيدة الإسلامية كتاباً وسنة"^(٣).

لذلك، فقد أصدر جلالته في يوم ١٣٧٤/٤/١٧هـ مرسوماً ملكياً برقم ١٠٠٧/١٦/٣/٧، تضمن اثنتي عشرة مادة تناولت نظام الإذاعة السعودية ومنهجها وتشكيلاتها الإدارية.

(١) انظر: "تاريخ الملك سعود": ٣٥٠/٣، د/ سلمان آل سعود.

(٢) وسائل الإعلام السعودية والعالمية ص: ٣٤٧، محمد فريد عزت، دار الشروق - جدة عام ١٤١٠هـ.

(٣) نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي ص: ٥٨، بدر أحمد كريم، مطابع تهامة، الطبعة (١) عام ١٤٠٢هـ.

ولأهمية هذا المرسوم - الذي يعتبر السياسة الإعلامية للمملكة العربية السعودية - نقتطف منها بعض المواد التي لها علاقة بموضوعنا في العناية بالعتيدة السلفية، وهي كالتالي^(١):

- المادة الرابعة (٤): مهمة هيئة الإذاعة السعودية هي:
 - أ- بث تعاليم الدين الإسلامي في الداخل والخارج، بنشر ثقافته في الداخل، بأساليب مختلفة، يفهمها العامة، وترفع مستواهم وتوسع مدارك المثقفين، وتحقيق مطالب الخاصة، والدعاية لتعاليم الإسلام في العالم الآخر، بإحداث إذاعات بلغات مختلفة، بالأساليب التي تتفق مع طبيعة كل أمة توجه إليها تلك الإذاعة.
 - ج- تركيز مكارم الأخلاق في النفوس، والترغيب عن سيئ العادات والتقاليد.
 - ك- توثيق عرى صلات الأخوة بين البلاد العربية، والعمل على ما من شأنه ربط أواصر الصلات، وتوحيد كلمة العرب، وجمع شملهم على ما فيه مصلحتهم، حاضراً ومستقبلاً.
 - ل- العمل على تحقيق الفكرة الإسلامية، في وحدة العالم المسلم وتعاونه على البر والتقوى.
 - م- المحافظة على شعور الصداقة والتعاون بين البلاد السعودية والبلاد العربية كافة، والبلاد الإسلامية، وبين جميع دول العالم، كلما أمكن لتحقيق الفكرة الإسلامية في حياة العالم حياة مطمئنة آمنة.

(١) جريدة "أم القرى" العدد (١٥٦٣) في ١٦/٩/١٣٧٤هـ.

- المادة الثامنة (٨): محظور على الإذاعة السعودية إذاعة أي مواد يترتب

عليها أمر من الأمور التالية :

أ- مخالفة كتاب الله وسنة رسوله.

ب- إحداث تفرقة بين المواطنين، أو الإضرار بمصالحهم، والإساءة إلى سمعة البلاد.

د- إحداث أية فرقة بين العالم الإسلامي، أو إضعاف عرى العلاقة الأخوية بين شعوبه.

وقد ألقى الملك سعود كلمة بمناسبة افتتاح المرسلات الإذاعية ذات الخمسين كيلوات في يوم الثلاثاء ١٣٧٧/٢/٨ هـ جاء فيها قوله :

"أسأل الله - تعالى - ، وأنا أفتتح هذه المحطة الإذاعية اليوم، أن يجعلها مناراً هادياً إلى الحق والعدالة ومكارم الأخلاق، وأن يجعلها مشعلاً للتوحيد والدعوة السلفية المحمدية، وأن يجعلها أداة صالحة مصلحة تجمع قلوب العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها على الأخوة الإسلامية الصحيحة وعلى توحيد كلمتهم، وجمع شملهم، لما فيه مجد ونهضة وحرية العرب والمسلمين في كل مكان"^(١).

وقد بدأ الملك سعود عهده وساعات الإرسال للإذاعة ثلاث ساعات وربع الساعة، وقد زادت هذه الساعات حتى وصلت في نهاية حكمه إلى إحدى عشرة ساعة وربع الساعة، بزيادة قدرها ٢٥٠٪.

(١) نشرة أخبار المملكة العربية السعودية هذا؛ العدد (٤٦٢) إصدار المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر.

أما بالنسبة للبرامج فقد حدث تطور واضح في نوعية البرامج التي كانت تقدمها الإذاعة السعودية، ومن ذلك دعم البرامج الموجهة وزيادة فاعليتها لخدمة الدعوة إلى الإسلام، حيث رغب المسؤولون في الإذاعة في التواصل مع الجمع العظيم من حجاج بيت الله الذي يفدون إليه من أصقاع الأرض، حيث يمكن توجيههم إلى تعاليم الإسلام وآدابه، ودعوتهم إلى العقيدة الصحيحة والنهج القويم وفق ما كان عليه السلف الصالح.

لذلك نشأت فكرة البرامج الموجهة، وكان ذلك على وجه التحديد في موسم الحج من عام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، حيث اختيرت اللغتان الإندونيسية والأوردية كلغتين تقدم بها الإذاعة السعودية برامج موجهة إلى الناطقين بهاتين اللغتين^(١)، وقد بدأ البث التجريبي بهاتين اللغتين في ١/١٢/١٣٦٩هـ لمدة خمس عشرة دقيقة يومياً، وفي غرة محرم عام ١٣٧٠هـ زادت مدة الإرسال حتى أصبحت أربعين دقيقة.

وحين تولى الملك سعود الحكم زادت مدة الإرسال باللغتين الإندونيسية والأوردية من أربعين دقيقة إلى ساعة كاملة يومياً، وذلك بدءاً من غرة محرم عام ١٣٧٦هـ.

كما استحدثت برامج جديدة استهدفت مناطق أخرى واسعة من العالم الإسلامي وهي:

(١) البرنامج الموجه باللغة الإندونيسية يستهدف مناطق إندونيسيا وماليزيا وبروناي، وأما اللغة الأردية فتستهدف مناطق باكستان وبنغلادش ووسط الهند وشمالها.

١ - البرنامج الموجه باللغة الفارسية، ويستهدف مناطق إيران وأفغانستان وبدأ بثه التجريبي في غرة رجب عام ١٣٨٣هـ، لمدة نصف ساعة يومياً، ثم بدأ البث المنتظم في غرة شوال ١٣٨٣هـ، لمدة ساعة واحدة يومياً.

٢ - البرنامج الموجه باللغة السواحلية، ويستهدف مناطق تنزانيا وكينيا وأوغندا وموزمبيق، وقد بدأ البث التجريبي في غرة رجب عام ١٣٨٣هـ، لمدة نصف ساعة يومياً، ثم أصبح البث المنتظم في غرة شوال ١٣٨٣هـ، لمدة ساعة واحدة يومياً.

ثالثاً: تأسيس إذاعة نداء الإسلام.

● النشأة والتطور

في يوم الجمعة السابع من ذي الحجة عام ١٣٨١هـ (١٩٦٢/٥/١م)، أصغى العالم كله إلى صوت ناطق بالحق والعدل عبر موجات "إذاعة صوت الإسلام من مكة المكرمة" "نداء الإسلام حالياً" حيث بدأت تبث برامجها إلى العالمين العربي والإسلامي.

وقد كان إنشاء هذه الإذاعة سعيًا من المملكة إلى التعريف بالإسلام وحقائقه، ونشر نور الهداية في بقاع الأرض، والردّ على أعدائه، وما يرفقون به من ترّهات وأباطيل، كما كان إنشاؤها تأكيداً على مكانة المملكة، ودورها في بثّ التوعية الإسلامية، وغرس روح العقيدة السمحة، والقيم

الفاضلة للإسلام بين المجتمعات الإسلامية، والأقليات المسلمة أينما وُجدت^(١).

وكان من أهدافها - أيضاً - مقاومة الغزو الفكري الإلحادي الذي يحاول النيل من الإسلام وعقيدته بمختلف الوسائل.

والحق أن إنشاء إذاعة هذه ورسالتها - في هذا الوقت الذي أخذ يشهد امتداد الحركات المناهضة للإسلام - لدليل على إدراك جلالته الملك سعود وحكومته لضخامة المسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه الإسلام والمسلمين.

ومهما يكن من أمر، فقد كان هذا الوليد الجديد حدثاً إعلامياً له أثره في العالمين العربي والإسلامي. وقد أقيم احتفال بهذه المناسبة تحت رعاية الملك سعود، حيث وجّه جلالته إلى العالم الإسلامي كلمة رحّب فيها بالمسلمين جميعاً، وأوضح أن إذاعة "صوت الإسلام" انطلقت من مكة داعية، وأنها صوت للمسلمين جميعاً، وليس للمملكة خاصة، ثم دعا الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته. ومما جاء في كلمة جلالته في افتتاح إذاعة صوت الإسلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المسلمون، أحْيَيْكُمْ جميعاً بتحية الإسلام، وأتمنى لكم طيب الإقامة. وإننا جميعاً، في هذه البقعة المباركة الطاهرة، نتجه بقلوبنا وأفئدتنا إلى مرضاة الله - سبحانه وتعالى - ، وتعزيز كلمته.

(١) انظر: "الإعلام السعودي" النشأة والتطور ص: ١١٣، د/ساعد الحارثي.

وإننا لعازمون، - بحول الله - ، أن نضع برنامجاً نسميه "صوت الإسلام"، وإني أتحث إليكم من صوت الإسلام من مكة المكرمة، داعياً، مهللاً.

وهذا هو صوتكم جميعاً، ليس لنا خاصة، وندعو الله - سبحانه وتعالى - ، أن ينصر دينه ويعلي كلمته، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه. والسلام عليكم^(١).

وقد حرصت إذاعة صوت الإسلام (نداء الإسلام - فيما بعد) منذ نشأتها على أن تكون صوت الإسلام لجميع المسلمين، فشارك في برامجها عدد من كبار العلماء في سوريا ولبنان والعراق ومصر وفلسطين وباكستان والهند واليمن والنيجر... إلخ، بالإضافة إلى علماء المملكة، وكل هؤلاء ساهموا بنصيب وافر في إثراء هذه الإذاعة بمختلف البرامج والأحاديث الدينية. وبدأت إذاعة صوت الإسلام برامجها لمدة ساعتين تقريباً كل يوم، وبداية من شهر رمضان عام ١٣٨٢هـ، بدأت الإذاعة فترة إضافية خلال موسمي رمضان والحج من كل عام، وكان ولا يزال الاتجاه السائد في هذه الإذاعة التركيز على المادة الدينية فقط، حديثاً كانت أو برنامجاً أو تمثيلية تاريخية أو إسلامية^(٢).

(١) راجع: مجلة الإذاعة العدد (٨٢) عام ١٣٨٢هـ.

(٢) نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي ص: ٨١، ٨٤ - بدر أحمد كريم، مطابع تهامة، الطبعة (١) عام ١٤٠٢هـ، وانظر فيما سبق في هذا المطلب كتاب "تاريخ الملك سعود": ٣/٣١١ - ٣٦٦ للسمو الملكي الأمير د/سلمان بن سعود آل سعود، بتصرف واختصار.

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على المبعوث
بخاتمة الرسالات ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن استن بسنته إلى يوم
الدين.

في نهاية هذا البحث الموجز أودّ أن أسجل بعض النتائج التي توصلت إليها
كالتالي :

- ١ - إن الدولة السعودية قامت على المنهج والعقيدة السلفية ، وستظل
كذلك - إن شاء الله - إلى ما شاء الله - وَعَجَّلْ .
- ٢ - عناية المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - طيب
الله ثراه وأسكنه فسيح جناته - بالعقيدة السلفية والتزامه بها عقيدة
وقولاً وعملاً ودعوة ودفاعاً ، وحرصه على غرسها في أبنائه البررة.
- ٣ - تعدد المواهب الشخصية والجوانب الإسلامية الرفيعة في شخصية
الملك سعود ابن عبد العزيز - يرحمه الله - وما يتمتع به من
خصال قيادية عظيمة.
- ٤ - اعتناء الملك سعود بالعقيدة السلفية في أغلب خطبه وكلماته
بتوضيح العقيدة وبيان أهميتها وفضلها والدعوة إليها والتحذير من
مخالفتها ، كما يلاحظ عنايته بالاستدلال بالنصوص الشرعية من
الكتاب والسنة في خطبه ورسائله.
- ٥ - إن العقيدة الإسلامية كانت المنطلق والأساس للملك سعود في
أعماله الجليلة ومنجزاته الحضارية في مختلف المجالات الدينية
والتعليمية والسياسية وغيرها.

إن من واجبنا الحمد والشكر والثناء لله وحده لا شريك له على نعمه
الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى ، ومن أعظمها أن جعل في أعناقنا بيعة شرعية
لولاية أمورنا يعملون بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - بهدي السلف
الصالح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا
محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

- الأصول العلمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، إصدار الأمانة العامة لجائزة المدينة المنورة ١٤٢٢هـ.
- الإعلام السعودي - النشأة والتطور - ، د/ساعد الحارثي.
- الأعلام - خير الدين الزركلي، ط: ٥، ١٩٨٠م، دار العلم للملايين، بيروت.
- اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، - د. صالح بن عبد الله بن حميد، بحث مقدم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه) في الفترة من ٣- ٦ / ٧ / ١٤٢١هـ بالمدينة المنورة.
- اجتماعات المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة حج ١٣٨١هـ، "إعداد رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ١٣٨١هـ.
- البداية والنهاية للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ، تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للتوزيع والطباعة.
- تاريخ الدولة السعودية - أمين سعيد، الطبعة (١) ١٣٨٥هـ، دار الكتاب العربي، - بيروت.
- تاريخ الملك سعود (الوثيقة والحقيقة)، - د/سلمان بن سعود بن عبد العزيز آل سعود، ط ١، ٢٠٠٥م، دار الساقى، بيروت.
- تاريخ المملكة العربية السعودية - د. عبد الله صالح العثيمين، ط ٩، ١٤١٩هـ، مكتبة العبيكان - الرياض.
- تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- التقرير الموجز عن العام الجامعي ١٤٢٥/١٤٢٦هـ، - إدارة التطوير الإداري، - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، - مطابع الجامعة الإسلامية.
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أربعين عاماً، (من إصدارات الجامعة بمناسبة افتتاح المدينة الجامعية عام ١٤١٢هـ).
- جريدة "أم القرى" العدد (١٥٦٣) في ١٦/٩/١٣٧٤هـ.

- جريدة المدينة العدد (١٥٧٣٦) في ٢٦/٤/١٤٢٧هـ.
- جريدة عكاظ، العدد (١٤٥٣٩) في ٢١/٥/١٤٢٧هـ.
- جهود خادم الحرمين الشريفين في تعليم أبناء المسلمين من خلال المنح الدراسية التي تقدمها الجامعة الإسلامية، - د/سعيد بن فالح المغامسي، مجلة الجامعة الإسلامية العدد (١١٨) عام ١٤٢٣هـ.
- الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها، أعمالها - إصدار الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط - ١، الرياض ١٤١٩هـ.
- رابطة العالم الإسلامي، أهدافها، مجالها، أنشطتها، - إصدار الأمانة العامة للرابطة بمكة المكرمة، عام ١٩٩٩م.
- روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام والغزوات البيانية والفتوحات الربانية، للشيخ/ حسين ابن غانم، المطبعة الأهلية ١٣٦٨هـ.
- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥هـ)، تحقيق/ عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) نشر دار ابن حزم ببيروت، ودار المغني بالرياض.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة.
- سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (١٨١ - ٢٥٥هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط / الأولى ١٤٠٧هـ.
- سير أعلام النبلاء - للإمام محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د/شعيب الأرناؤوط، ط - ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية (حقائق ووثائق) - إعداد وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكالة الوزارة المساعدة للشؤون الإسلامية، ط ١، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤١٩هـ.

- شباب العقيدة الإسلامية - مختارات من كلمات ولقاءات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - إعداد المستشار/ محمد سعيد مبارك، ط ١، دار الدراسات الاقتصادية، ١٤١٢هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للإمام الحافظ أبي القسم هبة الله بن الحسن اللالكائي ت ٤١٨هـ، تحقيق/ د. أحمد سعد حمدان، ط ١، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٣هـ.
- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، تحقيق/ محمد السعيد بسيوني زغلول، ط / الأولى ١٤١٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- صحيح ابن حبان صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط / الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- صحيح سنن ابن ماجه" للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) مكتبة المعارف، الرياض.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة.
- طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى، تحقيق محمد حامد الفقي.
- عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، - د/ صالح بن عبد الله العبود، صدرت بمناسبة المئوية عام ١٤١٩هـ.
- عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها - د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.
- عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بعقيدة السلف، د/ محمود بن عبد الرحمن قدح، إصدار وزارة التعليم العالي، الجامعة الإسلامية، بمناسبة مرور ٢٠ عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم، ١٤٢٢هـ.
- عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر، مكتبة الرياض الحديثة.
- فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، - جمع وترتيب/ محمد ابن عبد الرحمن بن قاسم، ط ١، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ١٣٩٩هـ.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣ - ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- الفقه الإسلامي في عهد أبناء الملك عبد العزيز، د/ سليمان أبا الخيل (من إصدارات المثوية).
- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت ٨١٧هـ، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسين الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - إصدار الجامعة الإسلامية، ط - ١، ١٤١٩هـ.
- كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - إعداد عبد الرحمن بن سليمان الرويشد، دار الشبل للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ، الرياض.
- لسان العرب للإمام العلامة محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ت ٧١١هـ، تحقيق / أمين محمد بن عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، - لبنان.
- مجلة المنهل، السنة (١٤) محرم / ١٣٧٣هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة، ، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٤٠٧هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه، ط ١، ١٣٩٨هـ.
- مختارات من الخطب الملكية - جمع دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" للإمام ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١) تحقيق / محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) دار الكتاب العربي، بيروت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، المحقق الشيخ / شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى : ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- مشكاة المصابيح للشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٣٨٠هـ / ١٩٦١م) المكتب الإسلامي، بيروت.
- المصحف والسيف، - جمع وإعداد محي الدين القابسي، ط: ٢، دار الناصر للنشر والتوزيع، - الرياض.
- معلومات عن المملكة العربية السعودية. المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر. (١٣٧٣ - ١٣٧٨هـ).
- الملك سعود من أحاديثه وخطبه، - فؤاد شاكر، ط ٢، عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.
- المملكة العربية السعودية في مائة عام - إصدار خاص بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة - دار الملك عبد العزيز، مكتبة العبيكان - الرياض ١٤١٩هـ.
- من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله من إعداد وكالة الوزارة المساعدة لشؤون الدعوة، الرياض ١٤١٩هـ.
- الموسوعة العربية العالمية - مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الرياض.
- موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام. - وزارة المعارف، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي، لبدر أحمد كريم، مطابع تهامة، الطبعة (١) عام ١٤٠٢هـ.
- نشرة أخبار المملكة العربية السعودية هذا؛ العدد (٤٦٢) إصدار المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر.
- هذه المملكة العربية السعودية، - المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر.
- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز - خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- وسائل الإعلام السعودية، لمحمد فريد عزت، دار الشروق - جدة عام ١٤١٠هـ.



عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد - رحمه الله - بعقيدة السلف

تأليف

أ.د. محمود بن عبد الرحمن قلدح

الأستاذ بقسم العقيدة

كلية الدعوة وأصول الدين

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

الشريعة

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾^(١)
﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾^(٢)

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾^(٣)
أما بعد :

"إن في تاريخ البلاد السعودية سيرة أمة تحولت من الركود إلى النشاط ، ومن الفرقة إلى الألفة ، ومن الفتنة إلى الوئام ، ومن نزعات العصية الجاهلية والفوضى إلى الإيمان والنظام ، ومن الفاقة إلى اليسر ، ومن النوم والغفلة إلى الأخذ بأسباب الحياة.

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٠٢ .

(٢) سورة النساء ، آية : ١ .

(٣) سورة الأحزاب ، آية : ٧٠ - ٧١ .

إمارات تتوحد، وأمة تتكون، ودولة تبنى، وحضارة تشاد، مئات السنين
مرت بالجزيرة والحكم فيها لمن غلب، غزو ونهب، لا أمن لضعيف ولا
سلامة لأعزل.

لقد خضع العَصِيُّ، وأمن الخائف، فكان الاستقرار، وكان الأمن من
الذي لم يألفه أهل هذه الأقطار"^(١).

إن الأساس الذي حقق كل ذلك، والرابط الذي جمع ذلك كله، هو
الإسلام الذي تمسك به ولادة الأمر في المملكة العربية السعودية اعتقاداً وقولاً
وعملاً، منذ تأسيسها على يد صقر الجزيرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن
آل سعود - رحمه الله - ، بل إن المملكة العربية السعودية هي امتداد للدولة
السعودية الأولى التي نشأت وقامت على العهد الذي كان بين الإمام محمد بن
سعود والإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - في نصرة
الدعوة الحقّة، دعوة التوحيد.

ولا زال الأئمة من آل سعود ينصرون التوحيد في عهودهم جميعاً بدءاً من
الدولة السعودية الأولى واستكمالاً في الدولة السعودية الثانية واستمراراً في
المملكة العربية السعودية الثالثة - حرسها الله وأعزها - "ولئن كانت
العقيدة والشريعة هي الأصول الكلية التي نهضت عليها هذه الدولة، فإن
تطبيق هذه الأصول يتمثل في التزام المنهج الإسلامي الصحيح في العقيدة

(١) "اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية" ص: ١٠،

د/صالح بن عبد الله بن حميد.

والفقه والدعوة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي القضاء ، وفي العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

وبذلك كانت الدولة السعودية نموذجاً متميزاً في السياسة والحكم في التاريخ السياسي الحديث^(١).

ومن هنا تبرز أهمية موضوع هذا البحث في التأكيد على تمسك خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - يرحمه الله - بالعقيدة السلفية ، وبيان بعض جهوده في العناية بها ودفاعه عنها ودعوته إليها. تحدثاً بنعمة الله ﷻ بالعيش في ظل إمامة السنة والجماعة وبالأمن والأمان والاستقرار والرفاهية ، وتنبهاً للغافل ، وتذكيراً للناسي ، وموعظة للمتقي ، وإرغاماً للحاقد الجاحد والكافر.

فيفزاد المحسن شكراً وحمداً وثناءً لله تبارك وتعالى على ما وفقه من الطاعة ، ويزداد اجتهداً وحرصاً على الخير والحسنات وليقتدي به المتسابقون في الخيرات.

ويزداد الشاكرون المخلصون حمداً لله ﷻ وثناءً ودعاءً لولي أمرنا خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين وحكومته الرشيدة بأن يجزيهم الله خير الجزاء ، ويمدهم بعونه وتوفيقه ، ويسبغ عليهم الصحة والعافية ، ويتقبل منهم أعمالهم خالصة لوجهه الكريم ، ويجعلها في ميزان حسناتهم.

(١) من كلمة لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد إلى المواطنين بمناسبة صدور أنظمة الحكم الثلاثة. (انظر "مختارات من الخطب الملكية" : ٢٦٢/٢).

ومن هنا جاء هذا البحث المختصر بياناً للحقائق وتوثيقاً لها ، وعرفاناً
بالفضل لأهله ليغبط الموفق بتوفيق الله ، ولتزول الغشاوة عن بعض العيون.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث كالتالي :

**المبحث الأول : المنهج والاعتقاد السلفي الذي قامت عليه الدولة
السعودية.**

**المبحث الثاني : عناية خادم الحرمين الشريفين بالعقيدة من خلال خطبه
وكلماته.**

**المبحث الثالث : عناية خادم الحرمين الشريفين بالعقيدة من خلال بعض
أعماله.**

وفي ختام هذه المقدمة أود التنويه إلى أن هذا البحث قد تم إعداده في عهد
خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وفي حياته بمناسبة مرور ٢٠
عاماً على توليه - رحمه الله - مقاليد الحكم في المملكة العربية
السعودية ، داعياً الله العليّ القدير أن يرحمه ويغفر له ويدخله فسيح
جناته ، آمين.

كما أتوجه بالشكر الجزيل والتقدير البالغ والدعاء بالجزاء الحسن في الدنيا
والآخرة لكل من أعانني في إكمال هذا البحث بمعلومة أو مشورة أو إعارة
كتاب ، وأخص بالذكر أخي وزميلي فضيلة الدكتور محمد باكريم بن محمد
باعد الله - وفقه الله - .

سائلاً الله ﷻ أن أكون قد وفقت فيما كتبت ، وأن يتقبل مني هذا العمل ،
وسائر أعمالي ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وألا يحرمني ووالدي
وأهلي أجرها إنه سميع قريب مجيب .
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
والحمد لله رب العالمين .

تهديد

نبذة عن حياة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد

- يرحمه الله -

هو فهد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن، من بني حنيفة. ولد الملك فهد في مدينة الرياض عام ١٣٤٣هـ / الموافق ١٩٢٤م، نشأ وتربى في كنف ورعاية والده الملك عبد العزيز -رحمه الله- فتأثر بشخصيته تأثراً كبيراً، واكتسب منه الكثير من الصفات كالكرم، والشجاعة، والحكمة، وبعد النظر.

تلقى تعليمه الأول بمدرسة الأمراء التي أنشأها الملك عبد العزيز في قصره، ثم التحق بالمعهد السعودي بمكة المكرمة، ثم أخذ ينهل من أمهات الكتب والمراجع في مختلف فنون العلم والمعرفة، مما وسّع أفقه، ونمّى معارفه، وصقل شخصيته، هذا بالإضافة إلى تأثره بشخصية والده واكتسابه الكثير من خبراته وتجاربه.

وقد لاحظ الملك عبد العزيز النباهة والنبوغ في الأمير فهد فضمه إلى مجلسه الخاص الذي كان يضم نخبة من كبار العلماء ورجال السياسة، وتقلّد العديد من المناصب والمهام الرسمية منذ وقت مبكر.

ومن أبرز المناصب التي تولّاها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد -أيده الله- تعيينه أول وزير للمعارف للمملكة في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- عام ١٣٧٣هـ، فوضع الأسس العامة لسياسة

التعليم ، مستمدة من العقيدة الإسلامية الصحيحة والمنهج القرآني والسنة النبوية المطهرة ، فأصبح بذلك رائداً للتعليم المنهجي المنظم ، وراعياً للنهضة التعليمية الحديثة.

ثم عيّن وزيراً للداخلية في عام ١٣٨٢ هـ ، فأعاد تنظيمها وهيكلتها ، وأنشأ عدداً من المعاهد المتخصصة لتخريج الكوادر الوطنية المؤهلة لقوى الأمن المختلفة.

وفي عام ١٣٨٧ هـ عيّنهُ الملك فيصل بن عبد العزيز -رحمه الله- نائباً لرئيس مجلس الوزراء ، بالإضافة إلى منصبه وزيراً للداخلية.

وعندما تولى الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله - الحكم عام ١٣٩٥ هـ ، تمّ اختياره ولياً للعهد ونائباً لرئيس مجلس الوزراء.

كما ترأّس المجالس والهيئات الرسمية ومنها ؛ المجلس الأعلى للبتروك والمعادن ، المجلس الأعلى للجامعات ، المجلس الأعلى لرعاية الشباب ، اللجنة العليا لسياسة التعليم ، اللجنة العليا لشؤون الحج.

كما مثّل المملكة العربية السعودية في العديد من المحافل الدولية بصفته رئيساً لوفد المملكة.

ومنذ أن بايع شعب المملكة العربية السعودية الملك فهد بن عبد العزيز ملكاً على البلاد عام ١٤٠٢ هـ بعد وفاة أخيه الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله - ، وهو يعمل بكل تفان وإخلاص من أجل خدمة هذه البلاد ومواطنيها ، وهو في ذلك يعمل مسترشداً بالقيم الدينية والأخلاق الإسلامية النبيلة.

وقد أكد خادم الحرمين الشريفين في خطابه التاريخي الذي افتتح به عهده على التزامه بالمنطلق الإسلامي في الحكم، وترسيخ قواعد الشريعة الإسلامية، والحكم بما أنزل الله، والعمل على إكمال خطط التنمية لما فيه ازدهار البلاد ورفاهيتها.

اتصف الملك فهد بقوة الشخصية والحكمة والحنكة السياسية وبعد النظر، التي مكنته بالارتقاء بالمملكة في كافة الميادين والجوانب إلى مصاف أرقى الدول العالمية.

ويحفل سجل أعمال خادم الحرمين الشريفين بالعديد من المناقب والمنجزات العظيمة داخلياً وخارجياً، ويأتي في مقدمتها توسعة الحرمين الشريفين، وتأسيس مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وإصدار الأنظمة الثلاثة، نظام الحكم في المملكة، ونظام الشورى، ونظام المقاطعات، وتحرير الكويت، ودعم القضية الأفغانية، ونصرة البوسنة والهرسك، وحل القضية اللبنانية، ودعم القضية الفلسطينية^(١).

توفي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في يوم الاثنين ١٤٢٦/٢٦ هـ الموافق ٢٠٠٥/٨/١ م بالرياض، ودفن في مقبرة العود - رحمه الله تعالى - وتغمده بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته، آمين.

(١) انظر: "هذه بلادنا" ص: ٣٠ - وزارة الإعلام، و"المملكة العربية السعودية في مائة عام" ص: ٨٣ - ٨٩ - دارة الملك عبد العزيز، و"الأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عشرون عاماً من العطاء" ص: ٣٣ - ٣٥ - وزارة الإعلام، و"فهد الوطن والحدث" - حامد عباس، و"فهد بن عبد العزيز قائد ومسيرة" - خالد بن محمد القاسمي.

المبحث الأول

المنهج والاعتقاد السلفي الذي قامت عليه الدولة السعودية

من المعلوم أن لكل دولة أسساً ومبادئ تقوم عليها وتدعو إليها وتدافع عنها، ولها غايات وأهداف تسعى لتحقيقها.

وإن مما يميز الدولة السعودية عن غيرها في - العصر الحديث - أنها تأسست على دعوة التوحيد، فاتخذت القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دستوراً لها، والعقيدة السلفية منهجاً وطريقاً، وتحكيم شريعة الإسلام ونشره مطلباً، وابتغاء مرضاة الله - ﷻ - غاية وهدفاً، وهذا ما سنبيّنه - بعون الله تعالى - في المطالب التالية :

المطلب الأول:

تعريف العقيدة

- العقيدة لغة :

من (العقد) : نقيض الحل، وهو الربط والشّدّ بقوة، ومنه ؛ الإحكام والإبرام، والإلزام، والتمسك والمراصة، والإثبات والتوثق، والعهد، وتأكيد اليمين.

يقال : اعتقد فلان الأمر : صدقه، وعقد عليه قلبه وضميره.

والعقيدة أو المعتقد : الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده^(١).

(١) انظر: "لسان العرب" مادة (عقد) : ٩٦٥/٣ - ٣٠٠، لابن منظور، و"القاموس المحيط" :

٣٨٣، للفيروزآبادي، و"المعجم الوسيط" : ٦١٤.

- العقيدة اصطلاحاً :

العقيدة الإسلامية اصطلاحاً : الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح،^(١).

وقد ورد عن بعض السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - إطلاق هذا الاسم على عدد من مؤلفاتهم في هذا العلم ومن ذلك : كتاب "اعتقاد أهل السنة" للإمام الحافظ أبي بكر الإسماعيلي المتوفى سنة ٣٧١هـ^(٢)، وكتاب "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للإمام الحافظ اللالكائي المتوفى سنة ٤١٨هـ^(٣)، وكتاب "عقيدة السلف وأصحاب الحديث" للإمام الصابوني المتوفى سنة ٤٤٩هـ^(٤)، وكتاب "الاقتصاد في الاعتقاد" للإمام الحافظ أبي محمد

(١) انظر: "مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة" : ٩، أ.د. ناصر العقل، باختصار بسيط.

(٢) شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني الإسماعيلي، شيخ الشافعية.

(انظر ترجمته في "سير الأعلام" : ٢٩٢/١٦ للإمام الذهبي، و"البداية والنهاية" : ٢٩٨/١١ للإمام ابن كثير).

(٣) هبة الله بن الحسن الرازي الطبري اللالكائي، من أئمة أهل السنة، صاحب التصانيف الكثيرة. (انظر ترجمته في "تاريخ بغداد" : ٧٠/١٤، و"البداية والنهاية" : ٢٤/٢).

(٤) شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد، الواعظ، المفسر، المصنف. (انظر ترجمته في "طبقات الشافعية" : ٢٧١/٤ للسبكي، و"سير الأعلام" : ٤٠/١٨).

المقدسى المتوفى سنة ٦٠٠هـ^(١)، وكتاب "لمعة الاعتقاد" للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسى المتوفى سنة ٦٢٠هـ^(٢)، وغير ذلك.

المطلب الثاني:

مفهوم لفظ السلف.

- السلف لغة :

جمع سالف، على وزن حارس وحرس، والسلف : الجماعة المتقدمون، والأمم السالفة، الماضية، ومن تقدمك من آبائك وذوي قرابتك^(٣).

- السلف اصطلاحاً :^(٤)

اختلف في تحديد مفهوم السلف على عدة أقوال منها :

- ١ - إنهم الصحابة فقط.
- ٢ - إنهم الصحابة والتابعون.
- ٣ - إنهم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين، أي : القرون المفضلة الثلاثة التي أثبت لها النبي ﷺ - الخيرية بقوله في حديث

(١) الحافظ أبو محمد عبد الغنى بن عبد الواحد الجماعيلي المقدسى. (انظر ترجمته في "سير الأعلام" : ٤٤٣/٢١، و"البداية والنهاية" : ٣٨/١٣).

(٢) الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى. (انظر ترجمته في "سير الأعلام" : ١٦٥/٢٢، و"البداية والنهاية" : ٩٩/١٣).

(٣) انظر: "لسان العرب" مادة (سلف) : ١٥٨/٩، ١٥٩، و"القاموس المحيط" : ١٠٦٠، و"المعجم الوسيط" : ٤٤٣، ٤٤٤.

(٤) للتوسع راجع : "وسطية أهل السنة بين الفرق" : ٩٧ - ١١٦، د. محمد باكرى محمد باعبد الله.

عمران بن حصين - رضي الله عنهما - : (خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ...) (١).

والقول الأخير ذهب إليه كثير من أهل العلم، وهو قول المحققين منهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "مذهب "أهل الحديث" وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف ... " (٢).

فالسلف إذا أطلق انصرف - زمانياً - إلى القرون الثلاثة المفضلة، وأما مذهب السلف : فهو ما كان عليه أصحاب رسول الله - ﷺ - ، وكل سالك في الاقتداء بهم حتى ولو كان في عصرنا هذا.

قال العلامة السفاريني : "المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفاً عن سلف، دون من رمي ببدة، أو شهر بلقب غير مرضي، مثل : الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة، والكرامية، ونحو هؤلاء" (٣).

-
- (١) أخرجه البخاري (انظر: "فتح الباري" : ٣٣/٧، ح ٣٦٥٠)، وبمثله من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - (انظر: "فتح الباري" : ٣/٧، ح ٣٦٥١).
- (٢) انظر "مجموع الفتاوى" : ٣٥٥/٦، و"درء تعارض العقل والنقل" : ٢٠٣/١.
- (٣) انظر "لوامع الأنوار البهية" : ٢٠/١.

فالدعوة إلى اتباع السلف ، أو الدعوة إلى عقيدة السلف ، أو إلى السلفية إنما هي الدعوة إلى الإسلام الحق ، وإلى السنة المحضة ، دعوة إلى العودة إلى الإسلام كما أنزل على الرسول ﷺ - وتلقاه عنه أصحابه الكرام - رضوان الله عليهم .

فلا شك أن هذه الدعوة دعوة حق ، والانتساب إليها حق ، فلا ضير في الانتساب إلى السلف والاعتزاء إليهم حيثئذ ، قال الإمام ابن تيمية : " لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه ، واعتزى إليه ، بل يجب قبول ذلك منه بالاتفاق ، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً" (١) . اهـ .

وقد ثبت عن النبي ﷺ - استعمال لفظ "السلف" ، فقد جاء عنه أنه ﷺ - قال لابنته فاطمة - رضي الله عنها - ، وهو في مرض موته - : (اتقي الله واصبري ، فإنه نعم السلف أنا لك) (٢) .

المطلب الثالث :

منهج السلف في العقيدة .

قال الإمام الحافظ أبو القاسم اللالكائي : " فإن أوجب ما على المرء ؛ معرفة اعتقاد الدين وما كلف الله به عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين والتوصل إلى طرقها والاستدلال عليها بالحجج والبراهين .

(١) انظر : "مجموع الفتاوى" : ١٤٩/٤ .

(٢) أخرجه البخاري (انظر "فتح الباري" : ١٤٩/٤) ، ومسلم (١٩٠٤/٤) .

وكان من أعظم مقول وأوضح حجة ومعقول : كتاب الله الحق المبين ، ثم قول رسول الله - ﷺ - ، وصحابته الأخيار المتقين ، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون ، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين ، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون ... فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة ، والآثار المحفوظة المنقولة ، وطرائق الحق المسلوكة ، والدلائل اللائحة المشهورة ، والحجج الباهرة المنصورة ، التي عمل عليها الصحابة والتابعون ، ومن بعدهم من خاصة الناس وعامتهم من المسلمين ، واعتقدوها حجة فيما بينهم وبين الله ربّ العالمين^(١) . اهـ.

وقد أشار الحافظ اللالكائي في كلامه السابق إلى أبرز خصائص منهج السلف في العقيدة ، والذي يتبين من خلال كتبهم والآثار الواردة عن السلف بما يلي :

- ١- تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة ، وما أجمع عليه السلف الصالحون في كل قضية من قضايا العقيدة ، وعدم ردّ شيء منهما أو تأويله.
- ٢- الأخذ بما ورد عن الصحابة في بيان القضايا الدينية بعامة ، وفي قضايا العقيدة خاصة.
- ٣- عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مما لا مجال للعقل فيه.
- ٤- عدم مجادلة أهل البدع أو مجالستهم أو سماع كلامهم أو عرض شبههم.

(١) انظر: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" : ٩/١ .

٥- الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم^(١).

لذا، كان الناظر والمتتبع لما أثر عن سلفنا الصالح في العقيدة من أقوال ومصنفات، يجد اتفاقاً في مسائلها، واهتماماً بها في التعليم والدعوة إليها، مع اختلاف بلدانهم وأجناسهم وزمانهم.

قال الإمام أبو المظفر السمعاني: "إنك لو طالعت جميع كتبهم - يعني أئمة أهل السنة - المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، وقولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقاً في شيء وإن قلّ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد"^(٢).

أهـ.

ولهذا أجاب الإمام ابن تيمية - حينما سئل عن اعتقاد الإمام الشافعي - بقوله: "اعتقاد الشافعي - رضي الله عنه - واعتقاد سلف الأمة كمالك

(١) انظر: مقدمة تحقيق الكتاب السابق للدكتور. أحمد سعد حمدان: ٥٣ - ٦٣، وللتوسع انظر "الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية": ٥٧ - ٦٨، د. محمد أمان بن علي الجامي، و"قواعد المنهج السلفي"، د. مصطفى حلمي، و"منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة": ٥٦ - ٦٨، د. محمد بن عبد الوهاب العقيل.

(٢) نقله عنه الإمام الأصفهاني في كتابه "الحجة في بيان المحجة": ٢٢٤/٢، ٢٢٥، بتحقيق محمد أبو رحيم، وأكده الشيخ عدي بن مسافر الأموي في كتابه "اعتقاد أهل السنة والجماعة": ٤٢ - ٤٥ بتحقيق حمدي السلفي.

والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية هو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع في أصول الدين، وكذلك أبو حنيفة - رحمه الله - فإن الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء، واعتقاد هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وهو ما نطق به الكتاب والسنة^(١).

المطلب الرابع:

مجل اعتقاد السلف.

لقد اعتنى السلف - رحمهم الله تعالى - عناية بالغة بنشر عقيدتهم "عقيدة أهل السنة والجماعة" بطرق متنوعة متعددة منها : تلقين تلامذتهم العقيدة بالإسناد، وتدوينها في كتبهم تارة بالإيجاز والاختصار، وتارة بالشرح والتفصيل، وتارة بالشعر والنظم، وتارة بالرد على المخالف من أهل الأهواء والبدع، كل ذلك حرصاً من السلف على الدعوة إلى العقيدة الصحيحة ونشرها بين الناس، ومحاربة العقائد الباطلة لأهل الأهواء والبدع، ومن فضل الله - ﷻ - وكرمه أن حفظ للمسلمين تلك المؤلفات في عقيدة السلف المطولة منها والمختصرة، والتي سننقل منها مجمل عقيدة السلف "عقيدة الفرق الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة" التي أجمعوا عليها، ونقلها عنهم أتباعهم سلفاً بعد سلف، وهي كالتالي^(٢) :

(١) انظر "مجموع الفتاوى" : ٢٥٦/٥.

(٢) اختصرت هذه العقيدة من كلام وكتب أئمة السلف المتقدمين والمتأخرين أذكر منها الآتي :

- "عقيدة الإمام أحمد بن حنبل" برواية تلميذه عبدوس بن مالك العطار. (انظر "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة": ١٥٦/١ - ١٦٤ ، للحافظ اللالكائي ، و"طبقات الخنابلة": ٣١١/١).
- "كتاب السنة" للإمام عمرو بن أبي عاصم ت: ٢٨٧هـ.
- "كتاب السنة" للإمام عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل ت: ٢٩٠هـ.
- "كتاب السنة" للإمام أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي المشهور بالخلال ت: ٣١١هـ.
- "العقيدة الطحاوية" للإمام أبي جعفر الطحاوي ت: ٣٢١هـ.
- "اعتقاد أهل السنة" للإمام أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي ت: ٣٧١هـ.
- "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" للإمام أبي القاسم اللالكائي ت: ٤١٨هـ.
- "الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة" للإمام عبيد الله محمد بن بطة ت: ٣٨٧هـ.
- "الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة" للإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني ت: ٥٣٥هـ.
- "منازل الأئمة الأربعة" للإمام أبي زكريا يحيى بن إبراهيم السلماسي ت: ٥٥٠هـ.
- "العقيدة الواسطية"، و"الرسالة التدمرية"، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ت: ٧٢٨هـ.
- "كتاب التوحيد" للإمام محمد بن عبد الوهاب التيمي - رحمه الله تعالى - ، و"عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية" تأليف د/ صالح بن عبد الله العبود.
- "العقيدة الصحيحة وما يضادها" للإمام عبد العزيز بن باز - مفتي المملكة العربية السعودية السابق - رحمه الله تعالى.
- "عقيدة أهل السنة والجماعة" للشيخ محمد بن صالح العثيمين - عضو هيئة كبار العلماء ، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء ، - رحمه الله تعالى .
- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد" للشيخ أ.د/ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله - ، عضو هيئة كبار العلماء ، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

- الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.
- فمن الإيمان بالله : الإيمان بأنه - ﷻ - رب كل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنه تبارك وتعالى المستحق للعبادة وحده لا شريك له، وأنه سبحانه متصف بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به نبيه - ﷺ - من أن له يدين وعينين ووجهاً، وبأنه مستو على عرشه، بائن من خلقه، إثباتاً بلا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل ولا تحريف ولا تأويل، منزّه عن كل عيب ونقص، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(١)
- وهذا هو التوحيد بأنواعه الثلاثة ؛ توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.
- والإيمان بالملائكة : بأنهم عباد مكرمون، خلقهم الله لعبادته وتنفيذ أوامره، والإيمان بأصنافهم وأوصافهم وأعمالهم التي يقومون بها حسبما ورد في الكتاب والسنة.
- والإيمان بالكتب الإلهية : بما سمى الله منها كالطورا والزبور والإنجيل، وبما لم يسم منها، وأنها حق وصدق، وأن منها ما ضاع واندثر، ومنها ما حُرّف وبدل.
- والإيمان بالقرآن الكريم إيماناً مفصلاً، بالإقرار به وأنه كلام الله ﷻ، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وبالتعبّد بتلاوته، والعمل

(١) سورة الشورى، آية : ١١.

بأوامره والابتعاد عن نواهيه وزواجه، وأنه ناسخ لما سبقه من الكتب الإلهية ومهيمن عليها.

- والإيمان بالأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - : بأنهم أفضل الخلق وأكملهم، لا يعلم عددهم وأسماءهم إلا الله، وبأنهم معصومون عن الذنوب، قد بلغوا رسالات الله ونصحوا أقوامهم، وأن أصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله - ﷻ - ، أيدهم الله بالمعجزات وأنزل عليهم كتبه، وأنهم منصورون مؤيدون من الله وأن العاقبة لهم ولأتباعهم، وأن نبينا محمداً - ﷺ - أفضل الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، لا نبي بعده، بعثه الله إلى الثقلين الجن والإنس، إلى الناس كافة.
- والإيمان باليوم الآخر : هو التصديق بما أخبر به النبي - ﷺ - من أسرار الساعة وعلاماتها الصغرى والكبرى كظهور المهدي وخروج المسيح الدجال ونزول المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - .
- والإيمان بما بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه، وسؤال منكر ونكير، وبالبعث بعد الموت، والحساب، والصحائف، والميزان، والصراف، والحوض، والشفاعة، والجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة.
- والإيمان بالقدر خيره وشره : وأن الله بكل شيء عليم جملة وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، وبأنه كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وأنه - ﷻ - ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه تعالى خالق كل شيء، خلق المخلوقات وأفعالها.

- ومن أصول عقيدة السلف أهل السنة والجماعة ؛ أن الإيمان قول وعمل ، يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، وأن مرتكب الكبيرة في الدنيا فاسق وعاص ، وفي الآخرة أمره إلى الله تعالى ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذبه ، ولا يخلد في النار.
- وأن أمة محمد - ﷺ - أفضل الأمم ، وأن أفضل هذه الأمة صحابة رسول الله - ﷺ - ، وأن أفضلهم الخلفاء الأربعة أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي أبو السبطين ، وبعدهم بقية العشرة المبشرين بالجنة ، ثم بقية الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - ، وحب آل بيت رسول الله - ﷺ - وتوليهم ، والرضي عن أزواج رسول الله - ﷺ - أمهات المؤمنين ، والكف عما شجر بين الصحابة - ﷺ - ، وأنهم مجتهدون في ذلك ، فمن أصاب فله أجران ، ومن أخطأ فله أجر واحد.
- ولزوم الجماعة ، ووجوب السمع والطاعة لولاة الأمور بالمعروف ما لم يأمروا بمعصية الله ، وتحريم الخروج على الأئمة والولاة وإن جاروا ما لم يعلنوا كفراً بواحاً ، وصلاة الجماعة والجهاد مع الإمام - برأ كان أو فاجراً - ، وأن الجهاد قائم إلى يوم القيامة ، والموالاتة في الله والمعاداة في الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومجانبة أهل البدع والأهواء ، وقول الحق وفعل العدل.

المطلب الخامس :

قيام الدولة السعودية على المنهج والاعتقاد السلفي.

إن المنهج والاعتقاد السلفي - الذي سبق بيانه - هو الذي قامت عليه الدعوة الإصلاحية التي دعا إليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب^(١) - رحمه الله - وناصره عليها الإمام محمد بن سعود^(٢) - رحمه الله - .

فمنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو منهج السلف الصالح - رحمهم الله - وعقيدته هي عقيدتهم التي أجمعوا عليها ونقلت عنهم، وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : "فنحن - ولله الحمد - متبعون غير مبتدعين، مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة، على مذهب أهل

(١) الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي الحنبلي، الإمام المجدد، العلامة الفهامة، صاحب الدعوة الإصلاحية ولد سنة ١١١٥هـ، في العينة في نجد، ونشأ في بيت علم ودين، وارتحل لطلب العلم، له مؤلفات عدة منها : "كتاب التوحيد"، و"الأصول الثلاثة"، توفي - رحمه الله - سنة ١٢٠٦هـ. (انظر ترجمته في "عنوان المجدد في تاريخ نجد" : ٨٩/١ - ٩٦، لابن بشر، مكتبة الرياض الحديثة، و"روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام والغزوات البيانية والفتوحات الربانية" : ٢٥ - ٥٠، للشيخ حسين ابن غانم، المطبعة الأهلية ١٣٦٨هـ، و"الأعلام" : ٢٥٧/٦، للزركلي).

(٢) الإمام محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان، من بني مانع المنسوب إلى مرة بن ذهل بن شيبان، من عدنان، أول من لقب بالإمامة من آل سعود، ولي الإمارة بعد وفاة أبيه سنة ١١٣٩هـ، واتسعت إمارته فشملت أكثر نجد، توفي - رحمه الله - بالدرعية سنة ١١٧٩هـ. (انظر ترجمته في "عنوان المجدد" : ٤٩/١، و"روضة ابن غانم" : ٥/٢، و"الأعلام" : ١٣٨/٦، للزركلي).

وقصة البيعة المباركة بين الإمامين معروفة عند المؤرخين (انظر "عنوان المجدد" : ١٢/١، ١١، و"روضة ابن غانم" : ٣/١).

السنة والجماعة، الذي هو على أمر الله ورسوله - ﷺ - ، وعليه الرسول - ﷺ - وصحابته والتابعون وأتباعهم وإجماع علماء المسلمين وأئمة الدين، ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم ودرايتهم، مثل الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقه، كالأئمة الأربعة : أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل - رحمهم الله تعالى ورضي عنهم أجمعين - ، وكذلك ما درج عليه الأعلام من اتباع هؤلاء الأئمة، فنحن على ذلك، وإن خالفنا غالب الناس في ما أحدثوا في دينهم من الحوادث، لأننا على ما كان عليه أهل السنة والجماعة، الذين هم الفرقة الناجية، وهم سلف الأمة وأئمتها والتابعون لهم بإحسان، وإن صرنا غرباء، فطوبى للغرباء".

وكان كثيراً ما يتمثل بثلاثة أبيات هي :

لذو نعمةٍ قد أعجزتُ كلَّ شاكرٍ	بأيِّ لسانٍ أشكر الله إنَّه
عليَّ وبالقرآن نور البصائرِ	حباني بالإسلام فضلاً ونعمةً
عليها اعتقادي يوم كُشفِ	وبالنعمة العُظمى اعتقاد ابن

(١) انظر "مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب" (القسم الخامس، الشخصية، رقم ٣٧ ص: ٢٥٩، ٢٥٢، والقسم الثالث، الفتاوى ص: ٣١ - ٣٥، ٨٨ - ٨٩، و"مجموع الرسائل النجدية": ٣٢/١، و"عنوان المجد": ٩١/١، لابن بشر) نقلاً من "عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية": ٣٦٩/١ - ٣٧٠، د/صالح بن عبد الله العبود.

وعلى هذا المنهج القويم والعقيدة السلفية تأسست الدولة السعودية الأولى^(١)، ثم الدولة السعودية الثانية^(٢).

وورث هذه العقيدة السلفية ونشأ عليها الإمام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود^(٣) - رحمه الله - ودعا إليها وأعلنها صراحة بكل فخر واعتزاز وأكد عليها كثيراً في كلماته وخطبه العديدة، ومن أقواله - رحمه الله - في ذلك : "أنا داعية إلى عقيدة السلف الصالح ... وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وما جاء عن الخلفاء الراشدين"^(٤). وقال : "هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد

(١) تأسست الدولة السعودية الأولى بإمامة الإمام محمد بن سعود عام ١١٥٧هـ، وانتهت بمقتل الإمام عبد الله بن سعود في عام ١٢٣٤هـ.

(٢) تأسست الدولة السعودية الثانية بإمامة الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود عام ١٢٤٠هـ، وانتهت في عهد الإمام عبد الرحمن بن فيصل سنة ١٣١٠هـ. (راجع "تاريخ المملكة العربية السعودية" تأليف د/ عبد الله الصالح العثيمين، و"المملكة العربية السعودية في مائة عام" : ٢١ - ٣٢، دار الملك عبد العزيز).

(٣) ولد الملك عبد العزيز في مدينة الرياض سنة ١٢٩٣هـ، صقر الجزيرة العربية وموحدها، مؤسس المملكة العربية السعودية، تولى الحكم سنة ١٣١٩هـ، وبدأ مرحلة التأسيس والبناء والعناية بجميع الجوانب الدينية والإدارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وغيرها، توفي - رحمه الله - سنة ١٣٧٣هـ، وعمره ثمانون عاماً ٠ انظر "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز - للزركلي، و"تاريخ المملكة العربية السعودية" - الجزء الثاني عهد الملك عبد العزيز، - د/ عبد الله الصالح العثيمين).

(٤) نقل هذه الكلمة الملك فهد بن عبد العزيز عن والده وذكرها في افتتاح المؤتمر العالمي عن تأريخ الملك عبد العزيز بالرياض في ١٩/٣/١٤٠٦هـ، ونقلها الزركلي في كتابه "الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز" ص : ٢١٦.

الوهاب يدعو لها ، وهذه هي عقيدتنا وهي عقيدة مبنية على توحيد الله - ﷻ - خالصة من كل شرك منزّهة عن كل بدعة ، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها".

كما قال الملك عبد العزيز أيضاً في خطابه الذي ألقاه بمكة المكرمة يوم الأربعاء ١٣٥١/١١/٣٠ هـ : "يسموننا الوهابيين ويسمون مذهبنا بالوهابي باعتبار أنه مذهب خاص ، وهذا خطأ فاسد ، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض ، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد وعقيدة جديدة ، ولم يأت محمد بن عبد الوهاب بالجديد ، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وما كان عليه السلف الصالح ، ونحن نحترم الأئمة الأربعة ولا فرق عندنا بين الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة ، وكلهم محترمون في نظرنا"^(١).

وقد اقتدى أبناء الملك عبد العزيز البررة بأيهم ملوكاً وأمراء في العناية بالعقيدة السلفية والتمسك بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهاجاً ودستوراً للحياة ، فقد ربّى الملك عبد العزيز - رحمه الله - أبناءه على العقيدة السلفية وغرسها في نفوسهم ، يوضح ذلك قول خادم الحرمين الشريفين : "الشيء الذي تأثرت به من الملك عبد العزيز - هو ما فيه شك أنه مرب كبير - ودائماً عندما نكون في حضرة الملك عبد العزيز التركيز الأساسي هو كيف يوضح لنا مفهوم العقيدة الإسلامية وكيف يمكن إذا تمسكنا بهذه العقيدة

(١) المرجع السابق ، ص : ٢١٦ ، وللمزيد من تلك الأقوال يراجع كتاب "عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية" : ١٧ - ٢٣ ، تأليف د/محمد بن عبد الرحمن الخميس.

أن الخير والسعادة والبركة سوف تكون دائماً حوالينا، وإذا لا سمح الله خرجنا عن نطاقنا فلن يكون لنا أي نصيب من الحياة التي ممكن أن يتمتع بها الإنسان ... كانت نصائحه دائماً تنصب على العقيدة الإسلامية ويقول هي الخير والبركة، ولولا أن هذه البلاد متمسكة بالعقيدة الإسلامية ما كان وصلت إلى ما وصلت إليه، وإن توجيهاته أو حديثه معنا كأبناء له ينصب على إيضاح مفهوم العقيدة الإسلامية إذا تمسك بها الإنسان أو تركها الإنسان، وكان موجهاً عظيماً - رحمه الله -، وحريصاً دائماً على أن تؤدي الواجبات التي فرضها رب العزة والجلال علينا ومن أهمها الصلاة وما يتفرع منها، والصيام والخلق الطيب، بطبيعة الحال لا يستطيع أي إنسان أن يواجه ابنه أو أخيه أو محبه أكثر من أن يسدي له النصيح له أم لا، فلذلك أدى واجبه - رحمة الله عليه - من هذه الناحية وأوضح لنا الطريق والأساليب التي على أساسها يستطيع الإنسان أن يكيف نفسه ويكونها"^(١).

فجاءت أقوال وأفعال ملوك المملكة العربية السعودية من أبناء الملك عبد العزيز - رحمه الله - تأكيداً وتوثيقاً للسير على نهج والدهم، بدءاً من الملك سعود^(٢) - رحمه الله - الذي قال: "لقد كان همنا منذ تولينا مقاليد

(١) من كلمة له مع منسوبي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في ١/٨/١٤٠٤هـ. (انظر كتاب "شباب العقيدة الإسلامية" - مختارات من كلمات ولقاءات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - ص: ٤٢، ٤٣ الملك فهد بن عبد العزيز - ص: ٤٢، ٤٣ - إعداد محمد سعيد مبارك).

(٢) الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، ولد بمدينة الكويت سنة ١٣١٩هـ، وتولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ١٣٧٣هـ، أنشئ في عهده عدد من الوزارات كالزراعة، المعارف،

الأمر أن نعتصم بكتاب الله، ونهتدي بهدي رسول الله، وسنة خلفه من السلف الصالحين، ثم نتبع سيرة والدنا العظيم في السياسة والإدارة وفي كل مجال من مجالات الإصلاح سلك سبيله، وفتح لنا طريقه، لتتعهد ما شئد، ونتمّ ما بدأ فيه من أعمال، ونقوم بكل ما نستطيعه لما فيه مصلحة بلادنا وشعبنا"^(١).

ثم الملك فيصل^(٢) - رحمه الله - الذي قال: "ولهذا السبب فنحن عندما نكرر في كل مناسبة أننا يجب أن نجعل العقيدة الإسلامية، حينما نكرر قولنا بأن نجعل العقيدة الإسلامية هي الركيزة التي يجب أن نطلق منها لتحرير أنفسنا ولرد الظلم عنا وعن أبناء مواطنينا في كل الأنحاء وفي كل الأقطار، هذا هو الذي يدعونا إلى أن نجعل هذه الدعوة هي ديننا"^(٣).

ثم الملك خالد^(٤) - رحمه الله - الذي قال: "وإنها لفرصة طيبة أن نتذكر فضل الله علينا، ونذكر به أبناءنا وأجيالنا الحاضرة وأن نعمل بكل

والتجارة، والمواصلات، توفي - رحمه الله - سنة ١٣٨٨ هـ. (انظر "الأعلام": ٩٠/٣، للزركلي، و"المملكة العربية السعودية في مائة عام، ص: ٦٥ - ٦٩).

(١) انظر "مختارات من الخطب الملكية": ١٧٦/١.

(٢) الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود، ولد بالرياض سنة ١٣٢٤ هـ، وتولى الحكم سنة ١٣٨٤ هـ بعد تنازل الملك سعود له، يعتبر رائد التضامن الإسلامي، قام بإصلاحات عديدة في مجال الاقتصاد، والصناعة، والزراعة، والتعليم، توفي - رحمه الله - سنة ١٣٩٥ هـ. (انظر ترجمته في "الأعلام": ١٦٦/٥ - ١٦٨، للزركلي، و"المملكة العربية السعودية في مائة عام"، ص: ٧١ - ٧٦).

(٣) انظر "مختارات من الخطب الملكية": ٣٦٨/١.

(٤) الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود، ولد بمدينة الرياض سنة ١٣٣١ هـ، وتولى الحكم سنة ١٣٩٥ هـ، تميز عهده بالرخاء الاقتصادي العميم الذي أسهم في رقي النهضة الحضارية في شتى المجالات، توفي - رحمه الله - سنة ١٤٠٢ هـ. (انظر "المملكة العربية السعودية في مائة عام": ٧٧ - ٨٢).

إخلاص، وملتفت حول عقيدتنا وملتفت إلى تربية أبنائنا ليكونوا مواطنين صالحين مؤسسين على أسس صحيحة من العقيدة الإسلامية ومترين تربية إسلامية تمكنهم من القيام بمسؤولياتهم وحمل الأمانة الملقاة على عاتقهم في المستقبل فنضمن بذلك اتصال الماضي بالحاضر واتصال الحاضر بالمستقبل^(١).

- رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته - .

ثم جاء خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - ليكمل المسيرة المباركة ويؤكد سيره وتمسكه بهدي السلف الصالح واقتفاء أثر والده الملك عبد العزيز - رحمه الله - في خطبه وكلماته والتي منها قوله: "لقد جاء موحد هذه الجزيرة وجامع شملها الملك عبد العزيز - رحمه الله - ليقوم دولة التوحيد والشريعة الإسلامية والدعوة السلفية، رمز الإسلام الحقيقي ومظهره العلمي ... حيث يلتحم الدين بالدنيا، وتسير الأمة كلها في طريق الله، طريق الجهاد الصادق والعمل المثابر^(٢)."

وقوله - يرحمه الله - : "يقول الله في محكم كتابه العزيز ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٣) ويقول جلّ وعلا ﴿... لئن شكرتم لأزيدنكم...﴾^(٤) ونحن إذ نذكر نعم الله علينا في كلّ حين إنما نواصل الشكر والحمد لله وحده آناء

(١) انظر "مختارات من الخطب الملكية": ٥٤/٢.

(٢) انظر "كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين" ص: ٤، إعداد عبد الرحمن بن سليمان الرويشد.

(٣) سورة الضحى، آية: ١١.

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٧.

الليل وأطراف النهار، ونحن أيها الإخوة لو نظرنا اليوم من حولنا لأدركنا تماماً ما نحن عليه من قيم كريمة وما نحن فيه من نعم عميمة.

فمنذ أن قام والدنا المجاهد الملك عبد العزيز - يرحمه الله - بتثبيت دعائم ملكه على الكتاب والسنة مكّنه الله من ضم شتات أجزاء الوطن الكبير تحت راية التوحيد وعلى الطريق الواضح والمستقيم فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأرسى قواعد العدل في الحكم بين الناس فأحبوه وأطاعوه ووثقوا في قيادته وأيقنوا حسن نواياه.

فاقتفينا أثره من بعده ملكاً بعد ملك وواصلنا مسيرته على الدرب وسيرته بين الناس وحرصنا ما استطعنا على التطوير والتحسين لما فيه مصلحة المواطن وبما لا يخرج عن إطار العقيدة الإسلامية أو يتعارض مع مفاهيمها وجندنا أنفسنا وكل طاقاتنا لخدمة الحرمين الشريفين وحجاج بيت الله الحرام^(١).

وقال الملك فهد في كلمة ارتجلها خلال استقباله جموعاً من المواطنين :
"إذاً وطنكم يسير على قاعدة ليست قاعدة قانون، ولا هي قاعدة فلسفة، ولا هي قاعدة نقر أو نقرين، يشرعون وتشريعهم هو الذي يطبق، لا، إنها تسير على تشريع رب العزة والجلال، وعلى ما أبانه رب العزة والجلال، وعلى ما أجازاه رسول الله - ﷺ - وعلى ما كان عليه الخلفاء الراشدون أئمة المسلمين"^(٢).

(١) انظر "المنظور الفكري لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود" ص: ٢١٧، وزارة الإعلام.

(٢) انظر "المنظور الفكري لخادم الحرمين الشريفين" ص: ٨٠، ٨١.

وقال أيضاً في كلمة مرتجلة في قصر السلام بجدة في ١٧/٩/١٤٠٧ هـ :
"إن سبب انحسار المسلمين يعود إلى انحراف البعض عن مذهب السلف
الصالح"^(١).

وقال خادم الحرمين الشريفين الملك فهد في افتتاح المؤتمر الطبي السعودي
الثامن في ٢٤ محرم ١٤٠٤ هـ الذي عقد بإشراف الحرس الوطني : "أشكر
أخي الأمير عبد الله على تبني هذا المؤتمر العظيم داعياً الله أن يسدد خطانا
على هدي كتاب الله وسنة نبيه سيدنا محمد - ﷺ - ، وأن هذه الدولة
ستبقى على هذه الدعوة إلى قيام الساعة"^(٢).

تلك نماذج من الكلمات الكثيرة التي تؤكد وتوضح بجلاء تمسك ولاية
الأمر في المملكة العربية السعودية - حرسها الله - بعقيدة السلف وغنايتهم
بها ، ونشرهم لها ، ودفاعهم عنها.

(١) انظر كتاب "شباب العقيدة الإسلامية" ص : ٨٨.

(٢) المرجع السابق، ص : ٤١.

المبحث الثاني

عناية خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - بالعقيدة من خلال خطبه وكلماته .

إن المتتبع لحديثه - رحمه الله - سواء كان في خطبه في المناسبات ، أم في حديثه للصحافة ورجال الإعلام ، أم في لقاءاته مع شرائح عدة من أبنائه ومواطنيه يجده - حفظه الله - شديد العناية بأمور العقيدة ، لهجاً بذكرها والتركيز على أنها من الثوابت التي لا يمكن المساس بها ، أو التفريط أو التهاون في شيء منها .

وفي هذا المبحث ، نورد مقتطفات من كلماته المضيئة الدالة على مدى عنايته بأمور العقيدة ، وشدة اهتمامه بها ، وحرصه على التذكير بها ، فلا يكاد يخلو حديث له - حفظه الله - من ذلك ، واستقصاء كلماته في هذا الباب يصعب ، ويضيق المقام عن حصرها ، وحسبنا أن نورد مقتطفات وأمثلة من حديثه وكلماته في ذلك نَدُلُّ بها على ما سواها ، إذ ليس القصد الحصر والاستيعاب وإنما المراد إيراد ما يدل على مدى عنايته بالعقيدة ومباحثها من خلال كلامه وخطبه - حفظه الله - ، وقد جعلنا ذلك مرتباً في عدة مطالب كل مطلب يوضح جانباً من جوانب عنايته واهتمامه بالعقيدة في حديثه وخطبه - رحمه الله وغفر له - .

المطلب الأول:

بيانه - رحمه الله - أن كيان هذه الدولة - حرسها الله - قام على أساس العقيدة، والدعوة إلى التوحيد الذي هو دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

قال - رحمه الله - : "لقد جاء موحد هذه الجزيرة وجامع شملها الملك عبد العزيز - رحمه الله - ليقيم دولة التوحيد، والشريعة الإسلامية، والدعوة السلفية، رمز الإسلام الحقيقي ومظهره العلمي ... ومن قبل عبد العزيز ومن بعده حمل راية التوحيد رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه"^(١).

وقال : "قامت هذه الدولة على منهج واضح في السياسة والحكم والدعوة والاجتماع، هذا المنهج هو الإسلام عقيدة وشريعة"^(٢).

ثم وضع - رحمه الله - أن سبيل هذه الدولة في تطبيق الإسلام هو التزام المنهج الصحيح في أمور الدين عقيدة وشريعة إذ يقول : "ولئن كانت العقيدة والشريعة هي الأصول الكلية التي نهضت عليها هذه الدولة، فإن تطبيق هذه الأصول يتمثل في التزام المنهج الإسلامي الصحيح في العقيدة،

(١) من كلمة وجهها خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - بمناسبة عيد الفطر المبارك، في ١٤٠٢/١٠/٣ هـ. (انظر: "مختارات من الخطب الملكية": ١٣١/٢، جمع ونشر إدارة الملك عبد العزيز).

(٢) من كلمة له - رحمه الله - بمناسبة صدور النظام الأساسي للحكم ونظام مجلس الشورى ونظام المناطق، في ١٤١٢/٨/٢٧ هـ. (انظر: المصدر السابق : ٢٦٣/٢).

والفقه، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي القضاء، وفي العلاقة بين الحاكم والمحكوم^(١).

ولخص - رحمه الله - المنهج الذي قامت عليه هذه الدولة في تسعة ركائز، أولها وأهمها : عقيدة التوحيد، التي تجعل الناس يخلصون العبادة لله وحده لا شريك له، ويتحررون من الخرافة والوهم، ويعيشون أعزة مكرمين.

والركيزة الثانية : شريعة الإسلام التي تحفظ الحقوق والدماء، وتنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتضبط التعامل بين أفراد المجتمع، وتصون الأمن العام.

وثالثها : حمل الدعوة الإسلامية ونشرها، حيث إن الدعوة إلى الله من أعظم وظائف الدولة الإسلامية وأهمها^(٢).

المطلب الثاني :

التزامه - رحمه الله - بالسير على ما سار عليه أسلافه من اتخاذ هذه العقيدة أساساً وقاعدة ينطلق منها في قيادته - حفظه الله - وسياسته لرعيته. يقول في تقرير ذلك في صراحة ووضوح لا لبس فيه : "وعلى هذا الأساس أريد أن أوضح بصفتي كلفت أو وجدت نفسي في هذا المركز الذي أنا فيه،

(١) انظر المصدر السابق : ٢٦٣/٢.

(٢) الكلمة السابقة والمصدر السابق : ٢٦٤/٢.

فأقول: أعاهد الله - ﷻ - أن تكون العقيدة الإسلامية هي الأساس والقاعدة، والمنطلق، وما خالفها لن نهتم به، ولن نتبعه، ...^(١).

ولذا نراه - رحمه الله - يؤكد على مكانة العقيدة وتقديمها على كل شيء فيقول - حفظه الله - في كلمة وجهها إلى بعض منسوبي القطاعات العسكرية: "أما بعد: فإن الكلمة التي أوجهها لأبنائنا العسكريين، هي أولاً قبل كل شيء: التمسك بالعقيدة الإسلامية نصاً وروحاً. ثانياً: وطنهم أمانة في أعناقهم^(٢)".

المطلب الثالث:

بيانه - رحمه الله - أن التمسك بالعقيدة مصدر فخر واعتزاز لهذه الدولة السنية.

يقول - رحمه الله - في بيان ذلك: "إن دولتكم التي قامت منذ أكثر من مائتين وخمسين عاماً، وتوحدت منذ ما يزيد على سبعين عاماً اتخذت كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - أساساً للحكم وإدارة شؤون البلاد، وصبغت ذلك في تعاملها وعلاقاتها مع الدول المختلفة، وسنظل - بمشيئة الله تعالى - متمسكين بمبدأ العقيدة الإسلامية، لأننا نعرف أن في ذلك عزتنا، وسؤددنا، ونصرتنا، وصدق الله، حيث يقول: ﴿ولينصرن الله من

(١) من كلمة له في حفل وفد التهنئة بتحرير الكويت، في ١٩/٨/١٤١١ هـ. (المصدر السابق: ٥٦/٢).

(٢) من كلمة له - رحمه الله - في افتتاح مدينة الملك خالد العسكرية في حفر الباطن، في ١٦/٧/١٤٠٥ هـ. (المصدر السابق: ١٧٤/٢).

ينصره ﴿١﴾ وإن من نعم الله أن وفق هذه البلاد للتمسك بالعقيدة وإرساء قواعد الأمن وتوفير وسائل الرخاء والاستقرار" (٢).

ويقول في ذلك : "نحن في هذه البلاد نفتخر ونعتز أننا متمسكون بعقيدتنا الإسلامية ، وسوف ندافع عنها بالنفس والنفيس ، وسوف نجعلها هي القدوة سواء كان شريعتنا أو تنظيماتنا في مختلف حاجاتنا للتنظيم ، وفي حياتنا اليومية ... أو الشهرية أو السنوية" (٣).

ويقول أيضاً : "هناك أمور تميزنا من أهمها احتفاظ المملكة بعقيدتها الإسلامية ، وبأخلاقياتها العربية ، وبعاداتها الحميدة" (٤).

المطلب الرابع :

يقينه وبيانه - رحمه الله - أن التمسك بالعقيدة أهم أسباب النصر والقوة ،

وأن التفريط فيها من أعظم أسباب الخذلان.

يقول - رحمه الله - : "وما دمنا متمسكين بهذه العقيدة فلن يضرنا أحد بحول الله بأي حال من الأحوال ... ولهذا نجد أنفسنا بحمد الله أقوياء بالله ثم

(١) سورة الحج ، آية : ٤٠ .

(٢) من كلمة له في افتتاح أعمال السنة الثانية لمجلس الشورى في دورته الثانية ، في ١٤١٩/٣/٥ هـ. (المصدر السابق : ٣٦٧/٢ - ٣٦٨).

(٣) من كلمة له أثناء زيارته لجامعة الملك سعود ، في ١٤٠٣/٨/٢٠ هـ. (المصدر السابق : ١٤٨/٢).

(٤) من كلمة له في رحاب الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، في ١٤٠٣/١/١٦ هـ. (انظر : محمد سعيد مبارك / "شباب العقيدة الإسلامية" : ٣٠ ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ، دار الدراسات الاقتصادية).

بما نلتزم به من مقومات في حياتنا الاجتماعية فضلاً عن التزامنا الكامل بالعتقة الإسلامية"^(١).

ويقول : "كما أن النصر لا يتأتى إلا بإعداد القوة التي أمرنا بها ، والقوة لا تستمد إلا من عند الله ، ومن أبرز صفاتها : الإيمان بالله وحده ، وتوحيد ربوبيته ، والتمسك بتعاليم دينه الحنيف"^(٢).

وبين - رحمه الله - أن التفريط في التمسك بالعتقة الصحيحة من أسباب ضعف الأمة وهوانها.

فقال : "وكلنا يعلم ما حصل في السنين الماضية من استعمار الأمة الإسلامية سواء أكانت في البلاد العربية ، أم في إفريقية ، أم في آسيا ، أم في أي مكان آخر ، والسبب هو أنه تغلبت الرغبة في الحياة ، والرغبة في متاع الدنيا على التمسك بالعتقة ، بينما العتقة الإسلامية باقية - إن شاء الله - إلى أن تقوم الساعة"^(٣).

(١) من كلمة له في اجتماع اللجنة الوزارية لتنمية المدينة المنورة ، في ١٤١١/٦/٤ هـ. ("مختارات من الخطب الملكية" : ٢٥٢/٢).

(٢) من كلمة له إلى الحجاج في جدة في ١٤٠٦/٢/١٥ هـ. (المصدر السابق : ١٧٩/٢).

(٣) من كلمة له في استقبال وفد التهئة بتحرير الكويت ، في ١٤١١/٨/١٩ هـ. (المصدر السابق : ٢٥٥/٢).

المطلب الخامس :

بيانه - رحمه الله - أن العقيدة الإسلامية هي الخيار الصحيح الذي يحقق الخير للبشرية جميعاً.

يقول - رحمه الله - في ذلك : "العقيدة الإسلامية لم تترك خيراً إلا وأبانتها ، ولم تترك شراً إلا وأبانتها حتى يجتنبه المسلم ، العقيدة الإسلامية خلاصة للعقائد السماوية ، وأتت في مصلحة البشر عموماً ، ليس فقط الأمة العربية"^(١).

ويقول مبيناً أن العقيدة الإسلامية تحقق للإنسان كل الأهداف الخيرة التي يطمح إليها ، "العقيدة الإسلامية فيها جميع المبادئ والأهداف التي يريدها الإنسان في حياته ، ما دام أنه موجود في هذه الدنيا ، حفظت له حقوقه الشخصية وحقوقه العامة ، وأعطته من القوة في الوقت الذي يجب أن يستعمل فيه القوة"^(٢).

وقال مبيناً إدراك كثير من الخلق لحقيقة هذا الدين وأنه السبيل المستقيم : "نرى الآن في جميع أنحاء العالم وفي كل مكان تقام المساجد ، وتقام المكتبات الإسلامية ، وتنتشر الدعوة الإسلامية.

واعتقد أن هذا دليل قوي على أن العالم جرب جميع المبادئ ، والتنظيمات التي لها علاقة بحياة الإنسان العامة والخاصة ، ومن ثم أدرك من

(١) من كلمة له في زيارته لجامعة الملك سعود ، في ١٢/٨/١٤٠٣ هـ. (المصدر السابق : ١٤٩/٢).

(٢) من كلمة له لدى استقباله العلماء والمشايخ والمواطنين الذين توافدوا لتهنئته بتحرير الكويت ، في ١٩/٨/١٤١١ هـ ، (المصدر السابق : ٢٥٤/٢).

أدرك أن العقيدة الإسلامية هي خير سبيل ، لأنها تجمع فضائل الدنيا والآخرة ، فمن أراد الخير له في دنياه وفي آخرته فليتمسك بكتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - " (١) .

وقال - رحمه الله - : "يدعون الديمقراطية ، أو الحرية ، ما أعتقد أن فيه ديمقراطية أو حرية ممكن أن تعود على البشر بالخير مثل ما في العقيدة الإسلامية من حرية وديمقراطية ، ورأفة ورحمة وقوة ، وهي عقيدة تجمع جميع الفضائل ، وتبعد الإنسان عن جميع الرذائل ، لذلك نحن فخورون بعقيدتنا ، ونبقى مدافعين عنها مهما كانت الظروف والأسباب ... " (٢) .

المطلب السادس :

بيانه - رحمه الله - أن العقيدة الإسلامية تقدم الحلول الناجعة لمشاكل الأمة ، والقوة اللازمة للمحافظة عليها ، وإدراك الأعداء لهذه الحقيقة وعملهم على زعزعتها .

يقول - رحمه الله - : "إن بعض النظم الأخرى تستطيع إيجاد بعض الحلول لبعض المشكلات في بعض الأحيان ، لكن قيمة عقيدتنا الإسلامية ليست في كونها تمدنا بالحلول الشاملة فحسب ، وإنما قيمتها في أنها تقدم لنا هذه الحلول وتقدم معها أيضاً القوة الكفيلة بتحقيقها وحمايتها" (٣) .

(١) انظر: المصدر السابق والكلمة نفسها : ٢٥٦/٢ - ٢٥٧ .

(٢) من كلمة له في جامعة الملك سعود ، في ١٤٠٣/٨/٢٠ هـ . (المصدر السابق : ١٤٩/٢) .

(٣) من كلمة له في مؤتمر الفقه الإسلامي ، في مكة المكرمة ، في ١٤٠٣/٨/٢٦ هـ . (المصدر نفسه : ١٥٢/٢) .

ويقول : "وهكذا سمت بنا الأخوة الإسلامية فوق كل اعتبار، واتضحت أبعاد المسؤولية الملقاة على عاتقنا، وأصبح الطريق واضحاً جلياً من خلال هذه العقيدة العظيمة، ومن خلال العودة إليها، والتمسك بها وتطبيقها نستطيع أن نحل مشكلاتنا ونرتفع بعد انكسار، ونتوحد بعد فرقة، ومنتصر بعد تراجع واندحار"^(١).

وقال مبيناً حرص أعداء الإسلام على ابتعاد هذه الأمة عن مصدر قوتها وعزها، ومنعتها ألا وهو عقيدتها الإسلامية الصافية : "لكن الابتعاد عن صعيد الإسلام كان العامل الأول، والفاعل المؤثر لما تقاسي منه أمة الإسلام اليوم من تحديات شر من جانب أعدائه الذين يعملون باستمرار، وإصرار على انتزاع الأمة الإسلامية من أحضان عقيدتها، لأن أعداء الإسلام يدركون أنه لا قوة للمسلمين إلا بتمسكهم بمعطيات هذه العقيدة، وأن عدم التمسك بالعقيدة هو مصدر الخطر الذي يهدد ديار الإسلام، ويحيط بأمة محمد - ﷺ -"^(٢).

المطلب السابع:

التزامه - رحمه الله - بنبذ كل ما يتعارض مع العقيدة أو يخالفها.
يقول - رحمه الله - : ونحن لا يمكن - بحول الله - أن ننصاع لأي مبادئ كانت، ولن نقبل أي مبادئ تختلف مع العقيدة الإسلامية، سواء

(١) من كلمة له وجهها إلى الحجاج في منى، في ١٠/١٢/١٤٠٢ هـ. (المصدر نفسه: ١٤٢/٢).

(٢) من كلمة له - رحمه الله - في مؤتمر الفقه الإسلامي في مكة المكرمة، في ٢٦/٨/١٤٠٣ هـ. (المصدر السابق: ١٥١/٢ - ١٥٢).

أكانت تتعلق بالدولة بدءاً من رئيس الدولة وانتهاء بأي مواطن كان في الأمور العامة أم في الأمور الخاصة ، لم ولن نقبل بأي حال من الأحوال أن ندخل شيئاً من الأمور مهما كان يقال : إنه مفيد ، وهو يختلف مع كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - " (١) .

ويحرص - رحمه الله - على تنقية المجتمع من كل انحراف عن المنهج السوي ، يقول - حفظه الله - في ذلك : "وعلينا في الوقت نفسه أن نطهر دولتنا ، ومجتمعاتنا من الانحرافات الضارة بهذه الأمة ، وبعقيدتها الإسلامية الخالدة ... " (٢) .

ومع هذا الحرص على تنقية العقيدة ، ونبد كل ما يخالفها من المبادئ فإنه - حفظه الله - بيّن أن ذلك لا يعني الاعتزال عن التعامل مع الأمم والأديان لاختلافنا وإياهم في العقيدة والدين ، يقول - حفظه الله - : "إن العقيدة الإسلامية الخالدة - أيها الإخوة - لا تدعو للعزلة ، ولا تشجع على زرع الحقد والكراهة بين الدول والشعوب ، ولا توصل الأبواب أمام التعامل مع الآخرين لمجرد أنهم يختلفون عنا في عقائدهم وتوجهاتهم وأفكارهم " (٣) .

-
- (١) من كلمة له - رحمه الله - لدى استقبال العلماء والمشايخ الذين توافدوا لتهنئة بتحرير الكويت ، في ١٩/٨/١٤١١ هـ. (المصدر نفسه : ٢٥٧/٢) .
- (٢) من كلمة وجهها إلى الحجاج في منى ، في ١١/١٢/١٣١٢ هـ. (المصدر نفسه : ٢٨٠/٢) .
- (٣) من خطبة له في منى في ١١/١٢/١٤١٤ هـ. (المصدر نفسه : ٣٠١/٢) .

وهذا منه - رحمه الله - سعة أفق وبعد نظر، وفهم صحيح لحقيقة هذه العقيدة، يدل على ما تميّز به - حفظه الله - من سعة اطلاع وعمق في فهم العقيدة.

المطلب الثامن:

عنايته - رحمه الله - بدعم الأقليات الإسلامية في مختلف دول العالم للحفاظ على عقيدتها.

يقول - رحمه الله - : "لقد تبنت المملكة منذ وقت بعيد - ولا زالت - سياسة داعمة للأقليات الإسلامية المنتشرة في مختلف أنحاء العالم وبالذات في الدول غير الإسلامية، لشعورها القوي بأن تمكين هذه الجماعات الإسلامية من المحافظة على عقيدتها داخل مجتمعات تأخذ بأنظمة أخرى هو مسؤولية إسلامية يستوجب على جميع المسلمين القيام بها، ومواصلتها حفاظاً على كينونتهم، وتمكيناً لهم من التواصل الإيجابي مع أمتهم الإسلامية"^(١).

المطلب التاسع:

التزامه - رحمه الله - بالدفاع عن العقيدة الإسلامية. قال خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - : "نحن في هذه البلاد نفتخر ونعتز أننا متمسكون بعقيدتنا الإسلامية، وسوف ندافع عنها بالنفس والنفيس"^(٢).

(١) من خطبة له في منى في ١٤/١٢/١٤١٤ هـ. (المصدر السابق : ٣٠٩/٢).

(٢) من كلمة له في جامعة الملك سعود في ٢٠/٨/١٤٠٣ هـ. (انظر "شباب العقيدة الإسلامية" ص: ٣٠).

ويقول: "إن الكلمة التي أوجهها لأبنائنا العسكريين هي :
أولاً : وقبل كل شيء التمسك بالعقيدة الإسلامية نصاً وروحاً ،
ثانياً : وطنهم أمانة في أعناقهم ، العسكريون أو المدنيون مطلوب منهم
حماية عقيدتهم ثم وطنهم"^(١).

وقال الملك فهد - رحمه الله - : "لقد كنا ولا نزال دعاة أمنٍ وسلامٍ ،
وطالما سعينا لرأب الصدع بين الأشقاء ، وبذلنا في سبيل استقرار هذه المنطقة
من الجهود المتواصلة المخلصة ما هو معلوم لدى الجميع ، وأملني أن يكون هذا
هو رائد كل الدول ... ولكننا إذا ابتلينا في عقيدتنا وأوطاننا فإن حكومة هذا
البلد الآمن وشعبه قد عاهدوا الله على الفداء في سبيل الله دينهم ووطنهم
بالأرواح وحتى آخر قطرة من دمائهم ، ونسأل الله أن يعلي كلمته وأن يحفظ
علينا ديننا وينصرنا على الظالمين والمعتدين"^(٢).

(١) من كلمة له في افتتاح المنشآت الجديدة لكلية الملك عبد العزيز بالعينة في ١٤/٨/١٤٠٤هـ

(انظر المصدر السابق ص : ١٣٢).

(٢) من كلمة له في جلسة مجلس الوزراء في آخر جمادى الثانية ١٤٠٦هـ (انظر المصدر السابق

ص : ٥١).

المبحث الثالث

عنايته بالعقيدة من خلال بعض أعماله .

لقد حبا الله - ﷻ - قائد مسيرتنا خادم الحرمين الشريفين بخصائص قيادية متميزة، وسجايا حميدة، وخصال جميلة، وقد قامت تلك الفضائل على عقيدة راسخة بالله - ﷻ - وإيمان قوي بالإسلام، واعتزاز وافتخار بتطبيق تعاليم الإسلام وشرائعه، لذلك كانت أعمال خادم الحرمين الشريفين وإنجازاته موفقة وجليلة وكثيرة في سبيل الله - ﷻ - وفي خدمة الإسلام والمسلمين والوطن، نذكر بعضاً منها فيما يأتي :

المطلب الأول:

عنايته بالعقيدة من خلال نظام الحكم.

يتمتع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - بمواهب قيادية عظيمة وفكر ثاقب، وحنكة سياسة وخبرة إدارية كبيرة ورؤية شاملة للمواقف، لذا فقد تميزت العشرون عاماً السابقة من حكم خادم الحرمين الشريفين بالعديد من الإنجازات الحضارية المتميزة ومن أبرزها التنمية بمفهومها العام الشامل للتنمية البشرية والتعليمية والصحية والاقتصادية وغيرها مما تشمل جميع جوانب الحياة.

ونريد التركيز هنا على التنمية السياسية - ورائدها خادم الحرمين الشريفين - وهي عملية حتمية وضرورية للتنمية الشاملة، فقد أضاف خادم الحرمين الشريفين إنجازاً مهماً في ذلك وهو صدور الأنظمة الأربعة للحكم

التي تعد الركيزة الأساسية لبناء هذه الدولة ، وهي النظام الأساسي للحكم ،
ونظام مجلس الشورى ، ونظام المناطق ، ونظام مجلس الوزراء .
وإن هذه الأنظمة الأربعة وغيرها من أنظمة الدولة وقوانينها مستمدة من
الشرع الحنيف ولا تخالف كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، وهو ما يؤكد
عليه خادم الحرمين الشريفين في خطبه وكلماته حيث قال - حفظه الله - في
كلمته إلى وفود حجاج بيت الله الحرام عام ١٤١١ هـ : "لقد تأسس الحكم في
هذا البلد العزيز علينا وعلى كل مسلم في العالم على تقوى الله ، وإقامة
حدود الله ، والتمسك بتعاليم العقيدة الإسلامية نصاً وروحاً قولاً وفعلاً ،
نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، ونقيم العدل بين الناس ، نفشي السلام ،
ونصل الأرحام ، ونسعى ما استطعنا إلى الإصلاح بين الناس وحل الخلافات
بالكلمة الطيبة وبالتالي هي أحسن ، على هذه الأسس القويمة والدعائم الكريمة
قامت المملكة العربية السعودية منذ أن أسسها الملك الراحل عبد العزيز بن
عبد الرحمن آل سعود -يرحمه الله- " (١) .

وقد جاءت نصوص النظام الأساسي للحكم لتوثيق هذه الحقيقة وتأكيد
"لأن نظام الحكم فيها يستمد مبادئه وجوهره من "الشرعة الإسلامية" فالحكم
السعودي والحاكم السعودي مقيدان بأحكام هذه الشريعة الغراء ، تقيداً يجسد
مسؤولية الحاكم في حفظ الدين ، وحراسة الملة ، ويطبق شرائع الإسلام تطبيقاً
عملياً في كل مناحي الحياة ، وجميع أوجه النشاط الإنساني ؛ في العقيدة ،

(١) مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، الرياض ، العدد : ١٠ / ١٤١٢ هـ ، ص : ١٦٦ ، نقلاً من
كتاب (الوثائق الملكية عن الدعوة الإسلامية للملك عبد العزيز آل سعود ، ص : ١٧٩ ،
د / عدنان الوزان).

والعبادة، والآداب، والسلوك، والأخلاق، والعادات، والتقاليد، والاقتصاد، والاجتماع، والثقافة، والتربية، والتعليم، والصحافة، والإعلام، والأجهزة الرسمية والشعبية، والمصالح الحكومية، والدوائر والمؤسسات، والهيئات، والوزارات، والإدارات، وسائر المرافق^(١).

وتتجلى عناية خادم الحرمين الشريفين بالعقيدة والشريعة الإسلامية من خلال منهج الحكم في المملكة العربية السعودية حيث صرّح الملك فهد بذلك المنهج في خطابه إلى المواطنين في أعقاب صدور أنظمة الحكم الثلاثة، فقال: "واستمر الوفاء للإسلام، عقيدة وشريعة في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - حيث بنى المملكة العربية السعودية وَوَحَّدها على ذات المنهج على الرغم من أنه واجه ظروفًا تاريخية صعبة، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهته في أثناء توحيد البلاد فقد حرص الملك عبد العزيز على إنفاذ منهج الإسلام في الحكم والمجتمع مهما كانت الصعوبات والتحديات.

ويتلخص هذا المنهج في إقامة المملكة العربية السعودية على الركائز التالية :

أولاً : عقيدة التوحيد التي تجعل الناس يخلصون العبادة لله وحده لا شريك له ويعيشون أعزة مكرمين.

ثانياً : شريعة الإسلام التي تحفظ الحقوق و الدماء، وتنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتضبط التعامل بين أفراد المجتمع، وتصون الأمن العام.

(١) اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية ص : ٤٢٣ ، أ.د/ صالح بن غانم السدلان ، بحث مقدّم لندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

ثالثاً : حمل الدعوة الإسلامية ونشرها حيث إن الدعوة إلى الله من أعظم وظائف الدولة الإسلامية وأهمها.

رابعاً : إيجاد "بيئة عامة" صحية صالحة مجردة من المنكرات والانحرافات تعين الناس على الاستقامة والصلاح وهذه المهمة منوطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

خامساً : تحقيق "الوحدة" الإيمانية التي هي أساس الوحدة السياسية والاجتماعية والجغرافية.

سادساً : الأخذ بأسباب التقدم وتحقيق "النهضة الشاملة" التي تيسر حياة الناس ومعاشهم وتراعي مصالحهم في ضوء هدي الإسلام ومقاييسه.

سابعاً : تحقيق "الشورى" التي أمر الإسلام بها ومدح من يأخذ بها إذ جعلها من صفات المؤمنين.

ثامناً : أن يظل الحرمان الشريفان مطهرين للطائفين والعاكفين والركع السجود - كما أرادهما الله - بعيدين عن كل ما يحول دون أداء الحج والعمرة والعبادة على الوجه الصحيح وأن تؤدي المملكة هذه المهمة قياماً بحق الله وخدمة للأمة الإسلامية.

تاسعاً : الدفاع عن الدين والمقدسات .. الوطن والمواطنين والدولة. هذه هي الأصول الكبرى التي قامت عليها المملكة العربية السعودية ، وقد استدعى تطور الحياة الحديثة أن ينبثق عن هذا المنهج أنظمة رئيسية في عهد الملك عبد العزيز.

ونظراً لتطور الدولة وتكاثر واجباتها فقد أصدر الملك عبد العزيز - رحمه الله - عام ١٣٧٣ هـ أمره بتأسيس مجلس الوزراء والذي يعمل الآن

وفقاً لنظامه الصادر في عام ١٣٧٣ هـ وما طرأ عليه من تعديلات ، لقد استمر العمل بهذا المنهج حتى يومنا هذا - بحمد الله وتوفيقه^(١) .هـ

كما تتضح تلك العناية بالعميدة والشريعة الإسلامية من خادم الحرمين الشريفين من خلال مواد ونصوص نظام الأساسي للحكم الصادر بالمرسوم الملكي بالرقم أ/٩٠ بتاريخ ٢٧/٨/١٤١٢ هـ ، والتي سنعرض مختارات منها كالآتي :

- المادة الأولى :

المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ، ذات سيادة تامة ، دينها الإسلام ، ودستورها كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، ولغتها هي اللغة العربية ، وعاصمتها مدينة الرياض .

- المادة الثانية :

عيدا الدولة .. هما عيد الفطر والأضحى .. وتقويمها هو التقويم الهجري .

- المادة الثالثة :

يكون علم الدولة كما يلي :

أ- لونه أخضر .

ب- عرضه يساوي ثلثي طوله .

ج- تتوسط كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، تحتها سيف مسلول .. ولا يُنكس العلم أبداً ، ويبين النظام الأحكام المتعلقة به .

(١) "مختارات من الخطب الملكية" : ٢٦٥/٢ ، ٢٦٤ .

- المادة الخامسة :

- أ- نظام الحكم في المملكة العربية السعودية .. ملكي.
- ب- يكون الحكم في أبناء الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وأبناء الأبناء .. ويبايع الأصالح منهم للحكم على كتاب الله - تعالى - وسنة رسوله ﷺ - .
- ج- يختار الملك ولي العهد .. ويعفيه بأمر ملكي.
- د- يكون ولي العهد متفرغاً لولاية العهد .. وما يكلفه به الملك من أعمال.
- هـ- يتولى ولي العهد سلطات الملك عند وفاته حتى تتم البيعة.

- المادة السادسة :

- يبايع المواطنون الملك على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ - ، وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره.

- المادة السابعة :

- يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ - .. وهما الحاکمان على هذا النظام وعلى جميع أنظمة الدولة.

- المادة الثامنة :

- يقوم الحكم في المملكة العربية السعودية على أساس العدل والشورى والمساواة وفق الشريعة الإسلامية.

- المادة التاسعة :

الأسرة هي نواة المجتمع السعودي .. ويربى أفرادها على أساس العقيدة الإسلامية وما تقتضيه من الولاء والطاعة لله ولرسوله - ﷺ - ولأولي الأمر .. واحترام النظام وتنفيذه وحب الوطن والاعتزاز به وبتاريخه المجيد.

- المادة العاشرة :

تحرص الدولة على توثيق أواصر الأسرة والحفاظ على قيمها العربية والإسلامية ورعاية جميع أفرادها وتوفير الظروف المناسبة لتنمية ملكاتهم وقدراتهم.

- المادة الحادية عشرة :

يقوم المجتمع السعودي على أساس من اعتصام أفراداه بحبل الله وتعاونهم على البر والتقوى والتكافل فيما بينهم وعدم تفرقهم.

- المادة الثانية عشرة :

تعزيز الوحدة الوطنية واجب ، وتمنع الدولة كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام.

- المادة الثالثة عشرة :

يهدف التعليم إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء واكتسابهم المعارف والمهارات وتهيئتهم ليكونوا أعضاء نافعين في بناء مجتمعهم محبين لوطنهم مهتزين بتاريخهم.

- المادة السابعة عشرة :

الملكية ورأس المال والعمل مقومات أساسية في الكيان الاقتصادي والاجتماعي للمملكة ، وهي حقوق خاصة تؤدي وظيفة اجتماعية وفق الشريعة الإسلامية.

- المادة الحادية والعشرون :

تجبي الزكاة وتنفق في مصارفها الشرعية.

- المادة الثالثة والعشرون :

تحمي الدولة عقيدة الإسلام ، وتطبق شريعته ، وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر .. وتقوم بواجب الدعوة إلى الله.

- المادة الرابعة والعشرون :

تقوم الدولة بإعمار الحرمين الشريفين وخدمتهما .. وتوفر الأمن والرعاية لقاصديهما بهما يمكن من أداء الحج والعمرة والزيارة بيسر وطمأنينة.

- المادة الخامسة والعشرون :

تحرص الدولة على تحقيق آمال الأمة العربية والإسلامية في التضامن وتوحيد الكلمة .. وعلى تقوية علاقتها بالدول الصديقة.

- المادة السادسة والعشرون :

تحمي الدولة حقوق الإنسان .. وفق الشريعة الإسلامية.

- المادة التاسعة والعشرون :

ترعى الدولة العلوم والآداب والثقافة .. وتعني بتشجيع البحث العلمي وتصون التراث الإسلامي والعربي وتسهم في الحضارة العربية والإسلامية والإنسانية.

- المادة الثالثة والثلاثون :

تنشئ الدولة القوة المسلحة وتجهزها من أجل الدفاع عن العقيدة والحرمين الشريفين والمجتمع والوطن.

- المادة الرابعة والثلاثون :

الدفاع عن العقيدة الإسلامية .. والمجتمع والوطن واجب على كل مواطن ويبين النظام أحكام الخدمة العسكرية.

- المادة الثامنة والثلاثون :

العقوبة شخصية ، ولا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على نص شرعي أو نص نظامي ، ولا عقاب إلا على الأعمال اللاحقة للعمل بالنص النظامي.

- المادة الخامسة والأربعون :

مصدر الإفتاء في المملكة العربية السعودية كتاب الله - تعالى - .. وسنة رسوله - ﷺ - .. ويبين النظام ترتيب هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء واختصاصاتها.

- المادة السادسة والأربعون :

القضاء سلطة مستقلة ، ولا سلطان على القضاء في قضائهم لغير سلطان الشريعة الإسلامية.

- المادة الثامنة والأربعون :

تطبق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية وفقاً لما دلّ عليه الكتاب والسنة وما يصدره ولي الأمر من أنظمة لا تتعارض مع الكتاب والسنة.

- المادة الخامسة والخمسون :

يقوم الملك بسياسة الأمة سياسة شرعية طبقاً لأحكام الإسلام، ويشرف على تطبيق الشريعة الإسلامية والسياسة العامة للدولة وحماية البلاد والدفاع عنها.

- المادة السابعة والخمسون :

أ- يعين الملك نواب رئيس مجلس الوزراء، والوزراء، والأعضاء بمجلس الوزراء، ويعفيهم بأمر ملكي.

ب- يعتبر نواب مجلس الوزراء، والوزراء الأعضاء بمجلس الوزراء مسؤولين بالتضامن أمام الملك عن تطبيق الشريعة الإسلامية والأنظمة والسياسة العامة للدولة.

ج- للملك حل مجلس الوزراء وإعادة تكوينه.

- المادة السابعة والستون :

تختص السلطة التنظيمية بوضع الأنظمة واللوائح فيما يحقق المصلحة أو يرفع المفسدة في شؤون الدولة وفقاً لقواعد الشريعة الإسلامية .. وتمارس اختصاصاتها وفقاً لهذا النظام ونظامي مجلس الوزراء ومجلس الشورى.

- المادة الثامنة والستون :

ينشأ مجلس للشورى .. ويبين نظامه وطريقة تكوينه .. وكيفية ممارسته لاختصاصاته واختيار أعضائه.

وللملك حل مجلس الشورى ومجلس الوزراء إلى اجتماع مشترك وله أن يدعو من يراه لحضور هذا الاجتماع لمناقشة ما يراه من أمور^(١).

إن القارئ لنصوص المواد السابقة يلحظ جلياً مدى العناية الفائقة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد - رحمه الله - بالإسلام عقيدة وشرعية ، وأن أحكام الإسلام دستور الدولة ومصدر أنظمتها. وإن مما ينبغي أن يذكر فيشكر ، وينبّه فيظهر ، أن المادتين (٢٣) ، (٣٤) من النظام الأساسي للحكم قد نصّتا على حماية العقيدة الإسلامية "ولا شك أن حماية العقيدة ونقاءها وصفاءها يعد ثمرة من ثمار الدفاع عن الدين والمحافظة عليه ولهذا كان الإلزام بذلك والالتزام به واضحاً جلياً في النظام الأساسي للحكم وهو إلزام يبين دور ولي الأمر في وجوب متابعة أحوال المسلمين ، لكي ينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة ؛ فأمر المسلمين هي الهم الأول من هموم ولي الأمر ، وهي تتسع لبحث أحوال الناس وأوضاعهم بحثاً مباشراً ، ينبثق من تعاليم الدين ويدور في فلك تقوى الله ، فلا يشغله عن ذلك شاغل ، ولا ينسيه إياه طارئ ، فالناس هم العنصر الجوهري في أمة الإسلام ، والبحث عن مشكلاتهم وحلها هو أول معالم صلاح النظام.

ولا شك أيضاً أن الدولة التي تنص في النظام الأساسي للحكم على أنها مسؤولة عن حماية العقيدة تجعل الحكم تكليفاً عقدياً لا تشريعاً دنيوياً ،

(١) انظر : "الموسوعة الحديثة في الأنظمة السعودية" ، الجزء الأول ، - إعداد المحامي / سليمان بن عبد اللطيف الشايعي.

والجانب الشرعي في ذلك هو الذي يحكم الضمائر، ويصون الأئمة، فما من إمام للمسلمين إلا ودار واجبه في فلك أمرين أساسيين؛ أولهما : سياسة المجتمع الإسلامي سياسة عقدية، تكفل استقرار حياة كل من يعيش في محيطه.

وثانيها : حراسة الدين من أي محاولة للنيل منه.

ولكن ما صفات العقيدة التي تحتاج إلى حماية ؟

إن العقيدة التي تحتاج إلى الحماية والدفاع عنها هي عقيدة التوحيد التي لا يتطرق إليها دعاوى الفرق الهدامة، أو الطرق (الصوفية) التي لم يكن لها أي وجود في عهد رسول الله - ﷺ - أو الخلافة الراشدة.

وهذه الحماية ضرورة لأنها سبيل نهضة الأمم، وارتقاء الحضارات، وإعلاء الأخلاقيات، ونبذ الجهل والتخاذل والتواكل، وكل هذا لا يمكن أن يحدث في ظل إسلام مشوه، تهدمه الفرق الضالة، وتمزقه الطرق المبتدعة من المتصوفة والمرتزة إذ ليس في الإسلام سوى فرقة واحدة هي الفرقة الناجية التي تتمسك بالكتاب والسنة، وليس في الإسلام طرق سوى طريق الكتاب والسنة، فالدولة عندما تحمي عقيدة التوحيد فإنها تحمي حق الإنسان في الاطمئنان إلى عدل الديان، وشكر المنعم، وعدم الركون إلى مُتَع الحياة الدنيا، والتوكل على الله وابتغاء رحمته والارتقاء في مدارج كمالات التوحيد، حيث الأمن من كل خوف، وسكينة النفس، واستراحة الخاطر، وصحو الضمير، وصفاء السريرة، واستقامة العزيمة، وزوال القلق، والإنابة إلى الله، وحيث تتحقق بالصلاة، الصلة الكاملة بين العبد وربّه، وحيث تكون الزكاة إقراراً ثابتاً بحق الفقير في مال الغني في إطار الإيمان بأن الله وحده

هو الرزاق ذو القوة المتين ، وحيث يجسد الصوم الإخلاص المطلق في العبادة ، وحيث يؤكد الحج كل معاني التوحيد وحقائقه ، وصولاً إلى حقيقة الإيمان وتمسكاً بحبل الله المتين الذي يؤكد وحدانية الديان ، وحيث يكون الإحسان جزءاً لا يتجزأ من ضمير الإنسان^(١).

لهذه المعاني وغيرها كثير - لا يتسع له هذا المجال المحدود - تلتزم الدولة في المملكة العربية السعودية بحماية العقيدة الإسلامية.

ومن الجدير بالذكر والإشادة والثناء أن خادم الحرمين الشريفين - مقتنياً أثر من سبقه من ولادة الأمر - قد جعل الدعوة إلى الله - ﷻ - من أهم مهمات هذه الدولة ، ونص على ذلك في نظامها الأساسي للحكم (المادة الثالثة والعشرون).

وقد هيأت المملكة العربية السعودية للدعوة الإصلاحية السلفية المباركة أجهزة ومؤسسات خاصة ، من أبرزها :

- المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية^(٢).

(١) انظر : "التزام الدولة بحماية عقيدة الإسلام وفقاً للنظام الإسلامي للحكم" ، د/محمد شتا أبو سعد ، ص : ١٩ ، ٢٠ ، و"الدعوة في عهد الملك عبد العزيز" د/محمد ناصر الشثري ، ج ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، نقلاً من بحث "اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة السعودية" ص : ٦٣ ، ٦٤ ، أ.د/صالح بن غانم السدلان -بتصرف بسيط - ، مقدم إلى ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

(٢) بتاريخ يوم الأربعاء الموافق ١٤١٥/٤/٣٠ هـ صدرت موافقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز على إنشاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام ، ويضم المجلس في عضويته عدداً من أصحاب السمو

- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء^(١).
- رابطة العالم الإسلامي^(٢).
- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة^(٣).
- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية^(٤).
- جامعة أم القرى^(٥).

والمعالي ذوي الخبرة الواسعة والمكانة الرفيعة والجهود المباركة في المجالات الإسلامية. (انظر "الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية" ص: ١٥٥ - ١٥٨ ، ٢٠٦ - أ.د. صالح السدلان).

(١) أنشأت الرئاسة العامة تحت اسم (دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية والمعاهد) في شهر رمضان عام ١٣٧٤ هـ في عهد الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - ، ثم صدر الأمر السامي الكريم رقم: أ/١٣٩ بتاريخ ١٣٩/٧/٨ هـ في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - بتسميتها (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإسلامية)، وبعد إنشاء وزارة الشؤون الإسلامية أصبح مسماها (الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء). (انظر المصدر السابق ص: ٢٠١ - ٢٠٦).

(٢) أنشأت في عهد الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - عام ١٣٨١ هـ. (انظر المصدر السابق ص: ٢٢١).

(٣) أنشأت في عهد الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله - بالمرسوم الملكي رقم: ١١ بتاريخ ١٣٨١/٣/٢٥ هـ. (انظر "الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية" ص: ٣٨).

(٤) بدايتها كانت بافتتاح معهد الرياض العلمي سنة ٣٧٠ هـ في عهد المؤسس الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - ، ثم تتابع افتتاح المعاهد العلمية تحت مسمى (الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية)، وفي ١٣٩٤/٨/٢٣ هـ صدر المرسوم الملكي رقم: م/٥٠ بالموافقة على نظام جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (انظر "الأنشطة الدعوية" ص: ١٠١).

وقد حظيت هذه الأجهزة والمؤسسات وغيرها بدعم غير محدود من ولاية الأمر منذ نشأتها ومسيرتها المباركة.

المطلب الثاني :

إنشاء وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

لقد جاء إنشاء وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد لتعكس اهتمام خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - بأمر الإسلام والمسلمين في العالم أجمع حيث تختص هذه الوزارة كما هو واضح من مسماها بالشؤون الإسلامية ويأتي في مقدمتها توضيح العقيدة الإسلامية والدعوة إليها ونشرها والدفاع عنها في داخل المملكة وخارجها. لذا صدر الأمر الملكي السامي بإنشاء الوزارة كالتالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم ٣/١ التاريخ : ١٤١٤/١/٢٠ هـ.

بعون الله تعالى ،

نحن فهد بن عبد العزيز آل سعود ؛ ملك المملكة العربية السعودية ؛ بعد الاطلاع على المادة (٥٧) من النظام الأساسي للحكم الصادر بالأمر الملكي رقم ٩٠/١ وتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧ هـ.

(١) بدايتها كانت بإنشاء كلية الشريعة بمكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز - رحمه الله - عام ١٣٦٩ هـ، ثم سميت كلية الشريعة والتربية عام ١٣٨٠/١٣٨١ هـ، ثم ضمتا إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٣٩٠/١٣٩١ هـ، وفي ١٤٠١/٦/٢٢ هـ صدر قرار مجلس الوزراء رقم (٩٦) بإنشاء جامعة أم القرى بناء على التوجيه السامي الكريم. (انظر المصدر السابق ص: ٩٧).

وبعد الاطلاع على المادة الثانية في نظام مجلس الوزراء الصادر بالمرسوم الملكي رقم (٣٨) وتاريخ ١٣٧٧/١/٢٢ هـ المعدلة بالمرسوم الملكي رقم (١٤) وتاريخ ١٣٨٤/٧/١٤ هـ.

وبناء على ما عرضه علينا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بكتابه رقم ١٦٢/خ وتاريخ ١٤١٤/١/١٢ هـ من ضرورة إيجاد وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والإرشاد والدعوة إلى الله سبحانه ، وتأييدنا لذلك.

أمرنا بما هو آت :

أولاً : تنشأ وزارة تسمى "وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد".

ثانياً : تتولى هذه الوزارة كل ما له علاقة بالشؤون الإسلامية وشؤون الأوقاف والمساجد والإرشاد والدعوة إلى الله.

ثالثاً : تشكل لجنة من الجهات المعينة لتحديد الاختصاصات التي تزاو لها الوزارات والمصالح الحكومية مما يدخل ضمن عمل هذه الوزارة وترتيب نقلها إلى هذه الوزارة.

رابعاً : يعين الشيخ الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وزيراً لشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

خامساً : على سمو نائب رئيس مجلس الوزراء والوزراء كل فيما يخصه تنفيذ أمرنا هذا^(١).

فهد بن عبد العزيز آل سعود.

(١) "جريدة الندوة"، العدد (١٠٥١٣) بتاريخ ١٤١٤/١/٢١ هـ.

وتتلخص رسالة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد فيما يأتي :

(دعوة الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتوعية المسلمين بأمور دينهم ، ونشر القيم الإسلامية وترسيخها ، وإنشاء المساجد ورعايتها ، والعناية برسالتها ، والإسهام في تحقيق التضامن والتكافل الإسلامي ، وكل ما من شأنه خدمة الإسلام والمسلمين ، والتصدي لما يثار حول الإسلام من الشبهات من قبل أعداء الإسلام ، والمحافظة على أملاك الأوقاف ، وحسن إدارتها ، واستثمار غلاتها)^(١).

وتسعى الوزارة إلى تحقيق أهدافها العامة التالية :

- ١ - العناية بكتاب الله تلاوة وتجويداً وحفظاً وفهماً ونشراً.
- ٢ - دعوة الناس إلى الإسلام وتوجيههم.
- ٣ - المحافظة على القيم الإسلامية.
- ٤ - العناية ببيوت الله وتعميرها.
- ٥ - إبراز جهود المملكة في دعم العمل الإسلامي.
- ٦ - دعم الأقليات والجاليات الإسلامية ودراسة أوضاعهم.
- ٧ - ضبط أعيان الأوقاف وحصرها ، والعناية بها وبالمكتبات الموقوفة.

(١) كتاب "إنجازات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد للعام المالي ١٤١٧/١٤١٨هـ، ص: ١١ ، إصدار وكالة الوزارة للتخطيط والتطوير والبرامج - الإدارة العامة للتخطيط - الرياض ١٤١٩هـ.

٨- تنمية غلال الأوقاف واستثمارها والعمل على تحقيق شروط الواقفين.

٩- العناية بالأربطة والساكنين بها.

١٠- رفع كفاية الأداء وتحسين الإنتاجية.

١١- معالجة قضايا المجتمع والظواهر السلبية في ضوء أصول الشريعة الإسلامية.

١٢- تطوير الخدمات الإدارية.

١٣- إنشاء المرافق الإدارية والعناية بها^(١).

وقد جندت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد كافة إمكانياتها لتحقيق الأهداف المرسومة لها والقيام بالأمانة المسندة إليها من ولي الأمر في هذه البلاد المباركة.

"- فمن خلال وكالة الوزارة للشؤون الإسلامية، تسعى الوزارة لدعم العمل الإسلامي بكافة صوره على مستوى العالم، ورعاية الأقليات والجاليات الإسلامية مادياً وثقافياً، بدراسة أوضاعها ومساعدتها، والسعي إلى حل مشكلاتها، وعقد المؤتمرات والندوات وإنشاء المراكز والمدارس الإسلامية والمكتبات وعونها، وبناء المساجد وملاجئ الأيتام ومؤسسات الرعاية الاجتماعية، وإصدار الكتب والنشرات المتعلقة بالأمة الإسلامية والجاليات والأقليات الإسلامية.

(١) المصدر السابق، ص: ١٤ - ١٦.

- ومن خلال وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف ، تهتم الوزارة بحماية الوقف الخيري العام ، وصيانتة ، واستثماره ، وإنفاق ريعه على وجوه الخير والبر.

- أما وكالة الوزارة لشؤون المساجد والدعوة والإرشاد فهي منبر الدعوة الإسلامية ، المعنية ببيان عقيدة الإسلام الصحيحة ، من خلال كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، وعمارة المساجد والجوامع حساً ومعنى وصيانتها ، وبيان الأحكام الشرعية للناس في العبادات والمعاملات ، وما يتصل بذلك من وعظ وإرشاد وتوجيه مما يقرب الإنسان إلى الله تعالى ويحض على الالتزام بأحكام الإسلام ، وترسيخ رسالة المساجد باعتبارها مراكز إشعاع وتوجيه ، ونشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة.

- ومن خلال وكالة الوزارة لشؤون المطبوعات والنشر تقوم الوزارة بنشر الكتاب الإسلامي في مختلف العلوم الإسلامية ، وبطباعة المواد العلمية التي تخدم الدعوة الإسلامية وترجمتها^(١).

المطلب الثالث:

أقسام العقيدة بالجامعات السعودية.

يرجع الفضل - بعد الله ﷻ - في وضع اللبنة الأولى للجامعات والانطلاقة الكبرى للتعليم العالي لخدام الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز

(١) انظر : كلمة التقديم لكتاب (الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية - حقائق ووثائق -) ص : ١٠ ، ٩ لمعالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (السابق) أ.د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

- رحمه الله - حينما كان وزيراً للمعارف فقد عايش حُلم الجامعة منذ كانت فكرة إلى أن تحوَّلت إلى حقيقة واقعة، فكانت جامعة الملك سعود بالرياض أول ثمرة من ثمار غرسه في عام ١٣٧٧ هـ، وكان أكثر الناس فرحاً بذلك الحدث والإنجاز الكبير في شبه الجزيرة العربية كلها، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "إن هذه اللحظة لحظة هامة وحدث عظيم في تاريخ المملكة فهو يمثل نقطة انطلاقة جديدة في حقل التعليم، ولا شك أن تأسيس هذه الجامعة سوف يجعل ناشئة هذه البلاد يدخلون التاريخ من أوسع أبوابه، وسوف تتيح لهم هذه الجامعة أنواعاً من الدراسات العميقة التي تستهدف الحق والعدل في دراستها الأدبية، وتستهدف السلم والرفاهية في دراستها العلمية، ولا شك أن هذه وتلك تستهدفان المثل العليا التي تسعون إليها جاهدين، وسوف يسجل التاريخ الخالد هذا اليوم العظيم من تاريخ هذه البلاد، وسوف تذكر الأجيال القادمة يوم الأربعاء عشر من شهر ربيع الثاني"^(١).

وقد شكَّلت تلك الجامعة الانطلاقة الحقيقية للتعليم الجامعي وشهد التعليم العالي من وقتها تقدماً وتطوراً، وأثمرت مجهودات خادَم الحرمين الشريفين الملك فهد في نهضة تعليمية عليا تتمثل الآن في (٨) جامعات تضاهي أعرق الجامعات تعليمياً وتنظيماً وتجهيزاً.

(١) من كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز وزير المعارف في حفل افتتاح جامعة الملك سعود سنة ١٣٧٧ هـ. (انظر: "الأدوار التاريخية لخادَم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عشرون عاماً من العطاء"، ص: ٨٨ - ٨٩، الوكالة الأهلية للإعلام).

وبين لنا خادم الحرمين الشريفين فخره واعتزازه بالمسيرة التعليمية الجامعية حينما يعقد مقارنة بين بدايات التعليم وما وصلت إليه الآن - بفضل الله ﷻ - فيقول : "إنه مما يثلج الصدر ويدعو إلى الاعتزاز، أن نجد مسيرة التعليم الجامعي وما بعد الجامعي قد وصلت إلى ما وصلت إليه من مستويات عالمية، وبعد أن بدأ التعليم الجامعي منذ ثلاثين سنة بجامعة واحدة، وبكلية واحدة أصبح لدينا الآن سبع^(١) جامعات وعشرات الكليات ومئات التخصصات، الأمر الذي جعل أعداد الخرجين السعوديين تتدفق لتشغل مكانها في مختلف المشاريع المنتشرة في أرجاء الوطن، وقد تسلحوا بالعلم والإيمان وبادلوا سخاء الدولة بعطاء مخلص واثق الخطى، ثابت الأركان"^(٢).

وسياسة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية تقوم على أسس راسخة ورؤى عميقة ذات مضامين وغايات جوهرية كبرى باعتبار التعليم عاملاً مهماً في ترسيخ الجانب العقائدي وربطه بالعمل منذ أن أمر الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - بافتتاح أول كلية للشريعة في مكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م^(٣).

(١) أصبحت الآن - والله الحمد - ثمان جامعات.

(٢) "الجامعات في ثلاثين عاماً" - كتاب أصدرته جامعة الملك سعود عام ١٤٠٧هـ، نقلاً من "كتاب شباب العقيدة الإسلامية" ص : ١٥٥.

(٣) انظر : "التعليم العالي في المملكة العربية السعودية"، ص : ١٧، وزارة التعليم العالي - الرياض - ١٤٠٢هـ.

ونظراً لضروريات التحديث والتطور صدر أمر ملكي بإنشاء وزارة التعليم العالي في عام ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م لتتولى مسؤولية التعليم العالي بعد أن كان من اختصاصات ومسؤوليات وزارة المعارف.

وأصبحت وزارة التعليم العالي تقوم بمسؤولية الإشراف والتخطيط والتنسيق والمتابعة والربط بين الاحتياجات التنموية الحالية والمستقبلية بما يحقق الاستخدام الأمثل لهذه القوى من جانب ويهيئ لتغطية الحاجات الفعلية في المستقبل من الكوادر والتخصصات الفنية والإدارية السعودية من جانب آخر. ويتبين لنا من خلال سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية بعامه، ومن خلال التعليم العالي وأهدافه بخاصة مدى الاهتمام بالعقيدة الإسلامية، وسنذكر مختارات من مواد السياسة التعليمية في بيان ذلك على النحو التالي :

المادة الأولى : السياسة التعليمية هي الخطوط التي تقوم عليها عملية التربية والتعليم، أداءً للواجب في تعريف الفرد بربه ودينه وإقامة سلوكه على شرعه، وتلبيته لحاجات المجتمع، وتحقيقه لأهداف الأمة وهي تشمل حقول التعليم ومراحلته المختلفة، والخطط والمناهج والوسائل التربوية والنظم الإدارية والأجهزة القائمة على التعليم وسائر ما يتصل به، والسياسة التعليمية في المملكة تنبثق من الإسلام الذي تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقاً وشرعية وحكماً ونظاماً متكامللاً للحياة، وهي جزء أساس من السياسة العامة للدولة.

- الأسس العامة التي يقوم عليها التعليم :

المادة الثانية : الإيمان بالله رباً والإسلام ديناً وبمحمد - ﷺ - نبياً رسولاً.

المادة الثالثة : التصور الإسلامي الكامل للكون والإنسان والحياة وأن الوجود كله خاضع لما سنه الله تعالى ليقوم كل مخلوق بوظيفته ، دون خلل أو اضطراب.

المادة الحادية عشرة : العلوم الدينية أساسية في جميع سنوات التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي بفروعه ، والثقافة الإسلامية مادة أساسية في جميع سنوات التعليم العالي.

- غاية التعليم وأهدافه العامة :

المادة الثامنة وعشرون : غاية التعليم فهم الإسلام فهماً صحيحاً متكاملاً ، وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها ، وتزويد الطالب بالقيم والتعاليم الإسلامية وبالمثل العليا ، واكتسابه المعارف والمهارات المختلفة ، وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة ، وتطوير المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، وتهيئة الفرد ليكون عضواً نافعاً في بناء مجتمعه.

- أهداف التعليم العالي :

المادة التاسعة بعد المائة : تنمية عقيدة الولاء لله ومتابعة السير في تزويد الطالب بالثقافة الإسلامية التي تشعره بمسئوليته أمام الله عن أمة الإسلام لتكون إمكانيته العلمية والعملية نافعة مثمرة.

المادة العاشرة بعد المائة : إعداد مواطنين أكفاء مؤهلين تأهيلاً علمياً وفكرياً عالياً لأداء واجبهم في خدمة بلادهم ، والنهوض بأممتهم في ضوء العقيدة السليمة ومبادئ الإسلام السامية^(١).

ومن الجدير بالذكر والإشادة ما صرّح به خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - أن القاعدة الأساسية والمنطلق الأساسي للدولة وبخاصة في التعليم هي العقيدة الإسلامية من بداية التعليم في الصغر إلى نهايته في الجامعة وفي جميع مراحل التعليم والحياة، حيث قال الملك فهد - رحمه الله - : "تبصير علمائنا للمواطنين هو لصالح المواطن السعودي الذي منذ أن يولد طفلاً ووالداه يذكرانه بـ لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وحينما يلحق بالمدارس يجد أن الدراسة تبدأ بتقديم القاعدة الأساسية، وهي إلهامه العقيدة الإسلامية، ويستمر ذلك معه إلى أن تنتهي دراسته الجامعية^(٢)."

وقال - رحمه الله - أيضاً - : "الجامعات في المملكة العربية السعودية تبدأ المنهج مع الطالب من البداية حتى يتخرج الطالب من الجامعة وهو يعلم ما يتعلق بمفهوم العقيدة الإسلامية."

(١) تمّ اعتماد السياسة التعليمية في المملكة العربية السعودية بقرار مجلس الوزراء الموقر رقم ٧٧٩ بتاريخ ١٦ - ١٧/٩/١٣٨٩هـ، (انظر : "الموسوعة الحديثة في الأنظمة السعودية" : ٢٢٥/١ - ٢٨٠ إعداد سليمان الشايعي).

(٢) في افتتاح مستشفى الملك فهد التخصصي بالقصيم في ١٩/٨/١٤٠٨هـ، (انظر "شباب العقيدة الإسلامية" ص : ١٩٤).

والعقيدة الإسلامية كما هو معروف لها استيعاب .. استيعاب^(١) الطالب الذي عمره سبع سنوات أو عشر أو خمس عشرة أو عشرين أو خمس وعشرين سنة حتى يكون استيعابه استيعاباً متكاملًا.

هذا من الناحية الإجمالية العامة ، .. وهناك كليات متخصصة في فروع العقيدة الإسلامية التي نحن بعد الله نعتمد عليها ونعتبرها القاعدة الأساسية والمنطلق الأساسي.

وفي بلادنا فإن الطالب مهما تخصص في فرع من الفروع العلمية الأخرى إن كانت طبية أو صناعية أو عسكرية فإنه لا بد أن تكون لديه ثقافة متكاملة ومعرفة وإدراك متكامل بعقيدته الإسلامية أولاً وقبل كل شيء لأنها هي الأساس وهي القاعدة^(٢).

إن هذه الكلمات المضيئة تأكيد لحقيقة قائمة وملموسة في التعليم ، تربينا ، ونشأنا عليها من مرحلة الحضانة ومروراً بالمراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية ، - ولله الحمد والمنة - ونسأل الله - ﷻ - دوامها أبداً لنا وللأجيال القادمة بإذن الله تعالى.

وسوف نقتصر في دراستنا الموجزة على ذكر الجامعات التي قصد من إنشائها خدمة العلوم الشرعية ، ومنها العقيدة بصفة رئيسة ، وهذا لا يعني

(١) نجد أن المناهج التعليمية في المراحل المختلفة قد روعي فيها أن العقيدة يستوعبها الطالب ويفهمها حسب عمره وقدراته العقلية ، فكل مرحلة لها استيعابها وقدراتها ، فيُتدرج فيها الطالب حتى يستوعبها كاملاً.

(٢) في لقاء مع منسوبي وطلبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، فرع القصيم بتاريخ ١٤٠٨/٨/٢٠ هـ ، (انظر "شباب العقيدة" ، ص: ١٥٥).

عدم وجود جهود للجامعات الأخرى وكليات المعلمين وكليات البنات ، لكنها ليست متخصصة في ذلك.

أولاً : جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

كان لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية الريادة في مجال الدراسات العليا بعد أن كان لها شرف السبق من حيث النشأة على يد الملك عبد العزيز آل سعود - تغمده الله بواسع رحمته - في عام ١٣٦٩هـ، ثم بعد تأسيس الكلية بتسعة عشر عاماً ظهرت الحاجة الماسة إلى إنشاء أقسام الدراسات العليا لتخريج الكوادر الوطنية التي تتولى مهام التدريس والبحث في مؤسسات وهيئات المملكة المختلفة، فصدر الأمر الملكي الكريم رقم م/١١ في ١٣٨٨/٥/٤ هـ بالموافقة على افتتاح قسم الدراسات العليا الشرعية بكلية الشريعة لمنح درجة الماجستير في فرعين هما :

١- الكتاب والسنة.

٢- الفقه وأصوله.

وفي عام ١٣٩٢ / ١٢٩٣ هـ أنشئ الفرع الثالث : وهو فرع العقيدة، وفي عام ١٣٩٤ / ١٣٩٥ هـ تمت الموافقة على برنامج الدكتوراه بقسم الدراسات العليا الشرعية.

وفي بداية عام ١٣٩٦ / ١٣٩٧ هـ تم افتتاح فرع الدراسات العليا الشرعية بقسم الطالبات في التخصصات السابقة.

وفي تاريخ ١٨/١٢/١٤٠٧ هـ صدر قرار معالي مدير الجامعة بنقل فرعي العقيدة والكتاب والسنة إلى كلية الدعوة وأصول الدين^(١).

وبإحصائية سريعة للرسائل الجامعية^(٢) المقدمة من الطلاب والطالبات في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة منذ إنشائه إلى الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ١٤٢٢ / ١٤٢٣ هـ، فإننا نتوصل إلى النتائج التالية :

أ- بلغ عدد مجموع الرسائل الجامعية المقدمة لمرحلة العالمية العالية "الدكتوراه" (١٢٥) مائة وخمساً وعشرين رسالة، منها : (١٠١) مائة وإحدى رسالة تمت مناقشتها، و (٢٤) أربع وعشرون رسالة مسجلة لم تناقش بعد.

ب- بلغ عدد مجموع الرسائل الجامعية المقدمة لمرحلة العالمية "الماجستير" (٢٢١) مائتين وإحدى وعشرين رسالة، منها : (١٨٣) مائة وثلاث وثمانون رسالة تمت مناقشتها، و (٣٨) وثمان وثلاثون رسالة مسجلة لم تناقش بعد.

ج- بلغ عدد الرسائل الجامعية المناقشة لمرحلتى الدكتوراه والماجستير منذ إنشاء القسم في عام ١٣٩٥ هـ إلى عام ١٤٠١ هـ كالآتي :

- (٦) ست رسائل جامعية لمرحلة الدكتوراه.

- (٤٩) تسع وأربعون رسالة جامعية لمرحلة الماجستير.

(١) انظر : دليل الرسائل الجامعية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى،

ص: د، هـ، إصدار عام ١٤٢٢ هـ، جامعة أم القرى.

(٢) انظر : المصدر السابق، ص: و، ح، ط، ٣٦- ٥٣، و"قوائم الرسائل المناقشة والمسجلة

في قسم العقيدة، بإدارة الدراسات العليا، بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى.

د - بلغ عدد الرسائل الجامعية المناقشة لمرحلتى الدكتوراه والماجستير من عام ١٤٠٢ هـ (بداية تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم) إلى عام ١٤٢٢ هـ كالاتي :

- (٩٥) خمس وتسعون رسالة جامعية لمرحلة الدكتوراه.

- (١٧٤) مائة وأربع وسبعون رسالة جامعية لمرحلة الماجستير.

ثانياً : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

بدأت الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥ هـ، وكان باكورة نتاج المعهد من الرسائل عام ١٣٨٩ هـ، إذ أجاز (٢٢) رسالة ماجستير في ذلك العام وحده. وبعد ذلك بثمانى سنوات بدأت الدراسات العليا تؤتي ثمارها، فأجازت كلية الشريعة عام ١٣٩٧ هـ رسالتين، وفي عام ١٣٩٨ هـ انضمت كلية أصول الدين، وكلية العلوم الاجتماعية ثم توالى الوحدات الجامعية الأخرى في إجازة الرسائل العلمية بصفة منتظمة^(١).

ويوجد قسم (العقيدة والمذاهب المعاصرة) في كلية أصول الدين في الرياض، وفي كلية الشريعة وأصول الدين - فرع جامعة الإمام - في القصيم، وفي كلية الشريعة وأصول الدين - فرع جامعة الإمام - في الجنوب في أبها (والتي ضمت مؤخراً إلى جامعة الملك خالد في الجنوب).

(١) انظر : دليل الرسائل الجامعية ١٣٨٩ - ١٤١٣ هـ، ص : د، إعداد د. أحمد بن علي

تمراز، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤١٤ هـ.

ومما تجدر الإشارة إليه أن قسم الدراسات العليا تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة يوجد في كلية أصول الدين في الرياض فقط ، ولا يوجد في الفروع الأخرى المشار إليها.

وبنظرة سريعة في دليل الرسائل الجامعية المقدمة في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة منذ إنشائه إلى عام ١٤١٣ هـ^(١) ، وإلى قائمة عناوين رسائل قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة لمرحلي الماجستير والدكتوراه حتى عام ١٤٢٢ هـ^(٢) نتوصل إلى النتائج التالية :

- أ- بلغ عدد مجموع الرسائل الجامعية المقدمة لمرحلة الدكتوراه (١٢٩) مائة وتسعاً وعشرين رسالة ، منها : (٨٧) سبع وثمانون رسالة تمت مناقشتها ، و(٤٢) اثنتان وأربعون رسالة لم تناقش بعد.
- ب- بلغ عدد مجموع الرسائل الجامعية المقدمة لمرحلة الماجستير (٢٢٠) مائتين وعشرين رسالة ، منها : (٢١٢) مائتان واثنان عشرة رسالة تمت مناقشتها ، و(١٨) ثمان عشرة رسالة لم تناقش بعد.

- ج- لم تناقش رسائل جامعية في مرحلة الدكتوراه منذ إنشاء القسم إلى عام ١٤٠١ هـ.

(١) المصدر السابق ، ص : ٢ ، ٣ ، ١١٢ - ١٢٣ ، ٢٠٩ - ٢١٤ .

(٢) صدرت القائمة من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود ، واقتصرت القائمة على ذكر عناوين الرسائل الجامعية مرتبة حسب الأحرف الأبجدية ، وأسماء الباحثين ، والمرحلة العلمية ، ولم يميز في القائمة بين الرسائل التي تمت مناقشتها والتي لم تناقش بعد.

د- تمت مناقشة (١٩) تسع عشرة رسالة في مرحلة الماجستير منذ إنشاء القسم إلى عام ١٤٠١هـ.

هـ- بلغ عدد الرسائل الجامعية المناقشة لمرحلتى الدكتوراه والماجستير من عام ١٤٠٢ هـ (بداية تولي خادماً الحرمين الشريفين مقاليد الحكم) إلى عام ١٤٢٢ هـ كالاتي :

- (٨٧) سبع وثمانون رسالة جامعية لمرحلة الدكتوراه.

- (١٨٣) مائة وثلاث وثمانون رسالة جامعية لمرحلة الماجستير.

ثالثاً : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

افتتح قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية يوم الأربعاء الموافق ٢٣ ذي القعدة عام ١٣٩٥ هـ بعدد من الطلبة بلغ (١٦) ستة عشر طالباً في شعبة واحدة هي شعبة السنة.

وفي عام ١٣٩٧ / ١٣٩٨ هـ افتتحت شعبة العقيدة ، وكان عدد طلابها (٩) تسعة طلاب.

ثم تدرج قسم الدراسات العليا في النمو حتى أصبح عدد الشعب عام ١٤١١ هـ عشر شعب ، في التخصصات المختلفة.

وفي العام نفسه ١٤١١ هـ دمج جميع الشعب القائمة في قسم الدراسات العليا بالأقسام التي تنتمي إليها في كليات الجامعة بناء على قرار مجلس الجامعة

رقم (١١٨/١٤١٠)، وتمّ تعديل ما يلزم تعديله من لوائح الدراسات العليا^(١).

وأصبحت شعبة العقيدة في الدراسات العليا مدمجة في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين من عام ١٤١١هـ.

وبالنظر إلى دليل الرسائل العلمية بالجامعة الإسلامية^(٢) (المناقشة والمسجلة ١٣٩٦ - ١٤٢٠هـ) وإلى فهرس الرسائل المقدمة في قسم العقيدة منذ إنشائه إلى نهاية الفصل الدراسي الأول للعام الدراسي ١٤٢٢ - ١٤٢٣هـ سنجد النتائج التالية :

- أ- بلغ عدد الرسائل العلمية المقدمة لمرحلة الدكتوراه (٧٧) سبعةً وسبعين رسالة، منها : (٦٥) خمس وستون رسالة تمت مناقشتها، و (١٢) اثنتا عشرة رسالة مسجلة لم تناقش بعد.
- ب- بلغ عدد الرسائل العلمية المقدمة لمرحلة الماجستير (١٥٧) مائةً وسبعةً وخمسين رسالة، منها : (١١١) مائة وإحدى عشرة رسالة تمت مناقشتها، و (٤٦) ست وأربعون رسالة لم تناقش بعد.
- ج- لم تناقش رسائل جامعية في مرحلتي الدكتوراه والماجستير منذ إنشاء القسم إلى عام ١٤٠١هـ.

(١) "الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"، ص: ٢٨٢ - ٢٨٣، صدر عن الجامعة الإسلامية عام ١٤١٩هـ، بمناسبة الاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة.

(٢) انظر : "دليل الرسائل العلمية بالجامعة الإسلامية"، ص: ١٢٣ - ١٧٣، ٤٣٥ - ٤٤٩ إعداد: قاعدة المعلومات في عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلامية عام ١٤٢٠هـ.

د- بلغ عدد الرسائل العلمية المناقشة لمرحلتي الدكتوراه والماجستير من عام ١٤٠٢هـ إلى نهاية الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ١٤٢٢ / ١٤٢٣هـ كالتالي :

- (٦٥) خمس وستون رسالة علمية لمرحلة الدكتوراه.

- (١١١) مائة وإحدى عشرة رسالة علمية لمرحلة الماجستير.

هـ- حصل على درجة العالمية (الماجستير) والعالمية العالية (الدكتوراه) في تخصص العقيدة طلاب من (٤٣) ثلاث وأربعين دولة من مختلف قارات العالم.

مما سبقت الإشارة إليه فإننا نتوصل إلى نتائج مهمة نذكر منها :

إن الرصد التاريخي لحركة الدراسات العليا في أقسام العقيدة بالجامعات السعودية يظهر أن بداية مرحلة الدراسات العليا في التخصصات الشرعية كانت في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - الذي وسّع دائرة التعليم العام والتعليم الجامعي ، وفي عهد الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله - الذي تميز عهده بالرخاء الاقتصادي فقامت نهضة شاملة في عهده شملت جميع الميادين ومنها أقسام الدراسات العليا في الجامعات ، ثم نجد أن الدراسات العليا قد نضجت في عطائها وتطورت في مناهجها وأعداد طلابها في الفترة ما بين عام (١٤٠٢هـ) إلى عام (١٤٢٢هـ) أي خلال الفترة المباركة لتولي خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - مقاليد الحكم في هذه البلاد الغالية ، (وهي فترة ذهبية من عمر الدراسات العليا ، ففيها كانت الموافقة على استحداث برامج جديدة لمرحلتي الماجستير والدكتوراه ، وفيها تنامي عدد الخريجين والخريجات في مختلف التخصصات ، وفيها تم تطوير

اللوائح والأنظمة الخاصة بالدراسات العليا، وفيها أتيحت الفرصة لأعضاء هيئة التدريس للاحتكاك العلمي والإشراف والإرشاد الأكاديمي، وفيها - من خلال الدراسات العليا - قدّمت الجامعات يد العون لكثير من قطاعات الدولة لتنمية كوارها الإدارية والفنية والأكاديمية^(١).

المطلب الرابع:

عنايته بعقيدة السلف في المملكة.

لقد اعتنى خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - عناية بالغة في ترسيخ العقيدة السلفية في المملكة العربية السعودية ونشر العلوم الشرعية، وقد أشرنا إلى طرف من ذلك فيما سبق من المطالب السابقة، وسنورد هنا بعض الأمور الأخرى التي تتجلى فيها عنايته - رحمه الله - بالعقيدة في داخل المملكة، ومنها:

أولاً: العناية بالقرآن الكريم، المصدر الأول للعقيدة.

إن القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية ومصدر هدايتها وعقيدتها وتشريعاتها وعزها وفخرها، قال - تعالى - : ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً﴾^(٢) قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى - : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه﴾^(٣) "إن

(١) مقال عن "الدراسات العليا في عهد خادم الحرمين الشريفين" - أ.د. صالح الكريم - جريدة

عكاظ - العدد: ١٢٨٦٦.

(٢) سورة الإسراء، آية : ٩.

(٣) سورة المائدة، آية : ٤٨.

القرآن الكريم قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله، وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بياناً وتفصيلاً، وبيّن الأدلة والبراهين عن ذلك وقرر نبوة الأنبياء كلمهم ورسالة المرسلين، وقرر الشرائع الكلية التي بعث بها الرسل كلهم... ومن تأمل ما تكلم به الأولون والآخرون في أصول الدين والعلوم الإلهية وأمور المعاد، والنبوات، والأخلاق والسياسات والعبادات، وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاحيها وسعادتها ونجاتها لم يجد عند الأولين والآخرين من أهل النبوات، ومن أهل الرأي كالمتفلسفة وغيرهم إلا بعض ما جاء به القرآن، ولهذا لم تحتج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر وكتاب آخر فضلاً عن أن يحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه غيره^(١)

ولما كان القرآن الكريم أساس الوحدة وقوام الملة، ولن يستعيد المسلمون مكانتهم إلا بتمسكهم بهذا الكتاب العظيم وسنة المصطفى - ﷺ - ، ولن يتحقق التمكين الموعد إلا بالعمل على خدمة كتاب الله العزيز وحفظه ونشره وحسن تدبره وصدق العمل به.

كانت العناية بالقرآن الكريم في مقدمة أولويات واهتمامات خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - ، وتتجلى تلك العناية في مظاهر عديدة، من أبرزها ما يلي :

أ- إنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في عام ١٤٠٣هـ، وبدأ تشغيله في شهر صفر عام ١٤٠٥هـ، ليكون تأكيداً عملياً وصادقاً لعناية خادم الحرمين الشريفين بالقرآن الكريم، فقد قال - حفظه

(١) "مجموع الفتاوى" : ١٧/٤٥، ٤٤، باختصار.

الله - عند وضع حجر الأساس للمجمع : "بسم الله الرحمن الرحيم ، وعلى بركة الله العليّ القدير ، إننا نرجو أن يكون هذا المشروع خيراً وبركة لخدمة القرآن الكريم أولاً ، والإسلام والمسلمين ثانياً ، راجياً من الله العليّ القدير العون والتوفيق في أمورنا الدينية والدنيوية ، وأن يوفق هذا المشروع الكبير لخدمة ما أنشئ من أجله ، وهو القرآن الكريم لينتفع به المسلمون ويتدبروا معانيه"^(١) اهـ.

ويهدف مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف إلى تحقيق الأهداف

التالية :

- ١ - طباعة المصحف الشريف بالروايات المشهورة في العالم الإسلامي.
 - ٢ - ترجمة وطباعة معاني وتفسير القرآن الكريم إلى أهم وأوسع اللغات انتشاراً.
 - ٣ - تسجيل تلاوة القرآن الكريم بأصوات مشاهير القراء.
 - ٤ - إجراء البحوث والدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم ، والسنة والسيرة النبوية المطهرة.
 - ٥ - نشر إصدارات المجمع على الشبكة العالمية.
 - ٦ - تلبية حاجة المسلمين في الداخل والخارج من إصداراته المختلفة.
- وقد بلغ إنتاج مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف منذ تشغيله حتى عام ١٤٢٠ هـ ، أكثر من مائة وثلاثة وخمسين مليون نسخة (١٥٣,٠٠٠,٠٠٠)

(١) كان ذلك في السادس عشر من شهر محرم عام ١٤٠٣ هـ. (انظر "تطور كتابة المصحف الشريف" ، ص : ٧٢ ، - أ.د محمد سالم العوفي).

نسخة) من مختلف الإصدارات، وزع منه على المسلمين في مختلف أنحاء العالم أكثر من مائة وواحد وعشرين مليون نسخة (١٢١,٠٠٠,٠٠٠ نسخة) هدية دون مقابل من حكومة المملكة العربية السعودية، إيماناً منها برسالتها، وإدراكاً لمسئوليتها تجاه كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - ، وخدمة للدين ونشره في أرجاء الأرض^(١).

ب- دعم وإقامة مدارس خاصة بتحفيظ القرآن الكريم : ابتدائية، ومتوسطة، وثانوية، بل وكليات وأقسام متخصصة في بعض الجامعات، بالجامعة الإسلامية بالمدينة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ج- العناية بإذاعة القرآن الكريم : التي أنشأت عام ١٣٩٢هـ، وبدأت بثها لمدة ست ساعات يومياً على فترتين للإرسال، ثم أخذت ساعات الإرسال في التطور السريع حتى وصل إرسالها في بداية شهر جمادى الأولى لعام ١٤١٧هـ إلى (٢٠) عشرين ساعة يومياً^(٢).

د- العناية بالجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وتطويرها ودعمها مادياً ومعنوياً، ونشرها في كافة أرجاء المملكة العربية السعودية في المدن والقرى والهجر، وتكليف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالإشراف على الجمعيات

(١) انظر "تطور كتابة المصحف الشريف وطابعته وعناية المملكة العربية السعودية بطبعه ونشره وترجمة معانيه" ص: ٧٢، ٧٣، ١١٠، أ.د. محمد سالم العوفي.

(٢) انظر "جهود إذاعة القرآن الكريم وعلومه"، ص: ٩٢٨، محمد سعيد الصفار (تقرير)

الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، فشكّلت الوزارة مجلساً أعلى للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، وله أمانة عامة ترتبط بوزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد مباشرة^(١).

هـ- العناية بتنظيم المسابقات في تلاوة وحفظ وتفسير القرآن الكريم ، ليس على مستوى المملكة وحدها فقط ، بل وعلى مستوى العالم ، وتم تكوين أمانة عامة للإشراف على المسابقتين تتبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد^(٢).

و- إصدار خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله وأيده - أمره الكريم بتخفيف مدة السجن عمّن يحفظ كتاب الله - ﷻ - تشجيعاً على حفظه والعمل به والتزامه.

ثانياً: العناية بالمصدر الثاني للعقيدة وهو : السنة النبوية المطهرة.

إذا كان القرآن الكريم المصدر الأول للإسلام في العقيدة والشرعية والمعاملات والأخلاق ، فإن السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني التطبيقي والبياني الموضح والمتمم للقرآن الكريم في جميع أحكامه وتشريعاته.

ومن هنا جاء اهتمام خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - بالسنة والسيرة النبوية ، كمّلاً لاهتمامه بكتاب الله - ﷻ - ، فصدر الأمر السامي الكريم في ٢٠/٤/١٤٠٦ هـ برقم ٧٩٣/٥ م بالموافقة السامية على إنشاء مركز خدمة السنة والسيرة النبوية تحت إدارة الجامعة الإسلامية بالمدينة

(١) انظر "الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم وجهودها في المملكة العربية السعودية ،

ص: ١٣ - ١٧ ، د. بدر بن ناصر البدر.

(٢) انظر "تطور كتابة المصحف الشريف وطباعة" ص: ٦٦ ، أ.د. محمد سالم العوفي.

المنورة، بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ويهدف

المركز إلى خدمة السنة والسيرة النبوية في مجالاتها الواسعة وعلى الأخص :

١ - جمع وحفظ الكتب المخطوطة والمطبوعة والوثائق والمعلومات المتعلقة بالسنة والسيرة النبوية وتيسيرها للباحثين.

٢ - إعداد موسوعة في الحديث النبوي وموسوعات أخرى في خدمة السنة والسيرة النبوية وفقاً للخطط التي يضعها مجلس المركز.

٣ - تحقيق ما يمكن من كتب السنة والسيرة النبوية وإعداد البحوث العلمية التي تخدم السنة والسيرة النبوية.

٤ - ترجمة ما تدعو الحاجة إليه من كتب السنة والسيرة النبوية وما يتعلق بها.

٥ - رد الأباطيل ودفع الشبهات عن ساحة السنة والسيرة النبوية.

٦ - نشر الأعمال المنجزة في المركز في مجال التأليف والتحقيق والترجمة.

٧ - التعاون مع المراكز والهيئات والمؤسسات العلمية التي تعمل في خدمة السنة والسيرة النبوية داخل المملكة وخارجها فيما يخدم المركز وتحقيق أهدافه.

٨ - الاستفادة من خبرات ذوي الشهرة العلمية في السنة والسيرة النبوية.

٩ - الاستفادة من الحاسوب في جمع السنة وبرمجة المعلومات المتعلقة بها وبعلومها.

وتتلخص أهم إنجازات المركز فيما يلي :

• إصدار أربعة كتب وهي :

١. "فضائل المدينة" - د. صالح الرفاعي، في مجلد واحد.

٢. "بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث" - للحافظ علي بن سليمان الهيثمي ، في مجلدين.

٣. "السيرة النبوية والمستشرقون" - د. محمد مهر علي ، باللغة الإنجليزية ، في مجلدين.

٤. "إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف الكتب العشرة" - للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني ، وصدر منه "١٧" مجلداً^(١).

● إصدار برامج موسوعية وهي :

موسوعة الرواة ، موسوعة المتون ، موسوعة السيرة النبوية.

كما تتجلى عناية خادم الحرمين الشريفين بالسنة النبوية في طباعته ونشره لكتب السنة الشريفة على نفقته الشخصية ، ومن تلك الكتب :

- "مسند الإمام أحمد بن حنبل" ، بتحقيق مجموعة من العلماء ، ونشر مؤسسة الرسالة ، وهو موسوعة حديثة صدرت في (٥٠) خمسين مجلداً ، في طبعة متميزة فاخرة ، أمر الملك فهد - أجزل الله مثوبته - بتوزيع الكتاب على نفقته خدمة للعلم وطلابه.

- "تهذيب الآثار وتفصيل معاني الثابت عن رسول الله - ﷺ - من الأخبار" ، تأليف الإمام محمد بن جرير الطبري ، بتحقيق د. ناصر بن سعد الرشيد ، وطبع الكتاب في مطابع الصفا بمكة المكرمة ، سنة ١٤٠٤هـ.

(١) انظر "نبذة تعريفية عن مركز خدمة السنة والسيرة النبوية وإنجازاته ، وكتاب "تطور كتابة المصحف الشريف وطباعته" ، ص : ٩٩ - ١٠٤ ، أ.د محمد سالم العوفي.

- "مجموعة الحديث" المعروف بـ (مجموعة الحديث النجدية)، طبع
الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض -سنة
١٤١٩هـ.

ثالثاً: العناية بطباعة ونشر كتب السلف.

اعتنى خادم الحرمين الشريفين بطبع كتب السلف ونشرها بين الناس على
نفقته الشخصية، حرصاً منه - رحمه الله - على نشر العقيدة السلفية
وتثبيتها في نفوس الناس، ونشر العلم النافع، واقتداءً بوالده الكريم الملك
عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - يرحمه الله - الذي كان كثير
الاحتفاء

بالعلماء وطلبة العلم، قوي الحرص على نشر كتب العقيدة السلفية
والعلم النافع.

ويؤكد الملك فهد - رحمه الله - حرصه على ذلك بقوله : "أؤكد لكم
أن المملكة العربية السعودية من واقع تطبيقها لأحكام الشريعة الإسلامية
تحرص - بعون الله ومدده - على نشر علوم القرآن والسنة النبوية
المطهرة"^(١).

ولو أردنا أن نستقصي مظاهر تلك العناية لطال بنا الحديث واحتاج الأمر
إلى مؤلف مستقل فيه، ولكن حسبنا أن نشير إلى نماذج من تلك العناية الكريمة
من خلال الأمور التالية :

(١) من كلمة له في المسابقة الدولية (١١) لتلاوة القرآن الكريم وتفسيره وتجويده في

١٤/٦/١٤٠٩هـ، (انظر "شباب العقيدة الإسلامية" ص: ٥٠)

أ- الكتب التي أمر خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - بطباعتها على نفقته الشخصية.

وهي كثيرة جداً نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١- "مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية" - رحمه الله تعالى - ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه ، ويقع الكتاب في (٣٧) سبعة وثلاثين مجلداً ، وهو كتاب غني عن التعريف به لشهرته بين العلماء وطلبة العلم في عصرنا ، فهو موسوعة شاملة في علوم العقيدة والتفسير والحديث والفقه والشريعة بصفة عامة ، وتقع مسائل العقيدة في مجموع الفتاوى في (١٢) اثني عشر مجلداً منها.

وقد أمر بطباعة هذا السفر القيم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد - أجزل الله مثوبته - عدة مرات منها : طبعة عام ١٣٩٨هـ ، حينما كان الملك فهد ولياً للعهد ، وآخر طبعة أمر بها الملك فهد في عام ١٤١٦هـ ، في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ، فصدرت في طبعة متميزة فاخرة أمر الملك فهد بتوزيعها على العلماء وطلبة العلم.

٢- "كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة" ، إعداد نخبة من العلماء ، من إصدارات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، بالمدينة المنورة ١٤٢١هـ.

٣- "مجموعة التوحيد" المعروفة بـ (مجموعة التوحيد النجدية) وهي مجموعة كتب ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في مجلد واحد ، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ، الرياض ١٤١٩هـ.

- ٤ - "عرش الرحمن وما ورد فيه من الآيات والأحاديث" لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.
- ٥ - "اقتضاء الصراط المستقيم"، للإمام ابن تيمية، وقد طبع في مطبعة السنة المحمدية، في القاهرة سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م.
- ٦ - "الورد المصطفى المختار من كلام الله تعالى وكلام سيد الأبرار" - اختيار الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وثق نصوصه / محمد بن عبد الله آل فهد، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.
- ٧ - "خطب الإمام محمد بن عبد الوهاب وبعض أحفاده" - رحمهم الله تعالى - ، في مجلد واحد، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.
- ٨ - "الداء والدواء" للإمام ابن القيم، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.
- ٩ - "منحة القريب المحيب في الرد على عبّاد الصليب" للشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر المتوفى سنة ١٢٤٤هـ، تحقيق د. محمد بن عبد الله السكاكر، ويقع في مجلدين، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.
- ١٠ - "جامع العلوم والحكم" للحافظ ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٦٣هـ، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

١١ - "الآداب الشرعية" للإمام عبد الله محمد بن مفلح المقدسي المتوفى سنة ٧٦٣هـ، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

١٢ - "الإقناع لطالب الانتفاع" للعلامة شرف الدين موسى بن أحمد أبو النجا الحجاوي المقدسي المتوفى سنة ٩٦٨هـ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

١٣ - "المغني، شرح مختصر الخرق"، للإمام موفق الدين أبي حمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، ويقع الكتاب في (١٥) خمسة عشر مجلداً، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

١٤ - "عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة"، للإمام ابن شاس، وقد وجه خادم الحرمين الشريفين أمره إلى مجمع الفقه الإسلامي بمجدة بطباعة الكتاب ليكون باكورة إنتاج المجمع^(١).

١٥ - "تحفة الناسك بأحكام المناسك" للشيخ سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

(١) "جريدة الندوة"، العدد: ٩٤٦٧، الصادرة في ١٤/٨/١٤٢٠هـ.

١٦- الإيضاح والتحقيق لكثير من مسائل الحج والعمرة" للشيخ عبد العزيز بن باز، طبع مرات عديدة منها طبعة المكتب السعودي التعليمي في المغرب سنة ١٤٠٠هـ.

١٧- "طبقات الحنابلة" للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء البغدادي الحنبلي، المتوفى سنة ٥٢٦هـ، ويقع في ثلاثة مجلدات، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، الرياض ١٤١٩هـ.

ب- الكتب التي طبعت ولا تزال تطبع على نفقة أصحاب السمو الملكي الأمراء.

ويأتي في مقدمتهم صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني - حفظه الله وأيده - ، وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - رحمه الله - ، وقد دأب أصحاب السمو الملكي الأمراء على طباعة ونشر كتب العلم وتوزيعها على طلبة العلم ابتغاءاً للأجر والثواب من الله - ﷻ - ، واقتداءً بوالدهم الكريم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - .

ج- الكتب التي طبعت ونشرت عن طريق المؤسسات الحكومية.

إن مما يميز المملكة العربية السعودية وجود أجهزة ومؤسسات حكومية تتعهد كتب العلم - وخاصة فيما يتعلق بكتب العقيدة والعلوم الشرعية- طباعة ونشراً وتوزيعاً بعشرات الآلاف من النسخ، ومن أبرز تلك المؤسسات الحكومية:

- ١ - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وفيها وكالة الوزارة للمطبوعات والنشر.
 - ٢ - وزارة التعليم العالي، ممثلة في جامعاتها، وبخاصة الجامعات المتخصصة في العلوم الشرعية، كالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وفروعها، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
 - ٣ - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.
 - ٤ - هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
 - ٥ - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
 - ٦ - الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.
 - ٧ - إدارة الشؤون الدينية في وزارة الدفاع، وجهاز الإرشاد والتوجيه في رئاسة الحرس الوطني، وغيرها من القطاعات.
- ويصعب حصر أسماء وأعداد الكتب المطبوعة في مجال العقيدة والعلوم الشرعية لمؤسسة واحدة من هذه المؤسسات أو جامعة من الجامعات، فهي - والله الحمد والمنة - تطبع بعشرات الألوف وتوزع مجاناً لطلبة العلم ومستحقيها من الناس وخاصة في موسم الحج.
- د - الكتب التي طبعت ونشرت عن طريق المنظمات والجمعيات.
- إن المملكة العربية السعودية خاصة لكل عمل فيه نشر الإسلام وخدمة للمسلمين، فمن المأمول أن يكثُر فيها المنظمات والمؤسسات الدعوية والجمعيات الخيرية، وأن يكون من عملها طباعة ونشر الكتب الإسلامية، ومن أبرزها :

١ - رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، وهيئاتها التابعة لها وفي مقدمتها هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

٢ - الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض.

٣ - المؤسسات الخيرية والدعوية كمؤسسة الملك فيصل الخيرية ، ومؤسسة الحرمين الخيرية وغير ذلك.

وقد طبعت هذه المنظمات والهيئات عدداً كبيراً يصعب حصره من الكتب التراثية والمؤلفات ، وخاصة في مجال العقيدة والعلوم الإسلامية وتوزيعها.

هـ - الكتب التي طبعت عن طريق المكتبات والمطابع التجارية أو عن طريق الأفراد.

شهدت المملكة العربية السعودية نهضة شاملة في العهد الزاهر لخدام الحرمين الشريفين - رحمه الله - في جميع المجالات ، وبخاصة النهضة التعليمية الجامعية والثقافية ، مما كان لها دور كبير في دفع حركة التأليف وطباعة ونشر الكتب وخاصة في مجال العقيدة والعلوم الإسلامية ، فطبع العديد من كتب التراث والمؤلفات في علم العقيدة - وكثير منها رسائل جامعية - عن طريق المكتبات والمطابع التجارية أو عن طريق الأفراد ومن تلك الكتب :

- "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" ، للإمام الحافظ اللالكائي.

- "الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة" ، للإمام الحافظ

إسماعيل بن محمد الأصبهاني.

- "صريح السنة" ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري.

- "الشريعة"، للإمام أبي بكر الآجري.
- "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة"، للإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي.
- ومن المؤلفات : "أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة"، تأليف د.محمد بن عبد الرحمن الخميس.
- "منهج الإمام مالك في إثبات العقيدة"، تأليف د.سعود بن عبد العزيز الدعجان.
- "منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة"، د.محمد بن عبد الوهاب العقيل.
- "المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة"، جمع ودراسة د.عبد الإله بن سلمان الأحمد.

وغير ذلك من الكتب والمؤلفات ، والله الحمد والمنة.

رابعاً : دعوة المسلمين لهذه العقيدة عن طريق الإعلام المباشر.

لقد أصبح الإعلام بجميع وسائله من الأمور الأساسية في حياة الأمم ، حيث إنه يعكس حياة الأمة ويمثل عقيدتها وأفكارها وتطلعاتها وتاريخها ومبادئها.

ويبين لنا خادما الحرمين الشريفين الملك فهد أهمية الإعلام ووظيفته وعلاقته بالعقيدة فيقول : "إن الإعلام أصبح شيئاً أساسياً في حياة الأمم .. ربما كان الاهتمام بالنواحي الإعلامية في السابق قليلاً أو ربما لم نكن نهتم - كبلدان إسلامية - اهتماماً كبيراً بالإعلام كما هو حاصل الآن ، ويجب أن نهتم بالإعلام حتى نوضح للعالم أجمع أن العقيدة الإسلامية هي عقيدة

سلام واستقرار وبنيت على أسس وقواعد أنزلها رب العزة والجلال في محكم كتابه وبينها رسول الله - ﷺ - " (١).

ويقول - رحمه الله - أيضاً - : "لا شك أن العاملين والقائمين على محطات التلفزيون أو الإذاعة أو المجلات أو الصحف هم عاملون في وطن يحتاج دائماً إلى إبراز العقيدة الإسلامية بشكل واضح ، لأن هذا البلد قيادي بالنسبة للعقيدة الإسلامية ، وهذا أمر شرفه به رب العزة والجلال لأنه يحتوي على بيت الله الحرام في مكة المكرمة ومسجد نبيه في المدينة المنورة" (٢).

انطلاقاً من هذه الكلمات الإيمانية والتوجيهات السامية فقد صدرت السياسة الإعلامية في المملكة العربية السعودية من مجلس الوزراء برقم ١٦٩ وتاريخ ٢٠/١٠/١٤٠٢ هـ منبثقة من الإسلام الذي تدين به هذه الأمة عقيدة وشريعة ودستوراً ، وسنعرض ما يوضح ذلك بمختارات من السياسة الإعلامية كالتالي :

"المادة الأولى : يلتزم الإعلام السعودي بالإسلام في كل ما يصدر عنه ، ويحافظ على عقيدة سلف هذه الأمة ويستبعد من وسائله جميعها كل ما يناقض شريعة الله التي شرعها للناس.

المادة الثانية : يعمل الإعلام السعودي على مناهضة التيارات الهدامة ، والاتجاهات الإلحادية والفلسفات المعادية ومحاولات صرف المسلمين عن

(١) من كلمة له في افتتاح مؤتمر وزراء إعلام الدول الإسلامية في ١/٣/١٤٠٩ هـ (انظر "شباب العقيدة الإسلامية" ص : ٨٦).

(٢) من كلمة له في رعاية حفل افتتاح مبنى تلفزيون القصيم في ١٥/٨/١٤٠٨ هـ (انظر المرجع السابق ص : ١٨٤).

عقيدتهم ، ويكشف زيفها ويبرز خطرهما على الأفراد والمجتمعات والتصدي للتحديات الإعلامية المعادية بما يتفق مع السياسة العامة للدولة.

المادة الثالثة : تدأب وسائل الإعلام على خدمة المجتمع وذلك عن طريق تأصيل قيمه الإسلامية الثمينة ، وترسيخ تقاليده العربية الكريمة والحفاظ على عاداته الخيرة الموروثة ، ومقاومة كل ما من شأنه أن يفسد نقاءه وصفاءه ، وتعنى في دفع التنمية والتعاون من المؤسسات المختلفة في هذا المجال.

المادة الرابعة : تعمل وسائل الإعلام على خدمة سياسة المملكة القائمة على صيانة المصالح العليا للمواطنين خاصة ، والعرب والمسلمين عامة ، وذلك بتبني هذه السياسة وعرضها عرضاً موضوعياً مدعماً بالوثائق مؤيداً بالمواقف والحقائق.

المادة الخامسة : تهتم وسائل الإعلام داخلياً وخارجياً بإبراز شخصية المملكة العربية السعودية الفريدة المتميزة ، وتكشف عما حباها الله من نعمة الاستقرار والأمن ، وما يسر لها من التقدم في شتى المجالات باعتمادها الإسلام دستوراً للحكم وشرعية في الحياة ، كما تبرز ما من الله به عليها من خدمة مقدسات المسلمين وما تنهض به من أعباء كبار في هذا المجال.

المادة الثانية والعشرون : يؤكد الإعلام السعودي أن الدعوة إلى الله بين المسلمين وغيرهم قائمة دائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولذلك فهو يقوم بنصيبه في أداء هذا الواجب الجليل سالكاً في دعوته إلى الله سبيل الحكمة والموعظة الحسنة معتمداً على مخاطبة الفكر ، ومبتعداً عن كل ما من شأنه أن يثير حفاظ الآخرين.

المادة الثالثة والعشرون : تعمل المؤسسات الإعلامية السعودية مع نظيراتها في العالم الإسلامي عامة والعربي منه خاصة على تبني منهج إعلامي موحد يخدم مصالح المسلمين الدينية والدنيوية ، ويمثل وحدتهم الفكرية والحضارية ويؤلف بين قلوبهم^(١).

ولذلك نجد أن الصحافة السعودية قد عمدت إلى نشر الوعي والثقافة الإسلامية بين المواطنين ، ونشر توجيهات إسلامية في صفحات وملاحق خاصة بالثقافة الإسلامية ، وفي المجالات المتخصصة ، كمجلة الدعوة ومجلة البحوث الإسلامية^(٢).

أما الإذاعة فتوجد بها العديد من القنوات الإذاعية وهي :

أ - البرنامج العام من الرياض ، ونسبة البرامج الدينية فيه ٣٠ %.

ب - البرنامج الثاني من جدة ، ونسبة البرامج الدينية فيه ٥ %.

ج - إذاعة التوعية في الحج ، وتبث إرسالها الإذاعي في موسم الحج كل عام بدءاً من شهر ذي القعدة وحتى نهاية شهر ذي الحجة ، ويبدأ إرسالها من الساعة السادسة صباحاً وحتى الساعة الثانية عشرة ليلاً.

(١) انظر : "الموسوعة الحديثة في الأنظمة السعودية" : ١٦٦/١ - ١٧٦ ، إعداد المحامي سليمان الشايعي.

(٢) "الإعلام السعودي في خدمة القرآن" بتصرف واختصار ، تقرير مقدم من د. محمد بن مخلف الخلف ، في ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم في الفترة من ٣ - ٦ رجب ١٤٢١هـ.

د - إذاعة نداء الإسلام، وهي إذاعة دينية تهدف إلى خدمة الدعوة الإسلامية وتبليغ رسالة الإسلام الخالدة إلى العالم أجمع، وغرس روح العقيدة السمحة والقيم الفاضلة للإسلام، ومن برامجها (العقيدة والحياة).

هـ - إذاعة القرآن الكريم، - وقد سبق الحديث عنها- وتمثل التلاوات القرآنية ٧٥ ٪ من بثّها، أما النسبة الباقية فهي لعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ويصل بث إذاعة القرآن الكريم عن طريق الأقمار الصناعية إلى أنحاء القارات الخمس كافة تقريباً، ومن برامجها (تأثر السلف بالقرآن الكريم)، و(نور على الدرب)، و(السنة والبدعة) وغيرها^(١).

وأما التلفزيون السعودي فإن نسبة البرامج الدينية والثقافية فيه تبلغ ٢٥ ٪، وترتفع النسبة في شهر رمضان المبارك إلى ٧٠ ٪، ومن البرامج الدينية في التلفزيون (دين ودنيا)، و(فتاوى على الهواء) وغيرها^(٢).

خامساً : عنايته ودعمه للرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نظام الحسبة من أصول دين الإسلام، ومن أجلها كانت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، قال الله - تعالى - : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون

(١) المرجع السابق، ص: ٢١ - ٣٢ باختصار، وانظر : "جهود إذاعة القرآن الكريم"، تقرير

مقدم من الشيخ محمد بن سعيد الصفار في الندوة السابقة.

(٢) انظر "الإعلام السعودي في خدمة القرآن الكريم" ص: ٣٣ - ٤٢ باختصار.

إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون^(١)،
وقد تولاه الرسول - ﷺ - بنفسه ثم تبعه خلفاؤه من بعده، وكانوا يعينون
على الأسواق وأمور الناس من يراقبها، ثم تطور حتى أصبح علماً مستقلاً
وولاية لها شأنها في الإسلام.

وقد كان - ولا يزال بحمد الله تعالى - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
ركيزة من أهم ركائز الدولة السعودية منذ نشأت في منتصف القرن الثاني عشر
الهجري^٥ ومروراً بأدوارها الثلاثة^(٢)، ومما انفردت به عن غيرها من الدول
الإسلامية.

وقد كانت بداية تأسيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كجهاز
مستقل في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله -
بإصداره الأمر الملكي بتاريخ ١٨/١/١٣٤٧هـ^(٣).

ثم تتابع الملوك من أبناء الملك عبد العزيز - رحمه الله - في الاعتناء بهيئة
الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر^(٤)، ودعمها، وتهيئة كل السبل لنجاح أعمالها.

(١) سورة آل عمران، آية : ١٠٤.

(٢) "الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية"، ص : ١٩٢، أ.د صالح السدلان.

(٣) "الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص : ٤٥١، ٤٨٣، ٤٨٤،

- د. عبد الرحيم المغذوي.

(٤) تغيير مسمى الهيئة إلى (الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، في عهد
الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله - بتاريخ ١٣٩٦/٩/٣هـ. (انظر "نظام الحسبة في
الإسلام"، ص : ٢٠٦، عبد العزيز المرشد).

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - بلغت العناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن احتوى النظام الأساسي للحكم - في المادة الثالثة والعشرين^(١) - على قيام الدولة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويؤكد ذلك خادم الحرمين الشريفين بقوله : "ولهذا فإن الحكم في هذا البلد بني على أسس وقواعد من مبادئ السنن وليس بشيء جديد ، وأهم شيء من الأمور التي تفتخر بها البلاد والمسؤولون فيها هي أنها البلد الوحيد الذي تطبق فيه شريعة الله ويؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر ، وهذه من القواعد الأساسية التي تركز عليها العقيدة الإسلامية"^(٢).

ويعتبر عهد الملك فهد - رحمه الله - الفترة الذهبية لتطبيق نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولوائحه التنفيذية التي صدرت بقرار معالي الرئيس العام ذي الرقم ٢٧٤٠ وتاريخ ١٤٠٧/١٢/٢٤ هـ ، المبني على موافقة صاحب السمو الملكي وزير الداخلية رقم ٥٢٠٤٨/١٦ وتاريخ ١٤٠٦/٨/٤ هـ ، تمشياً مع المادة (١٩) من نظام الهيئة^(٣).

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى ما ورد في اختصاصات الهيئة وواجباتها في اللائحة التنفيذية في مجال العقيدة ، حيث جاء فيها : "إرشاد الناس ونصحهم لاتباع الواجبات الدينية المقررة في الشريعة الإسلامية وحملهم على أدائها ،

(١) انظر : المطلب الأول من المبحث الثالث.

(٢) انظر : "مجلة الدعوة" ١٤١٣/٦/٣ هـ ، وكتاب "الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تاريخها أعمالها" ، ص : ١٥٩ ، إصدار الرئاسة العامة للهيئة.

(٣) انظر : "كتاب الرئاسة العامة" ، ص : ١٤٦.

- وكذا النهي عن المنكر بما يحول دون ارتكاب المحرمات والممنوعات شرعاً،
واتباع العادات والتقاليد السيئة أو البدع المنكرة، ويكون باتباع الآتي :
- مراقبة الأسواق العامة والطرق والحدائق وغير ذلك من الأماكن العامة
والحيلولة دون وقوع المنكرات الشرعية والتي منها :
- إظهار غير المسلمين لمعتقداتهم، أو شعائر مللهم، أو إظهارهم عدم الاحترام لشعائر الإسلام وأحكامه.
 - عرض أو بيع الصور، والكتب، أو التسجيلات المرئية، أو الصوتية المنافية للآداب الشرعية، أو المخالفة للعقيدة الإسلامية اشتراكاً مع الجهات المعنية.
 - عرض الصور المجسمة أو الخليعة، أو شعارات الملل غير الإسلامية كالصليب أو نجمة داود، أو صور بوذا أو ما ماثل ذلك.
 - البدع الظاهرة كتعظيم بعض الأوقات، أو الأماكن غير المنصوص عليها شرعاً، أو الاحتفال بالأعياد، والمناسبات البدعية غير الإسلامية.
 - أعمال السحر والشعوذة، والدجل لأكل أموال الناس بالباطل^(١).
 - ومن مظاهر الدعم والمؤازرة من لدن خادم الحرمين الشريفين -
وفقه الله - للهيئة ما يلي :

(١) انظر "نظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واللائحة التنفيذية، ص: ٢١ - وما بعدها، و"الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها أعمالها"، ص: ١٤٦، ١٤٧.

- صدور أوامر خادم الحرمين الشريفين بمنح الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مقر إدارة جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض (سابقاً) ليكون مقراً لإدارتها.
- صدور التوجيهات الكريمة بدعم الرئاسة بعلماء أكفاء من حملة العلم الشرعي والكفاءات العالية.
- صدور التوجيهات الكريمة للجهات المختصة باعتماد مقرات لمراكز الهيئة في جميع المخططات التي يتم إعدادها وتوزيعها من قبل الدولة^(١).

سادساً : مراكز الدعوة والإرشاد التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

تنتشر مراكز الدعوة والإرشاد التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في جميع مدن المملكة العربية السعودية وفي قراها وهجرها، ويشرف على نشر العقيدة السلفية فيها والدعوة عموماً علماء وطلبة علم، عن طريق إلقاء الكلمات التوجيهية والنصائح الدينية بعد الصلوات في المساجد والمدارس والإدارات الحكومية والشركات وغيرها، كما تقوم المراكز بالتعاون مع الجامعات والكليات الشرعية بتنظيم الدروس العلمية الدينية في المساجد، وإلقاء المحاضرات، وتنظيم الندوات في المساجد والمراكز العلمية والثقافية، وتقوم المراكز بإرسال الدعاة وطلبة العلم إلى القرى والهجر النائية لإلقاء خطبة الجمعة وعقد الدروس والدورات الشرعية وإلقاء

(١) انظر "الأنشطة الدعوية في المملكة"، ص: ١٩٩٤، ١٩٥، أ.د صالح السدلان.

الكلمات والنصائح التوجيهية ، مما كان لهذه الجهود الطيبة أثر مبارك عند الناس في تعليمهم العقيدة السلفية وتثبيتها وتعليمهم أمور دينهم ومحاربة الجهل والبدع.

وقد أنشأت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد إدارة مسؤولة عن توعية المسلمين في المملكة العربية السعودية والدول المجاورة لها في الخليج العربي والجنوب ، وتسمى (الإدارة العامة للدعوة في الداخل ودول الجزيرة العربية) ويتفرع عنها خمس إدارات وهي :

١. إدارة الدعوة في الجنوب.
 ٢. إدارة الدعوة في المنطقة الغربية.
 ٣. إدارة الدعوة في المنطقة الشمالية والشرقية.
 ٤. إدارة الدعوة في المنطقة الوسطى.
 ٥. الإدارة العامة للدعوة في الخليج العربي.
- وتقدم الإدارة العامة للدعوة في الداخل برسالة الدعوة إلى الله من خلال الإدارات الفرعية ، وبواسطة دعائها التابعين لها ، والبالغ عددهم (٢٦٠) داعية ، والموزعين على ما يزيد على (٣٠) ثلاثين مركزاً في الداخل ودول الجزيرة العربية^(١).

(١) انظر "من جهود المملكة العربية في الدعوة إلى الله" ، ص : ٢١٠ ، - إعداد وكالة الوزارة المساعدة لشؤون الدعوة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد جهوداً دعوية في الداخل - أيضاً - من خلال مراكز الأمانة العامة للتوعية الإسلامية في الحج (رئيسية وفرعية ومتجولة) والبالغ عددها (٥٧) مركزاً منتشرة بمنافذ وموانئ عبور الحجاج والمواقيت المكانية، وبمناطق المشاعر المقدسة في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، تعمل من خلال الدعاة المتواجدين بها على نشر العقيدة الإسلامية وتوضيحها، وتوعية الحجاج بمناسك حجهم وعمرهم، وتوجيههم لتلافي الأخطاء التي تؤثر في مناسكهم، كما تعمل على تذكير ضيوف الرحمن بمراعاة حرمة المكان والزمان، والالتزام مع إخوانهم في الدين بمبدأ الأخوة الإسلامي وأهميته في توثيق عرى الصلة بين المسلمين^(١).

سابعاً : مراكز توعية الجاليات.

إن مما تتميز به المملكة العربية السعودية عن غيرها من الدول انتشار مكاتب الدعوة والمراكز التعاونية لتوعية الجاليات في كافة ربوع المملكة، وهي تقوم بجهود مباركة وأعمال دعوية مشهودة، يرشدون ويدعون ويوجهون وينصحون، ويستفيد من تلك المكاتب والمراكز أعداد كبيرة من الوافدين من المسلمين وغيرهم، فكم من حائر قد هدوه، وكم من قتيل لإبليس قد أحيوه^(٢).

(١) انظر المرجع السابق، ص: ٢١٣، ٢١٤.

(٢) من كلمة لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بمناسبة معرض الدعوة بالمنطقة الشرقية. (انظر "الجاليات"،

وتهدف هذه المراكز إلى الدعوة إلى التوحيد، وبيان حقيقته، ودحض شبه الخرافيين حوله، وكشف أساليبهم التي يلبسون بها على الدهماء الذين لا بصيرة لديهم من العلم، وتختص هذه المراكز بما يلي :

١. دعوة غير المسلمين من الجاليات وغيرهم إلى الإسلام بالوسائل المشروعة والمتاحة.

٢. محاربة البدع والضلالات والقضاء على الخرافات وإزالة الشبه التي تعترض بعض من دخل حديثاً في الإسلام، وتبصيرهم بأمور دينهم.

٣. تقوية الروابط بين المسلمين عموماً، وإعداد الدعاة لنشر دين الله في الداخل والخارج.

٤. توعية المواطنين بأهمية دور الجاليات^(١).

ومن أبرز برامج المراكز لتحقيق أهدافها :

١. إقامة الدروس الشرعية والعربية.

٢. القيام بزيارات ميدانية للشركات والمؤسسات لإلقاء المحاضرات والدروس والكلمات التوجيهية وفق ترتيب مسبق مع إدارة تلك الشركات والمؤسسات.

٣. طباعة الكتب والنشرات وتسجيل الأشرطة وترجمتها إلى عدد من اللغات.

ص: ٢، نشرة داخلية تصدر عن مركز دعوة الجاليات بالجبيل، العدد الرابع - ربيع الأول ١٤٢٢هـ).

(١) "الأنشطة الدعوية"، ص: ٣٦٣، أ.د صالح السدلان، بتصرف بسيط.

٤. تنفيذ البرامج المساندة كالمخيمات ورحلات العمرة والحج للمستفيدين والمسلمين الجدد.

وهذه المراكز تعمل تحت مظلة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ووفق توجيهاتها^(١).

وتتولى شعبة الجاليات في الإدارة العامة للدعوة في الداخل ودول الجزيرة العربية في وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الإشراف على مكاتب ومراكز توعية الجاليات، والتي تربو على مائة مكتب^(٢) - والله الحمد والمنة - ونذكر بعضاً منها :

١. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالرياض.
٢. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بمكة.
٣. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالقصيم.
٤. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالمدينة المنورة.
٥. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بحائل.
٦. المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بميزان.
٧. مركز دعوة الجاليات بالجبيل.

(١) من كلمة معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ -وزير الشؤون الإسلامية. (المراجع السابق)

(٢) "من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله"، ص: ٢١١ - ٢١٣، و"الأنشطة الدعوية في المملكة"، ص: ٣٦٣ - ٣٦٧، أ.د. صالح السدلان.

المطلب الخامس :

عنايته بالدعوة إلى العقيدة السلفية في خارج المملكة.

لقد اهتم خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - بالدعوة إلى الله - ﷻ - ابتغاء مرضاة الله - تعالى - وقياماً بواجب المسؤولية، وببين ذلك بقوله : "المملكة العربية السعودية هي واحدة من دول أمة الإسلام، هي منهم ولهم، ونشأت أساساً لحمل لواء الدعوة إلى الله، ثم شرفها الله بخدمة بيته وحرمة نبيه، فزاد بذلك حجم مسؤوليتها، وتميزت سياستها وتزايدت واجباتها، وهي إذ تنفذ تلك الواجبات على الصعيد الدولي تتمثل ما أمر به من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة"^(١).

ولذلك نصّ الملك فهد في النظام الأساسي للحكم (المادة ٢٣) على أن من وظائف الدولة القيام بواجب الدعوة إلى الله^(٢).

ولم تقتصر الدعوة إلى الله في داخل المملكة وخارجها في الدول الإسلامية بل تعداها إلى الأقليات الإسلامية والدول غير الإسلامية في شتى أنحاء العالم. ومن مظاهر تلك العناية الكريمة من خادم الحرمين الشريفين بالدعوة إلى العقيدة السلفية في خارج المملكة ما يأتي :

أولاً : الاهتمام بتوزيع القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغات العالمية. لقد تقدمت الإشارة إلى الجهود المباركة والكبيرة للملك فهد في طباعة المصحف الشريف وتوزيعه،^(٣) ونودّ الإشادة هنا بجهود آخر كبير ومتميز في هذا

(١) من كلمة له في عيد الفطر المبارك عام ١٤٠٢ هـ. (انظر "شباب العقيدة الإسلامية" ص : ٤٠ ، و"المملكة العربية السعودية في مائة عام" ص : ٨٨).

(٢) انظر المطلب الأول من المبحث الثالث.

(٣) انظر المطلب الرابع من المبحث الثالث.

المجال ، وهو ترجمة معاني القرآن الكريم إلى مختلف لغات العالم والتي بلغت حتى عام ١٤٢٠هـ ثلاثين لغة^(١) من لغات العالم المختلفة ، فأنشأ لذلك مركز متخصص للترجمات في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، وقد تم توزيع تلك الترجمات في داخل المملكة وخارجها إلى نهاية عام ١٤٢٠هـ على النحو التالي :

- قارة آسيا : (١٠,٨٦٤,٤٣٩) نسخة.
- قارة أفريقيا : (١٠,٤٩٣,٩٨) نسخة.
- قارة أوروبا : (٢,٠٨٣,٤٠٨) نسخة.
- قارة أمريكا : (٤,٠٥٨,٥٤) نسخة.
- قارة أستراليا : (٥٤٨,٠٠) نسخة.

(١) وهي ؛ الأردنية ، والأسبانية ، والألبانية ، والإندونيسية ، والإنجليزية ، والأنكو ، الأورمية (صوتية) ، والإغورية ، والبراهوية ، والبشتو ، والبنغالية ، والبورمية ، والبوسنية ، والتاميلية ، والتايلندية ، والتركية ، والزولو ، والصومالية ، والصينية ، والفارسية ، والفرنسية ، والقازاقية ، والكشميرية ، والكورية ، والمقدونية ، والمليبارية ، والهوسا ، واليوروبا ، واليونانية ، والتغالوغ . (انظر "عناية المملكة العربية السعودية بطباعة المصحف الشريف وترجمة معانيه" ، ص : ٣١ ، أ.د محمد سالم العوفي).

وأضيفت ترجمات جديدة إلى عام ١٤٢٢هـ وهي ؛ الأمهرية ، والإيرانية ، والألمانية ، والروسية ، والسندية ، والشيشوا ، والغجرية ، والمندرية ، وبذلك بلغ عدد ترجمات معاني القرآن الكريم الصادرة عن المجمع (٣٨) لغة . (انظر "جهود المملكة العربية السعودية في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم من خلال مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة" -تقرير أعده مركز الترجمات بالمجمع ، ضمن بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم ، تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل في الفترة من ١٠ - ١٢ صفر ١٤٢٣هـ).

- معارض المملكة في الخارج : (٢٧٨٦٦) نسخة.
 - هدية حجاج بيت الله الحرام : (١٣٧٧٦٦٧) نسخة.
- وقد بلغ المجموع الإجمالي مما تمّ توزيعه من الترجمات : (١٥٨٦٣٤٣٢) نسخة^(١).

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً من الجهود المبذولة في مجال ترجمة كتب العقيدة الصحيحة ونشرها ما تقوم به وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، والرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، والندوة العالمية للشباب الإسلامي في ترجمة الكتب الشرعية وخاصة في مجال العقيدة باللغات العالمية المختلفة وتوزيعها على الناطقين بها في مختلف أنحاء العالم ، ومن الكتب المترجمة في العقيدة : "كتاب العقيدة الواسطية" للإمام ابن تيمية ، و"الأصول الثلاثة وأدلتها ، و"كتاب التوحيد" للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، و"كتاب العقيدة الصحيحة وما يضادها" لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وغيرها.

ثانياً : إيفاد الدعاة والمدرسين إلى الخارج.

قامت حكومة خادم الحرمين الشريفين من خلال جهات متعددة ببعث وإيفاد مدرسين ودعاة إلى الله عز وجل إلى بلدان مختلفة في أنحاء العالم ، لتحقيق هدف نشر العقيدة الإسلامية وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، وبيان أحكام الإسلام وشريعته وآدابه.

(١) انظر "تطور كتابة المصحف وطابعته" ص : ٩٠ - ٩٢ ، ١٣١ ، أ.د. محمد سالم العوفي.

وقد بلغ عدد الدعاة (٥٠٠٠) داعية موفدين إلى مختلف أنحاء العالم، يشرف على معظمهم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد^(١).

و تقوم وزارة المعارف بنبذ المدرسين السعوديين والمتعاقدين للعمل في عدد من الدول الإسلامية، وقد بلغ عددهم أكثر من (٢٣٧٢) مدرساً^(٢).

ثالثاً : الملتقيات الدعوية.

لقد أولى خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - عناية خاصة بعقد الملتقيات الدعوية في خارج المملكة العربية السعودية بإشراف جهات متعددة في المملكة وتهدف تلك الملتقيات إلى (حث المسلمين على التمسك بالعقيدة الصحيحة، والثوابت الإسلامية، واستنهاض همم الأقليات الإسلامية، وحثها على المحافظة على القيم الإسلامية، ودعمها في سبيل تقوية استمساكها بسماتها المميزة لها، والاستفادة من الجمعيات والمراكز الإسلامية في الحفاظ على انتمائها لدين الإسلام، وإبراز الجهود المباركة التي تقدمها المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله تعالى، وخدمة الإسلام والمسلمين في أنحاء العالم، وكذلك ربط مجتمعات الأقليات المسلمة في كل مكان، وخاصة في بلاد الغرب بالمجتمع المسلم في البلاد المسلمة، ومدّ جسور التواصل فيما بينهم، تعميقاً لمبدأ الأخوة الإسلامية)^(٣).

(١) انظر "الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية (حقائق ووثائق) ص: ٢٣٦، ٢٣٧.

(٢) "المملكة العربية السعودية" (تاريخ وإنجاز) ص: ٢٨٢.

(٣) من حديث معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. (انظر "مجلة اقرأ"، العدد: ١٣٢٤ في ١١/٥/١٤٢٢هـ).

وقد تمّ عقد عشرين ملتقى دعويّاً في الفترة من عام ١٤١٥ هـ إلى عام ١٤٢٢ هـ في الدول التالية : بريطانيا، إندونيسيا، كينيا، إثيوبيا، ماليزيا، جبل طارق، أوغندا، باكستان، ألمانيا، تايلاند، الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، الهند، بنجلاديش، غانا، بلجيكا، المجر، الدنمارك، البوسنة والهرسك، نيجيريا^(١).

رابعاً : إقامة الدورات الشرعية.

إن من وسائل حكومة خادم الحرمين الشريفين في نشر العقيدة الإسلامية وآدابها وتحصين أبناء المسلمين من التيارات الفكرية الهدامة، إقامة الدورات الشرعية والتعليمية للمسلمين في مختلف بلدان العالم.

ويقوم على تنفيذ تلك الدورات الشرعية والتعليمية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ووزارة التعليم العالي ممثلة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، كما يقوم بتنفيذ الدورات الشرعية -أيضاً- رابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومؤسسة الحرمين الخيرية.

وفي هذا البحث الموجز أود الإشارة إلى بعض جهود الجامعة الإسلامية في هذا المجال لتكون أنموذجاً للجهود الأخرى المبذولة فيها.

(١) "الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية" (حقائق ووثائق) ص : ٢٤١.

ولما تتميز به الجامعة الإسلامية من كونها جامعة إسلامية عالمية من حيث الغاية والأهداف ، وعربية سعودية من حيث التبعية^(١).

وتفخر الجامعة الإسلامية بما قاله خادم الحرمين الشريفين في حفل إزاحته الستار عن اللوحة التذكارية لمشروع المدينة الجامعية في ٨/٢/١٤٠٥ هـ فقال - رحمه الله - : " فالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة لها مكانة في نفسي خاصة ، وهذا طبعاً ما هو إقلال بالنسبة للجامعات الأخرى"^(٢).

كما بين - رحمه الله - هدف الجامعة الإسلامية فقال : " هذه الجامعة عندما أسست قصد بها شيء معين في الواقع ، هو المساهمة في بثّ روح العقيدة الإسلامية الصحيحة الخالية من الشوائب"^(٣).

وخاطب الملك فهد طلاب الجامعة الإسلامية قائلاً : " وأرجو أن تكونوا الرسل للعقيدة الإسلامية في بلدانكم عندما تعودون إليها بمفهوم العقيدة الإسلامية الصحيحة"^(٤).

لذا ، فسأوجز الحديث عن جهود الجامعة الإسلامية في الدورات التدريبية في الأمور التالية :

- بدايتها : بدأت الجامعة في إقامة الدورات التدريبية لمعلمي اللغة العربية والثقافة الإسلامية منذ عام ١٣٩٥ هـ مع بعض المنظمات

(١) "الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة" ص : ٦٣ ، صدر بمناسبة الاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة.

(٢) المصدر نفسه ص : ١٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ص : ١٣٣ .

(٤) المصدر نفسه ص : ١٣٢ .

والهيئات الإسلامية، ثم استقلت الجامعة بتنظيم هذه الدورات وإقامتها في مختلف دول العالم وفق منهج دراسي متكامل، منذ عام ١٤٠٣هـ إلى الآن -ولله الحمد- .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الدورات لم تعد إقامتها مقتصرة على خارج المملكة، وإنما أصبحت تقام في داخل المملكة في مختلف المدن والقرى لتثبيت العقيدة ونشر الوعي الإسلامي في المجتمع السعودي.

• أهدافها : تهدف هذه الدورات إلى تحقيق الأهداف التالية :

- ١- نشر العقيدة الصحيحة والتحذير مما يخالفها.
 - ٢- الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - حسب فهم السلف الصالح.
 - ٣- نشر اللغة العربية لغة القرآن الكريم.
 - ٤- فضح وبيان زيف الإدعاءات والشبه التي تثار ضد المملكة السعودية، وإظهار جهود المملكة ومواقفها الإسلامية والإنسانية في خدمة الإسلام والمسلمين^(١).
- منهجها الدراسي : لقد وضعت الجامعة منهجاً دراسياً متكاملاً لهذه الدورات، يدرس الطلاب فيها كتباً ومذكرات مقررة في المواد التالية :
- ١- العقيدة، ونسبة المحاضرات فيها ٣٥ ٪ على الأقل من الجدول الأسبوعي بالنسبة للمواد الأخرى.

(١) المصدر السابق ص : ٢٢٩.

- ٢- التفسير.
 - ٣- الحديث وعلومه.
 - ٤- السيرة النبوية.
 - ٥- النحو والصرف.
 - ٦- الأدب والنصوص.
 - ٧- التربية الإسلامية وطرق التدريس.
- وعلوم أخرى مساندة، علماً بأن مناهج المواد المذكورة وموضوعاتها ومفرداتها تهدف إلى خدمة العقيدة الإسلامية وتقريرها.
- الدول التي أقيمت فيها الدورات وعدد المستفيدين منها :
- يوضح الجدول التالي الدورات التي أقامتها الجامعة الإسلامية^(١) من حيث عددها وأماكنها وعدد الطلاب المستفيدين منها إلى عام ١٤١٧/١٤١٨ هـ :

(١) المصدر السابق ص: ٢٣٠.

م	اسم الدولة	عدد الدورات	عدد الأساتذة	عدد الطلاب	مدة أيام الدورة	عدد الكتب
١	أفغانستان	١٣	١٠١	١٧٩١	٤٦٥	
٢	إندونيسيا	١٦	١٠٥	١٩٦٠	٢٦٠	
٣	باكستان	١٦	١١٤	١٧٢٥	٥٢٥	
٤	البرازيل	٣	١٣	٢٢٨	٦٣	
٥	بريطانيا	٧	٢٧	٧٩٦	١٥٥	
٦	بنجلاديش	١٧	١٢٤	٢٤٧٠	٥٦٥	
٧	تايلاند	١١	٣٨	١٢٩٢	١٠٥	
٨	تركيا	١٤	٩٤	١٨٢٦	٢٨٦	
٩	روسيا	٣	١٠	٤٠٠	٦٣	
١٠	السنغال	١٣	١٥٣	٣٢٢٧	٥٢٥	
١١	سيراليون — غينيا	٨	٣٣	٨٨٠	١٠٥	
١٢	سيرلانكا	٥	٢٤	٣٤٤	١٠٥	
١٣	الصين	٥	٢٣	٨٥٨	٩١	
١٤	غانا	٥	٢٦	٤٦٨	١٠٥	
١٥	ماليزيا	٣٠	١٣٥	١٧٤٧	٣٥٠	
١٦	نيجيريا	٢٨	٢٤٥	٨١٤٦	٤٨٠	
١٧	الهند	١٢	٩٧	١٥٦٨	٣٨٥	
	المجموع	١٩٦	١٣٦٢	٢٩٧٢٥	٤٦٣٣	٢٥١,٠٠٠

وقد زاد عدد الدول التي أقيمت فيها الدورات من عام ١٤١٩هـ إلى عام ١٤٢٢هـ إلى (٢٩) دولة، فأضيفت الدول التالية : أوغندا، كينيا،

موريشيوس ، الولايات المتحدة الأمريكية ، أستراليا ، جنوب إفريقيا ،
المالديف ، جزر القمر ، ساحل العاج ، مالي ، النيجر ، البوسنة والهرسك .
وبلغ عدد الطلاب المستفيدين من الدورات إلى عام ١٤٢١هـ (٤٦١٢٢) طالباً^(١).

ومن الجدير بالذكر والإشادة أنه في صيف عام ١٤٢٠هـ أضيفت على
الدورات التي تقوم بها الجامعة الإسلامية (٦) ست دورات خارج المملكة ،
و(٣) ثلاث دورات في داخل المملكة على نفقة خادم الحرمين الشريفين
الشخصية.

وفي صيف عام ١٤٢٢هـ أضيفت - أيضاً - (٨) ثمان دورات في
خارج المملكة ، و(١٠) عشر دورات في داخل المملكة على النفقة الشخصية
لخادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - .

خامساً : إنشاء المؤسسات التربوية (الأكاديميات)^(٢).

لقد بلغ من حرص خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - في غرس
العقيدة الإسلامية في أبناء وناشئة العاملين في السفارات السعودية والمبتعثين
السعوديين وأبناء الجاليات الإسلامية والعربية في خارج المملكة ، وحمايتهم
من الذوبان في المجتمعات غير الإسلامية وتعليمهم في جو تربوي إسلامي ،
والحفاظ على خصائص الطفل المسلم والعربي ، وربطه بلغته ودينه خارج
وطنه ، لقد بلغ من حرصه - أيده الله - في تحقيق ذلك إلى إنشائه للعديد

(١) "تقرير عمادة خدمة المجتمع" بالجامعة الإسلامية عن عام ١٤٢٢هـ.

(٢) انظر "الأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين" ص: ١٣٥ - ١٣٧ ، بتصرف واختصار.

من المؤسسات التربوية (الأكاديميات) في العواصم المهمة من العالم، ولتحقق توثيق أواصر العلاقات الثقافية والصلات الفكرية والتربوية والعلمية مع الهيئات والمؤسسات ذات الصلة في تلك البلدان، ومن أبرز تلك المؤسسات التربوية (الأكاديميات) :

- ١- الأكاديمية الإسلامية في واشنطن، وتأسست في عام ١٩٨٤/١٩٨٥ م.
- ٢- أكاديمية الملك فهد في لندن، وتأسست في عام ١٩٨٥ م.
- ٣- أكاديمية الملك فهد في موسكو.
- ٤- أكاديمية الملك فهد في بون، وتأسست في عام ١٩٩٥ م.
- ٥- أكاديمية بيهاتش الإسلامية.
- ٦- المعهد الإسلامي في مدينة "لوغا" بالسنغال^(١).
- ٧- معاهد وكليات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في خارج المملكة وهي^(٢) :
- أ- كلية الشريعة واللغة العربية في رأس الخيمة، بالإمارات العربية المتحدة.
- ب- معهد العلوم الإسلامية والعربية في نواكشوط في موريتانيا.
- ج- معهد العلوم الإسلامية والعربية بجاكرتا في إندونيسيا.
- د- المعهد العربي الإسلامي في اليابان.

(١) "الشؤون الإسلامية في المملكة" (حقائق ووثائق) ص: ٢٢٤.

(٢) انظر "دليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية".

هـ- المعهد الإسلامي في جيوتي.

و- معهد العلوم الإسلامية والعربية بواشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية.

سادساً : تأسيس الكراسي العلمية^(١).

لم تتوقف جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز على إقامة المدارس والمؤسسات التربوية والأكاديميات الإسلامية في مختلف قارات العالم فحسب ، وإنما ارتادت المملكة في عهده آفاقاً أرحب وأوسع بإنشائها كراسي للدراسات الإسلامية في أعرق الجامعات الغربية ، في هارفارد ، ولندن ، وموسكو ، كخدمة جليلة تقدمها المملكة للعلم والمعرفة ، وزيادة للتواصل بين الحضارات ، وتعميق للحوار الهادف والعلمي الجاد عن الإسلام ، ولتقديم المفهوم الإسلامي الصحيح لغير المسلمين ، ودعم تمويل الدراسات الإسلامية ، والسعي لتصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة في الغرب عن تطبيق الشريعة والتعريف بها تعريفاً صحيحاً ، والعناية بشرح العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وتقديم المنح للطلاب في تلك الجامعات ليتعرفوا عن قرب على المفاهيم الشرعية ، والعقيدة الإسلامية ، والتراث الإسلامي العظيم وأثره في الحضارة الإنسانية.

ويأتي إنشاء الكراسي العلمية كشاهد آخر على الاهتمام المتميز بالإسلام والدعوة الإسلامية ، ودليل على نجاح السياسات التي تنتهجها حكومة المملكة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز للانطلاق

(١) انظر "الأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين" ص: ١٣٧ - ١٣٩ ، باختصار.

بالإسلام إلى مسافات أرحب، وتأسيساً لنهج الإسلام الأصيل، الإسلام المبني على الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، الذي يحمل كل الخير والسلام للبشرية والنجاح والفلاح، ومن أهم هذه الكراسي العلمية :

- كرسي الملك عبد العزيز بجامعة كاليفورنيا، في الولايات المتحدة الأمريكية، وتأسس في عام ١٩٨٤م.
- كرسي الملك فهد في جامعة هارفارد، في الولايات المتحدة الأمريكية، والذي أنشئ في عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- كرسي الملك فهد في جامعة لندن، بريطانيا، وتأسس في عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- كرسي الأمير نايف في جامعة موسكو، روسيا، وتأسس في عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

سابعاً : إنشاء المساجد والمراكز الثقافية والإسلامية.

إن الحديث عن إنشاء المساجد والمراكز الثقافية والإسلامية التي أقامها المملكة العربية السعودية في مختلف قارات العالم يعتبر تعبيراً صادقاً عن الجهود العظيمة التي بذلها - ولا يزال يبذلها - خادم الحرمين الشريفين - رحمه الله - للتعريف بالإسلام عقيدة وشريعة تعريفاً صحيحاً، ونهوضاً منه بخدمة ودعم جميع المسلمين أينما كانوا على وجه الأرض.

وعن ذلك قال الملك فهد - رحمه الله - : "إن جهود هذه البلاد تواصلت، وستواصل حيثة بعون الله في إنشاء المساجد والجوامع داخل

وخارج المملكة، لتساهم في رفع راية الإسلام ونشر دعوته، وثبات المسلمين والأقليات المسلمة على هذا النهج^(١).

ونتيجة لتلك الرعاية الكريمة من خادم الحرمين الشريفين فقد بلغ عدد المساجد - التي رعتها المملكة - أكثر من (١٥٠٠) مسجد في جميع قارات العالم^(٢).

أما المراكز الثقافية والإسلامية فهي مؤسسات إسلامية قائمة بذاتها، يضم كل مركز منها مسجداً، ومصلًى للنساء، ومرافق للوضوء ومدرسة، ومكتبة، وقاعة للمحاضرات، ومكاتب عامة، وبعض المحتويات الأخرى. وأبرزت تلك المراكز نماذج حية في نشر تعاليم الإسلام عقيدة وشريعة، وأصبحت منابر ومنازل علم وهدى، ومؤسسات للتربية والتعليم، وكان لها دورها الكبير في نشر العقيدة الإسلامية والشريعة السمحة، والثقافة العربية والإسلامية.

وقد أنفقت المملكة العربية السعودية ملايين الريالات في بناء تلك المساجد والمراكز الإسلامية، ونتيجة لتلك الجهود فقد بلغت المراكز التي شيدتها المملكة وساهمت في بنائها في مختلف أنحاء العالم نحو (٢١٠) مركز.

(١) "الشؤون الإسلامية في المملكة" ص: ١٥٢.

(٢) "المملكة العربية السعودية تاريخ وإنجاز" ص: ٢٧٥، والأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين" ص: ١٤٣، و"عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود في إنشاء المساجد والمراكز الإسلامية في الداخل والخارج" ص: ٣٢، بحث للدكتور عبد الرحيم المغذوي، مقدم للمؤتمر العالمي عن خادم الحرمين الشريفين بجامعة الملك سعود.

ومن أهم تلك المساجد والمراكز الإسلامية التي اعتنى بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - وذلك إما بتمويلها بالكامل، أو الإسهام في إنشائها، أو مساعدتها والاهتمام بها ورعايتها ما يأتي: ^(١)

● قارة إفريقيا :

- جامع الملك عبد العزيز في تونس.
- مسجد الملك فيصل في نجا مينا في تشاد.
- المركز الإسلامي في أبوجا في نيجيريا.
- مركز ومسجد الملك فيصل في غينيا كوناكري.
- مسجد باماكو في مالي.
- جامع ياوندي الكبير في الكامرون.
- المسجد الجامع في مدينة سوكوندي في توجو.

● قارة آسيا :

- مركز الملك فهد الإسلامي في جزيرة "مالي" بالمالديف.
- المركز الإسلامي في طوكيو باليابان.
- المركز الإسلامي الإندونيسي السعودي في إندونيسيا.
- مساجد الصين الشعبية في تايبية، وتايجون، وكاوتسونج.
- المركز الإسلامي في سيئول بكوريا.

(١) "الأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين" ص: ١٤٣ - ١٥٠، بتصرف واختصار، و"الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية"، ص: ١٥٤ - ٢١٠.

- المركز الإسلامي في راجشاهي بنغلاديش.

● قارة أوروبا.

- مسجد الملك فهد في مدينة اليانوفيك بروسيا.

- المركز الإسلامي في دلفت بهولندا.

- المركز الإسلامي في فيينا بالنمسا.

- المركز الإسلامي في ميونيخ بألمانيا.

- المركز الإسلامي في إيفري بفرنسا.

- المركز الإسلامي في جنيف بسويسرا.

- المركز الإسلامي في مدريد بأسبانيا.

- المركز الإسلامي في روما بإيطاليا.

- المركز الإسلامي في أدنبرة في بريطانيا.

- مسجد خادم الحرمين الشريفين في جبل طارق.

● قارة أمريكا الشمالية.

- المركز الإسلامي في واشنطن.

- المركز الإسلامي في نيويورك.

- المركز الثقافي في هاريسون بنيويورك.

- مسجد عمر بن الخطاب في لوس أنجلوس.

- المركز الإسلامي الثقافي في شيكاغو.

- المركز الإسلامي في لوس أنجلوس.

- المركز الإسلامي في تورنتو بكندا.

- المركز الإسلامي في مدينة كيوبك بكندا.

- مسجد أوتاوا في كندا.
- مسجد كلجري في كندا.
- قارة أمريكا الجنوبية.
- المركز الإسلامي في برازيليا بالبرازيل.
- وهناك مراكز عديدة في مدن البرازيل ساهمت المملكة في إنشائها.
- المركز الإسلامي في بيونس إيرس
- قارة أستراليا.
- المركز الإسلامي في ولاية كوينزلاند بأستراليا.
- المركز الإسلامي في ولاية فكتوريا بأستراليا.

تلك بعض الشواهد المضيئة لمجهودات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - في نشر العقيدة السلفية والدعوة في سبيل الله وحمل رسالة الإسلام الخالدة إلى شتى بقاع الأرض ، وخدمة المسلمين في مختلف قارات العالم وأينما كانوا على وجه البسيطة ، سائلين الله - ﷻ - بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرحم خادم الحرمين الشريفين ، ويسبغ عليه واسع رحمته ، وأن يتقبل منه جهوده المباركة في خدمة الإسلام والمسلمين ، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته ، ويجزيه وولي عهده الأمين وسمو النائب الثاني وحكومته الرشيدة خير الجزاء في الدنيا والآخرة ، آمين.

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على المبعوث بخاتمة الرسائل ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن استن بسنته إلى يوم الدين .

وبعد :

ففي نهاية هذا البحث الموجز أود أن أسجل بعض النتائج التي توصلت إليها كالتالي :

- ١ - أن المنهج والعقيدة السلفية هي الإسلام المستمد من كتاب الله - ﷺ - وسنة رسوله - ﷺ - وما أجمع عليه السلف من الصحابة الكرام - ﷺ - والتابعين لهم بإحسان .
- ٢ - أن الدولة السعودية قامت على المنهج والعقيدة السلفية ، وستظل كذلك - إن شاء الله - إلى ما شاء الله - ﷻ .
- ٣ - اعتناء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - يرحمه الله - مؤسس المملكة العربية السعودية بغرس العقيدة السلفية في أبنائه البررة الكرام وفي شعبه الوفي الكريم .
- ٤ - تعدد جوانب المواهب الشخصية في خادم الحرمين الشريفين ، وما يتمتع به - رحمه الله - من خصال قيادية فذة .
- ٥ - اعتناء خادم الحرمين الشريفين بالعقيدة الإسلامية والتركيز عليها في أغلب خطبه وكلماته ، فلا تكاد تمر مناسبة أو تلقى كلمة إلا وللعقيدة السلفية إشارة بها وبأهميتها .

٦- إن خادم الحرمين الشريفين ترجم عنايته بالعقيدة السلفية إلى تطبيق عملي ملموس في إنجازات حضارية قائمة في داخل المملكة وخارجها كأنظمة الحكم ووزارة الشؤون الإسلامية وإنشاء المؤسسات التربوية والمراكز الإسلامية وغير ذلك.

٧- ازدهار وتطور الدراسات العليا كما وكيفاً في الجامعات السعودية، وخاصة في أقسام العقيدة في أثناء الفترة الذهبية لتولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم منذ عشرين عاماً.

وأود في الختام أن أتوجه باقتراح وتوصية إلى كافة المسؤولين في القطاعات الحكومية والأهلية والخيرية بمختلف تخصصاتها ومجالاتها بأن تقوم بتوثيق تاريخها وتطوراتها وإنجازاتها منذ نشأتها إلى العهد الزاهر - الذي نعيشه - في عهد خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - فإن تجربة مسيرة المملكة العربية السعودية وإنجازاتها في الداخل والخارج جديرة بكل تقدير، وجديرة بأن تكون محل عناية الباحثين والدارسين والمسؤولين، لتبقى وثائق رسمية شاهدة على العصر، وحجة ناطقة بالحقائق الملموسة المدعمة بالأدلة والأرقام والمنجزات، وهي كذلك تأصيل إسلامي لمعالم النهج السعودي المبارك في البناء والتحديث والتمسك بالثوابت والمنطلقات وهي رسالة الإسلام الخالدة. وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه، ومن تبعه ووالاه،

إلى يوم نلقاه،

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

- اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، - د. صالح بن عبد الله بن حميد، بحث مقدم لـ(ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه) في الفترة من ٣- ٦ / ٧/ ١٤٢١هـ بالمدينة المنورة.
- اتخاذ القرآن الكريم أساساً لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، - أ.د صالح بن غانم السدلان، بحث مقدم لـ(ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه) في الفترة من ٣- ٦ / ٧/ ١٤٢١هـ بالمدينة المنورة.
- الأدوار التاريخية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (عشرون عاماً من العطاء) -وزارة الإعلام، ط ١، الوكالة الأهلية للإعلام، بنراس، الرياض، ١٤٢١هـ.
- الأصول العلمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، إصدار الأمانة العامة لجائزة المدينة المنورة ١٤٢٢هـ.
- الإعلام - خير الدين الزركلي، ط ٥، ١٩٨٠م، دار العلم للملايين، بيروت.
- إنجازات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد للعام المالي ١٤١٧/١٤١٨هـ، - إصدار وكالة الوزارة للتخطيط والتطوير والبرامج، الإدارة العامة للتخطيط، الرياض ١٤١٩هـ.
- الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية - أ.د صالح بن غانم السدلان، ط ١-، دار بلنسية للنشر، الرياض ١٤١٧هـ.
- البداية والنهاية - للإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الفكر العربي، القاهرة.
- تاريخ المملكة العربية السعودية -د.عبد الله صالح العثيمين، ط ٩، ١٤١٩هـ، مكتبة العبيكان - الرياض.
- الجاليات -نشرة داخلية نصف سنوية تصدر عن مركز دعوة الجاليات بالجبيل -المنطقة الشرقية.

- جهود إذاعة القرآن الكريم في خدمة القرآن الكريم وعلومه - للشيخ محمد بن سعيد الصفار، تقرير مقدم لـ (ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه) في الفترة من ٣ - ٦ / ٧ / ١٤٢١هـ بالمدينة المنورة.
- جهود المملكة العربية السعودية في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم من خلال مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة - تقرير أعده مركز الترجمات بالمجمع، ضمن بحوث ندوة ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم الماضي وتخطيط للمستقبل في الفترة من ١٠ - ١٢ صفر ١٤٢٣هـ بالمدينة المنورة.
- الحجة في بيات المحجة وشرح عقيدة أهل السنة - للإمام أبي القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني ت ٥٣٥هـ، تحقيق محمد ربيع المدخلي ومحمد أبو رحيم، ط ١، دار الراية، الرياض - ١٤١١هـ.
- دليل الرسائل الجامعية بالجامعة الإسلامية (١٣٩٦ - ١٣٢٠هـ) إعداد قاعة المعلومات، عمادة البحث العلمي، ١٣٢٠هـ.
- دليل الرسائل الجامعية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- دليل السائل الجامعية (١٣٨٩ - ١٣١٣هـ) بجامعة محمد بن سعود الإسلامية - إعداد د. أحمد بن علي تراز، عمادة البحث العلمي ط ١، ١٤١٤هـ.
- دليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - إدارة الدراسات والمعلومات، ١٤٠٩هـ.
- الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تاريخها، أعمالها - إصدار الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط - ١، الرياض ١٤١٩هـ.
- سير أعلام النبلاء - للإمام محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. شعيب الأرنؤوط، ط - ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية (حقائق ووثائق) - إعداد وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكالة الوزارة المساعدة للشؤون الإسلامية، ط ١، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤١٩هـ.

- شباب العقيدة الإسلامية - مختارات من كلمات ولقاءات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - إعداد المستشار محمد سعيد مبارك، ط ١، دار الدراسات الاقتصادية، ١٤١٢هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للإمام الحافظ أبي القسم هبة الله بن الحسن اللالكائي ت ٤١٨هـ، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، ط ١، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٠٣هـ.
- طبقات الحنابلة - لابن أبي يعلى، تحقيق محمد حامد الفقي.
- طبقات الشافعية الكبرى - لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي السبكي، ط الحلبي.
- عناية الملك عبد العزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها - د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.
- الكتاب الوثائقي عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - إصدار الجامعة الإسلامية، ط - ١، ١٤١٩هـ.
- كلمات منتقاة من خطب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - إعداد عبد الرحمن بن سليمان الرويشد، دار الشبل للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ، الرياض.
- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة - د. ناصر العقل، ط ١، دار الوطن، الرياض.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه، ط ١، ١٣٩٨هـ.
- مختارات من الخطب الملكية - جمع دائرة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ، صدر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية.
- المملكة العربية السعودية (تاريخ وإنجاز) - إصدار وزارة الإعلام، ط ١، القمم للإعلام، الرياض ١٤٢٢هـ.
- المملكة العربية السعودية في مائة عام - إصدار خاص بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة - دائرة الملك عبد العزيز، مكتبة العبيكان - الرياض - ١٤١٩هـ.
- من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله من إعداد وكالة الوزارة المساعدة لشؤون الدعوة، الرياض ١٤١٩هـ.

- المنظور الفكري لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود (المواقف) - إصدار وزارة الإعلام، الوكالة الأهلية للإعلام، ط ١، ١٤٢١هـ.
- الموسوعة الحديثة في الأنظمة السعودية - إعداد المحامي سليمان بن عبد اللطيف الشايعي، ط - ٣، الرياض ١٤٢٢هـ.
- الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز - خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- وسطية أهل السنة بين الفرق - محمد باكريم محمد باعبد الله، ط ١، دار الراية، الرياض ١٤١٥هـ.